

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد بن بلة 1 - وهران -

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية

- قسم الحضارة الإسلامية -

مَلَامِحُ دَلَالِيَّةٍ فِي تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ - وَأَثَرُهَا فِي الدَّرَاسَةِ اللُّغَوِيَّةِ -

أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة والدراسات القرآنية

تحت إشراف: أ.د. العربي قلايلي

إعداد الطالب: بودر بالة فريد

أ.د زعراط محمد	رئيساً	جامعة وهران بن بلة 1
أ.د قلايلية العربي	مشرفاً	جامعة وهران بن بلة 1
د. فلاح خير الدين	عضواً	جامعة وهران بن بلة 1
أ.د عرابي أحمد	عضواً	جامعة تيارت
أ.د كروم بومدين	عضواً	جامعة تلمسان
أ.د محمد مرتاض	عضواً	جامعة تلمسان

1437-1438هـ/2016-2017م

شكر وتقدير

الحمد لله حق حمده والشكر له على إحسانه، فهو الذي خلقني ورزقني
وهداني، وأسبغ عليّ نعمه ظاهرة وباطنة، ووفقني لإتمام هذا البحث، وأثني
بشكر والديّ ممتثلاً أمر ربي، قائلاً: اللهم ارحمهما كما ربياني صغيراً، ولم
تنقطع رعايتهما لي كبيراً.

كما أوجه الشكر إلى القائمين على كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
لجامعة وهران، وإلى كل من أعانني على إنجاز هذا البحث، وأخص بالذكر
زوجتي التي قاسمتني أعباء البحث وطويل السهر.

كما أخص أبنائي إبراهيم وإسماعيل ورحاب، بخالص الدعاء، وأن
يحفظهما المولى عزّ وجلّ وأن يجعلهما على صراطه المستقيم، ومنهجه
القويم، وعلى طريق القرآن الكريم، والسنة الغراء إلى أن يلقوا رسولهم
الكريم على الحوض العظيم وإيانا وجميع المسلمين. آمين يارب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَمَا بَعْدُ:

إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْقُرْآنَ لِكَرِيمٍ، آخِرَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وَاخْتَارَ لَهُ أَحْسَنَ الْأَلْسِنِ الْبَشَرِيَّةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 195]؛ وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: 28]، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِيَعْقِلَهُ الْعَاقِلُونَ، وَيَهْتَدِيَ بِهِ السَّامِعُونَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]، وَلَا تَعْقِلُ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ، إِلَّا بِمَعْرِفَةِ لِسَانِ الْعَرَبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4]؛ فَكَانَ الْبَيَانُ مِنْ جِنْسِ لِسَانِ الْقَوْمِ، كَمَا أَنَّ شَوَاهِدَ التَّنْزِيلِ وَقِرَائَتِهِ وَمَلَاسَاتِهِ، تُبَيِّنُ عَنْ خِصَائِصِ الْأَسْلُوبِ الْقُرْآنِيِّ، كَمَعْرِفَةِ عُرْفِ الْخُطَابِ وَعَادَاتِهِ؛ وَمَنْ الَّذِينَ أَدْرَكُوا هَذِهِ الدَّلَالَاتِ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَخَصُّ مِنْهُمْ مَنْ حَبَّاهُ اللَّهُ بِالرَّسُوخِ فِي الْعِلْمِ، وَأَحَاطَتْهُ بَرَكَةُ دَعَاءِ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ابْنِ عَبَّاسٍ، حَبْرُ الْأُمَّةِ وَتَرْجَمَانُهَا، الْقَائِلُ فِيهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»⁽¹⁾. وَالْقَائِلُ فِي نَفْسِهِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران الآية: 7]، "أَنَا مِمَّنْ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ"⁽²⁾.

وكفيلٌ بابن عباسٍ أن يختص بالتأويل، لكونه غاص في أعماق معاني القرآن الكريم، حيث وقف على أسرار كلام العرب؛ إذا كان قولهم في القرآن: "لا تنقضي عجائبه"، يعنون معانيه، فقد قال الطاهر بن عاشور في هذا الشأن: "... أن السلف قالوا: إن القرآن لا تنقضي عجائبه يعنون

¹ رواه أحمد في مسنده، برقم: 2397.

² تفسير الطبري (6/ 203).

مَعَانِيَهُ وَلَوْ كَانَ كَمَا قَالَ الشَّاطِبِيُّ لَا نَقَضَتْ عَجَائِبُهُ بِأَحْصَارِ أَنْوَاعِ مَعَانِيهِ ؛ وَأَنَّ مِنْ تَمَامِ إِعْجَازِهِ أَنْ يَتَضَمَّنَ مِنَ الْمَعَانِي مَعَ إِجْزَازِ لَفْظِهِ مَا لَمْ تَفِ بِهِ الْأَسْفَارُ الْمُتَكَاثِرَةُ ؛ وَأَنَّ مِقْدَارَ أَفْهَامِ الْمُخَاطَبِينَ بِهِ ابْتِدَاءً لَا يَقْضِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيُّ مَفْهُومًا لَدَيْهِمْ فَأَمَّا مَا زَادَ عَلَى الْمَعَانِي الْأَسَاسِيَّةِ فَقَدْ يَتَهَيَّأُ لِفَهْمِهِ أَقْوَامٌ، وَتُحْجَبُ عَنْهُ أَقْوَامٌ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ. " (مقدمة التحرير والتنوير (45 / 1)

● أهمية الموضوع

لقد عاش الصحابة-رضي الله عنهم- في أمة خصها الله بالبيان والعارضة واتساع الجواز، ففهموا القرآن وفق مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصَّ الله به لغتها دون جميع اللغات ، وزادهم البيان أنهم لوقائع القرآن شاهدون ولأسلوبه مدركون، فاستغنوا في الغالب عن تفسير ألفاظه من جهة اللغة، حتى إذا ما اتسعت رقعة الإسلام وتوافد العجم أفواجا إلى الإسلام، افتقر الناس بسبب محصولهم اللغوي، فدعت الحاجة إلى بيان أسلوب القرآن الكريم وفصاحته، مما قد استغنت عنه العرب، ألا وهو معرفة لغة القرآن؛ وكان الجدير بهذه المهمة ابن عباس، حيث عاش زمناً طويلاً، بعد وفاة الرسول- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وواكب تلك التغيرات، والتي كان من أبرزها مشكلة فهم النص القرآني، وفي سبيل ذلك قصدتُ إلى هذه الدِّراسة التي تبحثُ عن كيفية معالجة هذه الظاهرة، ومدى أثرها في الدِّراسات اللغوية التي جاءت بعدها.

● أسباب اختياره:

لقد وجدت من نفسي الرغبة الملحة في دراسة هذا الموضوع، خاصة وأن الروايات التفسيرية عن ابن عباس، أخذت شهرة وقبولاً عند العلماء، فأحببت أن أبرز جهد ابن عباس في المجال اللغوي، علماً أنه أول من اهتم بهذا الجانب، وكان له أثر واضح على من جاء بعده. ومن هنا جاءت فكرة، المفسر اللُّغوي، من جيل الصحابة بل من علمائها بالقرآن ولغته، ألا وهو ابن عَبَّاس: ترجمان القرآن.

وحرصاً على الاستمرار في خدمة هذا التراث الزاخر بمختلف الفنون، وقع اختياري على هذه الشخصية؛ المفسر اللغوي، الذي برز في فن التأويل، وعالج ما استجد من تغيرات الحال، كما أن البحث يمثل مساهمة في خدمة القرآن الكريم ولغته الشريفة، ومحاولة إثراء مكتبة الدِّراسات القرآنية،

بمثل هذه الدراسة لعلها تفتح آفاق لبعض الباحثين، وتستدرك ما فات الباحث ويأتي تبعاً لما ذكر،
بعض الأسباب الأخرى منها:

- جدة الموضوع وحدثه، حيث لم تقم- في حدود علم الباحث- دراسة علمية
متخصصة ومتكاملة، تبرز الجانب اللغوي في تفسير ابن عباس، مع مدى أثره في مجال
الدراسات اللغوية.

- إبراز دور ابن عباس في الأدوات التي عالج فيها المباحث اللغوية.
- المساهمة بهذا البحث في إطلاع الباحثين على دور الصحابة، في المجال اللغوي، حيث
غياب بعض الألقاب عنهم، قد يفضي إلى التقصير في الاستفادة منهم.
- مساهمة البحث بصورة مباشرة في الكشف عن وجوه التفسير اللغوي، وطرقه، ومصادره.

ويهدف البحث لحل أهم الإشكالات، منها:

- كيف عالج مشكلة فهم النص القرآني، خاصة في أهم أداة وهي اللغة العربية.
- كيف تعامل مع القضايا اللغوية المستجدة، وما هي أبرز الطرق في الكشف عن دلالات
القرآن.

- كيف عالج ظاهرة الغريب واللغات في القرآن الكريم.
- كيف تعامل مع الألفاظ، ونظائرها في القرآن الكريم وفق سياقاتها.
- كيف استطاع من خلال تفسيره اللغوي، التأثير في الدراسات اللغوية المستقبلية.
- ما مدى استفادة أهل اللغة من تفسير ابن عباس في دراساتهم اللغوية.

أما الدراسات السابقة:

وقفت خلال البحث على بعض البحوث حول ابن عباس ومجالاته اللغوية، ومن أبرزها:
- غريب القرآن الكريم وأثره في الدراسات اللغوية ، أطروحة دكتوراه من الطالب حوارة
سعيد، تخصص لسان عربي، كلية الآداب واللغات جامعة الجزائر 2، نوقشت:
2009م.

- عبد الله بن عباس، قراءاته ومنهجه في تفسير غريب القرآن، رسالة لنيل درجة الماجستير في اللغة، لطالب: عابدين عبد الرحمان آشي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، نوقشت في العام الدراسي: 1406-1407هـ.

- تفسير غريب القرآن بالشعر العربي: نافع يسأل؟ وابن عباس يجيب!، منهج لغوي جديد في التفسير، للباحث: شيخ حمدي فاروق، جامعة طنطا: 2006، وطبعته: دار اليقين: 2007م.

- التوجيهات الصرفية والنحوية لقراءة عبد الله بن عباس، رسالة ماجستير، لطالب: تيسير هارون علي التوافلة، قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة، نوقشت بتاريخ: 2007/05/16م.

كما اطلعت على مقالتين:

- منهج ابن عباس وأثره في الاتجاهات اللغوية والبلاغية في التفسير، للباحث: عمر يوسف حمزة. في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - الكويت.

- في علاقة عبد الله بن عباس بالشعر، للباحث: فهد العرابي الحارثي، في مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية.

إلا أنّ هذه الدراسات، برغم ما تضمنته من مادة علمية هامة، إلا أنّها لم تَفِ على الإجابة حول الإشكالات المطروحة سابقاً.

وبناء على ما تقدم انتهجت الخطة الآتية:

● **خُطَّةُ البَحْثِ**: يتكوّنُ البَحْثُ مِنْ مُقَدِّمَةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثة فصولٍ، وخاتمةٍ، وفهارسٍ، على النحو الآتي:

- **المقدِّمةُ**: وتشتملُ على أهمِّية الموضوع، وأسباب اختياره، وخُطَّةِ البَحْثِ، والمنهج المتَّبَع فيه.
- **التمهيدُ**: التعريف بالملامح الدلالية: ويشتملُ على:

➤ **مبحث واحد: مفهوم الملامح الدلالية :** وتطرت فيه إلى مفهوم الملامح والدلالة، لغة واصطلاحاً، كما أشرت إلى الدلالة الوضعية اللفظية.

■ **يأتي الفصل الأول: مفهوم التفسير، والبيان، والتأويل:** ويشتمل على ثلاثة مباحث:

➤ **المبحث الأول: مفهوم التفسير،** حيث حاولت معالجة قضية تحرير مصطلح التفسير وضبطه، وذلك من خلال أهم آراء علماء التفسير، كما أشرت إلى قضية إشكالية البيان في المنظومة التفسيرية، ومن ثم مهدت للمبحث الثاني.

➤ **المبحث الثاني: مفهوم البيان،** حيث حاولت معالجة قضية البيان وعلاقته بالتفسير، وذكرت أهم تعريفاته، ثم عالجت قضية البيان في القرآن الكريم وماهيته، كما حولت معالجة البيان، والإشارة إلى تغيره عبر الزمان والمكان، وذلك من خلال طرح إشكالية، هل بين النبي - صلى الله عليه وسلم - جميع ما في القرآن؟ وما حدّ هذا البيان؟

➤ **المبحث الثالث: مفهوم التأويل .** حاولت التفريق في مصطلح التأويل، بين المتقدمين والمتأخرين من أهل الأصول والجدل، كما حاولت الجمع بين التعريفين، من خلال ضبط قانون التأويل، وفي الأخير أشرت إلى الفرق بين التفسير والتأويل.

■ **الفصل الثاني: تفسير ابن عباس:** يشتمل على أربعة مباحث كالاتي:

➤ **المبحث الأول: ترجمة ابن عباس .** وهذا المبحث حقه التقديم في الرسالة، لكن ارتأيت تأخيره لما له من تعلق بالمباحث التي بعده، فعالجته في هذا المبحث ما يشتمل من حياة ابن عباس وصفاته الخلقية والخلقية.

➤ **المبحث الثاني: ابن عباس و التفسير :** تطرت في تمهيد المبحث إلى قضية نسبة التفسير إلى ابن عباس، كما ذكرت أهم المصادر والمراجع التي اهتمت بجمع الرواية التفسيرية عن ابن عباس، مع الإشارة إلى ما لا يصح نسبة إليه؛ ثم تطرت إلى تفسيره بالرأي، وخلصت إلى منهجه في إتباع الرأي الحمود، كما تطرت إلى إشكالية استعانته بأهل الكتاب، ورد الشبه التي تحوم حوله في هذه القضية، كما تكلمت عن علاقة ابن عباس بالشعر واللغة ، بصفة عامة، وكأداة لتفسير القرآن بصفة خاصة.

➤ **المبحث الثالث: خصائص ومميزات تفسير ابن عباس** : حاولت إبراز الخصائص والمميزات، التي تحلى بها تفسيره، وذلك من خلال عوامل وَقَفَ عليها، وعَرَفَ أهميتها ودورها في كشف النص القرآني، كأسباب النزول وأحواله وملابساته، و أحوال من نزل فيهم القرآن من أعراف وعادات. كما أشرت إلى عرف اللسان الذي نزل به القرآن؛ كما ختمت المبحث بميزة حسن الفهم وسلامة المقصد، والتي لها أثر في مجانبة أهل الأهواء في تفسيراتهم.

➤ **المبحث الرابع: مصادر ابن عباس في التفسير** : حاولت ذكر أهم المصادر التي اعتمدها ابن عباس في تفسيره للقرآن، مبتدئاً بالقرآن نفسه، ثمَّ السُّنَّة، ثمَّ بالرجوع إلى الصحابة-رضي الله عنهم- ثمَّ بالرجوع إلى لغة العرب وديوانها، وبذلك يكون تمهيدا للفصل الثالث.

■ **الفصل الثالث: ملامح التفسير اللغوي عند ابن عباس وأسبابه** : يشتمل على ثلاثة مباحث؛ كالآتي:

➤ **المبحث الأول: تعريف التفسير اللغوي** : حاولت بيان مفهوم التفسير اللغوي وأهميته، وذلك من خلال التذكير بأنه أحد مصادر التفسير، كما قررت أنه جزء لا يتجزأ من المنظومة التفسيرية، كما أشرت إلى أسباب بداية ظهوره.

➤ **المبحث الثاني: الاتجاه اللغوي عند ابن عباس وأسبابه** : حاولت بيان مفهوم الاتجاه اللغوي وأسباب ظهوره، وذلك من خلال التلميح إلى بعض الظواهر التي عاجلها ابن عباس بطريقة لغوية محضة كغريب القرآن في سؤالات ابن الأزرق، ثم حاولت كشف سبب ظهور هذا الاتجاه من خلال العوامل والمستجدات التي طرأت بعد النبي-صلى الله عليه وسلم- وعایشها ابن عباس، ووجد لها حلولاً؛ ثم تطرقت إلى أهم الدراسات اللغوية التي ظهرت بعد ابن عباس، وركزت منها ما كان لابن عباس فضلاً في نشوئها وظهورها، حتى أمهد للمبحث الثالث لعقد المقارنة وبيان جوانب التأثير.

➤ **أما المبحث الثالث: ملامح الاتجاه اللغوي في تفسير ابن عباس وأثرها في الدراسات اللغوية**. حاولت الكشف ودراسة أهم الملامح اللغوية التي عاجلها ابن عباس في تفسيره من خلال اتجاهه منحى لغوياً، وابتدأت بملامح الغريب في تفسير ابن عباس وحاولت بيان أثر ذلك في الدراسة اللغوية، من خلال أولاً: أخذ نماذج من تفسير الغريب، ثم موازنتها بما ورد في أهم مصادر أهل اللغة، كما أشرت إلى أهمية الشاهد الشعري عند ابن عباس، وكيف

استطاع قبل غيره الاستثمار فيه لكشف معاني القرآن الكريم، ثم مدى استفادة الدراسات اللغوية من هذه الطريقة. كما عاجلت قضية اللغات (اللهجات) في القرآن الكريم، وذلك بعد التطرق إلى أهم التعريفات، ووجهات النظر في المسألة، ثم شرعت في بيان النماذج مقسما الملامح في اللغات (اللهجات) القرآنية عند ابن عباس إلى ناحيتين: الناحية الدلالية، ثم الناحية الصوتية، كما لم أنس أثر ذلك في الدرس اللغوي، من خلال عقد موازنة بين تفسير ابن عباس، ومصادر أهل اللغة؛ وتطرت إلى : قضية المعرب في القرآن الكريم، وذلك بعد التطرق إلى أهم التعريفات، ووجهات النظر في المسألة، شرعت في بيان أهم ملامح المعرب في تفسير ابن عباس وأثره في الدراسة اللغوية، وفي آخر الفصل، تطرت إلى مسألة السياق وأهميته في فهم مراد الشارع، وذلك من خلال إبراز ملامح الوجوه والنظائر في تفسير ابن عباس وأثره في الدراسة اللغوية.

وفي الأخير ختمت **بخاتمة**: وفيها أهم نتائج البحث.

ثم قمت **بلفهارس** الفنية للرسالة مشتملة على:

1 - فهرس الآيات القرآنية.

2 - فهرس الأحاديث.

3 - فهرس الأعلام المستشهد بهم.

4 - فهرس المصادر والمراجع.

5 - فهرس المحتويات.

● منهج البحث:

سلكت في جمع مادة البحث منهجين: منهج الوصفي التحليلي، وهذا كان خاصا بالجانب النظري، وخصصت للجانب التطبيقي منهج الاستقراء، ثم الاستدلال والمقارنة، بحيث كانت الخطوات كالآتي:

أولاً: جمعت ما رواه ابن جرير الطبري (ت:310هـ) من تفسير ابن عباس، وجعلته الأصل.

ثانياً: ميّزت الروايات الخاصة بالتفسير اللغوي، أو ما يتعلق بالمباحث اللغوية، فإن لم أجدّها عند

الطبري، أخذتها من غيره ممن اختص بجمع الروايات التفسيرية؛ كتفسير عبد الرزاق

الصَّنْعَانِي(ت:211هـ)، وتفسير ابن أبي حاتم الرازي (327 هـ)، و الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسُّيُوطِي(911 هـ).

ثالثاً: اعتمدت على سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس ، أو ما يعرف بغريب القرآن في شعر العرب، من تحقيق محمد عبد الرحيم وأحمد نصر الله، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية.
رابعاً: تعاملت مع بعض الكتب المنسوبة، أو المشكوك في نسبتها لابن عباس، بجزر، بحيث إن لم أجد لها شاهداً أطمئنُ إليه، استغنيْتُ عنها في الغالب. كلغات العرب ، وتفسير تنوير المقباس المنسوبين إليه.

خامساً: لم أناقش الروايات التفسيرية لابن عباس، صحةً وضعفاً، وخاصةً عند الطبري، لأن الأمر في نظري مقتصر على الروايات اللغوية، و في نقل اللغة لا يشترط ما يشترط في غيرها، ثمَّ كيف أكون منصفاً، إذا تطلبت صحة السند من تفسير ابن عباس فيما يخص اللغة، وأغفلت طلب السند من جهة اللغويين؟!

سادساً: أكثرْتُ من الشواهد، لطبيعة الموضوع، وحاولت أن لا أتصرف فيها.

سابعاً: اجتهدتُ في إخلاء الرِّسالة من التكرار، إلاَّ في بعض ما اقتضته الحاجة، لتعلُّقه بالمباحث.

ثامناً: في الغالب لا أتوقَّفُ لمناقشة الشواهد، لأن طبيعة الموضوع تقتضي مني الموازنة مع التقرير.

تاسعاً: اعتمدت قدر الإمكان ترتيب الشواهد حسب أقوال؛ المتَّقدِّمِ ثمَّ الذي يليه، كما أنني أثبتُّ

اسمه المشهور به، مع ضبطه وبيان سنة الوفاة بالمهجري في الغالب، وجعلته بين قوسين ().

عاشراً: أُخْرِجُ الآياتِ في متنِ الرِّسالةِ بين هذين المعقوفين [] مع ذكر رقم الآية وسواء استشهدتُ

بالآية كاملاً أم بجزء منها، كما اعتمدتُ على رواية حفص عن عاصم.

إحدى عشر: أثبتُّ القراءات القرآنيَّة بالرَّسم الإملائي بين هذين القوسين ()؛ وأعزو كلَّ قراءةٍ إلى

صاحبها، وإذا كانت القراءة شاذَّةً، نبه عليها من خلال مصادرها.

اثني عشر: أُخْرِجُ الأحاديث النَّبويَّة والآثارَ تحريجاً مُختصراً، في الغالب، وما اتفق عليه الشيخان،

اعتمدتُ فيه على اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، لمحمد فؤاد بن عبد الباقي ، ولا أزيد عليه،

أما ما كان خارج الصحيحين، ذكرت درجة الحديث، معتمداً على أصحاب الصنعة.

ثالث عشر: أنسبُ الأشعارَ إلى قائلها، وأكتفي بعزوها إلى دواوينهم في الغالب، وإلاَّ أحلتُ إلى

مصادر موثوقٍ بها.

رابع عشر: لم أترجم للأعلام لكثرتهم وكثرة شواهدهم، إلا ما استثنى من الشعراء، أو ما تقتضيه الحاجة.

خامس عشر: أذكر معلومات المصدر كاملة، في أول استشهاد، مبتدئاً باسم الكتاب، قبل المؤلف، فإذا عاودت الاستشهاد بالكتاب، اقتصر على اسمه الكتاب دون المؤلف، في الغالب.

سادس عشر: أشير إلى صفحات المرجع بهذا الرمز: (ص:).

وبعد: فهذا العمل العلمي المتواضع ثمرة من علمٍ وبحرٍ وترجمانٍ، استحق بكل جدارةٍ، لقب ترجمان القرآن وحبر الأمة، وها أنا أزيل عنه ما كان عنه سجيّةً وطبعاً، إمام اللغة بحق، فإن وفقنا وأصبنا فمن الله وحده له الفضل، وإن أخطأت فمن نفسي وهي له أهل.

وحسبي أنني فتحت مجال البحث فُسحةً، أرجو منها فتحاً، كما أدعو الله أن يفتح خزائن رحمته، لكل من أتم هذه الرسالة، فصوّب فيها رأياً، أو تمّم نقصاً، أو استدرك فائتاً.

وأخصُّ بالشُّكر في هذا المقام - بعد شكر الله تعالى - من أولائي من علمه واهتمامه وتواضعه، ما تمّ به هذا العمل بفضل الله، وهو الأستاذ الدكتور: العربي قلايلية، وفقّه الله ونفع به.

وللمناقشين الفضلاء، كل التقدير والاحترام، بجميل الثناء، وخالص الدعاء، على تفضُّلِهما، وتكبدِهما البعد والمشقة، وما ذاك إلاً لمناقشة هذا البحث، وتقويمه وتسديده، وهم من أخصّ الناس بهذا العلم تأصيلاً وتحقيقاً، فلهم كل الشُّكر والاحترام.

والحمد لله رب العالمين.

التَّمهيدُ: ويحتوي على مبحثٍ واحدٍ.
➤ المبحث الأول: مفهوم ملامح دلالية.

ويحتوي:

- ✓ ملامح لغة.
- ✓ الدلالة لغة.
- ✓ الدلالة اصطلاحاً.
- ✓ أقسام الدلالة.
- ✓ أقسام الدلالة الوضعية اللفظية.

➤ المبحث الأول: مفهوم الملامح الدلالية.

تعريف الملامح لغة: الملامح من الفعل لمَحَ: لَمَحَ إِلَيْهِ يَلْمَحُ لَمْحًا، وَالْمَحَ: اختلس النَّظْرَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمَحَ نَظْرًا.

وَلَمَحَ الْبَرْقُ يَلْمَحُ لَمْحًا وَلَمْحَانًا، كَلَمَعَ. وَبَرَقَ لَامِخٌ وَلَمُوحٌ وَلَمَّاحٌ. وَقِيلَ: لَا يَكُونُ اللَّمْحُ إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ.⁽¹⁾

وَمَلَمَحُ الْإِنْسَانُ: مَا بَدَأَ مِنْ مَخَاسِنِ وَجْهِهِ وَمَسَاوِيهِ. وَقِيلَ: هُوَ مَا يُلْمَحُ مِنْهُ: وَاحِدَتُهَا لَمْحَةٌ، عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، قَالَ سَبِيئِيُّهُ (ت: 180هـ): "مَلَمَحَ وَالْمُسْتَعْمَلُ فِي الْكَلَامِ لَمْحَةٌ، وَلَا يَقُولُونَ مَلْمَحَةٌ".⁽²⁾

وَقَالَ ابْنُ جَبْرِ (ت: 392هـ): "اسْتَعْنُوا بِمَلَمَحٍ عَنِ تَكْسِيرِ لَمْحَةٍ".⁽³⁾

قال ابن سيده المرسى (458هـ): "تفسير ثعلب للملامح يشعر أنّ للملامح واحدًا من لفظها لأن مَوْجِعَ اللَّمْحِ مِنَ الْوَجْهِ مَلْمَحٌ، ثَابِتٌ".⁽⁴⁾
قال أبو منصور الأزهرى (370هـ): "وَاللَّمْحَةُ النَّظْرَةُ؛ وَاللَّمَحَتُ الْمَرْأَةُ مِنْ وَجْهِهَا الْإِمَّا حًا إِذَا أَمَكَنْتَ مِنْ أَنْ تُلْمَحَ، تَفْعَلُ ذَلِكَ الْحَسَنَاءُ تُرِي مُحَاسِنَهَا مِنْ يَتَصَدَّى لَهَا ثُمَّ تُخْفِيهَا."
وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ⁽⁵⁾:

¹ ينظر: المحكم والمحيط الأعظم؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (ت: 458هـ)؛ المحقق: عبد الحميد هندواي؛ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط: الأولى، 1421 هـ - 2000 م. (3/ 376).

² الكتاب؛ عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقب سبويه (ت: 180هـ)؛ المحقق: عبد السلام محمد هارون؛ الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة؛ ط: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م. (3/ 425).

³ الخصائص؛ أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ)؛ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ط: الرابعة. (1/ 379).

⁴ المخصص؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (المتوفى: 458هـ)؛ المحقق: خليل إبراهيم جفال؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت؛ ط: الأولى، 1417 هـ - 1996 م. (1/ 94).

⁵ ذو الرُّمَّة (ت 117 هـ) هو : هو غيلان بن عقبة بن بهيش ، ويكنى أبا الحارث. وهو من بني صعب بن ملكان بن عدى بن عبد مناة، من فحول الطبقة الثانية في عصره، قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وحتم بذى الرمة. ينظر: الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: 1423 هـ. (1/ 515).

وَأَلْمَحْنَ لَمَحًا مِنْ خُدُودِ أَسِيلَةٍ رِوَاءِ خَلَا مَا أَنْ تُشَفَّ الْمِعَاطِسُ (1) " (2)

الدلالة لغةً : مصدر مأخوذ من الفعل : دلّ ؛ قال الجوهري (ت: 393هـ): "دَلَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ يَدُلُّهُ دَلَالَةً وَدِلَالَةً وَدُلُولَةً، وَالْفَتْحُ أَعْلَى". (3)

وَقَالَ شَمْرٌ: دَلَّلْتُ بِهَذَا الطَّرِيقِ دَلَالَةً، أَي عَرَفْتُهُ، وَدَلَّلْتُ بِهِ أَدَلُّ دَلَالَةً، وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: أَدَلَّلْتُ بِالطَّرِيقِ إِدْلَالًا. (4)

وقال ابن فارس (ت: 395هـ): (دَلَّ) الدَّالُّ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِبَانَةُ الشَّيْءِ بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا، وَالْآخَرُ اضْطِرَابٌ فِي الشَّيْءِ.

فَأَلْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: دَلَّلْتُ فُلَانًا عَلَى الطَّرِيقِ. وَالدَّلِيلُ: الْأَمَارَةُ فِي الشَّيْءِ. وَهُوَ بَيْنَ الدَّلَالَةِ وَالدِّلَالَةِ... (5)

الدلالة في الاصطلاح: عرفها الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ (ت: 502هـ) بقوله: ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب (6)

وقال الجُرْجَانِيُّ (ت: 816هـ): هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول. (7)

¹ ديوان ذي الرُّمَّة، قدم له وشرحه أحمد حسن سيج، ط: دار الكتب العلمية، ط الأولى: 1415هـ - 1995م. (ص: 145). أسيل: طويل؛ رواء: مرتوية.

² تحذيب اللغة؛ محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت 370هـ)؛ المحقق: محمد عوض مرعب؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت؛ ط: الأولى، 2001م.

³ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية؛ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)؛ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار؛ الناشر: دار العلم للملايين - بيروت؛ ط: الرابعة 1407 هـ - 1987 م. (4/ 1698).

⁴ ينظر: تحذيب اللغة؛ الأزهري. (14/ 48).

⁵ معجم مقاييس اللغة؛ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)؛ المحقق: عبد السلام محمد هارون؛ الناشر: دار الفكر؛ عام النشر: 1399هـ - 1979م. (2/ 259).

⁶ المفردات في غريب القرآن؛ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)؛ المحقق: صفوان عدنان الداودي؛ الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت؛ ط: الأولى - 1412 هـ. (ص: 316).

⁷ كتاب التعريفات؛ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)؛ المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر؛ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان؛ الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م. (ص: 104).

وقال أبو البقاء الكفوي (ت:1094هـ): كَوْنُ الشَّيْءِ بِحَيْثُ يُفِيدُ الْعَبْرَ عِلْمًا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْعَبْرِ مَانِعٌ، كَمَزَاحِمَةِ الْوَهْمِ وَالْغَفْلَةِ بِسَبَبِ الشَّوَاغِلِ الْجِسْمَانِيَّةِ.⁽¹⁾

علم الدلالة: هو العلم المختص بدراسة معاني الألفاظ والعبارات والتراكيب اللغوية في سياقاتها المختلفة.⁽²⁾

تتضح أهمية هذا العلم ليلتباطه الوثيق بعلم الكتاب والسنة ، والاستنباط من النصوص الشرعية لمعرفة الأحكام الشرعية فهو من مؤهلات الاجتهاد ، وهو كذلك وسيلة مهمة جداً لتفسير النصوص القانونية، فلا يستغني عنه الباحثون والمختصون بالدراسات القانونية.

أقسام الدلالة.

أقسام الدلالة⁽³⁾: تنقسم الدلالة من حيث العموم إلى قسمين: دَلَالَةٌ لَفْظِيَّةٌ وَدَلَالَةٌ غَيْرَ لَفْظِيَّةٍ، وتقسيم كل منهما إلى ثلاثة أقسام: وضعية، وعقلية، وطبيعية؛ وهي كالتالي:

1. الدلالة العقلية اللفظية - مثل: دلالة سماع الصوت خارج الدار على وجود متكلم.
2. الدلالة العقلية غير اللفظية - مثل: دلالة رؤية الدخان على وجود نار.
3. الدلالة الطبيعية اللفظية - مثل: دلالة لفظ (آخ) على التألم

¹ الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)؛ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت:1094هـ)؛ عدنان درويش - محمد المصري؛ الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت. (ص439).

² معجم اللغة العربية المعاصرة؛ د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت 1424هـ)؛ الناشر: عالم الكتب؛ ط: الأولى، 1429 هـ - 2008 م. (1/ 764)؛ ينظر أيضا : كتاب علم الدلالة للدكتور احمد مختار عمر ؛ ط عالم الكتب؛ ط الخامسة: 1998م. ص 11.

³ ينظر: الإبهام في شرح المنهاج ؛ تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب؛ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت عام النشر: 1416هـ - 1995 م. (1/ 204)؛ و نهاية السؤل شرح منهاج الوصول ؛ عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (ت: 772هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان؛ ط: الأولى 1420هـ- 1999م. (ص: 84)؛ والمُهَدَّبُ فِي عِلْمِ أَصُولِ الْفِقْهِ الْمُقَارَنِ؛ عبد الكريم بن علي بن محمد النملة؛ دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض؛ ط الأولى: 1420 هـ - 1999 م. (3/ 1056).

4. الدلالة الطبيعية غير اللفظية - مثل: دلالة سرعة حركة النبض على وجود الحمى
5. الدلالة الوضعية غير اللفظية - مثل: دلالة إشارات السير الكهربائية على الاتجاه
6. الدلالة الوضعية اللفظية - مثل: دلالة الألفاظ على معانيها، كدلالة لفظ قلم على معناه.

ومن بين هذه الدلالات، ما يتعلق بالجانب الدراسي بالبحث، وهو دلالات ألفاظ القرآن، والمرتبطة بالدلالة الوضعية اللفظية.

أقسام الدلالة الوضعية اللفظية⁽¹⁾:

تنقسم الدلالة الوضعية اللفظية إلى ثلاث أقسام هي:

1. دلالة المطابقة: وهي دلالة اللفظ على تمام المعنى الذي وضع له. كدلالة لفظ (الدار) على جميع مرافقها.
2. دلالة التضمنية: وهي دلالة اللفظ على جزء المعنى الذي وضع له. كدلالة لفظ (الصف) على الطلاب فقط.
3. دلالة الالتزام: هي دلالة اللفظ على معنى ملازم للمعنى الذي وضع له. كدلالة لفظ (حاتم) على الكرم.

¹ ينظر: المحصول؛ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)؛ دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني؛ الناشر: مؤسسة الرسالة؛ ط: الثالثة، 1418 هـ - 1997 م. (1/219)؛ والإحكام في أصول الأحكام؛ أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت: 631هـ)؛ المحقق: عبد الرزاق عفيفي؛ الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان. (1/15). والبحر المحيط في أصول الفقه؛ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)؛ الناشر: دار الكتيبي؛ ط: الأولى، 1414 هـ - 1994 م. (2/269).

❖ الفصل الأول: مفهوم التفسير، والبيان،
والتأويل

ويشتمل على ثلاثة مباحث؛ كالاتي:

➤ المبحث الأول: مفهوم التفسير.

➤ المبحث الثاني: مفهوم البيان.

➤ المبحث الثالث: مفهوم التأويل.

➤ المبحث الأول: مفهوم التفسير.

ويحتوي على:

- ✓ التفسير في اللغة.
- ✓ التفسير في الاصطلاح.
- ✓ ضوابط التفسير.
- ✓ آراء لبعض علماء التفسير تفيد تقييبي البيان.

➤ المبحث الثاني: مفهوم التفسير.

✓ التفسير في اللغة:

مصدر على وزن (تفعيل)، فعله الماضي رباعي مضعّف: (فَسَّرَ). تقول: فَسَّرَ، يَفْسِّرُ، تفسيرا؛ وأصل الكلمة ثلاثي الجذر من (فسر).

قال أبو منصور الأزهري (ت: 370هـ): "فسر: الفَسْرُ: كشف ما عُطِّيَ. وَقَالَ اللَّيْثُ: الْفَسْرُ: التَّفْسِيرُ وَهُوَ بَيَانٌ وَتَفْصِيلٌ لِلْكِتَابِ؛ وَالتَّفْسِيرَةُ: اسْمٌ لِلْبَوْلِ الَّذِي يَنْظُرُ فِيهِ الْأَطْبَاءُ يَسْتَدِلُّونَ بِلُونِهِ عَلَى عِلَّةِ الْعَلِيلِ وَكُلِّ شَيْءٍ يُعْرَفُ بِهِ تَفْسِيرِ الشَّيْءِ وَمَعْنَاهُ فَهُوَ تَفْسِيرَتُهُ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33]، الْفَسْرُ: كَشْفُ الْمَغْطَى. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: التَّفْسِيرُ: كَشْفُ الْمَرَادِ عَنِ اللَّفْظِ الْمُسْكَلِ. وَالتَّوِيلُ: رَدُّ أَحَدِ الْمُحْتَمَلِينَ إِلَى مَا يُطَابِقُ الظَّاهِرِ. " اهـ (1)

وقال ابن فارس (ت: 375): "الْفَاءُ وَالسَّيْنُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى بَيَانِ شَيْءٍ وَإِضَاحِهِ". (2)

قال مجاهد (ت: 104) في تفسير هذه الآية: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33]: "أي: بيانا" (3).

وقال زين الدين الرّازي (ت: 666هـ) في مختاره: "الْفَسْرُ: الْبَيَانُ وَبَابُهُ ضَرْبٌ وَالتَّفْسِيرُ مِثْلُهُ؛ وَاسْتَفْسَرَهُ كَذَا سَأَلَهُ أَنْ يُفْسِّرَهُ". (4)

يلاحظ أن مادة: فسر لغة تدور حول الشرح والبيان والكشف.

¹ ينظر: تهذيب اللغة (12/ 283) - بتصرف -

² مقاييس اللغة (4/ 504).

³ ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن؛ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)؛

المحقق: أحمد محمد شاكر، ومحمود شاكر؛ الناشر: مؤسسة الرسالة؛ ط: الأولى، 1420 هـ - 2000 م. 19 ص 267.

⁴ مختار الصحاح؛ زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرّازي (ت: 666هـ)؛ المحقق: يوسف الشيخ

محمد؛ الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدله ط: الخامسة، 1420 هـ / 1999 م. (ص: 239).

✓ التفسير في الاصطلاح.

عُرف التفسير في اصطلاح أهل الفن بعدة تعريفات متباينة، وهذا لتباينهم في تصور هذا العلم الشريف، فمن متوسع حتى أخرجه عن حدّ الكشف و البيان، ومنهم من أدخل فيه ما ليس منه، ومنهم من أضاف إليه من الملح واللطائف البديعية، ومنهم من جعل فيه حظاً وافراً من وجوه الإعراب وذكر مدارسه، ومنهم من جعله في الفقه ومذاهبه ... وكل راح على حسب تخصصه الغالب عليه متأثراً في كتابته في علم التفسير على ما غلب عليه من الفن.

وهذه أمثلة تعريفات التفسير على ذلك:

قال أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـ): "التفسير علم يُبحث فيه عن كيفية النطق باللفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتكبيية، ومعانيها التي تُحمّل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك. فقولنا علم هو جنس يشمل سائر العلوم. وقولنا يُبحث فيه عن كيفية النطق باللفاظ القرآن هذا هو علم القراءات. وقولنا ومدلولاتها، أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يُحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا وأحكامها الإفرادية والتكبيية هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، ومعانيها التي تُحمّل عليها حالة التركيب شمل بقوله التي تُحمّل عليها ما لا دلالة عليه بالحقيقة، وما دلّته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً، ويصُد عن الحمل على الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يُحمّل على غير الظاهر، وهو المجاز. وقولنا، وتتمات لذلك، هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما انبهم في القرآن، ونحو ذلك".⁽¹⁾

وقال بدر الدين الزركشي (ت: 794هـ): "التفسير علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم

¹ البحر المحيط في التفسير؛ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)؛ المحقق: صدقي محمد جميل؛ الناشر: دار الفكر - بيروت؛ ط: 1420 هـ - 1999 م. (1/26).

اللُّغَةَ وَالنَّحْوَ وَالتَّصْرِيفَ وَعِلْمَ الْبَيَانِ وَأُصُولَ الْفِقْهِ وَالْقِرَاءَاتِ وَيَحْتَاجُ لِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ التُّزُولِ وَالتَّاسِخِ
وَالْمَنْسُوخِ".⁽¹⁾

وقال في موضع آخر: " هُوَ عِلْمُ نُزُولِ الْآيَةِ وَسُورَتِهَا وَأَقَاصِيصِهَا وَالْإِشَارَاتِ النَّازِلَةِ فِيهَا ثُمَّ
تَرْتِيبِ مَكِّيَّهَا وَمَدِينِيَّهَا وَمُحْكَمِهَا وَمُتَشَابِهِيَّهَا وَنَاسِخِهَا وَمَنْسُوخِهَا وَخَاصِهَا وَعَامَتِهَا وَمُطْلَقِهَا وَمُقَيَّدِهَا
وَمُجْمَلِهَا وَمُفَسَّرِهَا؛ وَزَادَ فِيهَا قَوْمٌ فَقَالُوا: عِلْمٌ حَالَاهَا وَحَرَامِهَا وَوَعْدِهَا وَوَعِيدِهَا وَأَمْرِهَا وَنَهْيِهَا وَعَبْرِهَا
وَأَمْتَالِهَا وَهَذَا الَّذِي مُنِعَ فِيهِ الْقَوْلُ بِالرَّأْيِ".⁽²⁾

وقال ابنُ عَرَفَةَ المالكِي (ت: 803): "أما حقيقته: فهو العلمُ بمدلولِ القرآنِ وخاصِيَّةِ كَيْفِيَّةِ
دلالته، وأسبابِ التُّزُولِ، والتَّاسِخِ والمَنْسُوخِ.

فقولنا: خاصِيَّةِ كَيْفِيَّةِ دلالته: هي إعجازُه، ومعانيه البيانيَّةُ، وما فيه من علمِ البديعِ الذي يذكره
الرَّزَّكَشِيُّ، ومن نحاه نحوه".⁽³⁾

نلاحظ في هذه التعريفات ما يأتي:

- غياب التَّحْدِيدِ الدَّقِيقِ لِعِلْمِ مِصْطَلَحِ التَّفْسِيرِ، ويظهر هذا جلياً في تعريف أبي حَيَّانِ وَ
الرَّزَّكَشِيِّ وابنِ عَرَفَةَ المالكِي.
- التَّوَسُّعُ فِي مَفْهُومِ التَّفْسِيرِ حَتَّى أُخْرِجَ عَنِ حَدِّ الْبَيَانِ كَمَا هُوَ حَاصِلٌ لِأَبِي حَيَّانِ.
- ذِكْرُهُمْ عُلُومًا، لَيْسَتْ مِنْ اِخْتِصَاصِ التَّفْسِيرِ، أَوْ لَمْ يُذَكَّرْ لَهَا ضَابِطٌ.
- عَدَمُ تَحْدِيدِ قَدْرِ الْبَيَانِ وَنَوْعِهِ.

فقول أبي حَيَّانِ (ت: 745هـ): "التَّفْسِيرُ عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنِ كَيْفِيَّةِ النُّطْقِ بِاللُّغَةِ الْقُرْآنِ". اهـ ،
فهذا ليس من اِخْتِصَاصِ المَفْسَّرِ وَإِنَّمَا مِنْ اِخْتِصَاصِ عِلْمَاءِ الْقِرَاءَاتِ وَالْأَدَاءِ؛ فَكَيْفِيَّةِ النُّطْقِ بِاللُّغَةِ

¹ البرهان في علوم القرآن؛ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)؛ المحقق: محمد أبو الفضل
إبراهيم؛ الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه؛ ط: الأولى، 1376 هـ - 1957 م. (1/13).

² البرهان في علوم القرآن (2/148).

³ تفسير الإمام ابن عرفة؛ محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكِي، أبو عبد الله (ت: 803هـ)؛ المحقق: د. حسن
المناعي؛ الناشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس؛ ط: الأولى، 1986 م. (1/59).

القرآن ليس لها تعلق بكشف المعنى، وإنما تتعلق بأدائه، وهو علم التجويد وإعطاء الحروف حقها في الصفة والمخرج.

أما قوله: "وأحكامها الإفرادية والتكبيية هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع" اه؛ فكل هذه العلوم ليس من اختصاص المفسر، بل يذكرها بعض العلماء في شروط المفسر؛ وإنما هذه العلوم قد تكون مساعدة له في تقوية المعنى؛ ولذلك من جهلها وأتى بالمعنى الصحيح في بيان آي القرآن، فلا يضره جهلها ما دام المعنى صحيحاً؛ اللهم إلا إذا كان لها أثر في التفسير؛ والظاهر أن أبا حيان (ت: 745هـ) ذكر شروط المفسر، وفرق بين شروط المفسر والتفسير. أما قول الزركشي (ت: 794هـ): "هو علم نُزول الآيات وسورتها وأقاصيصها وإشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكّيها ومدنيها ومخكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها.." اه.

هذه المعلومات تعتبر من مباحث علوم القرآن، وليس من التفسير بحيث قد يجهل المفسر بعض المباحث من علوم القرآن التي ليس لها أثر في بيان المعنى، وهذا الجهل لا يضر بالتفسير؛ لكن هذه المباحث من شروط المفسر، التي قد تساعده في كشف المعنى في بعض الحالات.

أما قول ابن عرفة المالكي (ت: 803): فهو العلم بمدلول القرآن وخاصية كيفية دلالاته، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ.

فقولنا: خاصية كيفية دلالاته: هي إعجازه، ومعانيه البيانية، وما فيه من علم البديع الذي يذكره الزمخشري، ومن نحاه نحوه.

ما ذكره ابن عرفة المالكي (ت: 803): جمع في تعريفه بين مباحث علوم القرآن، ومباحث إعجاز القرآن، ولا شك أنهما مهمان للمفسر، لكن لا تتوقف عليهما عملية البيان، فإعجاز القرآن يحتاجه من أراد أن يبرهن على من أنكر إعجاز القرآن، وهذا ما يفسر عدم وجود مسأله في عهد الصحابة- رضي الله عنهم- لكن لما ظهر الطاعنون في القرآن من جهة بلاغته، بين العلماء وجوه إعجازه.

ويستخلص من خلال بيان معنى التفسير لغةً واصطلاحاً أن مادته تدور حول البيان والشرح والكشف؛ ومن بين التعريفات التي تصلح لتحديد مصطلح التفسير ما يأتي:

قال محمد الطاهر بن عاشور(ت: 1393هـ): "والتفسير في الاصطلاح: هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع".⁽¹⁾

قال محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: 1367هـ): "التفسير: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية".⁽²⁾

وقال محمد بن صالح بن عثيمين(ت: 1421هـ): "بيان معاني القرآن الكريم"⁽³⁾.

نستنتج من خلال ما ذكر، أن التفسير هو: بيان معاني القرآن الكريم؛ لكن تستشكل علينا قضية مهمة في التعريف وهي لفظة البيان التي وقعت مجملة، بحيث ما هو البيان؟ وما قدر البيان الذي يقع به كشف المعنى؟ وما طبيعته؟.

لم تكن رؤية المفسرين في حقيقة الأمر موحدة في قضية ضبط مصطلح التفسير والبيان، ولعل أبرز الأسباب تعود إلى اختلاف مناهجهم، وتأثرهم بفن من الفنون، بحيث نجد استطرادات قد يبرز فيها المفسر دون غيره، وهذا شيء طبيعي، لكن هناك سبب آخر، قد لا يذكره من كتب حول مناهج المفسرين، وهو أن المفسر قد يكون يملي تفسيره في مسجد أمام مختلف شرائح الناس، فهو يستطرد مسائل مختلفة بوعي تفهيم الناس، مما يفرض عليه ذكر علوم ومبادئ ليس لها تعلق ببيان المعنى مباشرة، بل هي عبارة عن تمهيدات لكشف ما يحيط بالمعنى، لذا قد نجد من كتب في علم التفسير، يمهد بمقدمات تحتوي على أصول التفسير، حتى تكون كالقواعد المتفق عليها قبيل الشروع في عملية التفسير؛ ثم أمر آخر أن درجة البيان تختلف نسبيًا من شخص لآخر، ومن عصر لآخر، ومن مكان لآخر، ولذلك لو أردنا أن نحدد قدر البيان وتعريفه ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، أي من جهة توحيد مناهج المفسرين في قضية البيان، لكن قد نحدد تعريفًا نسبيًا يُقرب بينها.

¹ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)؛ الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس؛ سنة النشر: 1984 م. (1/11).

² مناهل العرفان في علوم القرآن؛ لمحمد عبد العظيم الزرقاني(ت: 1367هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة. (2/133).

³ أصول في التفسير؛ محمد بن صالح بن محمد العثيمين(ت: 1421هـ)، ط: المكتبة الإسلامية، ط: الأولى: 1422 هـ - 2001 م. ص: 23.

حَدُّ التَّفْسِيرِ: ذكرنا سالفاً أنَّ التَّفْسِيرَ، بَيَانُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. فخرَجَ بِالْبَيَانِ: مَا كَانَ خَارِجاً عَنِ حَدِّ الْبَيَانِ؛ ككَثِيرٍ مِنْ تَفَارِيعِ الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ، وَتَفَارِيعِ الْمَسَائِلِ النَّحْوِيَّةِ، وَمَبْهَمَاتِ الْقُرْآنِ، وَغَيْرِهَا مِمَّا يُذَكَّرُ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ، مِمَّا لَا أَثْرَ لَهُ فِي كَشْفِ الْمَعْنَى.

ويُخْرَجُ بِالْقُرْآنِ: غَيْرُ كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَكَلَامُهُ لِمَلَائِكَتِهِ، وَكَلَامُهُ لِرُسُلِهِ السَّابِقِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَالْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

✓ ضوابط التفسير.

نقصد بضوابط التفسير: ما هي المعلومات التي نميزها فنجعلها من صلب التفسير (أي ما يقع بها الكشف عن المعنى)، والأخرى لا تدخل في صلب التفسير، (أي ما لا يقع بها الكشف عن المعنى) وهذا الأمر متعلق بالبيان، وسيأتي الكلام عليه، لكن نجد كثيراً من العلماء قيّدوا البيان في المنظومة التفسيرية، بما يكشف المعنى، أما ما زاد عن ذلك فهو فضل وزيادة، وله مواطنه في غير باب التفسير والبيان.

وبالأمثلة يتضح الأمر:

أ- معارومات ليس لها أثر في صلب التفسير:

المثال الأول: معلومات من علوم القرآن: ما ذكره أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـ) في أول تفسير سورة المائدة، قال: "﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1]، هَذِهِ السُّورَةُ مَدِينِيَّةٌ، نَزَلَتْ مُنْصَرَفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَمِنْهَا مَا نَزَلَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَمِنْهَا مَا نَزَلَ عَامَ الْفَتْحِ. وَكُلُّ مَا نَزَلَ بَعْدَ الْهَجْرَةِ بِالْمَدِينَةِ، أَوْ فِي سَفَرٍ، أَوْ بِمَكَّةَ، فَهُوَ مَدِينِيٌّ. وَذَكَرُوا فَضَائِلَ هَذِهِ السُّورَةِ وَأَنَّهَا تُسَمَّى: الْمَائِدَةَ، وَالْعُقُودَ، وَالْمُنْقِذَةَ، وَالْمُبْعَثَةَ. وَمُنَاسَبَةُ افْتِتَاحِهَا لِمَا قَبْلَهَا هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ اسْتِيفْتَاءَهُمْ فِي الْكَلَالَةِ وَأَفْتَاهُمْ فِيهَا، ذَكَرَ أَنَّهُ يُبَيِّنُ لَهُمْ كَرَاهَةَ الضَّلَالِ، فَبَيَّنَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَحْكَامًا كَثِيرَةً هِيَ تَفْصِيلٌ لِدَلِكِ الْمُجْمَلِ. قَالُوا: وَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ فَرِيضَةً لَمْ يُبَيِّنْهَا فِي غَيْرِهَا، وَسُنْبِيئُهَا أَوْلَا فَأَوْلَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَذَكَرُوا أَنَّ الْكِنْدِيَّ الْفَيْلَسُوفَ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: أَيُّهَا الْحَكِيمُ اعْمَلْ لَنَا مِثْلَ هَذَا الْقُرْآنِ، فَقَالَ: نَعَمْ، اعْمَلْ مِثْلَ بَعْضِهِ، فَاحْتَجَبَ أَيَّامًا كَثِيرَةً ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَقْدِرُ، وَلَا يُطِيقُ هَذَا أَحَدٌ، إِنِّي فَتَحْتُ الْمُصْحَفَ فَخَرَجَتْ سُورَةُ

الْمَائِدَةِ، فَظَنَرْتُ فَإِذَا هُوَ قَدْ نَطَقَ بِالْوَفَاءِ، وَنَهَى عَنِ النَّكْثِ، وَحَلَّلَ تَحْلِيلًا عَامًّا، ثُمَّ اسْتَشَى اسْتِشَاءً،
ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ فِي سَطْرَيْنِ، وَلَا يَفْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِهَذَا إِلَّا فِي أَجْلَادٍ انْتَهَى".⁽¹⁾

- نلاحظ أن معظم ما ذكره أبو حيان متعلق بمعلومات ليس لها أثر في كشف المعنى، حيث
ذكر معلومات تختص بعلوم القرآن، ثم ذكر قصة لبيبي فيها إعجاز القرآن، وكأنه مهّد لتعريف بالسورة
فقط.

المثال الثاني: كثير من مبهمات القرآن قد يخاض فيها ويكثر فيها الخلاف وليس لها أثر في

التفسير، ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 35]، حيث أن الشجرة في الآية الكريمة
مبهمة وهذا الإبهام مقصود من الله سبحانه وتعالى إذ العبرة في الآية التحذير من الوقوع في المعصية ؛
وإن كان آدم وزوجه على علم بعين الشجرة المنهي عنها.

قال أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ): "والقول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر عباده أن
آدم وزوجته أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها، فأتيا الحطيئة التي نهاهما عن إتيانها
بأكليهما ما أكلا منها، بعد أن بين الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها
وأشار لهما إليها بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: 35] ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده
المخاطبين بالقرآن دلالة على أي أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها بنص عليها باسمها ولا
بدلالة عليها. ولو كان لله في العلم بأي ذلك من أي رضا لم يخل عباده من نصب دلالة لهم عليها
يصلون بها إلى معرفة عينها، ليطيعوه بعلمهم بها، كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضا".⁽²⁾ ثم
قال: " فالصواب في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من
أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفوا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها كما وصفهما الله جل
ثناؤه به. ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في
القرآن ولا في السنة الصحيحة، فأتى يأتي ذلك من أتى؟ وقد قيل: كانت شجرة البُر. وقيل: كانت

¹ البحر المحيط في التفسير (4/156/157)

² جامع البيان، الطبري، ت شاکر (1/520).

شَجَرَةَ الْعِنَبِ. وَقِيلَ: كَانَتْ شَجَرَةَ التَّيْنِ. وَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ وَاحِدَةً مِنْهَا، وَذَلِكَ إِنْ عَلِمَهُ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعِ الْعَالِمُ بِهِ عِلْمُهُ، وَإِنْ جَهَلَهُ جَاهِلٌ لَمْ يَضُرَّهُ جَهْلُهُ بِهِ". (1)

- نلاحظ في هذا المثال كيف بيّن الطبري أن تفسير المبهم الذي ليس عليه دليل من القرآن والسنة، لا فائدة في معرفته حيث إن جهله جاهل لم يضره جهله به ، وهذا منهج قرآني مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: 67]، ولم يقف المقام بقوم موسى عند مجرد النص الظاهر، بل تعنتوا في ذلك فقال الله عنهم: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [البقرة: 68]، ثم لم يقف بهم المقام عند ذلك، بل ازدادوا تعنتا فقال الله عنهم: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ﴾ [البقرة: 69]، ثم ازدادوا تعنتا فقال الله عنهم: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 70]، وهذا التعنت أفضى بهم إلى المشقة كما هو معلوم من تفاصيل القصة وفي آخر المطاف كما أخبر عنهم جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَدَبَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: 71]، فالأمر كان ميسورا لو ذبحوا أي بقرة، لكن بتعنتهم أصبح الأمر عسيرا.

المثال الثالث: قال الطاهر بن عاشور(ت:1393) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33]: " وَمِنْ بَدَائِعِ الإِعْجَازِ فِي هَذِهِ الآيَةِ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ فِيهِ مُحَسِّنٌ بَدِيعِيٌّ فَإِنَّ حُرُوفَهُ تُقْرَأُ مِنْ آخِرِهَا عَلَى التَّرْتِيبِ كَمَا تُقْرَأُ مَنْ أَوْلَهَا مَعَ حِقَّةِ التَّرْكِيبِ وَوَفَرَةِ الْفَائِدَةِ وَجَرَيَانِهِ مُجْرَى المَثَلِ مِنْ غَيْرِ تَنَافُرٍ وَلَا غَرَابَةِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: 3]، بِطَرَحٍ وَآوِ العَطْفِ، وَكَلْنَا الآيَتَيْنِ بُيِّ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، وَهَذَا التَّنَوُّعُ سَمَاءُ السَّكَاكِي «المَقْلُوبِ المُسْتَوِي» وَجَعَلَهُ مِنْ أَصْنَافِ نَوْعِ سَمَاءِ القَلْبِ. وَخُصَّ هَذَا الصَّنْفُ بِمَا يَتَأْتَى القَلْبُ فِي حُرُوفِ كَلِمَاتِهِ. وَسَمَاءُ الحُرَيْرِي فِي «المَقَامَاتِ» «مَا لَا يَسْتَحِيلُ بِالإِنْعَاسِ» وَبَنَى عَلَيْهِ المَقَامَةَ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ وَوَضَحَ أَمَثَلَهُ نَثْرًا وَنَظْمًا، وَفِي مُعْظَمِ مَا

¹ جامع البيان، الطبري، ت شاکر (1/ 520).

وَضَعَهُ مِنْ الْأَمْثَلَةِ تَكْلُفٌ وَتَنَافُرٌ وَعَرَابِيَّةٌ، وَكَذَلِكَ مَا وَضَعَهُ غَيْرُهُ عَلَى تَفَاوُثِهَا فِي ذَلِكَ وَالشَّوَاهِدُ مَذْكُورَةٌ فِي كُتُبِ الْبَدِيعِ فَعَلَيْكَ بِتَبْتُعِهَا، وَكُلَّمَا زَادَتْ طُولًا زَادَتْ ثِقَلًا⁽¹⁾.

يلاحظ أن هذه المعلومات التي تخص تفاريع البلاغة، هي من باب التوسع حيث أنها خارجة عن حدّ بيان الآية، بل هي من لطائف التفسير، ولا تكشف المعنى مباشرة، وإنما تحوم حوله، وليس معنى هذا أنّ المفسّر لا يستفيد منها، بل قد تفيده في التعمق في المعنى.

ب- معلومات لها أثر في صلب التفسير:

المثال الأول: ما يتعلق بسبب النزول: والقاعدة التفسيرية تنص على أن: "العبرة بعُموماً اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ"⁽²⁾؛ فكثير من أسباب النزول لا أثر لها في بيان المعنى لأن العبرة بفهم النص، لا بفهم سبب النزول، لكن ثمة مواضع لا يتضح ولا يفهم النص فيها إلا بالاستعانة على فهم سبب النزول وبذلك يفتقر النص إلى فهم السبب وهذا النوع له أثر في بيان الآية وتفسيرها؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجْلُونَ عَامًا وَيُجْرِمُونَ عَامًا لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 37]، فلو رحنا نستفسر الآية لغة، لاستوقفنا لفظة "النسيء" وهي التأخير لغة⁽³⁾ وبذلك لا نستطيع فهم الآية على هذا النحو "إنما التأخير زيادة في الكفر" فتأخير ماذا؟ زيادة في الكفر؛ لكن حينما ندرك سبب النزول نفهم المقصود من الآية، وفي هذا الصدد يحكي ابن عباس: أَنَّ جُنَادَةَ بْنَ عَوْفِ بْنِ أُمَيَّةَ الْكِنَانِيِّ كَانَ يُؤَافِي الْمَوْسِمَ كُلَّ عَامٍ وَكَانَ يُكْتَى أبا ثُمَامَةَ فَيُنَادِي أَلَا إِنَّ أبا ثُمَامَةَ لَا يُحَابُّ وَلَا يُعَابُّ، أَلَا وَإِنَّ عَامَ صَفَرٍ الْأَوَّلِ الْعَامَ حَلَالٌ، فَيُحِلُّهُ لِلنَّاسِ فَيُحَرِّمُ صَفَرًا عَامًا وَيُحَرِّمُ الْمُحَرَّمَ عَامًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجْلُونَ عَامًا وَيُجْرِمُونَ عَامًا﴾ [التوبة: 37] إِلَى قَوْلِهِ ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾⁽⁴⁾.

¹ التحرير والتنوير (61 / 17).

² ينظر: العجاب في بيان الأسباب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس، الناشر: دار ابن الجوزي. (174 / 1).

³ قال ابن دريد الأزدي: "وكل متأخر فهو نسيء". ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط: الأولى، 1987م. (2 / 1105).

⁴ ينظر: تفسير الطبري (14 / 245) برقم: 16706؛ والبيهقي في سننه الكبرى (5 / 271).

المثال الثاني: مُتعلق بالمكي والمدني - في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿ [الأعلى: 14، 15] ؛ قال محمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ) بعد ذكره عدة أقوال في معنى (تَزَكَّى) و(صَلَّى): " وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالصَّلَاةِ هُنَا صَلَاةُ الْعِيدِ، كَمَا أَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّرَكِّي فِي الْآيَةِ زَكَاةُ الْفِطْرِ، وَلَا يَخْفَى بَعْدَ هَذَا الْقَوْلِ لِأَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ، وَلَمْ تُفْرَضْ زَكَاةُ الْفِطْرِ وَصَّلَاةُ الْعِيدِ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ".⁽¹⁾

- فنلاحظ أن الترجيح تعلق بمعرفة المكي والمدني.

إن التفسير بالمفهوم الدقيق، هو بيان كلام الله، والمقصود منه فهم مراد الله على حسب القدرة البشرية، أما ما زاد عن حدّ البيان، كبيان آيات الفهم التي توصل إلى فهم مراد الله، فهي تعتبر من شروط المفسر، ولا تعتبر من صلب التفسير، أو ما زاد عن التخصص كالاستنباطات الفقهية، والنكت البلاغية، والملح البيانية، فلا شك في فائدتها لكن لا تدخل في كشف المعنى قدر ما تدخل في التعمق في المعنى الزائد عن المعنى الأصلي.

✓ آراء بعض علماء التفسير تفيد تقييد البيان بما له أثر في فهم المعنى.

بعدما تطرقنا إلى ضوابط التفسير، ومثّلنا لذلك بأمور تطبيقية في التفسير، حتى نميز ما له علاقة بصلب التفسير، أخذنا نماذج من آراء علماء التفسير، تفيد تقييد البيان بما له أثر في فهم المعنى، كما أنهم يشيرون إلى ما عسى أن يكون خارجاً عن حدّ البيان فيلحقونه بمجاله وتخصّصه، عسى أن تنضبط المنظومة التفسيرية.

1 - آراء ابن جرير الطبري في تقييد البيان:

- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيِّ (ت: 310هـ): حينما تطرق إلى قراءة قوله تعالى (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [الفاحة: 4]: " الْقُرْآنُ مُخْتَلِفُونَ فِي تِلَاوَةِ (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، فَبَعْضُهُمْ يَتْلُوهُ: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ⁽²⁾

¹ فتح القدير؛ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)؛ الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت؛ ط: الأولى: 1414 هـ-1993 م. (5/ 516).

² قرأ (مَلِكِ) على وزن (فَعِل) بالخفض ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة وأبو عمرو. ينظر: معجم القراءات، تأليف: د. عبد اللطيف الخطيب، ط: دار سعد الدين، ط الأولى: 1422 هـ-2002 م. (ج1/ص9).

وَبَعْضُهُمْ يَتْلُوهُ: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾⁽¹⁾ وَبَعْضُهُمْ يَتْلُوهُ: (مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ)⁽²⁾ بِنَصْبِ الْكَافِ. وَقَدْ اسْتَفْصَيْنَا حِكَايَةَ الرَّوَايَةِ عَمَّنْ رُوِيَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ قِرَاءَةً فِي كِتَابِ الْقِرَاءَاتِ، وَأَخْبَرْنَا بِالَّذِي نَحْتَارُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِيهِ، وَالْعِلَّةَ الْمُوجِبَةَ صِحَّةَ مَا اخْتَرْنَا مِنَ الْقِرَاءَةِ فِيهِ، فَكِرْهَنَا إِعَادَةَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، إِذْ كَانَ الَّذِي قَصَدْنَا لَهُ فِي كِتَابِنَا هَذَا الْبَيَانُ عَنْ وَجْهِ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ دُونَ وَجْهِ قِرَاءَتِهَا.⁽³⁾

- وقال في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7]: "فَهَذِهِ أَوْجُهُ تَأْوِيلِ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7] بِاخْتِلَافِ أَوْجِهِ إِعْرَابِ ذَلِكَ. وَإِنَّمَا اعْتَرَضْنَا بِمَا اعْتَرَضْنَا فِي ذَلِكَ مِنْ بَيَانِ وَجْهِ إِعْرَابِهِ، وَإِنْ كَانَ قَصَدْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ الْكَشْفَ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ، لِمَا فِي اخْتِلَافِ وَجْهِ إِعْرَابِ ذَلِكَ مِنْ اخْتِلَافِ وَجْهِ تَأْوِيلِهِ، فَاضْطَرَرْنَا الْحَاجَةَ إِلَى كَشْفِ وَجْهِ إِعْرَابِهِ، لِنَتَكَشَّفَ لِطَالِبِ تَأْوِيلِهِ وَجْهِ تَأْوِيلِهِ عَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِ الْمُخْتَلَفَةِ فِي تَأْوِيلِهِ وَقِرَاءَتِهِ".⁽⁴⁾

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ [المائدة: 95]، بعدما بين تفسير الآية، استطرد بقوله: "وَأَمَّا مَا يُلْزَمُ بِالْخَطِّ قَاتِلُهُ، فَقَدْ بَيَّنَّا الْقَوْلَ فِيهِ فِي كِتَابِنَا «كِتَابُ لَطِيفِ الْقَوْلِ فِي أَحْكَامِ الشَّرَائِعِ» بِمَا أَعْنَى عَنْ ذِكْرِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ. وَلَيْسَ هَذَا الْمَوْضِعُ مَوْضِعَ ذِكْرِهِ، لِأَنَّ قَصَدْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ الْإِبَانَةَ عَنْ تَأْوِيلِ التَّنْزِيلِ، وَلَيْسَ فِي التَّنْزِيلِ لِلْخَطِّ ذِكْرٌ فَندُكِّرُ أَحْكَامَهُ".⁽⁵⁾

- وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 8]، حيث تكلم عن حقيقة الميزان ثم قال "وَلَيْسَ هَذَا الْمَوْضِعُ مِنْ مَوَاضِعِ الْإِكْتِثَارِ فِي هَذَا الْمَعْنَى عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الْمِيزَانَ الَّذِي وَصَفْنَا صِفَتَهُ، إِذْ كَانَ قَصَدْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ الْبَيَانَ عَنْ

¹ قرأ (مالك) على وزن فاعل، وبالخفض عاصم والكسائي وحلف ويعقوب. ينظر: معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب. (ج1/ص8).

² قرأ (مالك) بِنَصْبِ الْكَافِ، الأعمش وابن السميع وعثمان ابن أبي سليمان وعبد الملك قاضي الهند. ينظر: معجم القراءات. (ج1/ص10).

³ تفسير الطبري ت شاكر (1/ 148).

⁴ نفس المرجع (1/ 184).

⁵ نفس المرجع (10/ 12).

تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ دُونَ غَيْرِهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَرْنَا إِلَى مَا ذَكَرْنَا نَظَائِرَهُ، وَفِي الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ كِفَايَةٌ لِمَنْ
وُفِّقَ لِفَهْمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ".⁽¹⁾

2 - آراء أبي حيان الأندلسي في تقييد البيان:

- قال أبو حيان (ت:745)، عند الكلام عَنِ الْبَسْمَلَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ،: " وَقَدْ تَعَرَّضَ الْمَفْسَّرُونَ فِي
كُتُبِهِمْ لِحُكْمِ التَّسْمِيَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَذَكَرُوا اخْتِلَافَ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ، وَأَطَالُوا التَّفَارِيعَ فِي ذَلِكَ،
وَكَذَلِكَ فَعَلُوا فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ، وَمَوْضُوعٍ هَذَا كَتَبْتُ الْفَقْهَ، وَكَذَلِكَ تَكَلَّمْتُ بَعْضُهُمْ عَلَى التَّعَوُّذِ، وَعَلَى
حُكْمِهِ، وَلَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ بِإِجْمَاعٍ، وَنَحْنُ فِي كِتَابِنَا هَذَا لَا نَتَعَرَّضُ لِحُكْمٍ شَرْعِيٍّ إِلَّا إِذَا كَانَ لَفْظُ
الْقُرْآنِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الْحُكْمِ، أَوْ يُمْكِنُ اسْتِنْبَاطُهُ مِنْهُ بِوَجْهِ مِنْ وَجُوهِ الاسْتِنْبَاطِ".⁽²⁾

- وفي موضع آخر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: 124]، قال: " وَقَدْ تَكَلَّمْتُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي أَحْكَامِ مَا شُرِّحَتْ بِهِ الْكَلِمَاتُ مِنْ: الْمَضْمُضَةِ،
وَالاسْتِنشَاقِ، وَقَصِّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءِ اللَّحْيَةِ، وَالْفَرْقِ، وَالسَّدْلِ، وَالسَّوَاكِ، وَتَنْفِ الْإِطِيطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ،
وَتَقْلِيمِ الْأُظْفَارِ، وَالِاسْتِنْحَاءِ، وَالْحَتَّانِ، وَالشَّيْبِ وَتَغْيِيرِهِ، وَالشَّرِيدِ، وَالضِّيَافَةِ. وَهَذَا يُبْحَثُ فِيهِ فِي عِلْمِ
الْفِقْهِ، وَلَيْسَ كِتَابِنَا مَوْضُوعًا لِذَلِكَ، فَلِذَلِكَ تَرَكْنَا الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ".⁽³⁾

- وفي موضع آخر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ
يُيَسِّمَ الرِّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233]، قال: " وَفِي قَوْلِهِ: يُرْضِعْنَ، دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْأُمَّ أَحَقُّ بِرِضَاعِ الْوَلَدِ،
وَقَدْ تَكَلَّمْتُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ هُنَا فِي مَسَائِلَ لَا تَعْلُقُ لَهَا بِلَفْظِ الْقُرْآنِ، مِنْهَا: مُدَّةُ الرِّضَاعِ الْمُحَرَّمَةِ،
وَقَدْرُ الرِّضَاعِ الَّذِي يَتَعْلَقُ بِهِ التَّحْرِيمُ، وَالْحَضَانَةُ وَمَنْ أَحَقُّ بِهَا بَعْدَ الْأُمِّ؟ وَمَا الْحُكْمُ فِي الْوَلَدِ إِذَا
تَزَوَّجَتِ الْأُمُّ؟ وَهَلْ لِلذَّمِّيَّةِ حَقٌّ فِي الرِّضَاعَةِ؟ وَأَطَالُوا بِنَقْلِ الْخِلَافِ وَالِدَلَّالِ، وَمَوْضُوعٌ هَذَا عِلْمُ
الْفِقْهِ".⁽⁴⁾

¹ تفسير الطبري ت شاكر (12/314).

² البحر المحيط في التفسير (1/32).

³ نفس المرجع (1/601/602).

⁴ نفس المرجع (2/497).

- وفي موضع آخر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدْقَاتِهِنَّ﴾ [النساء: 4]؛ قوله: " وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدْقَاتِهِنَّ دَلَالَةٌ عَلَىٰ وَجُوبِ الصِّدَاقِ لِلْمَرْأَةِ، وَهُوَ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ إِلَّا مَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِرَاقِ: أَنَّ السَّيِّدَ إِذَا زَوَّجَ عَبْدَهُ بِأَمْتِهِ لَا يَجِبُ فِيهِ صِدَاقٌ، وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ تَعَرُّضٌ لِمَقْدَارِ الصِّدَاقِ، وَلَا لِشَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ ؛ وَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي ذَلِكَ هُنَا، وَمَحَلُّ الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ هُوَ كُتُبُ الْفِقْهِ" (1).

3 - آراء الطاهر بن عاشور في تقييد البيان:

- تعرض الطاهر بن عاشور من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، لمعنى الخليفة وذكر الأقوال فيها ثم ختمها بقوله: " وَلِلْخَلِيفَةِ شُرُوطٌ مَحَلُّ بَيَانِهَا كُتُبُ الْفِقْهِ وَالْكَلامِ" (2).

- وفي موضع آخر لما تَكَلَّمَ عَنْ قِصَّةِ الْمُقْتُولِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 72]، تطرق إلى مسألة الْقَسَامَةِ (3) قال: " نَعَمْ إِنَّ الْآيَةَ لَا تَدُلُّ عَلَىٰ وَفُوعِ الْقَسَامَةِ مَعَ قَوْلِ الْمُقْتُولِ وَلَكِنَّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ اعْتِبَارِ قَوْلِ الْمُقْتُولِ سَبَبًا مِنْ أَسْبَابِ الْقِصَاصِ، وَلَمَّا كَانَ الظَّنُّ بِتِلْكَ الشَّرِيعَةِ أَنْ لَا يُقْتَلُ أَحَدٌ بِمُجَرَّدِ الدَّعْوَى مِنَ الْمُطْعُونِ تَعَيَّنَ أَنَّ هُنَالِكَ شَيْئًا تَقْوَىٰ بِهِ الدَّعْوَى وَهُوَ الْقَسَامَةُ. . . وَالْخِلَافُ فِي الْقِصَاصِ بِالْقَسَامَةِ اثْبَاتًا وَنَفْيًا وَفِي مِقْدَارِ الْقِصَاصِ بِهَا مَبْسُوطٌ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ وَقَدْ تَقَصَّاهُ الْقُرْطُبِيُّ وَلَيْسَ مِنْ أَغْرَاضِ الْآيَةِ" (4).

- وقال في موضع آخر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: 187]: " وَاخْتَلَفُوا فِي صِفَةِ الْمَسْجِدِ فَقِيلَ لَا بُدَّ مِنَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَقِيلَ مُطَلَّقٌ مَسْجِدٌ وَهُوَ

¹ البحر المحيط في التفسير (3/ 511).

² التحرير والتنوير (1/ 400).

³ من معاني الْقَسَامَةِ فِي اللُّغَةِ الْيَمِينِ مُطَلَّقًا، إِلَّا أَنَّهَا فِي عُرْفِ الشَّرْعِ تُسْتَعْمَلُ فِي الْيَمِينِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، بِسَبَبِ مَخْصُوصٍ، وَعَدَدٍ مَخْصُوصٍ، وَعَلَىٰ أَشْخَاصٍ مَخْصُوصِينَ، عَلَىٰ وَجْهِ مَخْصُوصٍ. وَمَحَلُّ الْقَسَامَةِ يَكُونُ عِنْدَ وُجُودِ قَبِيلٍ فِي مَحَلَّةٍ لَا يُعْرَفُ قَاتِلُهُ.

ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، منشورات: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت - ط2: دار السلاسل - الكويت. (1/ 248).

⁴ التحرير والتنوير (1/ 562).

التَّحْقِيقُ وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيَّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَأَحْكَامُهُ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ وَلَيْسَتْ مِنْ غَرَضِ هَذَا الْمُفَسِّرِ".⁽¹⁾

نستخلص مما سبق أنَّ هُنَاكَ مسائل في التَّفْسِيرِ لا علاقة لها بصلب التَّفْسِيرِ، وإنما تتعلق بفنون أُخْرَى، فنجد بعض علماء التَّفْسِيرِ يُقَيِّدُ المسائل التي تنتمي إلى المنظومة التَّفْسِيرِيَّةِ، أمَّا ما كان خارجاً عن هذه المنظومة، تجدر الإشارة به إلى مظانه ومواطنه؛ وفي حقيقة الأمر من خرج عن هذا القَيْدِ، إنما خرج متأثراً بما غلب عليه من الفن؛ وفي هذا الصدد يقول: حسين الذهبي (ت: 1398هـ): "وإنَّا لنلاحظ في وضوح وجلاء: أن كل مَنْ برع في فن من فنون العلم، يكاد يقتصر تفسيره على الفن الذي برع فيه، فالنحوي تراه لا هَمَّ له إلا الإعراب وذكر ما يحتمل في ذلك من أوجه، وتراه ينقل مسائل النحو وفروعه وخلافاته، وذلك كالزجاج، والواحدي في البسيط، وأبي حيان في البحر المحيط؛ وصاحب العلوم العقلية، تراه يعنى في تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، كما تراه يعنى بذكر شبُّههم والرد عليهم، وذلك كالفخر الرازي في كتابه مفاتيح الغيب؛ وصاحب الفقه تراه قد عنى بتقريره الأدلة للفروع الفقهية، والرد على مَنْ يخالف مذهبه، وذلك كالجصاص، والقرطبي؛ وصاحب التاريخ، ليس له شغل إلا القصص، وذكر أخبار مَنْ سَلَفَ، ما صح منها وما لا يصح، وذلك كالثعلبي والخازن... وهكذا فسَّر كل صاحب فن أو مذهب بما يتناسب مع فنه أو يشهد لمذهبه... وفي الحق أن هذا غلو منهم، وإسراف يُخرج القرآن عن مقصده الذي نزل من أجله، ويحيد به عن هدفه الذي يرمى إليه".⁽²⁾

¹ التحرير والتنوير (2/ 185).

² ينظر: التفسير والمفسرون؛ الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت: 1398هـ)؛ الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة. (1/ 109).

➤ المبحث الثاني: مفهوم البيان.

ويحتوي على:

- ✓ تعريف البيان لغة.
- ✓ البيان في الاصطلاح.
- ✓ ضوابط حدّ البيان وطبيعته في القرآن الكريم.
- ✓ بيان القرآن والسُنَّة وطُرُقه.

➤ المبحث الثاني: مفهوم البيان.

إن قضية البيان من القضايا المهمة في المنظومة التفسيرية، حيث فهمها يزيد كثيراً من الغموض والإشكال الواقع في هذه المنظومة، وبتحريها يتحرر مصطلح التفسير، وتنضبط أصول مسأله؛ وقبل الشروع في المقصود لابد من تعريف البيان لغة واصطلاحاً.

✓ تعريف البيان لغة:

قال أبو منصور الأزهري (ت:370) : "بان الحق يبين بياناً؛ فهو بائن؛ وأبان يُبين إبانة؛ فهو مُبين، بِمَعْنَاهُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزحرف: 1، 2]. وقيل: هو مُبين كُلُّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ؛ وَقَالَ: الزَّجَّاجُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الشعراء: 2]؛ يُقَالُ: بَانَ الشَّيْءُ وَأَبَانَ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ. قَالَ: وَيُقَالُ: بَانَ الشَّيْءُ، وَأَبَّنْتُهُ.

فَمَعْنَى (مُبِين) مَبِينٌ، أَي إِنَّهُ مُبِينٌ خَيْرُهُ وَبِرَكَتُهُ، وَمُبِينُ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْحَلَالِ مِنَ الْحَرَامِ، وَمُبِينٌ أَنْ نُبُوَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَمُبِينٌ قَصَصَ الْأَنْبِيَاءِ. قلت: ويكون (المستبين) أيضاً، بِمَعْنَى (المبين) ، يُقَالُ: بَانَ الشَّيْءُ، وَبَيَّنَّ، وَأَبَانَ، وَاسْتَبَانَ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [النور: 46] بِكَسْرِ الْيَاءِ وَتَشْدِيدِهَا، بِمَعْنَى: مُتَبَيِّنَاتٍ. وَمَنْ قَرَأَ (مُبَيِّنَاتٍ) ⁽¹⁾ بِفَتْحِ الْيَاءِ، فَالْمَعْنَى: إِنْ اللَّهُ بَيَّنَّهَا. وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ: قَدْ بَيَّنَّ الصُّبْحُ لَدِي عَيْنَيْنِ، أَي تَبَيَّنَّ.

ويُقَالُ: اسْتَبَنْتُ الشَّيْءَ، إِذَا تَأَمَّلْتَهُ حَتَّى تَبَيَّنَ لَكَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 55] ، الْمَعْنَى: وَلِتَسْتَبِينَ أَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ، أَي لَتَزِدَادَ اسْتَبَانَةً؛ وَإِذَا بَانَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ فَقَدْ بَانَ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ... وَيُقَالُ: تَبَيَّنَتِ الْأَمْرُ، أَي تَأَمَّلْتَهُ وَتَوَسَّمْتَهُ؛ وَقَدْ تَبَيَّنَ الْأَمْرُ، يَكُونُ لَازِمًا وَوَاقِعًا؛ وَكَذَلِكَ: بَيَّنَّتْهُ فَبَيَّنَّ، أَي تَبَيَّنَّ، لَازِمٌ وَمُتَعَدِّ.

¹ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر ويعقوب وابن محيصن والبيهقي (مُبيِّنَات) بفتح الياء اسم مفعول. ينظر: معجم القراءات. (ج6/ص264).

وَقَوْلُهُ جَلٌّ وَعَزٌّ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: 89]، أي: بُيِّنَ لَكَ فِيهِ
كُلَّ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَنْتَ وَأُمَّتُكَ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ". (1) اهـ

وقال ابن فارس (ت:375هـ): الْبَاءُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ بُعْدُ الشَّيْءِ وَانْكَشَافُهُ. فَالْبَيِّنُ
الْفِرَاقُ؛ يُقَالُ بَانَ يَبِينُ بَيْنًا وَبَيْنُونَةً... وَبَانَ الشَّيْءُ وَأَبَانَ إِذَا اتَّضَحَّ وَانْكَشَفَ. وَفُلَانٌ أَبِينٌ مِنْ فُلَانٍ
؛ أَيُّ أَوْضَحُ كَلَامًا مِنْهُ. (2) اهـ.

فمادة البيان تدور في اللغة على الوضوح والانكشاف.

✓ البيان في الاصطلاح.

لعل أول كتاب تكلم عن قضية البيان وكيفية هو الإمام الشافعي (ت:204هـ) في كتابه
الرسالة تحت باب كيف البيان؟ والنَّاطِرُ فِي الرِّسَالَةِ يَجِدُ أَنْ مَبَاحِثَهُ تَدُورُ حَوْلَ الْبَيَانِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَمِنْ
أَوَائِلِ مَنْ أَهْتَمَّ بِظَاهِرَةِ الْبَيَانِ أَيْضًا، وَدَرَسَ جَوَانِبَهَا وَحَدَّ حُدُودَهَا وَجَعَلَ لَهَا أَنْوَاعًا هُوَ إِمَامُ الْمَعْتَزِلَةِ
وَخَطِيبُهَا أَبُو عَثْمَانَ الْجَاحِظِ (ت:255هـ) بَلْ سَمَّى كِتَابَهُ الْبَيَانَ وَالتَّبْيِينَ وَالَّذِي أَصْبَحَتْ لَهُ شَهْرَةٌ فِي
الْآفَاقِ؛ كَمَا نَلْحِظُ أَيْضًا، أَنَّ ابْنَ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ (ت: 310هـ) أَوْلَى أَهْتِمَامًا لِقَضِيَّةِ الْبَيَانِ وَجَعَلَ لَهَا
أَبْوَابًا فِي مَقْدَمَتِهِ، بَلْ سَمَّى كِتَابَهُ جَامِعَ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، وَحَذَا حَذْوَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ أَمْثَالُ:
، أَبُو إِسْحَاقَ الثَّعْلَبِيِّ (ت:427هـ) فِي تَفْسِيرِهِ الْكَشْفَ وَالْبَيَانَ عَنِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، وَأَبُو الْقَاسِمِ نَجْمُ
الدِّينِ (نحو 550هـ) فِي تَفْسِيرِهِ إِيجَازَ الْبَيَانِ عَنِ مَعَانِي الْقُرْآنِ (3)، وَ الْإِيْجِي الشَّافِعِيَّ (ت:905هـ)
فِي تَفْسِيرِهِ جَامِعَ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، وَ مُحَمَّدٌ صَدِيقُ خَانَ الْقَنُوجِيِّ (ت:1307هـ) فِي تَفْسِيرِهِ
فَتْحُ الْبَيَانِ فِي مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ، وَ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ الشَّنْفِيطِيُّ (ت:1393هـ) فِي تَفْسِيرِهِ أَضْوَاءَ الْبَيَانِ فِي
إِيضَاحِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ

¹ ينظر: تهذيب اللغة. (15/ 355)-بتصرف-

² معجم مقاييس اللغة. (1/ 327).

³ إيجاز البيان عن معاني القرآن؛ محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت: نحو 550هـ)؛ المحقق:
الدكتور حنيف بن حسن القاسمي؛ الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت؛ ط: الأولى - 1415 هـ.

✓ **البيان في الاصطلاح:** تعددت التعريفات لمصطلح البيان، ومن أبرزها :

○ **قال الإمام الشافعي (ت:204هـ):** " والبيان اسم جامع لمعاني مجتمعة الأصول متشعبة الفروع. فأقل ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعبة أنها بيان لمن خوطب بها ممن نزل القرآن بلسانه متقاربة الاستواء عنده وان كان بعضها أشد تأكيد بيان من بعض ومختلفة عند من يجهل لسان العرب".⁽¹⁾

○ **قال أبو عثمان الجاحظ (ت:255هـ):** "والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع".⁽²⁾

○ **قال ابن حزم الأندلسي الظاهري (ت:456هـ):** "والبيان كون الشيء في ذاته ممكنا أن تعرف حقيقته لمن أراد علمه والإبانة والتبيين فعل المبين وهو إخراجه للمعنى من الإشكال إلى إمكان الفهم له بحقيقة وقد يسمى أيضا على المجاز ما فهم منه الحق وإن لم يكن للمفهوم منه فعل ولا قصد إلى الأفهام مبينا كما تقول بين لي الموت أن الناس لا يخلدون والتبيين فعل نفس المبين للشيء في فهمه إياه وهو الاستبانة أيضا والمبين هو الدال نفسه".⁽³⁾

○ **وقال الرَّاعِبُ الأَصْفَهَانِي (ت: 502هـ) في مفرداته:** " والبيّان: الكشف عن الشيء، وهو أعمّ من النطق، لأنّ النطق مختص بالإنسان، ويسمّى ما بيّن به بيانا. قال بعضهم: البيان يكون على ضربين:

¹ الرسالة؛ الإمام الحجة محمد بن إدريس الشافعي(204هـ)؛ المحقق: أحمد محمد شاكر؛ الناشر: دار الكتب العلمية. (ص: 21)

² البيان والتبيين؛ عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: 255هـ)؛ الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت؛ عام النشر: 1423 هـ. (1/ 82).

³ الإحكام في أصول الأحكام؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: 456هـ)؛ المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر؛ قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس؛ الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت. (1/ 40).

أحدهما: بالتسخير، وهو الأشياء التي تدلّ على حال من الأحوال من آثار الصنعة.

والثاني: بالاحتبار، وذلك إما يكون نطقاً، أو كتابة، أو إشارة.

فمما هو بيان بالحال قوله: ﴿وَلَا يَصُدُّنَكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الزحرف: 62] ، أي: كونه عدوّاً بيّن في الحال؛ قال تعالى: ﴿ثُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: 10].

وما هو بيان بالاحتبار: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 43، 44] ، وسمي الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره نحو: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 138].

وسمي ما يشرح به الجمل والمبهم من الكلام بيانا، نحو قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: 19] ، ويقال: بَيَّنَّتهُ وَأَبْنَتْهُ: إذا جعلت له بيانا تكشفه، نحو: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44] ، وقال: ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [ص: 70] ، ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصفات: 106] ، ﴿وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ﴾ [الزحرف: 52] ، أي: يبيّن، ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزحرف: 18].⁽¹⁾

يستخلص مما سبق ما يأتي:

- اتفقت التعريفات غالبا حول المعنى اللغوي، والذي يدور حول الكشف والإيضاح وهذا واضح من نصوصهم كقولهم: ".. بيان لمن خوطب بها ممن نزل القرآن بلسانه .." و ".. اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى .." و ".. إخراج المعنى من الإشكال إلى إمكان الفهم .." و ".. الكشف عن الشيء ..".

- نلاحظ أن بعض هذه التعريفات تتكلم عن البيان الخاص، والذي يقصد به بيان القرآن الكريم، وهذا واضح في تعريف الإمام الشافعي (204هـ) وابن حزم (456هـ) ولعل سببه هو منهج الكتابة حيث كلاهما يكتب في أصول الفقه وشروط الفقيه وكيفية الاستفادة من بيان القرآن في مسائل الفقه. وعموما هذا منهج أصحاب أصول الفقه فالبيان عندهم بيان دلالات الألفاظ، فهم يتعاملون مع ألفاظ القرآن ومع المصادر التي لها دور في بيان القرآن والسنة، ولهذا الأمر نجد أن الإمام الشافعي (204هـ) عقد أبواباً على هذا التسق، فقال مثلاً: "باب : بيان ما نزل من

¹ المفردات في غريب القرآن؛ للأصفهاني. (ص: 157/158).

الكتاب عاماً يُراد به العام، ويدخله الخصوص".⁽¹⁾ وباب: "بيان ما أنزل من الكتاب عامّاً الظاهر، وهو يجمع العام والخصوص".⁽²⁾ وباب: "بيان ما نزل من الكتاب عامّاً الظاهر، يراد به كلّ الخاص".⁽³⁾ وباب: "الصَّنْف الذي يُبَيِّن سياقه معناه".⁽⁴⁾ ...

- نلاحظ أن بعض هذه التعريفات تتكلم عن البيان العام، وهذا واضح في تعريف أبي عثمان الجاحظ (255هـ) و الراغب الأصفهاني (502هـ). حيث عبارة أبي عثمان الجاحظ (255هـ) واضحة بقوله: "كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"⁽⁵⁾ ولهذا نجد الجاحظ (255هـ) عقد فصلاً بعد تعريفه حد البيان العام سماه: أدوات البيان الخمس وهي: اللفظ، و الإشارة، والعقد، والخط، والنسبة؛ وهذه عبارته: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نسبة. والنسبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بئنة من صورة صاحبها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار، وعمّا يكون منها لغوا بهرجا، وساقطاً مطرحاً".⁽⁶⁾

- يلاحظ أن بين البيان العام والخاص عنصر مشترك، يتفق عليه الجميع وهو أن أحسن مراتب البيان هو النطق باللسان والإعراب عما في الضمير.

ومن أشمل التعريفات، وأجمعها لمفهوم البيان قول الجرجاني (ت: 816هـ): "البيان: عبارة عن إظهار المتكلم المراد للسامع، وهو بالإضافة خمسة.

¹ الرسالة للشافعي (53 / 1)

² نفس المصدر (19 / 1)

³ نفس المصدر (58 / 1)

⁴ نفس المصدر (62 / 1)

⁵ البيان والتبيين. (82 / 1).

⁶ البيان والتبيين (82 / 1)

بيان التقرير⁽¹⁾، وبيان التفسير⁽²⁾، وبيان التغيير⁽³⁾، وبيان الضرورة⁽⁴⁾، وبيان التبديل⁽⁵⁾.

والبيان: هو النطق الفصيح المعرب، أي المظهر عما في الضمير.

والبيان: إظهار المعنى وإيضاح ما كان مستوراً قبله، وقيل: هو الإخراج عن حد الإشكال،

والفرق بين التأويل والبيان: أن التأويل ما يذكر في كلام لا يفهم منه معنى محصل في أول وهلة،

والبيان ما يذكر فيما يفهم ذلك لنوع خفاء بالنسبة إلى البعض⁽⁶⁾.

✓ ضابطة حدّ البيان وطبيعته في القرآن الكريم.

إنّ حدّ البيان يُنظم عملية التفسير في المنظومة التفسيرية، وهذا مهم جداً في تقريب مناهج

التفسير والمفسرين، ويبقى إشكال فقط، هو أن البيان يتغير بالتغير المعرفي للمنظومة التفسيرية، حيث

كلما ارتفع المستوى المعرفي، كلما نقصت دائرة البيان، والعكس صحيح.

وما يهم هو بيان التفسير، لأن العلاقة بينهما وطيدة، فكلما ازدادت درجة الإشكال

والغموض في التفسير، كلما توسعت دائرة البيان في المنظومة التفسيرية، وهذا ما يفسر نماء التفسير،

والذي هو في الحقيقة، يترجم نقص درجة إدراك البيان عند الناس، بخلاف مثلاً، الصحابة-رضي الله

عنهم- فدائرة البيان عندهم أوسع من دائرة الإشكال والغموض، ولهذا قل عنهم التفسير فيما بينهم

والاختلاف فيه.

وهذا الشكل التالي يُبيّن: اختلاف درجة البيان باختلاف درجة الإدراك.

¹ هو تأكيد الكلام بما يرفع احتمال المجاز والتخصيص كقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ، فقرر معنى العموم من الملائكة بذكر الكل حتى صار بحيث لا يحتل التخصيص.

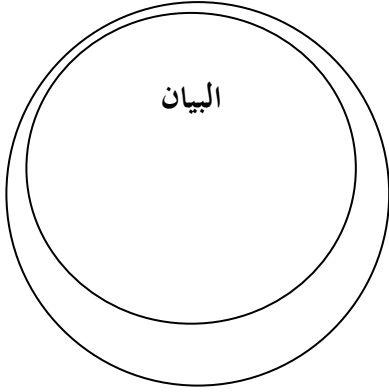
² وهو بيان ما فيه خفاء من المشترك، أو المشكل، أو الجمل، أو الخفي، كقوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ ، فإن الصلاة مجمل، فلحق البيان بالسنة، وكذا الزكاة مجمل في حق النصاب والمقدار، ولحق البيان بالسنة.

³ هو تغيير موجب الكلام، نحو التعليق، والاستثناء والتخصيص.

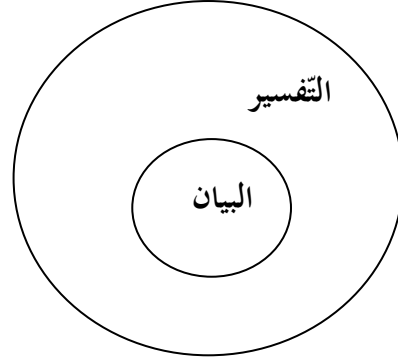
⁴ هو نوع بيان يقع بغير ما وضع له؛ لضرورة ما؛ إذ الموضوع له النطق، وهذا يقع بالسكوت، مثل سكوت المولى عن النهي حين يرى عبده يبيع ويشترى، فإنه يجعل إذناً له بالتجارة ضرورة دفع الغرر عن معاملته، فإن الناس يستدلون بسكوته على إذنه، فلو لم يجعل إذناً لكان إضراراً بهم؛ وهو مدفوع.

⁵ هو النسخ، وهو رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر.

⁶ التعريفات للجرجاني؛ (ص: 47)



الدائرة الأصغر هو إدراك التفسير من خلال البيان
وهذا يترجم إدراك الصحابة للبيان الذي يكشف التفسير



الدائرة الصغيرة هو إدراك التفسير من خلال البيان
عند من نقص إدراكه للبيان

ضَّابِطُ حَدِّ بَيَانِ التَّفْسِيرِ: هو أنّ كل معلومة تنتمي إلى أي فن من العلوم، إذا كان لها أثر في كشف المعنى وبيان الآية فهي من صلب التفسير، وإن لم يكن لها أثر في كشف المعنى، فهي تندرج تحت الفن الذي تنتمي إليه.

طبيعة البيان: يقصد به ماهية البيان في القرآن الكريم؛ وهل هو بيّن بنفسه أم يحتاج إلى بيان؟ وما هي طرق بيانه؟.

ولكشف هذه التساؤلات لابد من التطرق إلى لفظة البيان في القرآن الكريم، وكشف سر هذا البيان.

البيان في القرآن الكريم:

لقد تعددت صيغ البيان في القرآن الكريم، وحينما ننظر إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم نجد إحصاء اللفظة في صيغها المتعددة مع بيان عدد تكررها في القرآن الكريم⁽¹⁾

¹ وهي كالتالي: بَيَّنَّا: (تكررت 3 مرات). بَيَّنَّاهُ: (1). بَيَّنُّوا: (1). لَأُبَيِّنَ: (1). لُبَيِّنَنَّ: (2). لَتُبَيِّنُنَّهُ: (1). نُبَيِّنُ: (2). لِنُبَيِّنَهُ: (1). يُبَيِّنُ: (21). يُبَيِّنَنَّ: (1). يُبَيِّنُنَّهَا: (1). يُبَيِّنُ: (1). تَبَيَّنَ: (11). تَبَيَّنَتِ: (1). يَتَبَيَّنُ: (3). تَبَيَّنُوا: (3). تَسْتَبَيِّنُ: (1). بَيِّنُ: (1). بَيِّنَةٌ: (19). بَيِّنَاتٍ: (52). مُبَيِّنَةٌ: (3). مُبَيِّنَاتٍ: (3). مُبَيِّنٌ: (106). مُبَيِّنًا: (13). المُسْتَبَيِّنُ: (1). بَيَانٌ: (2). بَيَانَةٌ: (1). بَيِّنَانًا: (1). ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة المظفر الثقافية. ص 195/197.

وواضح أن معاني هذه الصيغ المختلفة تدور حول الوضوح⁽¹⁾، فبيّنة: واضحة، قال تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة: 211]؛ والبيّنة: الحجّة الواضحة، قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: 1]، وبيّنات: الواضحات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [البقرة: 99]، والبيّنات: الحجج الواضحات، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: 87]، وبيّناتاً: توضيحاً وشرحاً، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: 89]، وبيّن: واضح أو موضح، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 168]، وبيّنات: موضحات، أو واضحات، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [النور: 34]، وبيّنة: واضحة، أو موضحة لأمرهنّ، قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: 19]، والمُسْتَبِين: الظاهر الواضح، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ [الصفّات: 117].

ونجد صاحب المعجم المفهرس لمعاني القرآن الكريم⁽²⁾ يقسم البيان إلى بيان الآيات، والبيان القولي، والبيان العملي، ويضرب له أمثلة في القرآن الكريم. ونلاحظ أن التعبير القرآني يتكلم عن الآيات وبيّانها بصورة عامة، حيث أن الآية قد تكون ظاهرة، ولا يعقلها الناس فيشير إليها القرآن كالإشارة إلى ملكوت السموات والأرض، وقد تكون الآية برهان لصدق نبيّ مرسل فيبينها سبحانه ويظهرها، ونكتشف دلالة زائدة في البيان عن معنى الوضوح في القرآن الكريم هي: **البروز والظهور والانكشاف** حتى تسقط دعوى المنكرين!؛ قال تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: 118]، وقال تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 118]، وقال تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: 17]، وقال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: 75]، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 187]؛ وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 219]؛ وقال تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

¹ ينظر في هذا: معجم ألفاظ القرآن الكريم، ط: الجمع اللغة العربية، ط2: 1409هـ-1988م. ص180/182.

² المعجم المفهرس لمعاني القرآن الكريم، إعداد: محمد بسّام رشدي الزين، إشراف: محمد عدنان سالم، ط: دار الفكر-دمشق سوربة- ط 1416: 1هـ-1995م. ص212/211.

يَتَذَكَّرُونَ ﴿ [البقرة: 221]؛ وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 242]؛ وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 266]؛ وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103]؛ وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 89]؛ وقال تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: 18]؛ وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: 58]؛ وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: 61].

ثم يصف الله عز وجل أن بيانه شامل للآيات الكونية والشرعية وأنه لا يعذب أحد إلا بعد البيان وإقامة الحجّة قال تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: 176]؛ وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 115]، كما وصف القرآن أن كل رسالة نبي إلا وهي مؤيدة بالبيان والبيّنة، والبلاغ المبين، قال تعالى على سبيل المثال لا الحصر: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة: 211]؛ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ [الأنعام: 57]؛ وقال تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: 157]؛ وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [الأعراف: 73]؛ وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الأعراف: 85]؛ وقال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 42]؛ وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: 133]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: 35]؛ وقال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: 1]؛ وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: 4]؛ ووصف سبحانه آياته بأنها مبينات قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [النور: 34]؛ وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النور: 46]؛ وقال تعالى: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: 11].

ويستخلص مما سبق أن البيان واقع من الله لا محالة، سواء البيان بالآيات الكونية أو الشرعية، وما يهمنا في هذا المبحث هو بيان القرآن الكريم وهو آية نبيّنا- صلى الله عليه وسلم، وقد

انطبق البيان تارة على الآيات القرآنية، وتارة على القرآن نفسه وتارة أسند البيان إلى نبيّنا -صلى الله عليه وسلم- وأنه المبلغ المبين وهي كالاتي:

● **الآيات البينات:** لقد وصف الله عزّ وجلّ آياته ب**البينات**، حتى يقطع دعوى **الفاسيقين**؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة: 99].

قال أبو جعفر: " **يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [البقرة: 99]** أَي أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَامَاتٍ وَاضِحَاتٍ دَالَاتٍ عَلَى نُبُوتِكَ. وَتِلْكَ الْآيَاتُ هِيَ مَا حَوَاهُ كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَفَايَا عُلُومِ الْيَهُودِ وَمَكُونِ سَرَائِرِ أَخْبَارِهِمْ وَأَخْبَارِ أَوْلِيائِهِمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالتَّبَا عَمَّا تَضَمَّنَتْهُ كُتُبُهُمْ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهَا إِلَّا أَخْبَارُهُمْ وَعُلَمَائُهُمْ، وَمَا حَرَفَهُ أَوْلِيائُهُمْ وَأَوَاحِرُهُمْ وَبَدَّلُوهُ مِنْ أَحْكَامِهِمْ، الَّتِي كَانَتْ فِي التَّوْرَةِ، فَأَطْلَعَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَكَانَ فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ لِمَنْ أَنْصَفَ نَفْسَهُ وَلَمْ يَدْعُهُ إِلَى إِهْلَاكِهَا الْحَسَدُ وَالْبَغْيُ، إِذْ كَانَ فِي فِطْرَةِ كُلِّ ذِي فِطْرَةٍ صَحِيحَةٍ تَصْدِيقُ مَنْ أَتَى بِمِثْلِ الَّذِي أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي وَصَفْتُ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ تَعَلَّمَهُ مِنْ بَشَرٍ وَلَا أَخَذَ شَيْءٍ مِنْهُ عَنِ آدَمِيِّ. " (1)

ورود **عَنِ الصَّحَّاحِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:** " ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [البقرة: 99] يَقُولُ: فَأَنْتَ تَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ وَتُخْبِرُهُمْ بِهِ غَدْوَةً وَعَشِيَّةً وَيَبِينُ ذَلِكَ، وَأَنْتَ عِنْدَهُمْ أُمِّيٌّ لَمْ تَقْرَأْ كِتَابًا، وَأَنْتَ تُخْبِرُهُمْ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ عَلَى وَجْهِهِ. يَقُولُ اللَّهُ: فِي ذَلِكَ لَهُمْ عِبْرَةٌ وَبَيَانٌ وَعَلَيْهِمْ حُجَّةٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " (2).

وقال تعالى عن آياته: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِمُرَّانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ فُلٌ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدَّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [يونس: 15] ؛ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مریم: 73] ؛ وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ [الحج: 16] ؛ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا

¹ تفسير الطبري (2/ 397).

² تفسير الطبري (2/ 397).

الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴿الحج: 72﴾؛ وقال تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: 1]؛ وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 49]؛ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ﴾ [سبأ: 43]؛ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا آبَاءَنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجاثية: 25]؛ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: 7]؛ وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الحديد: 9]؛ وقال تعالى: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [المجادلة: 5].

فآيات الله بَيِّنَاتٌ واضحات، لا شبهة فيها؛ قال أبو زُهرة (ت: 1394هـ): "وهو معجزة الله تعالى الكبرى وهو بهذا هداية وتوجيه إلى مقام الرسالة المحمدية، وهو مع ذلك فيه آياته البينات؛ ولذا قال تعالى: (وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى) أي أن آياته بينات واضحة من الهدى وهو الشريعة التي جاء بها، والفرقان أي الأمر الفارق بين الحق والباطل، والظلم والعدل والشورى والاستبداد، والإصلاح والإفساد، وعمران الأرض وخراجها".⁽¹⁾

● **القرآن والكتاب المبين:** وصف الله عز وجل كتابه بالمُبِينِ، فأطلق البيان على جملة الكتاب، فقال جَلَّ نَسَاؤُهُ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: 1]؛ وقال تعالى: ﴿طَس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: 1]؛ وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: 69]؛ وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: 15]؛ وقال تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: 1]؛ وقال تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: 1]؛ وقال تعالى: ﴿طَس (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الشعراء: 1]، [2]؛ وقال تعالى: ﴿طَس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: 1]؛ وقال تعالى: ﴿طَس﴾

¹ زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي. (1/556).

(1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿ [القصص: 1، 2] ؛ وقال تعالى: ﴿حَم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾
[الزخرف: 1، 2] ؛ وقال تعالى: ﴿حَم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الدخان: 1، 2].

فهذه قاعدة عامة: "كون القرآن كتاب مبین" ، قال أبو جعفر الطبري (ت: 310): " (مُبِين) يقول: يُبِين من تأمله وتدبره رشده وهداه".⁽¹⁾

قال الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: 538): والمعنى: تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً وآي قرآن مبين، كأنه قيل: الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان".⁽²⁾ اهـ، والكلمة الأخير للزَّمَخْشَرِيُّ: "والغرابة في البيان" لا نوافقه عليها، وإن قصد الغرابة التي تقع من جهة المبلغ، فالمبلغون هم رسل الله وقد وصفهم الله بالبلاغ المبين، اللهم إلا إذا قصد مسائل البيان التي جاءت على لسان البلاغيين، من الحدود والرسوم، ولهذا قال فخر الدين الرازي (ت: 606): "وَالْمَعْنَى: تِلْكَ الْآيَاتُ آيَاتُ ذَلِكَ الْكِتَابِ الْكَامِلِ فِي كَوْنِهِ كِتَابًا وَفِي كَوْنِهِ قُرْآنًا مُفِيدًا لِلْبَيَانِ".⁽³⁾ اهـ. فهو مُفِيدًا لِلْبَيَانِ ولا تقع الغرابة من جهته أبداً، وخاصةً البيان الإرشادي قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9].

وقال محمد صديق خان القنوجي (1307): " (وقرآن مبين) أي الكامل الظاهر رشده وهداه وخيره".⁽⁴⁾ اهـ .

وقال محمد جمال الدين القاسمي (1332): "وَقُرْآنٍ مُبِينٍ الْإِشَارَةُ إِلَى "الر" لَأَنَّهُ اسْمٌ لِلسُّورَةِ أَي تِلْكَ السُّورَةُ الْعَظِيمَةُ آيَاتُ الْكِتَابِ الْكَامِلِ وَآيَاتُ قرآن عظيم الشأن، مبين للحكم والأحكام

¹ تفسير الطبري (59 / 17).

² الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزَّمَخْشَرِيُّ جار الله (ت: 538هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الثالثة - 1407 هـ. (2 / 569).

³ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثالثة - 1420 هـ. (19 / 116).

⁴ فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت: 1307هـ)، عني بطبعه وقدّم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: 1412 هـ - 1992 م. (7 / 143).

ولسبيل الرشد والغي. من (أبان) المتعدي. أو الظاهر معانيه أو أمر إعجازه، وكونه آية قاهرة من (أبان) اللازم. أو الإشارة إلى آيات السورة أو إلى جميع آيات القرآن".⁽¹⁾ اهـ.

وقد خالف طاهر بن عاشور كون المبين من الفعل (أبان) المتعدي فقال: "والمبين: اسم فاعل من أبان القاصِر الذي هو بمعنى بان مبالغة في ظهوره، أي ظهور قرآنيته العظيمة، أي ظهور إعجازه الذي تحققت المعانِدون وغيرهم وإنما لم يجعل المبين بمعنى أبان المتعدي لأن كونه بينا في نفسه أشد في توبيخ منكره من وصفه بأنه مظهر لما اشتمل عليه".⁽²⁾ اهـ.

فاليان واقع بجملة الكتاب، ولا حجة على الخلق في هذا البيان.

• **الرَّسُولُ الْمُبَلَّغُ الْمُبِينُ:** وصف الله جل ثناؤه، رُسُلُه بالبلاغ المبين؛ فقال جل ثناؤه: ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: 35]؛ قال أبو السعود: "﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ﴾ الذين يُبَلِّغُونَ رسالات الله وعزائم أمره ونهيهِ ﴿إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي ليست وظيفتهم إلا تبليغ الرسالة تبليغاً واضحاً أو موضحاً وإبانة طريق الحق وإظهار أحكام الوحي".⁽³⁾

ثم خص نبيه وصفه بالبلاغ المبين؛ فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: 92].
قال أبو جعفر الطبري (ت: 310): ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: 92]، "فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى مَنْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ بِاللِّدَارَةِ غَيْرِ إِبْلَاغِكُمُ الرَّسَالَاتِ الَّتِي أُرْسِلَ بِهَا إِلَيْكُمْ، مُبَيِّنَةً لَكُمْ بَيَانًا يُوضِّحُ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَالطَّرِيقَ الَّذِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَسْلُكُوهُ، وَأَمَّا الْعِقَابُ عَلَى التَّوَلِيَةِ وَالْإِنْتِقَامُ بِالْمَعْصِيَةِ، فَعَلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ دُونَ الرَّسُولِ".⁽⁴⁾

¹ محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود،

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى - 1418 هـ. (6/ 328)

² التحرير والتنوير (10/ 14).

³ تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. (5/ 112).

⁴ تفسير الطبري (10/ 575).

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: 35]؛ وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: 82]؛ وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُكْذِبُوا فَقَدْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: 54]؛ وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: 18]؛ وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [يس: 17]؛ وقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: 12]، وأسند البيان إلى الرسول-صلى الله عليه وسلم- قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44].

قال أبو جعفر الطبري (310): وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْقُرْآنَ تَذَكِيرًا لِلنَّاسِ وَعِظَةً لَهُمْ

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: 44] يَقُولُ: لِتَعْرِفَهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[النحل: 44] يَقُولُ: وَلِتَتَذَكَّرُوا فِيهِ وَيَعْتَبِرُوا بِهِ، أَيِّ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ".⁽¹⁾

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 64].

وخلاصة البيان في القرآن الكريم، متعلقة بمسألة الآية، بحيث الآية لا تسمى آية إلا إذا كانت ملزمة الحجّة، والحجّة لا تكون حجّة إلا إذا كانت بيّنة واضحة، ولهذا أكثر القرآن من اقتران الآيات بالبيّنات، ثم إنّ الله سبحانه وتعالى قضى أن يكون القرآن الكريم آخر الآيات، ملزما واضحا إلى أن تقوم الساعة، وجعله كتاباً مبيناً، ففيه من البيان ما يلزم سامعه، الإيمان به عموماً، ولا حجّة لمن أنكر حقيقة البيان إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَوْ لَمْ تُكُنْ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: 50].

وهذه القاعدة الثانية: "أن الرسل بلغوا الرسالة بلاغاً مبيناً"، وقد مر بنا في آيات الذكر

الحكيم، بل سبحانه نفى عن رسله حتى العوارض التي تشوش أو تنقص من حقيقة البيان، كالعوارض الخلقية والخلقية، فما من نبي إلا وعلم نسبه وخلقه ورجحان عقله بين قومه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: 46]، ولذلك لما جاءهم البيان و أرادوا أن يكذبوا به، جاءوا بحجج واهية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ

¹ تفسير الطبري (17/ 211).

الْأَوَّلِينَ ﴿[الأنفال: 31]﴾ ؛ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا
 أَنْتِ بَقْرَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ فُلٌ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدَلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنَّ آتِغَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾
 [يونس: 15] ؛ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ
 الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مریم: 73] ؛ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ
 قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَى وَقَالَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [سبأ: 43] ؛ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ
 عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّبُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجنات: 25] ؛
 وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾
 [الأحقاف: 7] ؛ فالله - جَلَّ جَلَالُهُ - نفى أي شبهة أو ريب يتعلق بطريقة البيان وماهيته، ولهذا
 المعنى يلاحظ أن الله سبحانه وتعالى لما جعل آخر آياته، ذكر يُتلى وكتاب مُبين، نفى عن نبيه-صلى
 الله عليه وسلم- الكتابة والقراءة وجعله أميًّا ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾
 [الأعراف: 157] ؛ وقال تعالى: ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: 158]، ونفى
 بذلك الارتباب بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ
 الْمُبْطُلُونَ﴾ [العنكبوت: 48].

قال الطاهر بن عاشور (ت:1393هـ): " مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اشتهر بوصف
 النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، فَصَارَ هَذَا الْمُرْكَبُ كَاللَّقَبِ لَهُ، فَلِذَلِكَ لَا يُغَيَّرُ عَنْ شَهْرَتِهِ، وَكَذَلِكَ هُوَ حَيْثُمَا وَرَدَ ذِكْرُهُ
 فِي الْقُرْآنِ؛ وَالْأُمِّيُّ: الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَالْقِرَاءَةَ... وَالْأُمِّيَّةُ وَصْفٌ خَصَّ اللهُ بِهِ مِنْ رَسَلِهِ مُحَمَّدًا
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِمَامًا لِلْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ الْعَقْلِيِّ الَّذِي آيَدَهُ اللهُ بِهِ، فَجَعَلَ الْأُمِّيَّةَ وَصْفًا ذَاتِيًّا لَهُ،
 لِيُتِمَّ بِهَا وَصْفَهُ الدَّائِيَّ وَهُوَ الرَّسَالَةُ، لِيُظْهِرَ أَنَّ كَمَالَهُ النَّفْسَانِيَّ كَمَالٌ لَدَيْهِ إِلَهِيٌّ، لَا وَاسِطَةَ فِيهِ
 لِلْأَسْبَابِ الْمُتَعَارَفَةِ لِلْكَمَالَاتِ، وَبِذَلِكَ كَانَتْ الْأُمِّيَّةُ وَصْفَ كَمَالٍ فِيهِ، مَعَ أَنَّهَا فِي غَيْرِهِ وَصْفٌ
 نَقْصَانٍ، لِأَنَّهُ لَمَّا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَسَدَادِ الْعَقْلِ مَا لَا يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ فِي كُلِّ نَوَاحِي مَعْرِفَةِ
 الْكَمَالَاتِ الْحَقِّ، وَكَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ عِلْمِهِ، وَبَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، مَا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا حَصَلَ لِلْمُتَعَلِّمِينَ،
 صَارَتْ أُمِّيَّتُهُ آيَةً عَلَى كَوْنِ مَا حَصَلَ لَهُ إِمَامًا هُوَ مِنْ فَيُوضَاتِ إِلَهِيَّةٍ".⁽¹⁾

¹ التحرير والتنوير (9/ 133).

وهذا دليل الإعجاز بل هو أبلغ في الإعجاز والبيان، لكن ديدن المكذبين، الحجج الواهية

، فإذا جاءتهم الآية الملزمة الواضحة تهربوا وطلبوا آية أخرى، لا للإيمان بها بل لتعسف والتكذيب، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 109]؛ وقال تعالى: ﴿قَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [العنكبوت: 50]. فالآيات أوضحها الله وبينها، والندارة والبلاغ قامت بها الرسل في أتم وحسن بيان.

لكن إذا كان القرآن، قد بيّنه الله وأوضحه، على السنة وأيدي أنبيائه، فلماذا قامت الأمة من بعده بتفسيره؟؛ فنقول أن البيان وهو البيان العام التي تقوم به الحجّة على صدق الرّسالة، وهو البيان الإرشادي في أصول الدين من التّوحيد والعقيدة وأنّ الله هو المستحق للعبادة بالأدلة البيّنة التي نصبها في كتابه وهي أدلة عقلية واضحة فالنبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وكلّ إليه تبليغ البيان الإرشادي في أحسن وأبلغ صوره، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:

52]، أما ترجمت هذا البيان الإرشادي إلى الإيمان العملي، فهو من خصائص الرب قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56]؛ أما البيان التفصيلي الذي يحتاجه المؤمن بعد إيمانه، فمنه ما هو ظاهر بيّن، كوجوب ما في أصول الدين من صلاة وصيام وزكاة وحج، وكحرمة الكبائر من الإثم والعدوان كالقتل والسحر، والزنا وشرب الخمر... ومنه ما يحتاج إلى تفصيل وتعليم، وهذا بيانه بسنة النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - القوليّة والفعليّة والتقريرية.

وهنا مسألة أثارها العلماء وهي هل النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فسّر القرآن الكريم كاملاً، وعنون لها حسين الذهبي (ت: 1398هـ) في كتابه التّفسير والمفسرون: هل تناول النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - القرآن كله بالبيان؟

ثم قال: "قد يقول قائل: إن الله تعالى يقول في سورة النحل [آية: 44]: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .. فهل بيّن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأصحابه القرآن كله، أفراداً وتركيباً، وما يتبع ذلك من بيان الأحكام؟ أو أنه بيّن لهم بعضه وسكت عن بعضه الآخر؟، ثم على أي وجه كان هذا البيان من الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأصحابه؟.

المقدار الذي بيّنه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من القرآن لأصحابه:

اختلف العلماء في المقدار الذي بيّنه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من القرآن لأصحابه: فمنهم من ذهب إلى القول بأن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بيّن لأصحابه كل معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه، وعلى رأس هؤلاء ابن تيمية.

ومنهم من ذهب إلى القول بأن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم يبيّن لأصحابه من معاني القرآن إلا القليل، وعلى رأس هؤلاء: الحُوَيْيُّ والسُّيُوطِيُّ، وقد استدل كل فريق على ما ذهب إليه بأدلة تُوردها لتضح لنا المسألة.

أدلة من قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بيّن كل معاني القرآن⁽¹⁾:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة

النحل: 44].

والبيان في الآية يتناول بيان معاني القرآن، كما يتناول بيان ألفاظه، وقد بيّن الرسول ألفاظه كلها، فلا بد أن يكون قد بيّن كل معانيه أيضاً، وإلا كان مقصراً في البيان الذي كُلف به من الله. ثانياً: ما روى عن أبي عبد الرحمن السلمى أنه قال: "حدثنا الذين كانوا يُقرئونا القرآن، كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلّمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً"، ولهذا كانوا يبقون مدة طويلة في حفظ السورة، وقد ذكر الإمام مالك في الموطأ⁽²⁾: أن ابن عمر أقام على حفظ "البقرة" ثمان سنوات، والذي حمل الصحابة على هذا، ما جاء في كتاب الله تعالى من قوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29]؛ وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]؛ وعقل الكلام متضمن لفهمه، ومن المعلوم أن كل كلام يُقصد منه فهم معانيه. فهذه الآثار تدل على أن الصحابة تعلّموا من رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - معاني القرآن كلها، كما تعلّموا ألفاظه.

¹ ينظر: مقدمة في أصول التفسير؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحاراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط: 1490هـ / 1980م. (ص: 9).

² موطأ مالك ت الأعظمي (2/ 287) برقم: 695.

ثالثاً: قالوا إن العادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب أو الحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكتاب الله الذي فيه عصمتهم، وبه نجاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة؟
 رابعاً: ما أخرجه الإمام أحمد⁽¹⁾ وابن ماجه⁽²⁾ عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: "من آخر ما نزل آية الربا، وإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبض قبل أن يُفسرَها"، وهذا يدل بالفحوى على أنه كان يُفسر لهم كل ما نزل، وأنه إنما لم يُفسر هذه الآية، لسرعة موته بعد نزولها، وإلا لم يكن للتخصيص بها وجه.

*أدلة من قال بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يبين لأصحابه إلا القليل من معاني القرآن:

استدل أصحاب هذا الرأي بما يأتي:

أولاً: ما أخرجه البزار⁽³⁾ عن عائشة قالت: "ما كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد، علمه إياهن جبريل".

ثانياً: قالوا: إن بيان النبي -صلى الله عليه وسلم- لكل معاني القرآن متعذر، ولا يمكن ذلك إلا في آي قلائل، والعلم بالمراد يُستنبط بأمارات ودلائل، ولم يأمر الله نبيه بالتخصيص على المراد في جميع آياته لأجل أن يتفكر عباده في كتابه.

ثالثاً: قالوا: لو كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يبين لأصحابه كل معاني القرآن لما كان لتخصيصه ابن عباس بالدعاء بقوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" فائدة، لأنه يلزم من بيان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه كل معاني القرآن استواؤهم في معرفة تأويله، فكيف يخصص ابن عباس بهذا الدعاء؟.

مغالاة الفريقين:

ومن يتأمل فيما تقدم من أدلة الفريقين يتضح له أنهما على طرفي نقيض. ورأيي أن كل فريق منهم مبالغ في رأيه، وما استدل إليه كل فريق من الأدلة يمكن مناقشته بما يجعله لا ينهض حجة على المدعى.

¹ مسند أحمد ط الرسالة (1/ 425) برقم: 350، وقال شعيب الأرنؤوط : حسن.

² سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (3/ 380) برقم: 2276، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح.

³ مسند البزار (البحر الزخار) (18/ 123) برقم: 79 ط: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة. ورواه أيضا أبو يعلى الموصلي في مسنده (8/ 23) برقم: 4528، والطبري في تفسيره جامع البيان/ تحقيق: شاکر (1/ 84) برقم: 90 و91.

*مناقشة أدلة الفريق الأول:

فاستدلال ابن تيمية ومن معه على رأيهم بقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ استدلال غير صحيح، لأن الرسول - بمقتضى كونه مأموراً بالبيان - كان يبيِّن لهم ما أشكل عليهم فهمه من القرآن، لا كل معانيه، ما أشكل منها وما لم يشكل.

وأما استدلالهم بما روى عن عثمان وابن مسعود وغيرهما من أنهم كانوا إذا تعلَّموا من النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عشر آيات من القرآن لم يجاوزوها حتى يتعلَّموا ما فيها، فهو استدلال لا ينتج المدعى، لأن غاية ما يفيده، أنهم كانوا لا يجاوزون ما تعلَّموه من القرآن حتى يفهموا المراد منه، وهو أعم من أن يفهموه من النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أو من غيره من إخوانهم الصحابة، أو من تلقاء أنفسهم، حسبما يفتح الله به عليهم من النظر والاجتهاد.

وأما الدليل الثالث، فكل ما يدل عليه: هو أن الصحابة كانوا يفهمون القرآن ويعرفون معانيه، شأن أي كتاب يقرؤه قوم، ولكن لا يلزم منه أن يكونوا قد رجعوا إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في كل لفظ منه.

وأما الدليل الرابع، فلا يدل أيضاً، لأن وفاة النبي عليه الصلاة والسلام قبل أن يُبيِّن لهم آية الربا لا تدل على أنه كان يُبيِّن لهم كل معاني القرآن، فلعل هذه الآية كانت مما أشكل على الصحابة، فكان لا بد من الرجوع فيها إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، شأن غيرها من مشكلات القرآن.

*مناقشة أدلة الفريق الثاني:

وأما استدلال أصحاب الرأي الثاني بحديث عائشة، فهو استدلال باطل، لأن الحديث منكر غريب، لأنه من رواية محمد بن جعفر الزبيرى، وهو مطعون فيه، قال البخاري: "لا يُتَّبَع في حديثه"، وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي: "منكر الحديث"، وقال فيه ابن جرير الطبري: "إنه ممن لا يُعرف في أهل الآثار"، وعلى فرض صحة الحديث فهو محمول - كما قال أبو حيان - على مُعَيَّنَات القرآن، وتفسيره لمجمله، ونحوه مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف من الله. وفي معناه ما قاله ابن جرير وما قاله ابن عطية.

وأما الدليل الثاني: فلا يدل أيضاً على ندره ما جاء عن النبي - عليه الصلاة والسلام - في التفسير، إذ أن دعوة إمكان التفسير بالنسبة لآيات قلائل، وتعذره بالنسبة لكل غير مُسَلِّمة، وأما ما

قيل من أن النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يؤمر بالتنصيص على المراد في جميع الآيات لأجل أن يتفكر الناس في آيات القرآن فليس بشيء، إذ أن النَّبِيَّ- عليه الصلاة والسلام - مأمور بالبيان، وقد يشكل الكثير على أصحابه فيلزمه البيان، ولو فُرض - أن القرآن أشكل كله على الصحابة ما كان للنَّبِيِّ- عليه الصلاة والسلام- أن يمتنع عن بيان كل آية منه، بمقتضى أمر الله له في الآية: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44].

وأما الدليل الثالث: فول سلّمنا أنه يدل على أن النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يُفسّر كل معاني القرآن. فلا نُسلّم أنه يدل على أنه فسّر النادر منه كما هو المدعى "اه⁽¹⁾

اختيار حسين الذهبي في المسألة:

قال حسين الذهبي (ت: 1398هـ): "والرأي الذي تميل إليه النفس - بعد أن اتضح لنا مغالاة كل فريق في دعواه وعدم صلاحية الأدلة لإثبات المدعى - هو أن نتوسط بين الرأيين فنقول: إن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بيّن الكثير من معاني القرآن لأصحابه، كما تشهد بذلك كتب الصحاح، ولم يُبيّن كل معاني القرآن، لأن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يُعذر أحد في جهالته كما صرّح بذلك ابن عباس فيما رواه عنه ابن جرير، قال: "التفسيرُ على أربعة أوجه: وجهٌ تعرفُهُ العربُ من كلامها، وتفسيرٌ لا يُعذرُ أحدٌ بجهالته، وتفسيرٌ يعلمُهُ العلماء، وتفسيرٌ لا يعلمُهُ إلا اللهُ".⁽²⁾

وبديهي أنّ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم يفسّر لهم ما يرجع فهمه إلى معرفة كلام العرب، لأن القرآن نزل بلغتهم، ولم يفسّر لهم ما تتبادر الأفهام إلى معرفته وهو الذي لا يُعذر أحد بجهله، لأنه لا يخفى على أحد، ولم يفسّر لهم ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وحقيقة الروح، وغير ذلك من كل ما يجري مجرى الغيوب التي لم يُطلع الله عليها نبيه، وإنما فسّر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المغيبات التي أخفاها الله عنهم وأطلعها عليها وأمره ببيانها لهم، وفسّر لهم أيضاً كثيراً مما يندرج تحت القسم الثالث، وهو ما يعلمه العلماء يرجع إلى اجتهادهم، كبيان الحمل، وتخصيص العام، وتوضيح المشكل، وما إلى ذلك من كل ما خفي معناه والتبس المراد به؛ هذا.. وإنّ مما يؤيد أن النَّبِيَّ- عليه الصلاة والسلام - لم يُفسّر كل معاني القرآن، أن الصحابة رضوان الله

¹ التفسير والمفسرون. (1/ 38).

² تفسير الطبري ت شاکر (1/ 75) برقم: 71.

عليهم أجمعين، وقع بينهم الاختلاف في تأويل بعض الآيات، ولو كان عندهم فيه نص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقع هذا الاختلاف، أو لارتفع بعد الوقوف على النص.

بقي بعد هذا أن نجيب عن الشق الثاني من السؤال، وهو: على أي وجه كان بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن؟ فنقول:

إنَّ الناظر في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الشريفة يجد فيهما ما يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وظيفته البيان لكتاب الله، أو بعبارة أخرى، ما يدل على أن مركز السُّنَّة النبوية من القرآن، مركز المبيِّن من المبيَّن.

فمن القرآن، قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44].

ومن السُّنَّة، ما رواه أبو داود عن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أَرِيكْتِهِ يَقُولُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبْعِ وَلَا لُقْطَةٌ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَعْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعَقِّبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاءِهِ»⁽¹⁾.

فقوله: "أوتيت الكتاب ومثله معه" معناه أنه أوتى الكتاب وحيًا يُتلى، وأوتي من البيان مثله، أي أذن له أن يبيِّن ما في الكتاب. فيعم ويخص، ويزيد عليه ويُشَرِّع ما في الكتاب، فيكون في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن. ويحتمل وجهًا آخر: وهو أنه أوتى من الوحي الباطن عن المتلو، مثل ما أعطى من الظاهر المتلو، كما قال تعالى في سورة النجم آيتي [3، 4]: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾. وأما قوله: "أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ.. " الخ، فالمقصود منه التحذير من مخالفة السُّنَّة التي سنَّها الرسول وليس لها ذكر في القرآن، كما هو مذهب الخوارج والروافض الذين تعلَّقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي ضمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلُّوا، وروى الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: "كان الوحي ينزل على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

¹ مشكاة المصابيح؛ محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (ت: 741هـ) المحقق: محمد ناصر الدين

الألباني؛ الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت؛ ط: الثالثة، 1985م. قال الألباني: صحيح، رواه أبو داود وَرَوَى الدَّارِمِيُّ نَحْوَهُ وَكَذَا ابْنُ مَاجَةَ إِلَى قَوْلِهِ: «كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ». (1/ 57).

، ويحضره جبريل بالسُّنَّة التي تفسَّر ذلك"، وروى الأوزاعي عن مكحول قال: "القرآن أحوج إلى السُّنَّة من السُّنَّة إلى القرآن". اهـ⁽¹⁾

لقد أجاد حسين الذهبي في هذا المبحث، إلا أنه لم يحرر مسألة الخلاف -في نظري- بصورةٍ صحيحةٍ، فالخلاف في نظري صوري وهو متعلق بمسألة التَّصور فقط، وسندندن حولها، وذلك أولاً بتحرير مصطلح التَّفسير، والذي يدور في أصل مادَّة اللُّغوية على بيان شيءٍ وإيضاحه وفي الاصطلاح هو: بيان معاني القرآن الكريم، كما مر معنا سالفاً؛ ومن كلمة البيان تبدأ الإشكالية، لأنه لفظ مجمل يحتاج إلى بيان؛ بيانٌ ماذا وما هو قدر البيان؟ ومن تمَّ نشأ الخلاف، ومن أبرزه هل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بيِّن معاني القرآن الكريم أم لا؟، سيقول البعض، الدليل واضح بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]. أقول سأناقش هذه المسألة بمنظور آخر.

أولاً: نبدأ بوجه اتفاق المخالفين، وهو أنَّ الذِّكْر هو: القرآن الكريم، ثم اختلفوا في كنه المبيِّن، **الفريق الأول:** فهم من الآية، بيانُ القرآن نفسه إي ألفاظه، بمعنى إخراجها وتلاوتها للناس، **والفريق الثاني:** عمم دائرة البيان في الألفاظ والمعاني، وهنا محور البحث، ما المراد ببيان المعاني، هل المراد بيان معاني ألفاظ القرآن لفظة لفظة وجملة جملة، وهذا مما لا يقوله أحد، وحتى لا أدخل في سفسطة أهل الجدل أقول مستبيناً، لو أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فسَّر القرآن كاملاً لوصل إلينا كاملاً ولا ما احتجنا لعلم التفسير أصلاً.

إذاً ما هو القدر الذي بيَّنه وفسَّره النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ نقول: فسَّر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما احتج إلى بيان أو ما أشكل فهمه وبيانه، وهذا بشرط المذكور سابقاً أن التفسير هو بيان المعاني وأزيد وضوحاً **بيان المعاني لا بيان الأحكام**، لأن الأحكام بيَّنها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جميعاً سواء كانت في القرآن أو في السُّنَّة ولم يقبض الله عز وجل نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى أتم عليه الشريعة قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، وهنا وقع الخلط في تَّصور المسألة فمن نفى أنَّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فسَّر القرآن كاملاً قصد الألفاظ جميعاً، بهذا الاعتبار، ومن أثبت أنَّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فسَّر القرآن كاملاً قصد أحكام القرآن وتبليغ الرسالة بالمفهوم العام، بهذا الاعتبار،

¹ التفسير والمفسرون (1/ 43/39) بتصرف.

وكلى الأمرين صحيح، ومن قال فسّر ما أشكل وترك ما فهم من لغة العرب فصحيح أيضاً، فنلاحظ أن المسألة تعود إلى التصور والاعتبار، وأشير إلى مسألة لا تقل أهمية وهي متعلقة بالتصور أيضاً؛ لماذا النبي-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يفسّر معاني ألفاظ القرآن الكريم ثم نجدتها مُفسّرة في كتب التفسير فيما بعد؟

نقول مسألة التفسير نسيية من جهتين: من جهة تقريب المعاني ومن جهة فهم المعاني، وهذا الأمر غير وارد في عهده -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وذلك أننا لا نجد أحد من المشركين مثلاً نقد القرآن من جهة اللغة أي لم يقولوا لنبيّ -صلى الله عليه وسلم- يا محمد لم نفهم معنى ﴿عُتْلٌ﴾ وما معنى ﴿زَنِيمٌ﴾ وما معنى ﴿عَلَى حَزْدٍ﴾... وما إلى ذلك من الألفاظ التي أصبحت تعرف فيما بعد بغريب القرآن، هذا بالنسبة لنا ، وكما هو الحال أيضا في شأن النحو هذا من جهة.

ومن جهة أخرى لو تصدى النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لبيان الألفاظ من جهة اللغة لوقعنا في إشكال لا نستطيع الخروج منه، وهو أولا: أن لغة القرآن وألفاظه غير قادرة على بيان مراد الله، وبما أنّ المخاطب هو سبحانه وتعالى فهو اتهام لله تعالى -علوا عن هذا- وقد وصف كتابه في ما آية بأنه مبين ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: 1].
وثانياً: لو فسّر النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه الألفاظ لكان لتفسيره شأن على القرآن ومزيّة.

وثالثاً: لو فسّر النبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه الألفاظ، بألفاظ متقاربة أو مترادفة على ما تجوزنا فيه مجازاً، لأخرجها -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن مراد الله حقيقةً، ومعلوم أنّ العلماء تكلموا في هذه المسألة في جانب -الإعجاز اللفظي- حيث قال ابن عطية الأندلسي (ت: 542هـ) في هذا المعنى: "...كتاب الله لو نزعته منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القرينة وميز الكلام".⁽¹⁾

ولهذا نفى بعض العلماء الترادف في القرآن الكريم وهم على حق باعتبار أنّه لا يمكن التعبير عن تمام اللفظ بلفظ يرادفه في تمام معناه بل هناك ثمة فرق وهذا ما قرره أبو هلال العسكري (ت:

¹ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي الحاربي (ت: 542هـ)؛ المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد؛ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط: الأولى - 1422 هـ. (1/ 52).

نحو 395هـ) في كتابه الفروق و ولعل الرَّماني(ت: 384هـ) وعى هذا الفرق فسمي كتابه "الألفاظ المترادفة متقاربة المعنى"⁽¹⁾ ، فقيّد التّرادف بأنه متقارب المعنى في بعض أو مُعظم أجزاءه، ومهما يكن من إثبات التّرادف في اللغة، فإثباته في القرآن أعسر، قال ابن تيميّة (ت: 728هـ): " فَإِنَّ التّرادفَ فِي اللُّغَةِ قَلِيلٌ وَأَمَّا فِي أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ فِيمَا نَادِرٌ وَإِمَّا مَعْدُومٌ وَقَلَّ أَنْ يُعْبَرَ عَنْ لَفْظٍ وَاحِدٍ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ يُؤَدِّي جَمِيعَ مَعْنَاهُ ؛ بَلْ يَكُونُ فِيهِ تَقْرِيْبٌ لِمَعْنَاهُ وَهَذَا مِنْ أَسْبَابِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ".⁽²⁾

إذاً سيقول القائل فما قيمة التّفاسير الجوده الآن على اختلاف مشاربها ثم كيف تُفسّر تفسير ابن عباس-رضي الله عنهما- لألفاظ القرآن الكريم، قلنا لما جهل بعض النّاس هذه الألفاظ أو حقيقة هذه الألفاظ احتجنا لتقريب تلك المعاني بألفاظ أخرى، كما احتاج النّاس لقواعد النّحو حينما فسدت ألسنة النّاس، فالأمر برمته في المنظومة التّفسيريّة مبني على النّسيب؛ لذا نرى العلماء ما زال يكتبون في التّفسير ولكل عصر مقتضياته في التّعبير والأمر في التقريب في نظري قد فُصّل فيه في طبقات السلف الأولى.⁽³⁾

فتفسير النبي-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يشمل بيّان الأحكام وبيّان المعاني، أما الأول فمتعلق بالوحي ولا دخل للبشر فيه، إذ الوحي من الله والبلاغ من الرسل كما مر معنا، أما بيّان المعاني فهو متعلق باللغة، والقرآن نزل بلغة العرب، فما أشكل من المعاني في عهده -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تولى بيّانه، وما أشكل بعده احتكم إلى كلام العرب وهذا ما أشار إليه ابن عباس -رضي الله عنهما- حيث قال التّفسيّر على أربعة أوجهٍ وذكر: **وجهٌ تعرفه العرب من كلامها** ...⁽⁴⁾ ، وقال-رضي الله عنهما-: " كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بَيْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَنَا فَطَرْتُهَا، يَقُولُ: أَنَا ابْتَدَأْتُهَا ".⁽⁵⁾

¹ الألفاظ المترادفة متقاربة المعنى، أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني(384)، علق عليه: د فتح الله صالح علي المصري، ط : دار الوفاء، ط : الأولى: 1407هـ-1987م.

² ابن تيميّة، مجموع الفتاوي ، ج13ص183.

³ ينظر: مقالة بعنوان "إشكالية السند في رواية تفسير معنى اللفظ في القرآن الكريم بين السلف وأهل اللغة".أ.بودريالة فريد. مجلة الحضارة الإسلامية العدد 28 جانفي 2016ص13.

⁴ تفسير الطبري جامع البيان ت شاکر (1/75).

⁵ نفس المرجع (11/283).

وعن أبي الصلت الثقفي: أن عمر بن الخطاب رحمة الله عليه قرأ هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: 125] بنصب الراء. قال: وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (ضَيْقًا حَرَجًا).⁽¹⁾ قال صفوان: فقال عمر: ابغوي رجلا من كنانة واجعلوه راعيا، وليكن مُدْجِيًّا. ⁽²⁾ قال: فأتوه به. فقال له عمر: يا فتى، ما الحرجة؟ قال: "الحرجة" فينا، الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء. قال: فقال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير.⁽³⁾

فالصحابة رضي الله عنهم إذ لم يكن الأمر متعلق بالأحكام الشرعية التي بيانا للنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - احتكموا إلى لغة العرب لأنَّ الأمر أصبح متعلق ببيان الألفاظ لا الأحكام، فالأحكام معلومة في العموم والبحث عنها في الخبر لا غير⁽⁴⁾، وبدل على هذا ما قاله أبو عبيد: في حديث أبي وائل في قول الله عز وجل ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: " دلوكها غروبها قال: وهو في كلام العرب: دَلَكْتُ بِرَاحٍ ".⁽⁵⁾ ثم علق عليه بقوله: " وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ حِجَّةٌ لِمَنْ ذَهَبَ بِالْقُرْآنِ إِلَى كَلَامِ الْعَرَبِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ حَكْمٌ وَلَا حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: وَهُوَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ دَلَكْتُ بِرَاحٍ ".⁽⁶⁾

¹ قرأ نافع وشعبة وأبو جعفر بكسر الراء والباقون بفتحها. ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، اعداد: جمال الدين محمد شرف، الناشر: دار الصحابة للتراث بطنطا، ط الأولى: 1425هـ-2004م. (ص144).

² مُدْجِيٌّ بن مُرَّة بن بطن من كنانة، من العدنانية، وهم: بنو مدلج ابن مرة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان. كان منهم من اختص بعلم القيافة، وهو إصابة الفراسة في معرفة الأشياء في الأولاد، والقربات، ومعرفة الآثار. وكانوا مع خالد بن الوليد سنة 8 هـ في فتح مكة. ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة؛ ت: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت: 1408هـ)؛ الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت؛ ط السابعة: 1414 هـ - 1994 م. (ج3/ص1061).

³ تفسير الطبري جامع البيان ت شاكر (104/12).

⁴ وبالطبع قد يقع الخلاف من جهة فهم الخبر أو من جهة إثباته أو من جهة ترجيح الأدلة عند التعارض.

⁵ غريب الحديث؛ أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: 224هـ)؛ المحقق: د. محمد عبد المعيد خان؛ الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن؛ ط: الأولى، 1384 هـ - 1964 م. (4/370).

⁶ غريب الحديث للقاسم بن سلام (4/372).

✓ بيان القرآن والسنة وطرقه.

أولاً: بيان أوجه القرآن للقرآن وطرقه:

قد مضى أن القرآن بيّن بنفسه، وأن هذا البيان يشمل بيان هداية وإرشاد، وبيان عموم أحكامه الشرعية التي يتعبد بها، ويُلَمَح أن البيان صفة للقرآن وهو طرفه، والطرف الآخر الذي نعيه هو الفاهم لهذا البيان، وهم من نزل عليهم الخطاب، والوسيلة⁽¹⁾ في فهم البيان واضحة على من نزل عليهم الخطاب، وسواء تعلق الأمر ببيان القرآن نفسه أو ببيان بلاغه قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]؛ وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع يَوْمَ النَّحْرِ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَوْصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدَ الْعَائِبَ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ". متفق عليه ولفظ للبخاري.⁽²⁾ وأخبر عبد الله بن عباس، فَقَالَ كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السُّنَّ وَرَأْسُهُ مَعْصُوبٌ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ التُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا يَرَاهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ».⁽³⁾

وبذلك وقعت صفة البيان العام في القرآن الكريم بجميع أوجهه، إلا أنه قد يستشكل في كيفية البيان، وأثار هذه المسألة الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِي (ت: 502هـ) في مقدمة تفسيره تحت فصل (في كيفية بيان القرآن) وقال: "اعترض بعض الناس فقال: كيف وصُفَّ القرآن بالبيان، فقال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 138]؛ وقال: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: 176]؛ وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 195]؛ وقال: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [النور: 34]، وقد علم ما فيه من الإشكال والمتشابه وما يجري مجرى الرموز، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِلَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة: 102]؛ وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ

¹ والوسيلة واضحة وهي لغة الخطاب التي يقع بها الفهم، وهي اللغة العربية مع مراعاة شروط فهم الخطاب.

² صحيح البخاري برقم: 1739؛ صحيح مسلم برقم: 1679.

³ صحيح مسلم (1/348) برقم: 479.

مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿ [الأنبياء: 96]؛ وقد وصفه تعالى بالمتشابه وبأنه لا يعلم تأويله إلا هو؟ فالجواب أن البيان المشترط فيه إنما هو بالإضافة إلى " أعيان " أرباب أهل الكتاب لا إلى كل من يسمعه ممن دب ودرج، فقد علمنا أن ذلك ليس ببيان لمن ليس من أهل العربية، ثم أحوال أهل العربية مختلفة في معرفته، ولو كان البيان لا يكون بياناً حتى يعرفه العامة لأدى إلى أن يكون البيان في الكلام السوقي العامي أو إلى أن لا يكون بياناً بوجه، إذ كل كلام بالإضافة إلى قوم بيان، وبالإضافة إلى آخرين ليس ببيان⁽¹⁾.

وهذا الذي قاله الأصفهاني (502هـ) قد أشرنا إلى طرفه، وهذا الأمر جدير في المنظومة التفسيرية، حيث نسبة البيان ترجع إلى البيئة المعرفية والزمنية، لكن أشرنا كفاية أن القرآن اكتسب صفة البيان الكامل في بيئته وزمنه، وما علينا إلا الحفاظ على وسائل وأدوات الفهم التي تحلت بها تلك البيئة الزمنية، وهذا حتى تكون نظرنا صحيحة للقرآن الكريم، ولعل من هذا القبيل قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبَشِّرُوا أَبَشِّرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ؟»، قَالُوا: نَعَمْ (بلى)، قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»⁽²⁾، فليس الإشكال في إتباع القرآن فكل يدعيه، لكن الإشكال في طريقة إتباعه وفهمه، ولذلك حينما جانب الخوارج طريقة فهمه وإتباعه، قال فيما روي عن علي - رضي الله عنه - أنه قال لابن عباس - رضي الله عنهما - لما أراد أن يُنَاطِرَ الخوارج: "... ولا تخاصمهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة فقال له: أنا أعلم بكتاب الله منهم، فقال: صدقت، ولكن القرآن حمال ذو وجوه.⁽³⁾ أي يُحْمَلُ عليه كُلُّ تَأْوِيلٍ فيَحْتَمِلُهُ وذو وجوه أي ذو مَعَانٍ مختلفة⁽⁴⁾. وليس العيب في القرآن وحاشي الله، لكن العيب فيمن يتبع المتشابه ف عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ

¹ تفسير الراغب الأصفهاني (9 / 1)

² مصنف ابن أبي شيبة (6 / 125) برقم: 30006؛ المنتخب من مسند عبد بن حميد ت صبحي السامرائي (ص: 175) برقم: 483 مسند البزار (البحر الزخار) (8 / 346) برقم: 3421؛ صحيح ابن حبان - محققا (1 / 329) برقم: 122؛ المعجم الصغير للطبراني (2 / 209) برقم: 1044؛ وحكم عليه الألباني بالصحة في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها (2 / 330) برقم: 713.

³ فتح القدير؛ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ)؛ الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت؛ ط: الأولى - 1414 هـ. (1 / 14).

⁴ لسان العرب - (11 / 174).

مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ
الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا
يَذَكِّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿آل عمران: 7﴾؛ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا رَأَيْتَ
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَاخَذَرُوهُمْ».⁽¹⁾ متفق عليه.

إن القرآن وحدة متكاملة بآياته، وسوره ومقاصده، فهو يفسر بعضه بعضاً، فمن الإجحاف

عند تفسير آية مثلاً، الوقوف عند مجرد تلك الآية، دون النظر إلى القرآن بأكمله وبما يحمله من
سياقات تفسر بعضها بعضاً، ومن المتشابه اللفظي والمعنوي ..، وقد أصل لهذا المبدأ النبي - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حينما استشكل أصحابه معنى الظلم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ
بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82]، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿الَّذِينَ
آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّهُ لَيْسَ بِذَلِكَ، أَلَا
تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]. "⁽²⁾

ونجد أن بيان القرآن بالقرآن منه ما هو متصل ومنه ما هو منفصل، ومنه ما هو صريح ومنه ما
هو غير صريح، أما طرق وأنواع البيان فهي مذكورة في أبوابها فهذا الإمام الشنقيطي (ت: 1393هـ)
في كتابه: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، قد قدم له بمقدمة مهمة في أنواع بيان القرآن
للقرآن، وتوسع فيها كثيراً، فلا داعي لذكرها هنا.

ثانياً: بيان أوجه السنة للكتاب:

إن السنة النبوية متعلق ببيان القرآن الكريم، حيث أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هو
أعلم بكتاب الله فهما، وسنته وحي ثاني، لا يبلغ حد إعجاز القرآن، ونجد أن الله جلَّ وعلا قرن
الكتاب بالحكمة فيما آية؛ قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: 129/ آل عمران:
164/ الجمعة: 2]؛ وقال سبحانه: ﴿وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾

¹ صحيح البخاري (6/ 33) برقم: 4547؛ صحيح مسلم (4/ 2053) برقم: 2665.

² صحيح البخاري (6/ 114) برقم: 4776.

[الأحزاب: 34]؛ قال الشافعي (204هـ): "وسنة رسول الله مبيّنة عن الله معنى ما أراد، دليلاً على خاصّه وعامّه، ثم قرن الحكمة بما بكتابه، فاتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله".⁽¹⁾

قال الطبري (310هـ) في تفسير: "فقد تبين بيان الله جلّ ذكره، أنّ ممّا أنزل الله من القرآن، على نبيه -صلى الله عليه وسلم-، ما لا يوصل إلى علم تأويله، إلا بيان الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وذلك تأويل جميع ما فيه، من وجوه أمره: وواجهه، وندبه، وإرشاده وصنوف نبيه، ووظائف حقوقه، وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيه، التي لم يدرك علمها إلا بيان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأُمَّته. وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه، إلا بيان رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، بتأويله، بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصّبها دالة أُمَّته على تأويله".⁽²⁾ اهـ وقال في موضع آخر: "تأويل القرآن غير مُدرك إلا ببيان من جعل الله إليه بيان القرآن".⁽³⁾

قال ابن تيمية (ت: 728هـ): "والسنة عندنا: آثار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- -والسنة تُفسر القرآن وهي دلائل القرآن أي دالات على معناه".⁽⁴⁾

وعقد الشاطبي (ت: 790هـ) في كتابه الموافقات تحت باب: "المسألة الثالثة: السنة راجعة في معناها إلى الكتاب؛ فهي تفصيل مجمله، وبيان مشكّله، وبسط مختصره".⁽⁵⁾

قال أبو عمر: "الآثار في بيان السنة لمجملات التنزيل قولاً وعملاً أكثر من أن تحصى".⁽⁶⁾

لكن في هذا النوع قد يستشكل القائل حول ما قلناه سالفاً عن بيان القرآن، وما نقوله

الآن عن بيان السنة للقرآن وأهميته، بل لعل البعض يقول لا يجوز أن يبين القرآن إلا بالسنة؟ وقد

أجاب على هذا الإشكال ابن حزم الظاهري (ت: 456هـ) بقوله: "فإن قال قائل لا يجوز أن يبين

القرآن إلا بالسنة لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]، قيل له وبالله تعالى التوفيق: ليس في الآية التي ذكرت أنه عليه الصلاة

¹ الرسالة للشافعي (1/ 79).

² تفسير الطبري (1/ 74).

³ نفس المرجع (2/ 283).

⁴ مجموع الفتاوى (4/ 102).

⁵ الموافقات (4/ 314).

⁶ نقلاً عن إيقاظ هم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار، صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله العمري المعروف بالفُلّاني المالكي (ت: 1218هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت. (ص: 48).

والسلام لا يبين إلا بوحى لا يتلى بل فيها بيان جلي ونص ظاهر أنه أنزل تعالى عليه الذكر لبينه للناس والبيان هو بالكلام فإذا تلاه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد بينه ثم إن كان مجملا لا يفهم معناه من لفظه بينه حينئذ بوحى يوحى إليه إما متلوا أو غير متلو كما قال تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿[القيامة: 18، 19] فأخبر تعالى أن بيان القرآن عليه عز وجل وإذا كان عليه فيبانه من عنده تعالى والوحي كله متلوه وغير متلوه فهو من عند الله عز وجل" (1).

ولهذا كانت وجوه بيان السنّة للقرآن (2) متعددة ومنها على سبيل التمثيل ما يلي:

فالوجه الأول: كبيان الجمل في القرآن، وتوضيح المشكل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق.

- بيانه عليه الصلاة والسلام لمواقيت الصلوات الخمس، وعدد ركعاتها، وكيفيتها، وبيانه لمقادير الزكاة، وأوقاتها، وأنواعها، وبيانه لمناسك الحج. ورد عن أَبِي الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا، يَقُولُ: " رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْمِي عَلَى رِجْلَيْهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: «لِنَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَذْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» (3). وقال: « وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي ». (4)

- تفسيره - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: 187]، بأنه بياض النهار وسواد الليل.

- تخصيصه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الظلم في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَمَ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: 82]، بالشرك، فإن بعض الصحابة فهم أن الظلم مراد منه العموم، حتى قال: وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « ليس بذلك، إنما هو الشرك ». (5)

¹ الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (1/ 82/81).

² ينظر: التفسير والمفسرون (1/ 43) تحت عنوان: أوجه بيان السنّة للكتاب.

³ صحيح مسلم (2/ 943).

⁴ صحيح البخاري (1/ 128) برقم: 631.

⁵ ينظر: صحيح البخاري (6/ 114) برقم: 4776.

الوجه الثاني: بيان معنى لفظِ ، كبيان: ﴿المغضوب عَلَيْهِمْ﴾ باليهود،⁽¹⁾ و ﴿الضالين﴾ بالنصارى.⁽²⁾ وكبيان قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: 25]، بأنها مُطَهَّرَةٌ من الحيض والبراق والنخامة.⁽³⁾ وكبيان قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (58) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴿ [البقرة: 58-59] بأنهم دخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: حبة في شعيرة.⁽⁴⁾

الوجه الثالث: بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن الكريم، كتحریم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وصدقة الفطر، ورجم الزاني المحسن، وميراث الجدة، والحكم بشاهد ويمين، وغير هذا كثير يوجد في كتب الفروع.

الوجه الرابع: بيان النسخ: كأن يُبَيِّنَ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن آية كذا نُسِخَتْ بكذا، أو أن حكم كذا نُسِخَ بكذا، فقوله عليه الصلاة والسلام: « لا وصية لوارث». ⁽⁵⁾ بيان منه أن آية الوصية للوالدين والأقربين منسوخ حكمها وإن بقيت تلاوتها. وحديث: « البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام». ⁽⁶⁾ بيان منه أيضاً لنسخ حكم الآية [15] من سورة النساء: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نُسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ .. وغير هذا كثير.

¹ ينظر: تفسير الطبري (1/ 185).

² ينظر: نفس المرجع (1/ 193).

³ روى هذا المعنى البخاري في صحيحه (4/ 116) قال: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: 25]: «مِنَ الْحَيْضِ، وَالْبَوْلِ، وَالْبُرَاقِ» وروي أيضا عن مجاهد أما إسناده إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم أجد من أسنده إليه إلا ابن الأعرابي في معجمه (1/ 129) برقم: 204 تحقيق: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، الناشر: دار ابن الجوزي؛ وأبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة (2/ 200) برقم: 363، تحقيق: علي رضا عبد الله، الناشر: دار المأمون للتراث؛ ونسبها السيوطي في الدر المنثور (1/ 97) إلى الحَاكِمِ وإبن مَرْدَوَيْهِ.

⁴ ينظر: تفسير الطبري (2/ 112) برقم: 1019.

⁵ قال الألباني في أحكام الجنائز (1/ 7): أخرج أبو داود والترمذي وحسنه والبيهقي (6/ 264) وأشار لتقويته، وقد أصاب، فإن إسناده حسن، وله شواهد كثيرة عند البيهقي و " مجمع الزوائد " (4/ 212 " .

⁶ رواه بهذا اللفظ الشافعي في مسنده - ترتيب سنجر (3/ 267) برقم: 1569؛ رتبته: سنجر بن عبد الله الجوالي، أبو سعيد، علم الدين (ت: 745هـ)؛ حققه: ماهر ياسين فحل؛ الناشر: شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت؛ ط: الأولى، 1425 هـ - 2004 م. وورد في التفسير من سنن سعيد بن منصور - محققا (3/ 1191) برقم: 594؛ وسنن ابن ماجه (2/ 852) برقم: 2550.

الوجه الخامس: بيان التأكيد، وذلك بأن تأتي السُّنَّة موافقة لما جاء به الكتاب، ويكون القصد من ذلك تأكيد الحكم وتقويته. وذلك كقوله عليه الصلاة والسلام: « لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ ». ⁽¹⁾ فإنه يوافق قوله تعالى: ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ [النساء: 29]؛ وقوله عليه الصلاة والسلام: « فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحَلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ». ⁽²⁾ فإنه موافق لقوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: 19].

¹ أخرجه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (5/ 279) برقم: 1459 وقال: صحيح.

² رواه مسلم في صحيحه (2/ 889) برقم: 1218؛ وابن ماجه في سننه (2/ 1022) برقم: 3074؛ و أبو داود في سننه (2/ 182) برقم: 1905.

المبحث الثالث: مفهوم التأويل. ➤

ويحتوي على:

- ✓ تعريف التأويل لغة.
- ✓ التأويل في اصطلاح.
- ✓ قانون التأويل.
- ✓ الفرق بين التفسير والتأويل.

➤ المبحث الثالث: مفهوم التأويل.

✓ تعريف التأويل لغة.

التأويل مصدر، على وزن (تفعيل) وفعله الماضي رباعي مضَعَف: (أَوَّلَ). تقول: أَوَّلَ، يُؤَوِّلُ، تأويلاً، ومادة الكلمة: (أول): في استعمالاتها اللغوية تختلف إلا أن الظاهر فيها يرجع إلى معنيين: العودة والرجوع، والتفسير والبيان.

المعنى الأول العودة والرجوع: ويتعدى بعن أو إلى، ويأتي أيضا لازما، جاء في كتاب العين: " آل يُؤوِّلُ إليه، إذا رجع إليه، تقول: طَبَّخْتُ النَّبِيذَ والدَّوَاءَ فَآلَ إِلَى قَدْرٍ كَذَا وكَذَا، إِلَى التُّلْثِ أَوْ الرَّبْعِ، أَي: رَجَعَ." (1).

قال أبو عبيدة(ت: 209هـ) في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: 7]: "التأويل: التفسير، والمرجع: مصيره. قال الأعشى (2):

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَأْوُلُ حُبَّهَا **** تَأْوُلَ رَبِيعِي السَّقَابِ فَأَصْحَابًا (3). " (4)
قال إسحاق الفَارَازِيُّ (ت: 350هـ): " آل، أَي: رَجَعَ، وَآلَ مَالَهُ، أَي: أَصْلَحَهُ." (5).

¹ كتاب العين؛ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)؛ ت: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي؛ الناشر: دار ومكتبة الهلال. (8/ 359).

² والأعشى(ت: 7هـ) وَهُوَ: مَيْمُونُ بْنُ قَيْسِ بْنِ جَنْدَلِ بْنِ شَرَّاحِيلِ بْنِ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ضَبِيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ نَعْلَبَةَ ، ويقال له أعشى بكر بن وائل والأعشى الكبير، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات. ينظر: طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام بن عبید الله الجمحي(ت: 232هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر، الناشر: دار المدني جدة. (1/ 52).

³ البيت في ديوان الأعشى، شرح د.يوسف شكري فرحات، ط: دار الجيل، ط: 1425هـ-2005م. رَبِيعِي السَّقَابِ: ولد الناقة ساعة يولد، وهو الذي يولد في الربيع. ص9.

⁴ مجاز القرآن؛ أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: 209هـ)؛ المحقق: محمد فواد سرگین؛ الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة؛ ط: 1381 هـ-1961م. (1/ 86).

⁵ معجم ديوان الأدب؛ أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت: 350هـ)؛ ت: دكتور أحمد مختار عمر؛ مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس؛ ط: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة؛ عام النشر: 1424 هـ - 2003 م. (4/ 199). ينظر أيضا: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. (4/ 1628).

وقال أبو منصور الأزهري(ت:370هـ): " وَقد آل يُؤولُ أوْلاً. قَالَ: وَآل مآله يُؤوله إِيآله، إِذا أَصلحه وَسآسه...آل قال: تُعَلَّب، عَن ابْنِ الأَعْرَابِي: الأَوَّلُ الرَّجوعُ".⁽¹⁾

قال ابن فارس(ت:395هـ): وَآل يُؤولُ، أَي: رَجَعَ. قَالَ يَعْتُوبُ: يُقَالُ: " أَوَّلَ الحُكْمِ إِلى أَهْلِهِ "، أَي: أَرْجَعَهُ وَرَدَّهُ إِليهِمْ".⁽²⁾

فكلمة التأويل تدور حول العودة والرجوع، كما نلاحظ أنها ترجع إلى الإصلاح عند بعض علماء اللغة⁽³⁾ ولعله من الباب أي من الرجوع، لأن قولهم: " وَآل مآله، أَي: أَصلحَهُ" وكأنه أرجعه إلى حالته قبل فساده أو إتلافه، ولهذا المعنى نرى ابن فارس يرجع المعاني المختلفة إلى هذا الباب فيقول: " وَآل القَطْرَانُ: إِذَا خَثِرَ. وَآل جِسْمِ الرَّجُلِ: إِذَا نُخِفَ. وَهُوَ مِنَ البَابِ، لِأَنَّهُ يَجُورُ وَيَجْرِي، أَي: يَرْجِعُ إِلى تِلْكَ الحَالِ؛ وَالإِيآلهُ السِّيَاسَةُ مِنْ هَذَا البَابِ، لِأَنَّ مَرْجِعَ الرَّعِيَّةِ إِلى رَاعِيهَا".⁽⁴⁾

المعنى الثاني التفسير والبيان: وهذا المعنى وإن كان واردا عند أهل اللغة، إلا أن استعماله كثر عند علماء التفسير، أي تفسير القرآن الكريم. وبذلك أصبح التفسير مرادف للتأويل.

قال أبو عبيدة(ت:209هـ): " التأويل: التفسير".⁽⁵⁾

قال أبو منصور الأزهري(ت: 370 هـ): وَأخبرني المُنْذِرِيُّ عَن أَحْمَدَ بنِ يَحْيَى قَالَ: المعنى وَالتَّفْسِيرِ والتَّأويلِ وَاحِدٌ".⁽⁶⁾

¹ تهذيب اللغة (15 / 314)

² مقاييس اللغة (1 / 159) ؛ وينظر أيضا: أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت: 538هـ)؛ تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان؛ ط: الأولى، 1419 هـ - 1998 م. (1 / 39).

³ ممن قال هذا المعنى المبرد في الكامل، ينظر: الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: 285هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ط الثالثة: 1417 هـ - 1997 م. (3 / 129).

⁴ ينظر: مقاييس اللغة (1 / 160).

⁵ جاز القرآن (1 / 86).

⁶ تهذيب اللغة (3 / 135).

قال ابن فارس(ت: 395هـ) تحت: "باب معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء: ومرجعها إلى ثلاثة وهي: المعنى، والتفسير، والتأويل. وهي وإن اختلفت فإن المقاصد بها متقاربة".⁽¹⁾
قال أبو جعفر: " وَأَمَّا مَعْنَى التَّأْوِيلِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَإِنَّهُ التَّفْسِيرُ وَالْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ، وَقَدْ أَنْشَدَ بَعْضُ الرُّوَاةِ بَيَّنَّ الْأَعْمَى:

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَأْوُلُ حُبَّهَا
تَأْوُلَ رُبْعِي السَّقَابِ فَأَصْحَبَا

وَأَصْلُهُ مِنْ آلِ الشَّيْءِ إِلَى كَذَا، إِذَا صَارَ إِلَيْهِ وَرَجَعَ يُؤْوَلُ أَوَّلًا وَأَوَّلْتُهُ أَنَا: صَيَّرْتُهُ إِلَيْهِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59] أَي جَزَاءً، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَزَاءَ هُوَ الَّذِي آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ الْقَوْمِ وَصَارَ إِلَيْهِ، وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: وَتَأْوَلُ حُبَّهَا " تَفْسِيرُ حُبِّهَا وَمَرْجِعُهُ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ حُبَّهَا كَانَ صَغِيرًا فِي قَلْبِهِ، فَآلَ مِنَ الصَّغَرِ إِلَى الْعِظَمِ، فَلَمْ يَزَلْ يَنْبُثُ حَتَّى أَصْحَبَ فَصَارَ قَدِيمًا كَالسَّقَبِ الصَّغِيرِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَشْبُ حَتَّى أَصْحَبَ فَصَارَ كَبِيرًا مِثْلَ أُمِّهِ".⁽²⁾

✓ التأويل في الاصطلاح: التأويل في اصطلاح العلماء، يراد به ثلاثة معان.

الأول: أن يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره، وهذا هو المعنى الذي

يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة، كقوله تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: 53].

قال أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ): ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾: معناه هل ينظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من البعث، وهذا التأويل -والله أعلم - هو قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، أي ما يعلم متى يكون البعث، وما يؤول إليه إلا الله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ بالبعث -والله أعلم -⁽³⁾.

¹ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ؛ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت : 395هـ)، الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة: ط الأولى: 1418هـ-1997م. (ص: 14).

² تفسير الطبري / ت شاکر (6/ 205/206).

³ معاني القرآن وإعراجه؛ إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)؛ المحقق: عبد الجليل عبده شليبي؛ الناشر: عالم الكتب - بيروت؛ ط: الأولى 1408 هـ - 1988 م. (2/ 341).

وقال أبو جعفر النَّحَّاس (ت: 338هـ): "قال ابن كيسان⁽¹⁾ التأويل في كلام العرب ما يؤول إليه معنى الكلام فتأويله ما يرجع إليه معناه وما يستقر عليه الأمر في ذلك".⁽²⁾

قال الرَّاعِب الأَصْفَهَانِي (ت: 502هـ): "التأويل من الأول، أي: الرجوع إلى الأصل، ومنه: المؤئِلُ للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا".⁽³⁾

وهذا المعنى وارد في القرآن في أكثر من موضع، وهو كالاتي:

التأويل في القرآن الكريم:

1. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]؛ وسنرجى تفسيره فيما بعد.
2. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]؛ قال: مجاهد: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، قال: حُسْنُ جَزَاءٍ؛ وعن قتادة: ذَلِكَ أَحْسَنُ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عَاقِبَةً.⁽⁴⁾
3. قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: 53]؛ قال أبو جعفر (ت: 310): يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: 53]: هَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَجْحَدُونَ

¹ ابن كيسان هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان، وكان بصرياً كوفيّاً، يحفظ القولين، ويعرف المذهبين. وكان أخذ عن ثعلب والمبرد، وكان ميله إلى مذهب البصريين أكثر. ينظر: طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذجح الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (ت: 379هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الثانية، الناشر: دار المعارف. (ص: 153).

² معاني القرآن؛ أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: 338هـ)؛ المحقق: محمد علي الصابوني؛ الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة؛ ط: الأولى: 1409هـ-1988م. (1/ 352).

³ المفردات في غريب القرآن؛ الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ). (ص: 99).

⁴ ينظر: تفسير الطبري (8/ 506).

لِقَاءَهُ، إِلَّا تَأْوِيلَهُ؟ يَقُولُ: إِلَّا مَا يُتَوَلَّى إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ مِنْ وُرُودِهِمْ عَلَى عَذَابِ اللَّهِ، وَصَلِيَّتِهِمْ حَجِيمَهُ، وَأَشْبَاهُ هَذَا بِمَا أُوَعِدَهُمُ اللَّهُ بِهِ. (1)

4. قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 39]؛ قال أبو جعفر الطبري (310): ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: 39] يَقُولُ: وَلَمَّا يَأْتِهِمْ بَعْدُ بَيَانُ مَا يُتَوَلَّى إِلَيْهِ ذَلِكَ الْوَعِيدُ الَّذِي تَوَعَّدَهُمُ اللَّهُ فِي هَذَا الْقُرْآنِ. (2)

5. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رُبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 6]؛ قال أبو جعفر الطبري (310): وَقَوْلُهُ: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 6] يَقُولُ: وَيُعَلِّمُكَ رُبُّكَ مِنْ عِلْمِ مَا يُتَوَلَّى إِلَيْهِ أَحَادِيثُ النَّاسِ عَمَّا يَرَوْنَهُ فِي مَنَامِهِمْ، وَذَلِكَ تَعْبِيرُ الرُّؤْيَا. وَ عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 6]؛ قَالَ: عِبَارَةُ الرُّؤْيَا. (3)

6. قال تعالى: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 21].

7. قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36].

8. قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف: 37]؛ قال أبو جعفر الطبري (ت: 310): وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾: مَا يُتَوَلَّى إِلَيْهِ وَيَصِيرُ مَا رَأَى فِي مَنَامِهِمَا مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي رَأَى أَنَّهُ أَتَاهُمَا فِيهِ. (4)

9. قال تعالى: ﴿قَالُوا أَضْعَافٌ أُخْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ [يوسف: 44].

10. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي بَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: 45].

11. قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: 100]؛ قال أبو جعفر الطبري (310): فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَأْوِيلُ

¹ تفسير الطبري (12 / 478).

² نفس المرجع (15 / 93).

³ نفس المرجع (15 / 560).

⁴ نفس المرجع (16 / 101).

رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴿١﴾ . يُقُولُ: مَا آلَتْ إِلَيْهِ رُؤْيَايَ الَّتِي كُنْتُ رَأَيْتُهَا، وَهِيَ رُؤْيَاهُ الَّتِي كَانَ رَأَاهَا قَبْلَ صَنِيعِ إِخْوَتِهِ مَا صَنَعُوا، أَنَّ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَهُ سَاجِدُونَ ﴿٢﴾ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴿٣﴾؛ يُقُولُ: قَدْ حَقَّقَهَا رَبِّي لِمَجِيءِ تَأْوِيلِهَا عَلَى الصَّحَّةِ. (1)

12. قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 101].

13. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: 35]. وَعَنْ قَتَادَةَ: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾؛ قَالَ: عَاقِبَةٌ وَتَوَابًا. (2)

14. قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَنِي وَبَيْنِكَ سَائِبُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 78]؛ قال أبو جعفر: سَأَخْبِرُكَ: ﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾؛ يُقُولُ: بِمَا يُقُولُ إِلَيْهِ عَاقِبَةُ أَفْعَالِي الَّتِي فَعَلْتُهَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيَّ تَرْكَ الْمَسْأَلَةِ عَنْهَا، وَعَنِ التَّكْبِيرِ عَلَيَّ فِيهَا صَبْرًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (3)

15. قال تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 82].

أما تفصيل البيان عن الآية الأولى هو كالتالي: (وإنما أحرناه لما فيه من الاختلاف).

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7].

أولاً: سبب نزول آل عمران:

أسند الطبري (310) بسنده عن مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: " قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَدُ بَجْرَانَ سِتُونَ رَاكِبًا ، فِيهِمْ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، فِي الْأَرْبَعَةِ عَشَرَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ إِلَيْهِمْ يُؤُولُ أَمْرُهُمْ: ... وَهُمْ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ مَعَ اخْتِلَافٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، يَقُولُونَ: هُوَ اللَّهُ ، وَيَقُولُونَ: هُوَ وَلَدُ اللَّهِ ، وَيَقُولُونَ: هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ النَّصْرَانِيَّةِ. فَهُمْ يَخْتَجُونَ فِي قَوْلِهِمْ:

¹ تفسير الطبري (16 / 271).

² نفس المرجع (17 / 446).

³ نفس المرجع (18 / 82).

هُوَ اللَّهُ ، بَأَنَّهُ كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى ، وَيُزِيلُ الْأَسْقَامَ ، وَيُخْبِرُ بِالْغُيُوبِ ، وَيَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَائِرًا ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِإِذْنِ اللَّهِ ، لِيَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ . وَيَحْتَجُونَ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّهُ وَلَدُ اللَّهِ ، أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبٌ يُعْلَمُ ، وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ بِشَيْءٍ لَمْ يَصْنَعْهُ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ مِنْ قَبْلِهِ . وَيَحْتَجُونَ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «فَعَلْنَا» وَ «أَمَرْنَا» وَ «خَلَقْنَا» وَ «قَضَيْنَا» فَيَقُولُونَ: لَوْ كَانَ وَاحِدًا مَا قَالَ إِلَّا «فَعَلْتُ» وَ «أَمَرْتُ» وَ «قَضَيْتُ» وَ «خَلَقْتُ» وَلَكِنَّهُ هُوَ وَعِيسَى وَمَرْيَمُ. فَفِي كُلِّ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ قَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ. (1)

قال الطبري: "فَأَنزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ وَاخْتِلَافِ أَمْرِهِمْ كُلِّهِ ، صَدَرَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ إِلَى بَضْعِ وَثْمَانِينَ آيَةً مِنْهَا". (2)

وهذه القصة ذكرها الواحدي في كتابه أسباب النزول وقال: " قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: قَدِمَ وَفُدَّ بَنُجْرَانَ، وَكَانُوا سِتِينَ رَاكِبًا. " . القصة (3)

ومن هؤلاء المفسرين الطبري في تفسيره (4) من طريق ابن إسحاق عَن مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزبير؛ وأخرجها من هذه الطريق الثعلبي في تفسيره وزاد طرق أخرى فقال: ومحمد بن مروان عن الكلبي، وعبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع بن أنس، قالوا: نزلت هذه في وفد بنجران، وكانوا ستين راكبا.. القصة (5)

وذكرها السُّيُوطِي (911) فِي الدَّرِ الْمُنْتَوِرِ (6) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزبير ونسبها إلى ابْنِ إِسْحَاقَ وَابْنَ حَرِيرٍ وَابْنَ الْمُنْذِرِ، وَرَوَاهَا مِنْ طَرِيقِ أُخْرَى أَبُو نَعِيمٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ فَقَالَ: حَدَّثَنَا

¹ نفس المرجع (6/ 153).

² نفس المرجع (6/ 153).

³ ينظر: أسباب النزول؛ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)؛ المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان؛ الناشر: دار الإصلاح - الدمام؛ ط: الثانية، 1412 هـ - 1992 م . (ص: 97).

⁴ تفسير الطبري ت شاکر (6/ 151) برقم: 6543.

⁵ ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: 427هـ)؛ تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور؛ مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان؛ ط: الأولى 1422، هـ - 2002 م. (6/ 3).

⁶ ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)؛ الناشر: دار الفكر - بيروت. (2/ 141).

إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ فَرَجٍ قَالَ: ثَنَا أَبُو عُمَرَ الدُّورِيُّ قَالَ: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ وَقَدْ بَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَى قَدِمُوا...القصة.⁽¹⁾

وذكرها القرطبي في تفسيره⁽²⁾ وابن كثير⁽³⁾ ، وغيرهم من علماء التفسير.

قال ابن جرير الطبري: " وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ وَمَا الْمُحْكَمُ مِنْ آيِ الْكِتَابِ؟ وَمَا الْمُتَشَابِهُ مِنْهُ؟

القول الأول: الْمُحْكَمَاتُ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ: الْمَعْمُولُ بِهِنَّ، وَهُنَّ النَّاسِخَاتُ، أَوْ الْمُثَبَّتَاتُ الْأَحْكَامُ؛ وَالْمُتَشَابِهَاتُ مِنْ آيِهِ الْمَثْرُوكُ الْعَمَلِ بِهِنَّ، الْمَنْسُوخَاتُ؛ وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 7]

" الْمُحْكَمَاتُ: نَاسِخُهُ، وَحَلَالُهُ، وَحَرَامُهُ، وَحُدُودُهُ، وَفَرَائِضُهُ، وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ، وَيَعْمَلُ بِهِ " قَالَ:

﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ وَالْمُتَشَابِهَاتُ: مَنْسُوخُهُ، وَمُقَدَّمُهُ، وَمُؤَخَّرُهُ، وَأَمْثَالُهُ، وَأَقْسَامُهُ، وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ، وَلَا يُعْمَلُ بِهِ "

القول الثاني: الْمُحْكَمَاتُ مِنْ آيِ الْكِتَابِ: مَا أَحْكَمَ اللَّهُ فِيهِ بَيَانَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ؛ وَالْمُتَشَابِهَةُ مِنْهَا: مَا أَشْبَهَ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْمَعَانِي وَإِنْ اخْتَلَفَتْ أَلْفَاظُهُ ؛ وَعَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ

¹ ينظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني(ت: 430هـ)؛ حقيقه: الدكتور محمد رواس قلعهجي، عبد البر عباس؛ الناشر: دار النفائس، بيروت؛ ط: الثانية، 1406 هـ - 1986 م. (ص: 354).

² ينظر: الجامع لأحكام القرآن؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت: 671هـ)؛ ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش؛ الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة؛ ط: الثانية، 1384هـ - 1964 م. (4/4).

³ تفسير القرآن العظيم؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)؛ المحقق: سامي بن محمد سلامة؛ الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع؛ ط: الثانية 1420هـ - 1999 م. (51/2).

مُحْكَمَاتٌ ﴿[آل عمران: 7] «مَا فِيهِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَمَا سِوَى ذَلِكَ، فَهُوَ مُتَشَابِهٌ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا».

القول الثالث: الْمُحْكَمَاتُ مِنْ آيِ الْكِتَابِ: مَا لَمْ يَحْتَمِلْ مِنَ التَّأْوِيلِ غَيْرَ وَجْهِ وَاحِدٍ؛
وَالْمُتَشَابِهُ مِنْهُ: مَا احْتَمَلَ مِنَ التَّأْوِيلِ أَوْجُهًا.

القول الرابع: مَعْنَى الْمُحْكَمِ: مَا أَحْكَمَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ وَقَصَصِ الْأُمَمِ وَرُسُلِهِمُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ، فَفَصَّلَهُ بَبَيَانِ ذَلِكَ لِمُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ، وَالْمُتَشَابِهُ هُوَ مَا اشْتَبَهَتْ الْأَلْفَاظُ بِهِ مِنْ قَصَصِهِمْ عِنْدَ التَّكْرِيرِ فِي السُّورِ فَقِصَّةٌ بِاتِّفَاقِ الْأَلْفَاظِ وَاخْتِلَافِ الْمَعَانِي، وَقِصَّةٌ بِاخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ وَاتِّفَاقِ الْمَعَانِي.

القول الخامس: الْمُحْكَمُ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ: مَا عَرَفَ الْعُلَمَاءُ تَأْوِيلَهُ، وَفَهِمُوا مَعْنَاهُ وَتَفْسِيرَهُ؛
وَالْمُتَشَابِهُ: مَا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ إِلَى عِلْمِهِ سَبِيلٌ مِمَّا اسْتَأْنَزَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَذَلِكَ نَحْوُ الْخَبْرِ عَنْ
وَقْتِ مَخْرَجِ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَوَقْتِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَقِيَامِ السَّاعَةِ، وَفَنَاءِ الدُّنْيَا، وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ⁽¹⁾.

ونستطيع أن نحمل هذه الأقوال في قولين رئيسيين:

الأول: الْمُحْكَمَاتُ هُنَّ: الْآيَاتُ الْوَاضِحَاتُ عِنْدَ النَّاسِ؛ وَالْمُتَشَابِهَاتُ هُنَّ: الْآيَاتُ غَيْرِ
الوَاضِحَاتِ عِنْدَ النَّاسِ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ مَعْنَى الْمُتَشَابِهِ فَيَرُدُّونَهُ إِلَى الْمُحْكَمِ، وَهَذَا عَلَى
اخْتِلَافِ مَعْنَى الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ.

الثاني: المحكمات هُنَّ: مَا عَرَفَ الْعُلَمَاءُ تَأْوِيلَهُ، وَفَهِمُوا مَعْنَاهُ وَتَفْسِيرَهُ، وَالْمُتَشَابِهَاتُ هُنَّ: مَا لَمْ يَكُنْ
لِأَحَدٍ إِلَى عِلْمِهِ سَبِيلٌ مِمَّا اسْتَأْنَزَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ دُونَ خَلْقِهِ.

وعلى هذا الأساس يترتب اختلاف الوقف في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾
﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: 7] الآية.

قال الطاهر بن عاشور(ت: 1393): "فَإِذَا وَقَفَ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ كَانَ الْمَعْنَى أَنَّ
الْمُتَشَابِهَ الْكَلَامَ الَّذِي لَا يَصِلُ فَهْمُ النَّاسِ إِلَى تَأْوِيلِهِ وَأَنَّ عِلْمَهُ مِمَّا اخْتَصَّ اللَّهُ بِهِ مِثْلَ اخْتِصَاصِهِ
بِعِلْمِ السَّاعَةِ وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْخُمُسَةِ وَكَانَ مَا بَعْدَهُ ابْتِدَاءَ كَلَامٍ يُفِيدُ أَنَّ الرَّاسِخِينَ يُفَوِّضُونَ فَهْمَهُ إِلَى
اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَا وُصِلَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ بِمَا بَعْدَهُ كَانَ الْمَعْنَى أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَ

¹ ينظر: تفسير الطبري ت شاکر (6/ 174) - بتصرف -.

الْمُتَشَابِهِ فِي حَالِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ. فَقَوْلُهُ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ، وَفِي هَذَا الْعَطْفِ تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ: كَقَوْلِهِ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 18]، وَإِلَى هَذَا التَّفْسِيرِ مَالِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَالرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ، وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَابْنِ فُورَكٍ، وَالشَّيْخِ أَحْمَدَ الْفُرْطُيَّ، وَابْنَ عَطِيَّةَ، وَعَلَى هَذَا فَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ اسْتَأْنَرَهُ اللَّهُ بِعِلْمِهَا. وَيُؤَيِّدُ هَذَا أَنَّ اللَّهَ أَثْبَتَ لِلرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ فَضِيلَةً. وَوَصَفَهُمْ بِالرُّسُوخِ، فَادَّنَ بِأَنَّ لَهُمْ مَزِيَّةً فِي فَهْمِ الْمُتَشَابِهِ: لِأَنَّ الْمُحْكَمَ يَسْتَوِي فِي عِلْمِهِ جَمِيعٌ مَنْ يَفْهَمُ الْكَلَامَ، فَفِي أَيِّ شَيْءٍ رُسُوخُهُمْ، وَحَكَى إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ قَالَ فِي هَاتِهِ الْآيَةِ: "أَنَا مِمَّنْ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ".

وَقِيلَ: الْوَقْفُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وَإِنَّ جُمْلَةَ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مُسْتَأْنَفَةٌ، وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنْ جُمْهُورِ السَّلَفِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ، وَعَائِشَةَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِيٍّ، وَرَوَاهُ أَشْهَبُ عَنْ مَالِكٍ فِي جَامِعِ الْعُتَيْبَةِ، وَقَالَهُ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَالْكَسَائِيُّ، وَالْأَخْفَشُ وَالْفَرَّاءُ، وَالْحَنْفِيَّةُ، وَإِلَيْهِ مَالٌ فَخَرُ الدِّينِ.

ثُمَّ رَجَحَ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورِ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ فَقَالَ: وَيُؤَيِّدُ الْأَوَّلَ وَصَفُهُمْ بِالرُّسُوخِ فِي الْعِلْمِ فَإِنَّهُ دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى أَنَّ الْحُكْمَ الَّذِي أُثْبِتَ لَهُذَا الْفَرِيقِ، هُوَ حُكْمٌ مِنْ مَعْنَى الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ فِي الْمُعْضَلَاتِ، وَهُوَ تَأْوِيلُ الْمُتَشَابِهِ، عَلَى أَنَّ أَصْلَ الْعَطْفِ هُوَ عَطْفُ الْمُفْرَدَاتِ دُونَ عَطْفِ الْجُمَلِ، فَيَكُونُ الرَّاسِخُونَ مَعْطُوفًا عَلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ فَيَدْخُلُونَ فِي أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ. وَلَوْ كَانَ الرَّاسِخُونَ مُبْتَدَأً وَجُمْلَةً: «يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ» حَبْرًا، لَكَانَ حَاصِلُ هَذَا الْخَبَرِ مِمَّا يَسْتَوِي فِيهِ سَائِرُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا زَيْعَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَلَا يَكُونُ لِتَخْصِيصِ الرَّاسِخِينَ فَائِدَةٌ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: «تَسْمِيَتُهُمْ رَاسِخِينَ تَقْتَضِي أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَكْثَرَ مِنَ الْمُحْكَمِ الَّذِي يَسْتَوِي فِي عِلْمِهِ جَمِيعٌ مَنْ يَفْهَمُ كَلَامَ الْعَرَبِ، وَفِي أَيِّ شَيْءٍ هُوَ رَسُوخُهُمْ إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا إِلَّا مَا يُعْلَمُهُ الْجَمِيعُ وَمَا الرُّسُوخُ إِلَّا الْمَعْرِفَةُ بِتَصَارِيفِ الْكَلَامِ بِقَرِيحَةٍ مُعَدَّةٍ» وَمَا ذَكَرْنَاهُ وَذَكَرَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ لَا يَعدُّ وَأَنْ يَكُونَ تَرْجِيحًا لِأَحَدِ التَّفْسِيرَيْنِ، وَلَيْسَ إِبْطَالًا لِمُقَابِلِهِ إِذْ قَدْ يُوصَفُ بِالرُّسُوخِ مَنْ يُفَرِّقُ بَيْنَ مَا يَسْتَقِيمُ تَأْوِيلُهُ، وَمَا لَا مَطْمَعِ فِي تَأْوِيلِهِ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَدَّكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ إِشْعَارٌ بِأَنَّ الرَّاسِخِينَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ. وَاحْتِجَّ أَصْحَابُ الرَّأْيِ الثَّانِي، وَهُوَ رَأْيُ الْوَقْفِ عَلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ: بِأَنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ يَكُونُ جُمْلَةً (وَالرَّاسِخُونَ) مُسْتَأْنَفَةً لِتَكُونَ مُعَادِلًا لِجُمْلَةٍ: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْعٌ، وَالتَّفْدِيرُ: وَأَمَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ. وَأَجَابَ التَّفْتَارِزِيُّ بِأَنَّ الْمُعَادِلَ لَا يَلزَمُ أَنْ يَكُونَ مَذْكَورًا، بَلْ قَدْ يُحذفُ لِذَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ. وَاحْتَجُّوا أَيْضًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ قَالَ الْفَخْرُ: لَوْ كَانُوا عَالِمِينَ بِتَأْوِيلِهِ

لَمْ يَكُنْ لِهَذَا الْكَلَامِ فَائِدَةٌ إِذِ الْإِيمَانُ بِمَا ظَهَرَ مَعْنَاهُ أَمْرٌ غَيْرٌ غَرِيبٍ وَسُنُجِيبٌ عَنِ هَذَا عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ؛ وَذَكَرَ الْفَخْرَ حَجَجًا آخَرَ غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ.

وَلَا يَخْفَى أَنَّ أَهْلَ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ لَا يُثْبِتُونَ مُتَشَابِهًا غَيْرَ مَا خَفِيَ الْمُرَادُ مِنْهُ، وَأَنَّ خَفَاءَ الْمُرَادِ مُتَفَاوِثٌ، وَأَنَّ أَهْلَ الْقَوْلِ الثَّانِي يُثْبِتُونَ مُتَشَابِهًا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ، ... قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عَطِيَّةَ «إِنَّ تَأْوِيلَ مَا يُمَكِّنُ تَأْوِيلَهُ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ- عَلَى الْإِسْتِيفَاءِ- إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى فَمَنْ قَالَ، مِنْ الْعُلَمَاءِ الْحَدَّاقِ: بِأَنَّ الرَّاسِخِينَ لَا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ، فَإِنَّمَا أَرَادَ هَذَا النَّوعَ، وَخَافُوا أَنْ يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّ اللَّهَ وَصَفَ الرَّاسِخِينَ بِعِلْمِ التَّأْوِيلِ عَلَى الْكَمَالِ» .

وَعَلَى الْإِخْتِلَافِ فِي مَحْمَلِ الْعَطْفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ انْتَبَى اخْتِلَافٌ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ فِي تَأْوِيلِ مَا كَانَ مُتَشَابِهًا⁽¹⁾.

القول الراجح:

لعل -والله أعلم- أن كلى القولين صحيح باعتبار أن معنى المتشابه يختلف باختلاف الوقف، إلا أن القول الأول راجح وذلك لعله سبب نزول آل عمران حيث أن القصة صريحة في أن النصرارى تمسكوا واستدلوا بآيات هم جعلوها من المتشابه الذي يشبه ما يبتغون به الفتنة بين المؤمنين ليشككوا في عقيدتهم، وذلك بأن في القرآن ما يوافق عقائدهم الباطلة، وليس غرضهم إتباع القرآن والاهتداء بنوره، إذ لو كان هذا مرادهم لتبعوا المحكم الواضح القطعي في المسألة، وهذا ديدن كل متبع فتنة إلى يوم الدين، بدليل ما جاء في الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»⁽²⁾.

فلو أن المتشابه مقتصر على ما استأثر الله به من علم الغيب، أو من حقائق ما ترجع إليه الأمور، فإن أهل الإيمان يؤمنون به إجمالاً وإن لم يرسخوا في العلم قال تعالى في أول سورة البقرة: ﴿

¹ ينظر: التحرير والتنوير (3/ 164/166) -بتصرف-.

² صحيح البخاري (6/ 33) برقم: 4547؛ صحيح مسلم (4/ 2053) برقم: 2665.

الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿البقرة: 1-4﴾ ثم وصفهم آخر سورة البقرة: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285].

وبهذا يصبح لفظ التأويل في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ بمعنى التفسير والبيان؛ ومع ذلك لا يبطل القول الثاني أن التأويل بمعنى حَقِيقَةِ الشَّيْءِ.

قال ابن كثير (ت: 774هـ): "وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ فَصَّلَ فِي هَذَا الْمَقَامِ، فَقَالَ: التَّأْوِيلُ يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ مَعْنِيَانِ، أَحَدُهُمَا: التَّأْوِيلُ بِمَعْنَى حَقِيقَةِ الشَّيْءِ، وَمَا يُوْوَلُ أَمْرُهُ إِلَيْهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يُوسُفَ: 100]؛ وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ [الْأَعْرَابِ: 53]، أَي: حَقِيقَتُهُ مَا أُخْبِرُوا بِهِ مِنْ أَمْرِ الْمَعَادِ، فَإِنْ أُرِيدَ بِالتَّأْوِيلِ هَذَا، فَالْوَقْفُ عَلَى الْجَلَالَةِ؛ لِأَنَّ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَكُنْهَهَا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ مُبْتَدَأً وَ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ خَبَرَهُ. وَأَمَّا إِنْ أُرِيدَ بِالتَّأْوِيلِ الْمَعْنَى الْآخَرَ وَهُوَ التَّفْسِيرُ وَالتَّعْبِيرُ وَالبَيَانُ عَنِ الشَّيْءِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يُوسُفَ: 36]، أَي: بِتَفْسِيرِهِ، فَإِنَّ أُرِيدَ بِهِ هَذَا الْمَعْنَى، فَالْوَقْفُ عَلَى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ وَيَفْهَمُونَ مَا خُوطِبُوا بِهِ بِهَذَا الإِعْتِبَارِ، وَإِنْ لَمْ يُحِيطُوا عِلْمًا بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عَلَى كُنْهِ مَا هِيَ عَلَيْهِ".⁽¹⁾

نستخلص من هذا السرد، أن كلمة التأويل في القرآن الكريم رغم ورودها عدت مرات، إلا أن معناها دائر بين مدلولين:

الأول: العاقبة والمرجع والمصير.

الثاني: التفسير والبيان.

وبهذا المعنيين ورد لفظ التأويل، في إطلاقات السنّة وأقوال المتقدمين، فمن السنّة على سبيل

المثال:

¹. تفسير ابن كثير ت سلامة (2/ 11-12).

التأويل في السنة النبوية:

عن أبي سعيد الخدري يقول قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليّ ، وعليهم قمص ، منها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، ومررت عليّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجزؤه » ، قالوا ما أولت يا رسول الله قال: « الدين » . متفق عليه⁽¹⁾.

1 - عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: « بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب ، فأهمني شأنهما ، فأوحى إليّ في المنام أن انفخهما ، فنفختهما فطارا فأولتتهما كذابين يخرجان بعدي » . متفق عليه⁽²⁾ . والمراد بالتأويل في الحديثين: تعبير الرؤيا.

2 - وعن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: " كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي " يتأول القرآن . متفق عليه⁽³⁾؛ قال النووي (ت: 676هـ): " معنى يتأول القرآن يعمل ما أمر به في قول الله عز وجل : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: 3]"⁽⁴⁾ . وقال ابن رجب (ت: 795هـ): " أنه يتأول القرآن، والمراد: أنه يمثل ما أمره الله به بقوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: 3] ، فتأويل القرآن، تارة يراد به تفسير معناه بالقول، وتارة يراد به امتثال أوامره بالفعل"⁽⁵⁾.

3 - وعن ابن عباس يقول وضع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يده بين كتفي أو قال على منكبي فقال: « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل »⁽⁶⁾.

¹ ينظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان؛ محمد فؤاد بن عبد الباقي (ت: 1388هـ)؛ الناشر: دار إحياء الكتب العربية -

محمد الحلبي (بدون طبعة وبدون تاريخ). (3/ 126) برقم: 1545.

² اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (3/ 83)، برقم: 1466.

³ نفس المرجع (1/ 99) برقم: 275.

⁴ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج؛ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت؛ ط: الثانية، 1392هـ. (4/ 201).

⁵ فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، الحلبي (ت: 795هـ)؛ تحقيق: مجموعة من العلماء؛ الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية؛ ط: الأولى، 1417 هـ - 1996 م. (7/ 272).

⁶ مسند إسحاق بن راهويه (4/ 230) برقم: 2038؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (2/ 846) برقم: 1560؛ مسند أحمد ط الرسالة (4/ 225) برقم: 2397؛ مسند الحارث (2/ 917) برقم: 1006.

قال ابن أبي نصر الحميدي (ت: 488هـ): " والتأويل: التفسير " (1).

وقال أبو العباس القسطلاني (ت: 923هـ) في شرحه دعاء النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لابن عباس بالتأويل: " وقد تحققت إجابته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقد كان ابن عباس بحر العلم وحبر الأمة ورئيس المفسرين وترجمان القرآن " (2).
وبهذا اشتهر بأنه رئيس المفسرين، وقد أطلق عليه أصحابه هذا اللقب مما يؤكد أن المراد بالتأويل: التفسير.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: " قَدْ كُنْتُ أَقُولُ مَا يُعْجِبُنِي جِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، فَلَا أَلَا نَ عِلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ أُوتِيَ فِي الْقُرْآنِ عِلْمًا " (3) وَكَانَ يَثْوُلُ عَنْهُ: " كَانَ يَقُومُ عَلَى مَنَبْرِنَا هَذَا فَيَقْرَأُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ يُفَسِّرُهُمَا آيَةً آيَةً " (4).
وَعَنْ شَقِيقٍ قَالَ: " خَطَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهُوَ عَلَى الْمَوْسِمِ، فَافْتَتَحَ سُورَةَ النُّورِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَيُفَسِّرُ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: مَا رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ كَلَامَ رَجُلٍ مِثْلَهُ، لَوْ سَمِعْتُهُ فَارِسٌ وَالرُّومُ لَأَسْلَمْتُ " (5).

¹ تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم؛ محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأردني الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت: 488هـ)؛ المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز؛ الناشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر؛ ط: الأولى: 1415 - 1995م. (ص: 154).

² إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري؛ أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: 923هـ)؛ الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر؛ ط: السابعة، 1323 هـ. (1/17).

³ ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم؛ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)؛ المحقق: أسعد محمد الطيب؛ الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية؛ ط: الثالثة - 1419 هـ. (8/2450) برقم: 13639؛ تفسير ابن كثير ط العلمية (5/297).

⁴ ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: 430هـ)، ط: دار الكتب العلمية - بيروت ط: 1409هـ. (1/318).

⁵ المستدرک علی الصحیحین؛ أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: 405هـ)؛ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا؛ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط: الأولى، 1411 - 1990م. (3/618)، برقم: 6290.

وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: "كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَدْ فَاتَ النَّاسَ بِخِصَالٍ: يَعْلَمُ مَا سُبِقَ إِلَيْهِ، وَفَقِهِ فِيمَا احتيج إِلَيْهِ، وَحِلْمٍ وَنَسَبٍ وَنَائِلٍ، وَلَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِمَا سَبَقَهُ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا بِقَضَاءِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ - مِنْهُ، وَلَا أَعْلَمَ بِشَعْرٍ مِنْهُ، وَلَا أَعْلَمَ بِعَرَبِيَّةٍ، وَلَا بِتَفْسِيرٍ".⁽¹⁾

ولقد ورد أثر عن ابن مسعود في لفظ التأويل يفيد تارة المعنى الأول ، وتارة المعنى الثاني، فقد روى الطبري بسنده عن أبي العالية، عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 105]؛ قال: "كَانُوا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ جُلُوسًا، فَكَانَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ، حَتَّى قَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَاءِ عَبْدِ اللَّهِ: أَلَا أَقُومُ فَأَمْرُهُمَا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَقَالَ آخَرُ إِلَى جَنْبِهِ: عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: 105] ، قَالَ: فَسَمِعَهَا ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: «مَهْ، لَمْ يَجِئْ تَأْوِيلُ هَذِهِ بَعْدُ، إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ حَيْثُ أَنْزَلَ وَمِنْهُ آيٌ قَدْ مَضَى تَأْوِيلُهَا قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ، وَمِنْهُ مَا وَقَعَ تَأْوِيلُهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْهُ آيٌ قَدْ وَقَعَ تَأْوِيلُهَا بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَسِيرٍ، وَمِنْهُ آيٌ يَقَعُ تَأْوِيلُهَا بَعْدَ الْيَوْمِ، وَمِنْهُ آيٌ يَقَعُ تَأْوِيلُهَا عِنْدَ السَّاعَةِ عَلَى مَا ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ السَّاعَةِ، وَمِنْهُ آيٌ يَقَعُ تَأْوِيلُهَا يَوْمَ الْحِسَابِ عَلَى مَا ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ الْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَمَا دَامَتْ قُلُوبُكُمْ وَاحِدَةً، وَأَهْوَاؤُكُمْ وَاحِدَةً، وَلَمْ تَلْبَسُوا شَيْعًا، وَلَمْ يَذُقْ بَعْضُكُمْ بِأَسَ بَعْضٍ، فَأَمْرُوا وَأَنْهَوْا، فَإِذَا اخْتَلَفَتِ الْقُلُوبُ وَالْأَهْوَاءُ، وَالْبِسْتُمْ شَيْعًا، وَذَاقَ بَعْضُكُمْ بِأَسَ بَعْضٍ، فَأَمْرُوا وَنَفْسُهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ جَاءَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ".⁽²⁾

وعن محكول: " أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ عَنِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ فَقَالَ: " إِنَّ تَأْوِيلَ هَذِهِ الْآيَةِ لَمْ يَجِئْ".⁽³⁾

¹ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قاتم الزاهدي (ت: 748هـ)؛ المحقق: الدكتور بشار عواد معروف؛ الناشر: دار الغرب الإسلامي؛ ط: الأولى، 2003 م. (2/ 663)؛ شرح الشريب في شرح التقريب؛ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت: 806هـ)؛ الناشر: المطبعة المصرية القديمة. (1/ 69).

² تفسير الطبري جامع البيان ت شاكر (11/ 143) برقم: 12859.

³ تفسير ابن أبي حاتم (4/ 1227) برقم: 6923.

ويستخلص مما سبق أن الصحابة يطلقون التأويل ويريدون به التفسير، وقد يريدون به حقيقة ما يؤول إليه الكلام؛ وبالتالي مفهوم التأويل في اصطلاح المتقدمين يدور على معنيين: قال أبو جعفر: "وَأَمَّا مَعْنَى التَّأْوِيلِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَإِنَّهُ التَّفْسِيرُ وَالْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ".⁽¹⁾ وهذا يعني تأويل الكلام هو الرجوع به إلى مراد المتكلم، وهو على قسمين: الأول: بيان مراد المتكلم، وهذا هو التفسير.

الثاني: الموجود الذي يؤول إليه الكلام، أي ظهور المتكلم به إلى الواقع المحسوس. فإن كان خبراً، كان تأويله وقوع المخبر به؛ كمن يقول: جاء محمدٌ، فتأويل هذا الكلام مجيء محمد بن نفسه. وإذا كان طلباً (أي: أمراً أو نهيًا)، كان تأويله أن يفعل هذا الطلب.

قال الفخر الرازي (ت: 606هـ): "فَاعْلَمْ أَنَّ التَّأْوِيلَ هُوَ التَّفْسِيرُ وَأَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ، مِنْ قَوْلِكَ آلَ الْأَمْرِ إِلَى كَذَا إِذَا صَارَ إِلَيْهِ، وَأَوَّلُهُ تَأْوِيلًا إِذَا صَيَّرْتَهُ إِلَيْهِ، هَذَا مَعْنَى التَّأْوِيلِ فِي اللُّغَةِ، ثُمَّ يُسَمَّى التَّفْسِيرُ تَأْوِيلًا".⁽²⁾ وهذان المعنيان هما الواردان في القرآن والسنة وكلام السلف وأهل اللغة.

معنى التأويل في اصطلاح المتأخرين: اختلفت تعريفات المتأخرين لمصطلح التأويل.

قال ابن حزم (ت: 456هـ): "التأويل نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر فإن كان نقله قد صح ببرهان وكان ناقله واجب الطاعة فهو حق وإن كان نقله بخلاف ذلك اطرح ولم يلتفت إليه وحكم لذلك النقل بأنه باطل".⁽³⁾

وقال أبو الوليد الباجي (ت: 474): "التأويل: صرف الكلام عن ظاهره إلى وجه يحتمله... ويسمي أهل الجدل ذلك الصرف تأويلاً".⁽⁴⁾

¹ تفسير الطبري جامع البيان ت شاکر (6/ 204).

² مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). (7/ 145).

³ الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (1/ 42).

⁴ الحدود في الأصول؛ أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت: 474 هـ)؛ ت: د. نزيه حماد؛ الناشر: مؤسسة محمد عفيف الزعبي؛ ط الأولى: 1392هـ-1973م. (ص48).

وقال أبو المعالي الجويني (ت: 478هـ): "التأويل رد الظاهر إلى ما إليه ماله في دعوى المؤلف".⁽¹⁾

وقال أبو المظفر السمعاني (ت: 489هـ): "وذكر أن التأويل هو رد الظاهر إلى الله تعالى في دعوى المسئول وذكر أن الذي يطرق إليه التأويل وهو الظاهر قال وظهوره أن يكون اللفظ في معناه مظنوناً غير مقطوع وأما النصوص فلا يتطرق إليها".⁽²⁾

وقال أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ): "التأويل عبارة عن احتمال يُعَصِّدُهُ دَلِيلٌ يَصِيرُ بِهِ أَغْلَبَ عَلَى الظَّنِّ مِنَ الْمَعْنَى الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الظَّاهِرُ".⁽³⁾

وقال أبو شجاع ابن الدَّهَّان (ت: 592هـ): "التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الرَّاجِحِ إِلَى الاحتمال المَرْجُوحِ لاعتضاده بِدَلِيلٍ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنْ مُرَادَ الْمُخَاطَبِ مِنْ كَلَامِهِ ذَلِكَ الاحتمال، لَا الاحتمال الظَّاهِرِ، ثُمَّ الاحتمال قد يكون في غاية البعد فيفتقر إلى دليل يُؤَيِّدُهُ فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ قَرِيباً فَيَكْفِي مَعَهُ الدَّلِيلُ الْقَرِيبُ".⁽⁴⁾

وقال أبو الفرج ابن الجوزي (ت: 597هـ): "التأويل: العُدُولُ عَنِ ظَاهِرِ اللَّفْظِ إِلَى مَعْنَى لَا يَفْتَضِيهِ، لِدَلِيلٍ دَلَّ عَلَيْهِ".⁽⁵⁾

¹ البرهان في أصول الفقه؛ عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، (ت: 478هـ)؛ ت: صلاح بن محمد بن عويضة؛ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان؛ ط: الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997 م. (1/193).

² قواطع الأدلة في الأصول؛ أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: 489هـ)؛ ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي؛ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان؛ ط: الأولى: 1418هـ-1999م. (1/409).

³ المستصفي؛ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)؛ ت: محمد عبد السلام عبد الشافي؛ الناشر: دار الكتب العلمية؛ ط: الأولى، 1413هـ - 1993م. (ص: 196).

⁴ تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة، ونبد مذهبية نافعة؛ محمد بن علي بن شعيب، أبو شجاع، فخر الدين، ابن الدَّهَّان (ت: 592هـ)؛ ت: د. صالح بن ناصر بن صالح الخزيم؛ الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض؛ ط: الأولى، 1422هـ - 2001م. (1/94).

⁵ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)؛ ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي؛ الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت؛ ط: الأولى، 1404هـ - 1984م. (ص: 216).

وقال الفخر الرازي (ت: 606هـ): " والتأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي دل عليه الظاهر".⁽¹⁾

وقال ابن قدامة المقدسي (ت: 620هـ) التأويل: " صرف اللفظ عن الاحتمال الظاهر إلى احتمال مرجوح به لاعتضاده بدليل يصير به، أغلب على الظن من المعنى الذي دل عليه الظاهر".⁽²⁾

قال أبو الحسن الأمدي (ت: 631هـ): " أَمَّا التَّأْوِيلُ مِنْ حَيْثُ هُوَ تَأْوِيلٌ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الصَّحَّةِ وَالْبُطْلَانِ، هُوَ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى غَيْرِ مَدْلُولِهِ الظَّاهِرِ مِنْهُ، مَعَ احْتِمَالِهِ لَهُ. وَأَمَّا التَّأْوِيلُ الْمَقْبُولُ الصَّحِيحُ فَهُوَ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى غَيْرِ مَدْلُولِهِ الظَّاهِرِ مِنْهُ مَعَ احْتِمَالِهِ لَهُ بِدَلِيلٍ يُعَضِّدُهُ".⁽³⁾ وقال الزركشي (ت: 794هـ) التأويل: " صَرَفُ الْكَلَامِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى مَعْنَى يَحْتَمِلُهُ، ثُمَّ إِنْ جُمِلَ لِلدَّلِيلِ فَصَحِيحٌ، وَحِينَئِذٍ فَيَصِيرُ الْمَرْجُوحُ فِي نَفْسِهِ رَاجِحًا لِلدَّلِيلِ، أَوْ لِمَا يُظَنُّ دَلِيلًا فَفَاسِدٌ، أَوْ لَا لِشَيْءٍ فَلَعِبٌ".⁽⁴⁾ قال محمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ) التأويل في الاصطلاح: " حَمْلُ الظَّاهِرِ عَلَى الْمُحْتَمَلِ الْمَرْجُوحِ. وَهَذَا يَتَنَاوَلُ التَّأْوِيلَ الصَّحِيحَ وَالْفَاسِدَ، فَإِنْ أَرَدْتَ تَعْرِيفَ التَّأْوِيلِ الصَّحِيحِ زِدْتَ فِي الْحَدِّ: بِدَلِيلٍ يُصَيِّرُهُ رَاجِحًا؛ لِأَنَّهُ بِلَا دَلِيلٍ، أَوْ مَعَ دَلِيلٍ مَرْجُوحٍ، أَوْ مَسَاوٍ فَاسِدٌ".⁽⁵⁾ نلاحظ مما سبق من تعريفات المتأخرين ما يأتي: اتفقوا على أن التأويل صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله.

¹ المحصول للرازي. (3/ 153).

² روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل؛ أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: 620هـ)؛ الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع؛ ط الثانية: 1423هـ-2002م. (1/ 508).

³ الإحكام في أصول الأحكام؛ أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (ت: 631هـ)؛ ت: عبد الرزاق عفيفي؛ الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق-. (3/ 53).

⁴ البحر المحيط في أصول الفقه؛ بدر الدين الزركشي (ت: 794هـ). (5/ 37).

⁵ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول؛ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)؛ المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية؛ الناشر: دار الكتاب العربي؛ ط: الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م. (2/ 32).

- أن جلّ المعرفين لهذا المصطلح من أهل الأصول، والنظر والجدل، وهذا ما أقر به أبو الوليد الباجي (ت: 474)، في قوله: "ويسمي أهل الجدل ذلك الصرف تأويلاً".⁽¹⁾
- أن بعض المعرفين لهذا المصطلح أطلق التأويل على كل صرف للمعنى دون تقييد، وبعضهم قيده بقرينة.
- أن الذين قيّدوا التأويل بصرف الظاهر بقرينة أو دليل، اختلفوا في ماهيته، وما هي القرينة المعتبرة؟ هل هي شرعية أم عقلية.
- أن معظم المعرفين لهذا المصطلح، أدرك أن التأويل إن لم يكن بقرينة فهو تأويل باطل، والبعض لم يعتبره تأويلاً أصلاً.
- أن هذا المصطلح لم يكن في عرف المتقدمين من أهل اللغة، وأهل الشرع.
- إن قانون هذا المصطلح غير منضبط، وقد حدث بسببه اختلاف عريض، وخاصة في مجال الاعتقاد.

✓ قانون التأويل.

- نقصد بقانون التأويل هو هل هناك ضابط مطرد بين المتأولين؟ حتى نضبط مسائل التأويل ولا يكون الخلاف في تأويل النصوص الظاهرة.
- إن التأويل قد يُضبط إذا كانت القرينة شرعية أو لغوية، أما إذا كانت عقلية فالعقول تختلف وتضطرب، وهذا يفسر العقائد المختلفة، حيث نجد أن ابن حزم (ت: 456هـ) يعتبر القرينة شرعية بقوله: "... إلى معنى آخر فإن كان نقله قد صح ببرهان وكان ناقله واجب الطاعة فهو حق وإن كان نقله بخلاف ذلك اطرح ولم يلتفت إليه وحكم لذلك النقل بأنه باطل".⁽²⁾
- قال ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ): "وبالجمله فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنّة ويطابقها هو التأويل الصحيح والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنّة هو التأويل الفاسد".⁽³⁾

¹ الحدود في الأصول؛ (ص48).

² الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (1/42).

³ الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية والمعتلة؛ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)؛ ت: علي بن محمد الدخيل الله؛ الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية؛ ط: الأولى، 1408هـ. (1/187).

وفي المقابل نجد الفخر الرازي (ت : 606هـ) يدافع عن القرينة العقلية فيقول: " فَثَبَّتْ بِمَا دَكَّرْنَاهُ أَنَّ صَرْفَ اللَّفْظِ عَنْ مَعْنَاهُ الرَّاجِحُ إِلَى مَعْنَاهُ الْمَرْجُوحِ فِي الْمَسَائِلِ الْقَطْعِيَّةِ لَا يَجُوزُ إِلَّا عِنْدَ قِيَامِ الدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ الْعَقْلِيِّ عَلَى أَنَّ مَا أَشْعَرَ بِهِ ظَاهِرُ اللَّفْظِ مُحَالٌ، وَقَدْ عَلِمْنَا فِي الْجُمْلَةِ أَنَّ اسْتِعْمَالَ اللَّفْظِ فِي مَعْنَاهُ الْمَرْجُوحِ جَائِزٌ عِنْدَ تَعَدُّرِ حَمَلِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ، فَعِنْدَ هَذَا يَتَعَيَّنُ التَّأْوِيلُ، فَظَهَرَ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى صَرْفِ اللَّفْظِ عَنْ مَعْنَاهُ الرَّاجِحِ إِلَى مَعْنَاهُ الْمَرْجُوحِ إِلَّا بِوَاسِطَةِ إِقَامَةِ الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ الْقَاطِعَةِ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ الرَّاجِحُ مُحَالٌ عَقْلًا".⁽¹⁾

ثم ما هو ضابط العقل عند الفخر الرازي؟ وخاصة إذا علمنا أن المعتزلة صرفت ظواهر النصوص بحجة العقل أيضاً.

قال الأخفش الأوسط (ت: 215هـ) في قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 23]: " يعني - والله أعلم - بالنظر إلى الله إلى ما يأتيهم من نعمه ورضقه ، وقد تقول: "والله ما أنظرُ إلا إلى الله وإليك" أي: انتظر ما عند الله وما عندك ".⁽²⁾ وهذا التأويل رده أبو منصور الأزهري (ت: 370) فقال: "ومن قال: إنَّ معني قوله: إلى ربها ناظرة بمعنى مُنْتَظِرَةٌ، فقد أخطأ لأن العرب لا تقول: نظرتُ إلى الشيء بمعنى انتظرته، إنما تقول: نظرتُ فلانا أي انتظرته ومنه قول الحطيئة⁽³⁾:
وقد نظرتكم أبناء صَادِرَةٌ
لِلوَرْدِ طَالِ بِهَا حَوْزِي وَتَنَسَّاسِي⁽⁴⁾
فإذا قلت: نظرتُ إليه لم يكن إلا بالعين، وإذا قلت: نظرتُ في الأمر احتمل أن يكون تفكراً، وتَدَبُّراً بِالْقَلْبِ".⁽⁵⁾

¹ مفاتيح الغيب. (7/ 140).

² معاني القرآن؛ أبو الحسن الماشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: 215هـ)؛ ت: الدكتور هدى محمود قراة؛ الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة؛ ط: الأولى، 1411 هـ - 1990 م. (2/ 558).

³ الحطيئة (ت45هـ) هو: جرول بن أوس، من بني قطيعة بن عبس، ولقب الحطيئة لقصره وقربه من الأرض ؛ ويكنى أبا مليكة، وكان رواية زهير. وهو جاهلي إسلامي (مخضرم). ينظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري (1/ 310).

⁴ البيت في ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن السكيت (246هـ)، دراسة د، مفيد محمد قميحة، ط: دار الكتب العلمية، ط: الأولى: 1413هـ-1993م. (ص118).

⁵ تهذيب اللغة (14/ 266).

قال ابن تيمية الحراني (ت: 728هـ): " وكان السلف ينكرون التأويلات التي تخرج الكلام عن مراد الله ورسوله التي هي من نوع تحريف الكلم عن مواضعه فكانوا ينكرون التأويل الباطل الذي هو التفسير الباطل كما ننكر قول من فسر كلام المتكلم بخلاف مراده".⁽¹⁾

ولهذا نجد ابن جرير الطبري (310هـ) يدافع عن مسألة الظاهر في القرآن الكريم، بل يرجح بها عند الاختلاف، ومن أقواله في ذلك: " وَغَيْرُ جَائِزٍ تَرَكُ الظَّاهِرِ المَفْهُومَ مِنَ الكَلَامِ إِلَى باطنٍ لَا دَلَالَةَ عَلَى صِحَّتِهِ "⁽²⁾ وقال: " وَتَأْوِيلُ القُرْآنِ عَلَى المَفْهُومِ الظَّاهِرِ الخِطَابِ دُونَ الخَفِيِّ البَاطِنِ مِنْهُ، حَتَّى تَأْتِيَ دَلَالَةٌ مِنَ الوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ بِمَعْنَى خِلَافِ دَلِيلِهِ الظَّاهِرِ المُتَعَارَفِ فِي أَهْلِ اللِّسَانِ الَّذِينَ يَلْسَانُهُمْ نَزَلَ القُرْآنُ، أَوَّلَى ".⁽³⁾ ؛ وقال: " ولا يجوز أن يُحْمَلَ تَأْوِيلُ القُرْآنِ إِلَّا عَلَى الأَظْهَرِ الأَكْثَرِ مِنَ الكَلَامِ المُسْتَعْمَلِ فِي اللِّسَانِ العَرَبِ، دُونَ الأَقْلِّ مَا وُجِدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ، وَمَنْ يَضْطَرُّنَا حَاجَةً إِلَى صَرْفِ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، فَيَحْتَاجُ لَهُ إِلَى طَلَبِ المَخْرَجِ بِالخَفِيِّ مِنَ الكَلَامِ وَالْمَعَانِي. " ⁽⁴⁾

وقال أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ) وهو بصدد رد تأويلات الباطنية: " وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح، وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة، لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كدأب الباطنية في التأويلات فهذا أيضاً حرام وضرره عظيم، فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم".⁽⁵⁾

إذاً الأصل في نصوص الكتاب والسنة أن تفهم على ظواهرها، وعلى ما فهمته العرب، وإلا كما قال أبو حامد الغزالي: " اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم". اهـ وأصبحت التصوص معرضة لتحريف والإلحاد.

¹ الصفدية؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)؛ ت: محمد رشاد سالم؛ الناشر: مكتبة ابن تيمية، مصر؛ ط الثانية: 1406هـ. (1/ 291).

² تفسير الطبري (1/ 15).

³ نفس المرجع (2/ 457).

⁴ نفس المرجع (6/ 365).

⁵ إحياء علوم الدين؛ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)؛ الناشر: دار المعرفة - بيروت. (1/ 37).

قال نجم الدين التسنفي (537هـ) في عقيدته المسماة: عقائد التسنفي: "التصوُّص على ظواهرها والعدول عنها إلى معانٍ يدعيها أهل الباطن إلحاد وكفر، ورد التصوُّص كفر".⁽¹⁾

وكلام أبو حامد السابق وجيه، لولا قوله: "ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل" لأن خصومنا من أهل الإسلام قد يستدلون بقانون التأويل في ليِّ أعناق النصوص، حتى يكون لهم سبيل للإبطال الشرائع، بحجّة العقل، وقد تفتن لهذا السبيل الباطل ابن عطية الأندلسي (ت: 542هـ) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 8]، فقال: "واختلف الناس في معنى الوزن والموازن فقالت فرقة: إن الله عز وجل أراد أن يعلم عباده أن الحساب والنظر يوم القيامة هو في غاية التحرير ونهاية العدل فمثل لهم في ذلك بالوزن والميزان إذ لا يعرف البشر أمراً أكثر تحريماً منه، فاستعير للعدل وتحرير النظر لفظة الوزن والميزان كما استعار ذلك أبو طالب⁽²⁾ في قوله:

بمِيزَانٍ قَسِطٍ لَا يُخْسُ شَعِيرَةً ***** لَهُ حَاكِمٌ مِّنْ نَّفْسِهِ غَيْرَ عَائِلٍ (3).

قال القاضي أبو محمد: وهذا القول أصح من الأول من جهات، أولها أن ظواهر كتاب الله عز وجل تقتضيه وحديث الرسول عليه السلام ينطق به، من ذلك: قوله لبعض الصحابة وقد قال له يا رسول الله أين أجرك في القيامة؟ فقال «اطلبي عند الحوض فإن لم تجدي فعند الميزان»⁽⁴⁾، ولو لم

¹ كتاب ثمانية متون في العقيدة والتوحيد؛ السلسلة العربية - الكتاب 23؛ ط: مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي المملكة الأردنية الهاشمية؛ ط: 2013. (ص 58)؛ شرح العقائد، مع جمع الفرائد بإدارة شرح العقائد، وفي آخره ميزان العقائد مع شرحه؛ ط: مكتبة المدينة - كراتشي باكستان؛ ط: الثانية: 1433هـ - 2012م. (ص 349).

² أبو طالب (3ق هـ) هو: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش، أبو طالب. والد الإمام علي كرم - رضي الله عنه -، وعم النبي - صلى الله عليه وسلم - وكافله ومريه ومناصره، كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء الأباة. وكان أبو طالب شاعراً جيد الكلام أبرع ما قال قصيدته التي صحَّ فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأبيض يستسقى العمام بوجهه ... ربيع اليتامى عصمة للأرامل. ينظر: طبقات فحول الشعراء (1/ 244) - بتصرف -.

³ ورد البيت بلفظ: بِمِيزَانٍ قَسِطٍ لَا يُخْسُ شَعِيرَةً ... وَوَازِنٍ صِدْقٍ وَزَنُهُ غَيْرُ عَائِلٍ. عند كل من تفسير الطبري (7/ 550)، تفسير ابن المنذر (2/ 557)، تفسير الماوردي النكت والعيون (1/ 450)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (2/ 430)؛ وورد في دوانه المطبوع، بلفظ: : بِمِيزَانٍ قَسِطٍ لَا يُخْسُ شَعِيرَةً ... له شاهدٌ من نفسه حقٌ عادل. ينظر ديوان أبي طالب، جمعه وشرحه، د محمد التونجي، ط: دار الكتاب العربي، ط: الأولى: 1414هـ - 1994م. ص 69.

⁴ أورده ابن عطية بالمعنى مختصراً، ورواه أحمد في مسنده برقم: 12825 الترمذي في سننه برقم: 2433، عن أنس قال: سَأَلْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: قَالَ: «أَنَا فَاعِلٌ» قَالَ: فَأَيَّنَ أَطْلُبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ:

يكن الميزان مرثيا محسوسا لما أحاله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطلب عنده، وجهة أخرى أن النظر في الميزان والوزن والثقل والخفة المقترنات بالحساب لا يفسد شيء منه ولا تختل صحته، وإذا كان الأمر كذلك فلم نخرج من حقيقة اللفظ إلى مجازه دون علة؟ وجهة ثالثة وهي أن القول في الميزان هو من عقائد الشرع الذي لم يعرف إلا سمعا، وإن فتحنا فيه باب المجاز غمرتنا أقوال الملحدة والزنادقة في أن الميزان والصراط والجنة والنار والحشر ونحو ذلك إنما هي ألفاظ يراد بها غير الظاهر".⁽¹⁾

ونجد الفخر الرازي (ت: 606هـ) يقرر حقيقة ما توصل إليه ابن عطية الأندلسي (ت: 542هـ) فقال وهو بصدد الاعتراض على الزمخشري في المبالغة في علم البيان فقال: "وأعلم أن صاحب «الكشاف» أورد هذا التأويل في معرض آخر، فقال: الكشف عن الساق مثل في شدة الأمر... ثم أخذ يعظم علم البيان ويقول لؤلاه: لما وقفنا على هذه الأسرار وأقول: إما أن يدعي أنه صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل، أو يقول: إنه لا يجوز ذلك إلا بعد امتناع حمله على الحقيقة، والأول باطل بإجماع المسلمين، ولأننا إن جوزنا ذلك انفتحت أبواب تأويلات الفلاسفة في أمر المعاد فإنهم يقولون في قوله: ﴿جَنَّاتٍ بَحْرِ مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 25]، ليس هناك لا أنهار ولا أشجار، وإنما هو مثل للذة والسعادة، ويقولون في قوله: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: 77]، ليس هناك لا سُجُودٌ وَلَا رُكُوعٌ وَإِنَّمَا هُوَ مَثَلٌ لِلتَّعْظِيمِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ يُفْضِي إِلَى رَفْعِ الشَّرَائِعِ وَفَسَادِ الدِّينِ، وَأَمَّا إِنْ قَالَ: بَأَنَّهُ لَا يُصَارُ إِلَى هَذَا التَّأْوِيلِ إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ كُلُّ أَحَدٍ مِّنَ الْمُتَكَلِّمِينَ إِلَّا قَالَ بِهِ وَعَوَّلَ عَلَيْهِ..."⁽²⁾

إن التأويل بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره، بحجة خلاف العقل، غير منضبط، وخاصة في الأمور الغيبية، وهذا رجل في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- استشكل بعقله قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 34]؛ فعن قتادة، قال: "حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

«اطَّلَبْنِي أَوَّلَ مَا تَطَّلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ» قَالَ: قُلْتُ: فَإِذَا لَمْ أَلْفِكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «فَأَنَا عِنْدَ الْمِيزَانِ» قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْفِكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: «فَأَنَا عِنْدَ الْحَوْضِ، لَا أُحْطِي هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: 2630.

¹ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/375).

² تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (30/613).

قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَي رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَادِرًا عَلَي أَنْ يُمَشِيَهُ عَلَي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ فَتَادَهُ: بَلَى، وَعِزَّةٌ رَبَّنَا. متفق عليه.⁽¹⁾

فالمشي على الوجه، خلاف المعقول، ومع ذلك لم يؤوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن ظاهره، بل وَكَّلَ ذلك إلى قدرة الله عز وجل.

ومثل هذه الاستشكالات العقلية لنصوص الشرعية، أصبحت ضرباً للطاعنين والمشككين في القرآن الكريم، ولقد تصدى لها ابن قتيبة (ت: 276هـ) في كتابه "تأويل مشكل القرآن".

ومهما يكن فإن تعريف مصطلح التأويل عند المتأخرين، يعتبر مصطلحاً دخيلاً على اللغة،

بحيث لم يرد بهذا المفهوم في القرون الأولى، لا في عرف اللغة ولا في عرف الشرع كما مضى، ومع هذا يمكن الإقرار به لكن بشرط عدم مخالفة اللغة والشرع، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: 49]، فإن قلنا هذا الخطاب لا يراد حقيقة ظاهره وسمينا ذلك تأويلاً، بمفهوم المتأخرين بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره، وبالطبع بقريته، وهذه القرينة واضحة وهي السياق أي من خلال السابق واللاحق، فهذا لا يختلف فيه اثنان مهما تغيرت المصطلحات، لأن الأسلوب واضح عند العرب وهو أسلوب تحكم واستهزاء.

قال السَّعْمِينِ الحَلْبِيِّ (ت: 756هـ) في أسلوب هذه الآية: وهذا الكلام على سبيل التهكم، وهو أَعْيِظُ لِلْمُسْتَهْزَأِ بِهِ، ومثله قول جرير⁽²⁾ لشاعرٍ سَمَّى نفسه زهرةً اليمين:

أَلَمْ يَكُنْ فِي وُسُومٍ قَدْ وَسَمْتُ بِهَا **** مَن كَانَ مَوْعِظَةً يَا زَهْرَةَ الْيَمِينِ (3).

وكان هذا الشاعر قد قال:

أَبْلُغْ كُلِّيًّا وَأَبْلُغْ عَنْكَ شَاعِرَهَا **** أَيُّ الْأَعْرُ وَأَيُّ زَهْرَةَ الْيَمِينِ (4).

¹ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (3/ 282) برقم: 1789.

² جرير (110هـ) هو: جرير بن عَطِيَّةَ بن الخطفي وأسم الخطفي حُدَيْقَةَ بن بدر ابن سلمة بن عَوْف بن كُليب بن يَزُوع ، ينظر: طبقات فحول الشعراء (2/ 297).

³ ورد البيت في ديوانه بلفظ: مَن حَانَ، مَوْعِظَةٌ، يا حَارِثَ الْيَمِينِ **** لم يكن في وُسُومٍ قَدْ وَسَمْتُ بِهَا. ينظر: ديوان جرير، ط: دار بيروت للطباعة، ط: 1406هـ-1986م. (ص 467)

⁴ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون؛ أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسَّمِينِ الحَلْبِيِّ (ت: 756هـ)؛ ت: الدكتور أحمد محمد الخراط؛ الناشر: دار القلم، دمشق. (9/ 629).

فبمجرد السياق، يفهم أن ألفاظ المدح في قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿﴾ أنها غير مراد منها حقيقتها، لأنها وردة في حق الكفار، وهذا دليله من السياق؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ (43) طَعَامُ الْأَثِيمِ (44) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (45) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (46) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (48) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (49) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان: 43 - 50].

وهذا التأويل الذي يكون بدليل شرعي كالسياق مثلاً، هو المعتبر في تعريف التأويل عند ابن حزم (ت: 456هـ)، وغيره.

يقول ابن تيمية الحراني (ت: 728هـ): " وَيَجُوزُ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ تُفَسَّرَ إِحْدَى الْآيَتَيْنِ بِظَاهِرِ الْأُخْرَى وَيُصْرَفَ الْكَلَامُ عَنْ ظَاهِرِهِ؛ إِذْ لَا مَحْذُورَ فِي ذَلِكَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَإِنْ سُمِّيَ تَأْوِيلًا وَصَرَفًا عَنْ الظَّاهِرِ فَذَلِكَ لِدَلَالَةِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ وَلِمُؤَافَقَةِ السُّنَّةِ وَالسَّلَفِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ؛ لَيْسَ تَفْسِيرًا لَهُ بِالرَّأْيِ ، وَالْمَحْذُورُ إِنَّمَا هُوَ صَرَفُ الْقُرْآنِ عَنْ فَحْوَاهُ بِغَيْرِ دَلَالَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالسَّابِقِينَ كَمَا تَقَدَّمَ" (1).

والمحذور في التأويل هو التأويل الفاسد، و الأخرى أن يسمى تحريفاً، وأهل النظر استعملوه في ظواهر نصوص الصفات، فوقع الاختلاف المعروف في عقائد المسلمين، بحجج العقل؛ قال ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ): " نحن لا ننكر التأويل بل حقيقة العلم هو التأويل والراسخون في العلم هم أهل التأويل ولكن أي التأويلين؟ فنحن أسعد بتأويل التفسير من غيرنا، وغيرنا أشقى بتأويل التحريف منا. والله الموفق للصواب" (2).

وفي مثل هذه الاختلافات، لا بد من الاحتكام إلى عرف الشرع واللغة، لكن لما نجد أن بعض أهل اللغة يحتكم إلى العقل ليوافق به نخلته، فمن الطبيعي أن تنشأ مثل هذه الاختلافات التي قد لا نجد لها تقارب، لأن المناهج تختلف أصلاً، فهذا الشَّريف المرْتَضَى (ت: 436هـ) من المعتزلة وهو من لغويي القرن الخامس يقول بصريح العبارة: "فكل ما ورد في القرآن مما له ظاهر ينافي

¹ مجموع الفتاوى؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)؛ ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم؛ الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية؛ ط: 1416هـ/1995م. (21/6).

² الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعطلة (1/219).

العصمة، ويقتضي وقوع الخطأ منهم، فلا بد من صرف الكلام عن ظاهره، وحمله على ما يليق بأدلة العقول؛ لأن الكلام يدخله الحقيقة والمجاز، ويعدل المتكلم به عن ظاهره، وأدلة العقول لا يصح فيها ذلك".⁽¹⁾

فلا اعتماد على العقل في تفسير المفردات الشرعية واللغوية، أمر خطير- في نظري- يفضي إلى تحريف الشريعة واللغة، كلٌّ حسب غرضه ونحلته، ولو بلغ من العلم باللغة ما بلغ، لأنَّ اللغة أصبحت في ميزان العقل، وهذا ما يفسر تناقض بعض أهل اللغة من المعتزلة في تحريف اللغة، حيث قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]؛ أوجد كلاماً سمعه.⁽²⁾ قال ابن قتيبة (ت: 276هـ): "وأن معنى: ﴿كلم الله﴾ أوجد كلاماً و ﴿كلم الله موسى تكلماً﴾ أوجد كلاماً سمعه قال: فخرجوا بهذا التأويل من اللغة والمعقول، لأن معنى تكلم الله أتى بالكلام من عنده".⁽³⁾

تبيّن من خلال هذا السرد أن التأويل عند المتقدمين أسلم وأحكم، وأن التأويل عند المتأخرين محفوف بالخطر والانحراف، وخاصة حينما تكون قرينة صرف اللفظ عن معناه الظاهر، هي قرينة عقلية. بحيث قد تخالف عرف الشرع وعرف اللغة.

✓ الفرق بين التفسير والتأويل.

من خلال تغير مفهوم مصطلح التأويل، وخاصة عند المتأخرين نشأ خلاف في الفروق بين التأويل والتفسير، وزاد الأمر خلافاً في تحديد مفهوم التأويل عند المتأخرين من أصحاب الأصول والنظر، ولهذا تباينت أقوالهم في الفرق بين التأويل والتفسير، وهذا بخلاف المتقدمين حيث لا نجد هذا التباين بهذا التوسع.

¹ أمالي المرتضى؛ للشيخ المرتضى على بن الحسين الموسوي العلوي (ت: 436هـ)؛ ت: محمد أبو الفضل إبراهيم؛ ط: دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)؛ ط الأولى: 1373-1954م. (399/2).

² ينظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار أحمد، تحقيق: د، عبد الكريم عثمان، الناشر: مكتبة وهبة-القاهرة-، ط: 1965م. (ص: 535)؛ تفسير الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (1/ 591).

³ الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)؛ ت: عمر بن محمود أبو عمر؛ الناشر: دار الراية؛ ط: الأولى 1412 هـ - 1991 م. (ص: 38).

- ونجد أن مصطلح التأويل مرادف لتفسير، وقد مر معنا من قبل عند أئمة اللغة ؛ قال أبو عبيدة(209هـ): " التأويل: التفسير".⁽¹⁾ ؛ وقال أبو منصور الأزهرى (370هـ): وأخبرني المُنْذِرِيُّ عَن أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: الْمَعْنَى وَالتَّفْسِيرُ وَالتَّأْوِيلُ وَاحِدٌ.⁽²⁾ ؛ وقال ابن فارس(395هـ) تحت: "باب معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء : ومرجعها إلى ثلاثة وهي: المعنى، والتفسير، والتأويل. وهي وإن اختلفت فإن المقاصد بها متقاربة".⁽³⁾ ؛ ومن أهل التفسير إمام المفسرين أبو جعفر: وأما معنى "التأويل" في كلام العرب، فإنه التفسير والمرجع والمصير.⁽⁴⁾ وهو المصطلح الذي درج في تفسيره المسمى "جامع البيان في تأويل القرآن".

ومن ذكر هذه الفروق بين التأويل والتفسير أبو هلال العسكري (ت: نحو 395هـ) في الفروق اللغوية؛ وجمال الدين السيوطي (ت: 911هـ) في معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم؛ وفي الإلتقان؛ و أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ) في الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، ونستطيع أن نجمل هذه الفروق فيما يلي:

- التَّفْسِيرُ مِنْ بَابِ الْقَطْعِ وَالتَّأْوِيلُ مِنْ بَابِ الْإِحْتِمَالِ.

قَالَ المَاتَرِيْدِيُّ(ت: 333هـ): " التَّفْسِيرُ الْقَطْعُ عَلَى أَنَّ المُرَادَ مِنَ اللَّفْظِ هَذَا، وَالشَّهَادَةُ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ عَنَى بِاللَّفْظِ هَذَا، فَإِنْ قَامَ دَلِيلٌ مَقْطُوعٌ بِهِ فَصَحِيحٌ، وَإِلَّا فَتَفْسِيرٌ بِالرَّأْيِ، وَهُوَ المَنْهِيُّ عَنْهُ، وَالتَّأْوِيلُ تَرْجِيحُ أَحَدِ المُحْتَمَلَاتِ بِدُونِ الْقَطْعِ وَالشَّهَادَةِ عَلَى اللَّهِ".⁽⁵⁾

¹ مجاز القرآن (1/ 86).

² تهذيب اللغة (3/ 135).

³ الصاحبي في فقه اللغة العربية. (ص: 14).

⁴ تفسير الطبري / ت شاکر (6/ 205/206).

⁵ تفسير الماتريدي؛ محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: 333هـ)؛ المحقق: د. مجدي باسلوم؛ ط: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ط: الأولى، 1426 هـ - 2005 م. (مقدمة المحقق: 1/ 185)؛ وينظر: الإلتقان في علوم القرآن؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)؛ ت: محمد أبو الفضل إبراهيم؛ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ الطبعة: 1394هـ/ 1974 م. (4/ 192)؛ وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ شهاب الدين محمود بن

– التفسير يتعلق باللفظ والتأويل يتعلق بالمعنى.

ومن ورد عنه هذا المعنى قول أبي جعفر النَّحَّاس (ت: 338هـ): "الفرق بين التأويل والتفسير أن التفسير نحو قول العلماء الريب الشك والتأويل نحو قول ابن عباس الجد أب".⁽¹⁾ وقول أبي منصور الأزهري (370هـ): "وَقَالَ بَعْضُهُمْ: التَّفْسِيرُ: كَشْفُ الْمَرَادِ عَنِ اللَّفْظِ الْمُشْكَلِ؛ وَالتَّأْوِيلُ: رَدُّ أَحَدِ الْمُحْتَمَلِينَ إِلَى مَا يُطَابِقُ الظَّاهِرَ".⁽²⁾

– التَّفْسِيرُ يَعْتَمِدُ عَلَى الرِّوَايَةِ وَالتَّأْوِيلُ يَعْتَمِدُ عَلَى الدَّرَايَةِ.

ومن ورد عنه هذا المعنى قول أبي إسحاق الثعلبي (ت: 427هـ): "قالت العلماء: التفسير: علم نزول الآية وشأنها وقصتها، والأسباب التي نزلت فيها. فهذا وأضرابه محظورة على الناس القول إلا باستماع الأثر؛ فأما التأويل فالأمر فيه أسهل لأنه صرف الآية إلى معنى يحتمله، وليس بمحظور على العلماء استنباطه والقول فيه وإنما يكون مرآتنا الكتاب والسنة".⁽³⁾

وقال البغوي (ت: 510هـ): "التَّأْوِيلُ وَهُوَ صَرْفُ الْآيَةِ إِلَى مَعْنَى مُحْتَمَلٍ مُوَافِقٍ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا غَيْرِ مُخَالَفٍ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ طَرِيقِ الْإِسْتِنْبَاطِ فَقَدْ رُخِّصَ فِيهِ لِأَهْلِ الْعِلْمِ، أَمَّا التَّفْسِيرُ وَهُوَ الْكَلَامُ فِي أَسْبَابِ نُزُولِ الْآيَةِ وَشَأْنِهَا وَقِصَّتِهَا، فَلَا يَجُوزُ إِلَّا بِالسَّمَاعِ بَعْدَ ثُبُوتِهِ مِنْ طَرِيقِ النَّقْلِ".⁽⁴⁾ وهذا قال الماتريدي (ت: 333هـ): "التفسير للصحابة، رضي الله عنهم، والتأويل للفقهاء".⁽⁵⁾

عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)؛ ت: علي عبد الباري عطية؛ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت؛ الطبعة: الأولى، 1415 هـ. (6/1).

¹ معاني القرآن؛ أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: 338هـ)؛ المحقق: محمد علي الصابوني؛ الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة؛ ط: الأولى، 1409هـ. (1/351).

² تهذيب اللغة (12/283).

³ تفسير الثعلبي الكشف والبيان عن تفسير القرآن (1/87).

⁴ معالم التنزيل في تفسير القرآن؛ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: 510هـ)؛ ت: عبد

الرزاق المهدي؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت؛ ط الأولى: 1420 هـ. (1/67).

⁵ تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة (1/349).

- التفسير أعم من التأويل.

قال الرَّاعِبُ الأَصْفَهَانِي (ت: 502هـ): " التفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل: في المعاني كتأويل الرؤيا، والتأويل: يُستعمل أكثره في الكتب الإلهية، والتفسير يُستعمل فيها وفي غيرها، والتفسير: أكثر يُستعمل في مفردات الألفاظ، والتأويل أكثره يُستعمل في الجمل... وأما التأويل: فإنه يستعمل مرة عاماً ومرة خاصاً".⁽¹⁾

- التفسير يتعلق بالظاهر والتأويل يتعلق بالباطن وممن ورد عنه هذا المعنى.

قول القشيري (ت: 465هـ): " التأويل للخواص، وتفسير التنزيل للعوام".⁽²⁾
وقال شهاب الدين الأوسي (ت: 1270هـ): " التأويل إشارة قدسية ومعارف سبحانية تنكشف من سجع العبارات للسالكين وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين، والتفسير غير ذلك".⁽³⁾

الترجيح: وبعد هذا العرض، نميل إلى ترجيح حسين الذهبي.

حيث قال حسين الذهبي (1398هـ): "والذي تميل إليه النفس من هذه الأقوال: هو أن التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية، والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية، وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان. والكشف عن مراد الله تعالى لا يجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع، وخالطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم. وأما التأويل: فملحوظ فيه ترجيح أحد احتمالات اللفظ بالدليل. والترجيح يعتمد على الاجتهاد، ويُتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب، واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية، واستنباط المعاني من كل ذلك".⁽⁴⁾

¹ تفسير الراغب الأصفهاني؛ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)؛ تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني؛ الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا؛ ط الأولى: 1420 هـ - 1999 م. (1/11).

² لطائف الإشارات (تفسير القشيري) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)؛ المحقق: إبراهيم البسيوني؛ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر؛ ط: الثالثة. (2/210).

³ تفسير الأوسي روح المعاني (1/6).

⁴ التفسير والمفسرون (1/18).

➤ المبحث الأول: ترجمة ابن عَبَّاس.

ويحتوي على:

- ✓ ابن عَبَّاس نسبه ومولده وفاته.
- ✓ قطوف من حياته.
- ✓ مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.
- ✓ بعض صفاته وشيء من عبادته.

➤ المبحث الأول: ترجمة ابن عباس.

✓ ابن عباس نسبه ومولده وفاته. (*)

نسبه: هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو العباس، ابن عم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، أمه: أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، يلتقي نسبه ونسب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في جددهما عبد المطلب.

مولده: ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث وقيل بخمس، والأول أثبت، وهو يقارب ما في الصحيحين⁽¹⁾ عنه: أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ أَتَانِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الْاِحْتِلَامَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بَيْنِي إِلَى غَيْرِ جِدَارٍ... (الحديث).

وفاته: مات بالطائف سنة (68هـ) في أيام الزبير لما أخرجته من مكة إلى الطائف، ومات بها وهو ابن: سبعين سنة، وقيل غير ذلك، وصلى عليه محمد بن الحنفية، وقال: اليوم مات رتائي هذه الأمة.

(*) أهم مصادر ترجمته: الطبقات الكبرى؛ أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: 230هـ) المحقق: إحسان عباس؛ الناشر: دار صادر - بيروت؛ ط الأولى: 1968 م. ج2 ص365؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ)؛ المحقق: علي محمد البجاوي؛ الناشر: دار الجيل، بيروت؛ ط الأولى: 1412 هـ - 1992 م. (3/ 933) برقم: 1588؛ سير أعلام النبلاء؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748هـ)؛ المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط؛ الناشر: مؤسسة الرسالة؛ ط الثالثة: 1405 هـ - 1985 م. (3/ 331) برقم: 51؛ الإصابة في تمييز الصحابة؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)؛ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض؛ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط الأولى: 1415 هـ. (4/ 121) برقم: 4799؛ أما أهم المراجع: ينظر كتاب: عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، للدكتور: محمد أحمد أبو النصر؛ ط: دار الجيل، بيروت لبنان، ط: الأولى: 1412 هـ - 1992 م. عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - حياته و تفسيره، د: عادل حسن علي؛ ط: مؤسسة المختار، ط الثانية: 1426 هـ - 2005 م.

⁽¹⁾ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (1/ 100).

قال الواقدي: " لا خلاف عند أئمتنا أنه ولد بالشعب حين حصرت قريش بني هاشم، وإنه كان له عند موت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثلاث عشرة سنة، وقيل : خمسة عشرة سنة، وقيل غير ذلك".⁽¹⁾

✓ قطوف من حياته.

لما كان عبد الله بن عباس بينه وبين النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نسب، كانت فرصته في التردد عليه في بيته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، والتعلم والاستفادة منه، حتى في أمور عبادته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ ورغم حداثة سنه فقد لازم النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حتى عند ذهابه إلى الخلاء وكان حريصاً - رضي الله عنه - في أخذ وصايا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

ومما حفظته لنا كتب السنة في تروده - رضي الله عنه - إلى بيت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ما جاء في الصحيحين، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : " بَتُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، زَوْجَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا، فَصَلَّى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْعِشَاءَ ثُمَّ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ نَامَ ثُمَّ قَامَ ثُمَّ قَالَ : نَامَ الْعُلَيْمُ أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا، ثُمَّ قَامَ فَفُئِمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ فَصَلَّى خَمْسَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ نَامَ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيظَهُ أَوْ حَطِيظَهُ ثُمَّ، خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ".⁽²⁾

ومما استفاد من حرصه مع ملازمة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وخدمته، ما ورد في صحيح مسلم، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - : " أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَتَى الْخَلَاءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ مَنْ وَضَعَ هَذَا - فِي رِوَايَةِ زُهَيْرٍ : قَالُوا، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ : قُلْتُ، ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ : «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ».⁽³⁾

1 الإصابة في تمييز الصحابة (4/ 122)؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 939).

2 رواد البخاري في أول موضع من صحيحه، في كتاب العلم، باب: السَّمَرِ فِي الْعِلْمِ برقم: 117 ثم في مواضع كثيرة؛ ورواه مسلم في صحيحه: باب الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ برقم: 763، ص384. بلفظ مختلف.

3 ورواه مسلم في صحيحه: باب فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، برقم: 2477، ص1346.

ومما جاء أيضاً من حرصه -رضي الله عنه- في أخذ وصايا النبي -صلى الله عليه وسلم-، تلك الوصية العظمى، التي تجسدت فيها المثل العليا، والقيم المثلى، وجمعت بين العقيدة والأدب، والإيمان بما هو كائن من رب العالمين؛ فقال فيها -صلى الله عليه وسلم- فيما رواه ابن عباس فقال : « كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ : يَا عَلَّامُ أَوْ يَا عَلِيمُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ، فَقُلْتُ بَلَى، فَقَالَ : أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظْ اللَّهَ بَجِدِّهِ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»⁽¹⁾.

وما إن لبث عبد الله بن عباس في تكوين شخصيته ، منذ صغر سنه مع المعلم الحبيب المصطفى -صلى الله عليه وسلم-؛ إلى أن ناهز الاحتلام-رضي الله عنه-؛ حتى توفِّي -صلى الله عليه وسلم- ولم يُعَمَّر ابن عباس ستة عشرة سنة فقد جاء عنه -رضي الله عنه- قوله : " توفي -صلى الله عليه وسلم- وأنا ابن خمس عشرة" ⁽²⁾ . وقيل غير ذلك.

ومن هنا بدأت مرحلة جديدة في حياة عبد الله بن عباس حيث لم يُعَمَّر مع صحبة النبي -صلى الله عليه وسلم- كما عمّر كبار الصحابة -رضي الله عنهم- ، فكان له حافزاً قوياً أن يجتهد ويبحث ويسأل، عما فاتته عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ليتدارك من العلوم النافعة بل جعل الصحابة-رضي الله عنهم- أحد المصادر النقلية كما سيأتي في بابه.

وهذا الحرص والجهد في طلب العلم، هو الذي جعل عمر بن الخطاب يتأثر به، وبذكائه وفطنته، حتى أحبه وقربه من مجالسه مع كبار الصحابة -رضي الله عنهم- رغم استنكار البعض عليه، فقد ورد عنه -رضي الله عنه- : " لَا يَلُومُنِي أَحَدٌ عَلَى حُبِّ ابْنِ عَبَّاسٍ " ⁽³⁾.

1 أخرجه: أحمد في، المسند برقم: 2804 ، ج3ص244/246، وقال أحمد شاكر: "إسناد صحيح".

2 رواه الحاكم، كتاب مناقب الصحابة، باب: ذكر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب-رضي الله عنهما- برقم : 6273 ، وقال

الذهبي في التلخيص: تابعه سعيد بن أبي عروبة عن ابن إسحاق، على شرط البخاري ومسلم.

3 سير أعلام النبلاء ط الرسالة (3/346).

وعن ابن عباس قَالَ : كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ لَمْ تُدْخِلْ هَذَا مَعَنَا، وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ، فَقَالَ عُمَرُ إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 1] فَقَالَ : بَعْضُهُمْ أَمَرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ، إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي أَكْذَابُكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ لَا قَالَ فَمَا تَقُولُ : قُلْتُ هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَعْلَمَهُ لَهُ قَالَ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَذَلِكَ عِلْمُهُ أَجَلُكَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 3] فَقَالَ : عُمَرُ مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ".⁽¹⁾

وبدأت تكبر هذه الملامح المعرفية على يد ابن عباس حتى أخذت مكانته العلمية تظهر في أوساط جمع الصحابة -رضي الله عنهم- ونال ثقة كثير منهم، بل أصبح مرجعاً وحكماً.

✓ مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

لقد حظي ابن عباس -رضي الله عنه- بدعاء سيد البشرية -صلى الله عليه وسلم- ، وهو لم يبلغ سن الاحتلام؛ فقد جاء في صحيح البخاري عن عكرمة عن ابن عباس قال : « ضمني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى صدره وقال : « اللَّهُمَّ عَلِّمُهُ الْكِتَابَ ».»⁽²⁾ وفي رواية: "اللَّهُمَّ فَهِّمُهُ فِي الدِّينِ".⁽³⁾ وفي رواية: « اللَّهُمَّ عَلِّمُهُ الْحِكْمَةَ ».»⁽⁴⁾

فكانت بركة دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس -رضي الله عنهما- حافزاً قوياً، في رفع معنوياته العلمية، حتى نال شهرةً عجيبةً، في شتى ميادين العلوم، وخاصة منها تفسير القرآن.

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب : مَنْزِلَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الْفَتْحِ برقم : 4043 ، ورواه أحمد في مسنده، برقم : 3127، وقال عنه أحمد شاکر: إسناده صحيح.

² رواه البخاري، في صحيحه ، كتاب العلم ، باب : قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -اللَّهُمَّ عَلِّمُهُ الْكِتَابَ ، رقم : 75 ، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، برقم: 6842.

³ وينظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (3/ 162) برقم: 1610.

⁴ رواه البخاري، في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب ذِكْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رقم: 3546.

فقد جاء عن عبيد الله بن عبد الله، قال: " ما رأيت أحداً كان أعلم بالسنة، ولا أجل رأياً ولا أثقب نظراً من ابن عباس -رضي الله عنه- ولقد كان عمر -رضي الله عنه- يعده للمعضلات مع اجتهاد عمر -رضي الله عنه- ونظره للمسلمين ".⁽¹⁾

وقال أيضا: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَدْ فَاتَ النَّاسَ بِخِصَالٍ: بَعْلِمَ مَا سَبَقَ، وَفَقَهُ فِيمَا احتِيجَ إِلَيْهِ مِنْ رَأْيِهِ، وَحِلْمٍ، وَنَسَبٍ، وَنَائِلٍ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِمَا سَبَقَهُ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَا بِقَضَاءِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ مِنْهُ، وَلَا أَعْلَمَ بِمَا مَضَى، وَلَا أَتَقَبُّ رَأْيًا فِيمَا احتِيجَ إِلَيْهِ مِنْهُ، وَلَقَدْ كُنَّا نَحْضُرُ عِنْدَهُ، فَيُحَدِّثُنَا الْعَشِيَّةَ كُلَّهَا فِي الْمَعَارِي، وَالْعَشِيَّةَ كُلَّهَا فِي النَّسَبِ، وَالْعَشِيَّةَ كُلَّهَا فِي الشُّعْرِ ".⁽²⁾

وعن عطاء: : كَانَ نَاسٌ يَأْتُونَ ابْنَ عَبَّاسٍ لِلشُّعْرِ، وَنَاسٌ لِلْأَنْسَابِ، وَنَاسٌ لِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَوَقَائِعِهَا، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ صِنْفٍ إِلَّا يُقْبَلُ عَلَيْهِ بِمَا شَاءَ ".⁽³⁾

وعن الزُّهْرِيِّ، قَالَ: " قَالَ الْمَهَاجِرُونَ لِعُمَرَ: أَلَا تَدْعُو أَبْنَاءَنَا كَمَا تَدْعُو ابْنَ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: ذَاكُمْ فَتَى الْكُهُولِ؛ إِنَّ لَهُ لِسَانًا سَوْوَلًا، وَقَلْبًا عَفْوَلًا ".⁽⁴⁾

وقال يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ: " خَرَجَ مُعَاوِيَةُ حَاجًّا مَعَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَكَانَ لِمُعَاوِيَةَ مَوْكِبٌ، وَلاِبْنَ عَبَّاسٍ مَوْكِبٌ مِمَّنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ ".⁽⁵⁾

فكان شأنه كله في العلم، ومجالسه تعمر بميراث النبوة، وتزخر بدرر العلم، ونكت الأخبار، وعلوم الأنساب، ولطائف الأشعار وعلوم العربية.

ويقول عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: " وَلَنِعَمَ تَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ ".⁽⁶⁾

¹ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 936).

² سير أعلام النبلاء ط الرسالة (3/ 350).

³ الطبقات الكبرى، ابن سعد؛ ط دار صادر (2/ 367).

⁴ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (3/ 345)؛ الإصابة في تمييز الصحابة (4/ 125).

⁵ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (3/ 351)؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 935).

⁶ الطبقات الكبرى ط دار صادر (2/ 366)؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 935)؛ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (3/ 347)؛ الإصابة في تمييز الصحابة (4/ 126).

قال الزُّرْكَشِيُّ (ت: 794هـ) معلقاً على هذا الأثر، بقوله: " وَقَدْ مَاتَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَعُمِّرَ بَعْدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَمَا ظَنُّكَ بِمَا كَسَبَهُ مِنَ الْعُلُومِ بَعْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ " (1).

ولذلك قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: " لَوْ أَدْرَكَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَسْنَانَنَا، مَا عَشَرُهُ مِنَّا أَحَدٌ "، وَفِي رِوَايَةٍ: " مَا عَاشَرُهُ "، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: " لَوْ أَنَّ هَذَا الْغُلَامَ أَدْرَكَ مَا أَدْرَكْنَا، مَا تَعَلَّقْنَا مَعَهُ بِشَيْءٍ " (2). وبذلك استحق لقب حبر الأمة، وترجمان القرآن، لعلمه وتقواه، و تفننه في العلم، حتى أصبحت فتواه قائمة على مَنَبَعِ النُّبُوَّةِ، وكأنها شبيهة بفتوى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. قَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ (ت: 107هـ) (3): " مَا رَأَيْتُ فِي مَجْلِسِ ابْنِ عَبَّاسٍ بَاطِلًا قَطُّ. "، وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه وكان أصحابه يسمونه البحر ويسمونه الحبر" (4).

وقال أبو عمرو بن العلاء (ت: 154هـ): "نظر الحطيئة: إلى ابن عباس في مجلس عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- غالباً عليه، فقال: "من هذا الذي برع الناس بعلمه، ونزل عنهم بسننه قالوا: عبد الله بن عباس، فقال فيه أبياتاً منها:

إِنِّي وَجَدْتُ بَيَانَ الْمَرْءِ نَافِلَةً **** تُهْدِي لَهُ وَوَجَدْتُ الْعِيَّ كَالصَّمَمِ
والمراء يفنى ويبقى سائر الكلام **** وقد يلامُ الفتى يوماً ولم يلم" (5)

¹ البرهان في علوم القرآن (1/ 8).

² سير أعلام النبلاء ط الرسالة (3/ 347).

³ القاسم بن محمد هو: القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد: أحد الفقهاء السبعة في المدينة. ولد فيها، وتوفي بقديد (بين مكة والمدينة) حاجاً أو معتمراً. وكان صالحاً ثقة من سادات التابعين، عمي في أواخر أيامه. قال ابن عيينة: كان القاسم أفضل أهل زمانه. ينظر: الأعلام للزركلي (5/ 181).

⁴ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 936)؛ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (3/ 351).

⁵ لاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 936) ينظر أيضاً: المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، أبو الفرج المعاني بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني (ت: 390هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى 1426 هـ - 2005 م. (ص: 671)

وَمَا قَالَ حَسَّانٌ⁽¹⁾ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِيمَا بَلَغَ عَنْهُ:

إِذَا مَا ابْنُ عَبَّاسٍ بَدَا لَكَ وَجْهُهُ	****	رَأَيْتَ لَهُ فِي كُلِّ أَقْوَالِهِ فَضْلاً
إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلٍ	****	بِمُنْتَظَمَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَضْلاً
كَفَى وَشَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ	****	لِذِي أَرَبٍ فِي الْقَوْلِ جِداً وَلَا هَزْلاً
سَمَوْتَ إِلَى الْعَلْيَا بِعَيْرِ مَشَقَّةٍ	****	فَنِلْتَ ذُرَاهَا لَا دَتِيّاً وَلَا وَعْلاً
خُلِقْتَ حَلِيناً لِلْمُرُوءَةِ وَالنَّدَى	****	بَلِيحاً وَمَ تَخْلُقُ كَهَاماً وَلَا خَبْلاً
خلقت خليقاً للمودة والندی	****	فليحاً ولم تخلق كهاما ⁽²⁾ ولا جهلاً". ⁽³⁾
ويروى أن معاوية - رضي الله عنه - نظر إلى ابن عباس يوماً يتكلم فأتبعه بصره، وقال متمثلاً:		
إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلٍ	****	مصيبٍ ولم يثن اللسان على هُجْر
يَصْرَفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى	****	وَيُنْظَرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ". ⁽⁴⁾

وروى أن عبد الله بن صفوان بن أمية مر يوماً بدار عبد الله بن عباس بمكة، فرأى جماعة من طالبي الفقه، وممر بدار عبید الله بن عباس، فرأى فيها جماعة يتناوبونها للطعام، فدخل على ابن الزبير. فقال له: "أصبحت والله كما قال الشاعر:

¹ حسان(45هـ)هو: حَسَّانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْمُنْدَرِ بْنِ حَرَامِ الْأَنْصَارِيِّ ابْنِ عَمْرِو بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، سَيِّدُ الشُّعْرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، الْمُؤَيَّدُ بِرُوحِ الْقُدْسِ؛ أَبُو الْوَلِيدِ - وَيُقَالُ: أَبُو الْحَسَّامِ - الْأَنْصَارِيُّ، الْخَزْرَجِيُّ، النَّجَّارِيُّ، الْمَدِينِيُّ، ابْنُ الْفُرَيْعَةِ، شَاعِرُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَصَاحِبُهُ. ينظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (2/ 512).

² لسان كهام عبي عن البلاغة. ينظر: فقه اللغة وسر العربية ؛ ت: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ)/المحقق: عبد الرزاق المهدي؛ الناشر: إحياء التراث العربي؛ ط: الأولى 1422هـ - 2002م. (ص: 215)

³ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 937)؛ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (3/ 353). ينظر للأبيات في: كنز الكتاب ومنتخب الآداب، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن الفهري المعروف بالبونسي (651هـ)، المحقق: حياة قارة، الناشر: الجمع الثقافي-أبو ظبي- عام النشر: 2004م. (1/ 114). وبعض هذه الأبيات وردت في ديوانه، ينظر: ديوان حسان بن ثابت، شرحه وقدم له، الأستاذ عبدأ مهتأ، ط: دار الكتب العلمية، ط الثانية: 1414هـ-1994م. (ص210/211).

⁴ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 937). والأبيات نسبها لمعاوية كل من صاحب: عيون الأخبار والعقد الفريد؛ ينظر: عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، تاريخ النشر: 1418 هـ. (2/ 185). العقد الفريد (2/ 130).

فَإِنْ تُصِبَكَ مِنَ الْأَيَّامِ قَارِعَةً **** لم نَبِكَ مِنْكَ عَلَيْهِ دُنْيَا وَلَا دِينَ

قال: وما ذاك يا أعرج؟ قال: هذان ابنا عباس، أحدهما يفقه الناس، والآخر يطعم الناس، فما أبقيا لك مكرمة فدعا عبد الله بن مطيع⁽¹⁾: وقال: انطلق إلى ابني عباس فقل لهما: يقول لكما أمير المؤمنين: اخرجنا عني، أنتما ومن أصغى إليكما من أهل العراق، وإلا فعلت وفعلت، فقال عبد الله بن عباس لابن الزبير: والله ما يأتينا من الناس إلا رجلا؛ رجلا يطلب فقهاً؛ رجلا يطلب فضلاً، فأبي هذين تمنع؟⁽²⁾ وكان بالحضرة، أبو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ الْكِنَانِيِّ⁽³⁾ جعل يقول:

لا دَرَّ دَرَّ اللَّيَالِي كَيْفَ تُضْحِكُنَا **** منها خُطُوبٌ أَعَاجِيبٌ وَتُبْكِينَا

ومَثَلٌ ما تَحَدَّثُ الْأَيَّامُ مِنْ عِبْرٍ **** في ابن الزبير عن الدنيا تُسَلِّبُنَا

كُنَّا نَجِيءُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَيَسْمَعُنَا **** فقهاً وَيُكْسِبُنَا أَجْراً وَيَهْدِينَا⁽⁴⁾.

منظرته العلمية :

لقد عُرِفَ ابن عَبَّاسٍ -رضي الله عنهم- بقوة الحجَّة، واتساع الخاطر، وصفاء السريرة، وكمال الثقة، بما حباه الله من قوة الفهم، وحسن التأويل والبيان، وقد صدق فيه قوله عز وجل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269].

ومن مواقفه في العلم مع بعض الصحابة -رضي الله عنهم- ما جاء عن عكرمة: "أَنَّ عَلِيًّا حَرَّقَ نَاسًا ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ لَمْ أَكُنْ لِأُحَرِّقَهُمْ بِالنَّارِ وَإِنَّ رَسُولَ -صَلَّى

¹ عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف القرشي العدوي المدني ذكره ابن حبان وابن قانع وغيرهما في

الصحابة، الإصابة في معرفة الصحابة، ج 2، ص 341، وذكره ابن سعد في التابعين ينظر: الإنباء إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة" رقم: 615، ص 382.

² الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3 / 937). وينظر أيضا: نكت الهميان في نكت العميان ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: 764هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1428 هـ - 2007 م. (ص: 162).

³ أبو الطُّفَيْلِ (100هـ) هو: أبو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ الْكِنَانِيِّ خَاتَمٌ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الدُّنْيَا. ينظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (3/ 467).

⁴ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 937)

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: لَا تُعَذِّبُوا بَعْدَابِ اللَّهِ وَكُنْتُ قَاتِلَهُمْ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-
مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا -رضي الله عنه- فَقَالَ: " وَيْحَ ابْنِ أُمِّ ابْنِ عَبَّاسٍ " (1).

وتمثل هذه المواقف، سجلت قدرات ابن عباس المعرفية والعلمية، وهذا ما جعل علي -رضي الله عنه- يرسل ابن عباس ليناظر فرقة الخوارج، في زمنه، والذين كانوا متمسكين في نظرهم بظواهر القرآن، مبالغين في الرد على خصومهم.

فقد أخرج عبد الرزاق الصنعاني (ت: 211هـ) في مصنفه عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو زُمَيْلٍ الْحَنْفِيُّ ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: لَمَّا اعْتَزَلْتُ الْحُرُورِيَّةَ فَكَانُوا فِي دَارٍ عَلَى حِدَّتِهِمْ فَقُلْتُ لِعَلِيِّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبْرِدْ عَنِ الصَّلَاةِ لِعَلِّي آتِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَأُكَلِّمَهُمْ ، قَالَ: إِنِّي أَخَوْفُهُمْ عَلَيْكَ قُلْتُ: كَلَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، قَالَ: فَلَيْسَتْ أَحْسَنَ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْيَمَانِيَّةِ ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ قَائِلُونَ فِي نَخْرِ الظَّهْيَرَةِ ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ أَرِ قَوْمًا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ ، أَيْدِيهِمْ كَأَنَّهَا تَفْعُ الْإِبِلَ ، وَوُجُوهُهُمْ مُعَلَّمَةٌ مِنْ آثَارِ السُّجُودِ ، قَالَ: فَدَخَلْتُ فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: جِئْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ نَزَلَ الْوَحْيُ ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تُحَدِّثُوهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَاللَّهِ لَنُحَدِّثَنَّهَ ، قَالَ: قُلْتُ: أَخْبِرُونِي مَا تَنْقُمُونَ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَتَنِيهَ وَأَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ؟ " قَالُوا: نَنقُمُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا هُنَّ؟ قَالُوا: أَوَّهْنُ أَنَّهُ حَكَمَ الرَّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: 57]؛ قَالَ: قُلْتُ: وَمَاذَا قَالُوا: وَقَاتَلْ وَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَعْنَمْ لَيْنَ كَانُوا كُفْرًا لَقَدْ حَلَّتْ لَهُ أَمْوَالُهُمْ وَلَيْنَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ لَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَمَاذَا قَالُوا: مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ. قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمُحْكَمِ وَحَدَّثْتُكُمْ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَا تُنْكِرُونَ ، أَتَرْجِعُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ ، قَالَ: قُلْتُ: أَمَا قَوْلُكُمْ: حَكَمَ الرَّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: 95] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: 95]، وَقَالَ فِي الْمَرْأَةِ وَرُزُوجِهَا: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 35]؛ أَنْشَدَكُمْ اللَّهُ أَحْكُمُ الرَّجَالَ فِي حَقِّنِ دِمَائِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ أَحَقُّ أَمْ

¹ أخرجه أحمد في مسنده، برقم: 1871، ج2ص434، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

فِي أَرْزَابٍ ثَمَنَهَا رُبْعٌ دِرْهَمٍ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّ فِي حَقِّنِ دِمَائِهِمْ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ ، قَالَ: أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ ، قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ قَاتَلَ وَلَمْ يَسِبْ وَلَمْ يَغْنَمْ ، أَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ أُمَّ تَسْتَحِلُونَ مِنْهَا مَا تَسْتَحِلُونَ مِنْ غَيْرِهَا ، فَقَدْ كَفَرْتُمْ وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ كَفَرْتُمْ وَخَرَجْتُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 6] ، فَأَنْتُمْ مُتَرَدِّدُونَ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ فَاخْتَارُوا أَيْتَهُمَا شِئْتُمْ ، أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ ، قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا فَرِيضًا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا ، فَقَالَ: «اَكْتُبْ هَذَا مَا قَاضَىٰ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ وَلَكِنْ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ: " وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي اكْتُبْ يَا عَلِيُّ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ " فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ ، «فَرَجَعَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا وَبَقِيَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ فَمُتِلُوا»⁽¹⁾.

إن هذه القصة التاريخية والبطولية، تحفظ لنا شجاعة ابن عباس وقوته العلمية التي اكتسبها من خلال فهمه للقرآن الكريم، وحرصه على التعلم والتعليم، إذ الفضل يرجع إليه بعد الله سبحانه وتعالى في استرجاع عدد هائل ممن ضلوا عن فهم القرآن ، كما استطاع أن يحافظ -بمشيئة الله- على دماء المسلمين الغالية.

✓ بعض صفاته وشيء من عبادته.

بعض صفاته: كان أبيض طويلاً مشرباً صفرة جسيماً صبيح الوجه، له وفرة يخضب بالحناء ؛ إذا قعد أخذ مقعد رجلين، جسيماً قد شاب مقدم رأسه وله جُمَّة.⁽²⁾
وَكَانَ وَسِيمًا، جَمِيلًا، مَدِيدَ الْقَامَةِ، مَهِيْبًا، كَامِلَ الْعَقْلِ، ذَكِيَّ النَّفْسِ، مِنْ رِجَالِ الْكَمَالِ.⁽³⁾

¹ مصنف عبد الرزاق الصنعاني (10/ 157) برقم: 18678؛ وينظر أيضا: السنن الكبرى للنسائي (7/ 480) برقم: 8522 ؛ المعجم الكبير للطبراني (10/ 257) برقم: 10598؛ المستدرک علی الصحیحین للحاکم (2/ 164) برقم: 2656 ؛ جامع بیان العلم وفضله (2/ 962) برقم: 1834؛ حلیة الأولیاء وطبقات الأصفياء (1/ 318) ؛ الأحادیث المختارة (10/ 413) برقم: 437.

² الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني؛ (4/ 123).

³ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (3/ 333).

شيء من عبادته : لم يمنع ابن عباس حرصه على العلم طلباً وتحصيلاً ، دعوةً وتعليماً، أن ينشغل عن العبادة والاجتهاد فيها، مع العلم أن طلب العلم وتعليمه من أجل العبادات، لكن ديدن العلماء، الاقتداء بالأنبياء، وها هو رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يجتهد في العبادة حتى قالت له عائشة: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».(1)

وحرِيَّ بابن عَبَّاسٍ أَن يَقْتَدِيَ بِنَبِيِّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ :
"صَحِبْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، فَإِذَا نَزَلَ، قَامَ شَطْرَ اللَّيْلِ، وَيُرْتَلُّ
الْقُرْآنَ حَرْفًا حَرْفًا، وَيُكْتَبُ فِي ذَلِكَ مِنَ النَّشِيجِ وَالنَّحِيبِ".(2)
وَعَنْ أَبِي رَجَاءٍ، قَالَ: "رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَسْفَلَ مِنْ عَيْنَيْهِ مِثْلَ الشَّرَاكِ الْبَالِي مِنَ الْبُكَاءِ".(3)
وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: " كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ!
كَيْفَ صَوْمُكَ؟ قَالَ: أَصُومُ الْاِثْنَيْنِ وَالْحَمِيسَ. قَالَ: وَلَمْ؟ قَالَ: لِأَنَّ الْأَعْمَالَ تُرْفَعُ فِيهِمَا، فَأُحِبُّ أَنْ
يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ".(4)

¹ صحيح مسلم (4/ 2172) برقم: 2820؛ ورواه البخاري برقم: 4837 دون ذكر لفظ عائشة.

² سير أعلام النبلاء ط الرسالة (3/ 352)

³ نفس المرجع (3/ 352).

⁴ نفس المرجع (3/ 352).

➤ المبحث الثاني: ابن عباس و التفسير.

كان ابن عباس-رضي الله عنه- إماما في التفسير عالما بمعاني الكتاب العزيز مما أكسبه ثقة في نفسه منذ نعومة شبابه، حتى أصبحت له جرأة قوية على التفسير؛ فقد جاء في الأثر عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر؛ أن رجلا أتاه يسأله عن السموات والأرض ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: 30]؟، قَالَ: " اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْخِ فَاسْأَلْهُ، ثُمَّ تَعَالَ فَأَخْبِرْنِي بِمَا قَالَ لَكَ. قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَسَأَلَهُ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَعَمْ، كَانَتِ السَّمَاوَاتُ رَتْقًا لَا تُمَطَّرُ، وَكَانَتِ الْأَرْضُ رَتْقًا لَا تُنْبِتُ؛ فَلَمَّا خَلَقَ لِلْأَرْضِ أَهْلًا فَتَقَّ هَذِهِ بِالْمَطَرِ، وَفَتَقَ هَذِهِ بِالنَّبَاتِ. فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى ابْنِ عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: الْآنَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَدْ أُوتِيَ فِي الْقُرْآنِ عِلْمًا، صَدَقَ -هَكَذَا كَانَتْ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: قَدْ كُنْتُ أَقُولُ: مَا يُعْجِبُنِي جَرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، فَالآنَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ أُوتِيَ فِي الْقُرْآنِ عِلْمًا".⁽¹⁾

فما من أحدٍ سمع تفسيره في مجلسٍ، إلاَّ وأثنى عليه خيراً، فهذا أبو وائل، قَالَ: " خَطَبَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْمَوْسِمِ، فَافْتَتَحَ سُورَةَ الثُّورِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ، وَيُفَسِّرُ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: مَا رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ كَلَامَ رَجُلٍ مِثْلَ هَذَا، لَوْ سَمِعْتُهُ فَارِسُ، وَالرُّومُ، وَالتُّرْكُ، لَأَسْلَمْتُ"⁽²⁾.
وعن الحسن، قَالَ: " أَوَّلُ مَنْ عُرِفَ بِالْبَصْرَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَكَانَ مِثْجَةً كَثِيرَ الْعِلْمِ، قَالَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَفَسَّرَهَا آيَةً آيَةً"⁽³⁾.

ولقد كثر الحديث حول صحة نسبة تفسير ابن عباس مما وصل إلينا عن طريق الروايات التفسيرية، ولا نشك أن كثيراً من هذه الروايات صحيحة، وخاصة ممن أوردتها علماء التفسير أمثال عبد الرزاق الصنعائي(ت:211هـ)، وأبو جعفر الطبري(ت:310هـ) وابن أبي حاتم الرازي (327هـ) وغيرهم من علماء الحديث، كما أن بعض الطرق المروية عن ابن عباس لا تصح نسبة إليه، كتفسير تنوير المقباس⁽⁴⁾ من تفسير ابن عباس، الذي جمعه صاحب القاموس المحيط الفيروزآبادي (ت: 817هـ) من طريق غير مرضية عند أهل العلم.

¹ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. (8/ 2450) برقم: 13639؛ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج4ص339.

² الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 936)؛ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (3/ 351).

³ الطبقات الكبرى ط دار صادر (2/ 367).

⁴ نشرته: دار الكتب العلمية - لبنان.

قال محمد بن علي الشُّوكَّاني(ت: 1250هـ) عن الكتاب: " ومن جملة التّفاسير التي لا يوثق بها: تفسير ابن عباس. فإنه مروى من طرق الكذابين كالكلبي، والسدي، ومقاتل ذكر معنى ذلك: السيوطي، وقد سبقه إلى معناه ابن تيمية." (1)

وقال محمد بن محمد أبو شهبة (ت: 1403هـ) وهو يتكلم الروايات عن ابن عباس: " وأما التّفسير المطبوع المنسوب إليه، ففي صحة نسبه إليه شك غير قليل." (2)

وقد فصّل القول حكمت بن بشير بن ياسين، الأسانيد عن ابن عباس. (3) كما أن له كتاب باسم: "الرد على شبهة الطعن في تفسير بن عباس". (4) ولا ننسى أن بعض الباحثين حاول جمع تفسير ابن عباس، كما فعل عبد العزيز بن عبد الله الحميدي في كتابه " تفسير ابن عباس ومروياته من كتب السُّنة". (5)

✓ ابن عباس والرأي.

كان ابن عباس -رضي الله عنهم- إذا لم يجد المسألة في كتاب الله و لا في سنّة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا عند صحابة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أمعن النظر والاجتهاد واستعان بمعرفته بأحوال الخطاب وأسباب النزول ومعرفته الواسعة بلغة العرب، شعرها ونثرها.

فقد جاء عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدٍ، قَالَ: " كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا سُئِلَ عَنِ الْأَمْرِ، فَإِنْ كَانَ فِي الْقُرْآنِ أَحْبَبَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ وَكَانَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْبَبَ بِهِ، فَإِنْ لَمْ

¹ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: 1250هـ) ، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (ص: 316).

² الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير "محمد أبو شهبة، الناشر: مكتبة السنّة، ط: الرابعة: 1408هـ. (ص: 62).

³ ينظر: مقدمة موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ، أ، د، حكمت بن بشير بن ياسين ، الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، ط: الأولى ، 1420 هـ - 1999 م. (1/ 37).

⁴ الرد على شبهة الطعن في تفسير بن عباس، أ، د، حكمت بن بشير بن ياسين، مراجعة: د، محمد بن عبد الله الحلواني، الناشر: المملكة العربية السعودية-جامعة الملك عبد العزيز-معهد البحوث والاستشارات. سلسلة الرد على الشبهات(5).

⁵ الكتاب نشرته: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي-جامعة أم القرى-المملكة العربية السعودية. تحت الكتاب(53).

يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ وَلَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَكَانَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَخْبَرَ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ اجْتَهَدَ رَأْيَهُ".⁽¹⁾

ومع ذلك فإن اجتهاده من قبيل الرأي المحمود، الموافق لقواعد الشريعة وأصولها.

✓ ابن عباس وأهل الكتاب.

لا يخفى أن ابن عباس كان يرجع إلى أهل الكتاب في كثير من مبهمات القرآن الكريم والخاصة ما تعلق بالقصاص، مما لا تعلق له بحكم شرعي، بحكم القصاص المشتركة بين القرآن و التوراة والإنجيل، بشروط معروفة⁽²⁾؛ وقد اتهم إجناس كولد صهر Ignaz Goldziher (ت:1921م)⁽³⁾ ابن عباس بالتوسع في الأخذ عن أهل الكتاب، وتبعه أحمد أمين (ت:1954م) في ذلك وقال: "وقد دخل بعض هؤلاء اليهود في الإسلام، فتسرّب منهم إلى المسلمين كثير من هذه الأخبار، ودخلت في تفسير القرآن يستكملون بها الشرح، ولم يتحرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس من أخذ قولهم. روى أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم"⁽⁴⁾، ولكن العمل كان على غير ذلك، وأنهم كانوا يصدّقوهم وينقلون عنهم"⁽⁵⁾. وهذا الاتهام لا يخلوا من أمرين:

¹ الطبقات الكبرى لابن سعد ط دار صادر (2/366).

² وللمزيد في ما يخص الإسرائيليات وشروط الرواية، ينظر كتاب "الإسرائيليات في التفسير والحديث" لمحمد حسين الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة، ط: 4، ط: 1990 وينظر أيضاً "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" لمحمد أبو شهبه، الناشر: مكتبة السنّة، ط: الرابعة: 1408هـ.

³ ينظر للمستشرق: إجناس جولدتسهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة د. عبد الحليم النجار، مطبعة السنة المحمدية: 1374هـ-1955م، ص 87. وإجناس كولد صهر Ignaz Goldziher مستشرق مجري موسوي. تعلم في بودابست وبرلين وليسبيك. ورحل إلى سورية سنة 1873 م، فتعرف بالشيخ طاهر الجزائري وصحبه مدة. وانتقل إلى فلسطين، فمصر، حيث لازم بعض علماء الأزهر. وعين أستاذا في جامعة بودابست (عاصمة المجر) وتوفي بها. له تصانيف باللغات الألمانية والانكليزية والفرنسية، في الإسلام والفقهاء الإسلامي والأدب العربي. الأعلام للزركلي، ج 1 ص 84. وينظر أيضاً: موسوعة المستشرقين، تأليف د. عبد الرحمان البدوي، ط: دار الملايين، ط: الثالثة: 1993م.

⁴ رواه أحمد في مسنده برقم: 16592.

⁵ فجر الإسلام، محمد أمين؛ ط: الأنيس، ط: 1989م. ص 326.

الأول: هل تحقق أحمد أمين من صحة هذه المقولة؟، لأنه والحال كذلك نستطيع أن نتبث، إلا بعد التحقيق والتنقيب في الروايات، ولا ريب أنه ليس كل ما نسب إلى ابن عباس عن أهل الكتاب مما أورده أهل التفسير في كتبهم هو صحيح النسبة، بل لا تخلوا كثير من الروايات عن الضعف أو الكذب عليه، ومن أسند القول فلا عهدة عليه ولكن العهدة من أثبت القول وبني عليه حكما، من غير تحقيق في السند أو الرجوع إلى أهل الشأن والتحقيق.

والأمر الثاني: هل فهم أحمد أمين من حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ فَلَا تَصَدَّقُوهُمْ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ»⁽¹⁾، على نفي العموم وهو القائل -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما رواه عنه أبو هريرة وصح: «حَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»⁽²⁾. وعن جابر بن عبد الله قال: رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «حَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، فَإِنَّهُ كَانَتْ فِيهِمُ الْأَعْجَابُ»⁽³⁾.

فالأولى لأحمد أمين الجمع بين الحديثين حتى يخرج من الإشكال وكيف يسوّغ لنفسه اتهام ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وهو القائل كما رواه عنه البخاري بسنده: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَكِتَابَكُمْ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَحَدْتُ الْأَخْبَارَ بِاللَّهِ تَفْرُؤُونَهُ لَمْ يُشَبَّ وَقَدْ حَدَّثَكُمْ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ وَعَمَّيَرُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ فَقَالُوا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَفَلَا

¹ رواه أحمد في مسنده برقم: 16592

² رواه أبو داود في سننه، من طريق أبي هريرة -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كتاب العلم، باب الحديث عن بني إسرائيل، رقم: 3662، ورواه أحمد في مسنده برقم: 10086، وبرقم: 10477؛ وجاء الحديث من طريق عن أبي سعيد الخدري، رواه أحمد في مسنده، برقم: 11474، وابن أبي شيبة في مصنفه، ج 6 ص 236. وجاء من طريق، عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهم-، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلَيْسَ مِنِّي مُتَعَمِّدًا مِنَ النَّارِ" رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الأنبياء، باب ما ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، برقم: 3274، كذا عند الترمذي في سننه، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل برقم: 2669.

³ أخرجه أحمد بن حنبل (ت: 241 هـ) في كتاب الزهد برقم: 88 (ص: 17) و عبد بن حميد (ت: 249 هـ) في "المنتخب" برقم: 1154؛ عن ابن أبي شيبة به.

يَنْهَأَكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ". (1)

فهذا النص حجة في موضع الاتهام، ومع ذلك لا ننكر أن ابن عباس كان يروي عن بني إسرائيل، لكن بضوابط ومن أهمها هي كون الرواية لا متعلق لها بشرع، من جهة التحريم والتحليل، بل ما في الأمر إلا كما قاله نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج، فإنه كانت فيهم الأعاجيب». (2)

وكنت زماً أعتقد بشناعة رواية الأخبار الإسرائيلية، حتى تبين لي أن الهجمة الشرسة، لم تكن في محلها، وخاصة لما نالت كثيراً من سمة الصحابة -رضي الله عنهم- وهم أعلم منا وأحرص على حماية جانب الدين، ثم وقفت على كلام العلماء في قضية، حسن التعليل في الإذن برواية الخبر الإسرائيلي، لقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «حَدِّثُوا عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ». (3) ومن هؤلاء ما يأتي:

ما ذكره الإمام الشافعي (ت: 204هـ) بقوله: "هَذَا أَشَدُّ حَدِيثٍ رُوِيَ فِي تَخْرِيجِ الرَّوَايَةِ عَمَّنْ لَا يُوثَقُ بِخَبْرِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْلُومٌ مِنْهُ أَنَّهُ لَا يُبِيحُ اخْتِلَاقَ الْكُذْبِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا عَلَى غَيْرِهِمْ فَلَمَّا فَرَّقَ بَيْنَ الْحَدِيثِ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَيْنَ الْحَدِيثِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَحْتَمِلْ إِلَّا أَنَّهُ أَبَاحَ الْحَدِيثَ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ وَأَنَّهُ مَنْ سَمِعَ مِنْهُمْ شَيْئًا جَازَ لَهُ أَنْ يُحَدِّثَ بِهِ عَنْ كُلِّ مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ كَأَنَّ مَنْ كَانَ وَأَنْ يُخْبِرَ عَنْهُمْ بِمَا بَلَغَهُ لِأَنَّهُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ لَيْسَ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُمْ مَا يَقْدَحُ فِي الشَّرِيعَةِ وَلَا يُوجِبُ فِيهَا حُكْمًا وَقَدْ كَانَتْ فِيهِمُ الْأَعَاجِيبُ فَهِيَ الَّتِي يُحَدِّثُ بِهَا عَنْهُمْ لَا شَيْءَ مِنْ أُمُورِ الدِّيَانَةِ وَهَذَا الْوَجْهُ الْمُبَاحُ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ هُوَ الْمَحْظُورُ

¹ رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب لا يُسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها، رقم: 2539، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء"، رقم: 6929، وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، رقم: 7084، وبقلم: 7085.

² مضي تخريجه في ص 110.

³ مضي تخريجه في ص 110.

عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُحَدِّثَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَمَّنْ يَتَّقُ بِخَبْرِهِ وَيَرْضَى دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ لِأَنَّهَا دِيَانَةٌ. " اهـ⁽¹⁾

وقال أبو الوليد بن رُشد(ت: 520هـ): " أباح التحدث عنهم بما يذكر أنه كان فيهم من العجائب وإن لم يأت ذلك بنقل العدل من العدل إذا كان من الكلام الذي لا يدفعه العقل؛ إذ ليس تحته حكم فيلزم الثبوت في رواته وبالله التوفيق. " اهـ⁽²⁾

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني(ت: 852هـ): "...قَوْلُهُ: "وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ" أَي لَا ضِيقَ عَلَيْكُمْ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُمْ لِأَنَّهُ كَانَ تَقَدَّمَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجْرُ عَنِ الْأَخْذِ عَنْهُمْ وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِهِمْ ثُمَّ حَصَلَ التَّوَسُّعُ فِي ذَلِكَ وَكَأَنَّ النَّهْيَ وَقَعَ قَبْلَ اسْتِفْرَارِ الْأَحْكَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْقَوَاعِدِ الدِّيْنِيَّةِ خَشِيَةَ الْفِتْنَةِ ثُمَّ لَمَّا زَالَ الْمَحْذُورُ وَقَعَ الْإِذْنُ فِي ذَلِكَ لِمَا فِي سَمَاعِ الْأَخْبَارِ الَّتِي كَانَتْ فِي زَمَانِهِمْ مِنَ الْإِعْتِبَارِ، وَقِيلَ مَعْنَى قَوْلِهِ لَا حَرَجَ لَا تَضِيقُ صُدُورُكُمْ بِمَا تَسْمَعُونَهُ عَنْهُمْ مِنَ الْأَعَاجِبِ فَإِنَّ ذَلِكَ وَقَعَ لَهُمْ كَثِيرًا " اهـ⁽³⁾

وهذا لا يمنع أننا ننكر من الإسرائيليات ما يخالف شرعنا أو فيه تنقيص لأحد من أنبياء الله، بل هو واجب علينا، وتفصيل هذا في بابه؛ وحسبنا ما ذكرناه.

✓ ابن عباس وعلاقته بالشعر واللغة.*

لقد برز ابن عباس في التفسير بمنهجه اللغوي، حيث غلب عليه عند الكشف والبيان لكثير من آيات القرآن الكريم، استعانته الواسعة بلغة العرب، وخاصةً بديوانها الشعري، ولعل هذا المنهج مستفاد

¹ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: 1387 هـ. (1/42/43).

² البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (520هـ)، حققه: د محمد حجي وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط: الثانية، 1408 هـ - 1988 م. (17/525).

³ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379 هـ. (6/498).

* سيأتي زيادة بيان في القسم التطبيقي، من الفصل الثالث.

من قوله: رضي الله عنه - "الشعر ديوان العرب فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، ارجعوا إلى ديوانها فالتمسوا معرفة ذلك منه" (1).

ولعل هذا المنهج مستفاد من شيخه وأستاذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كانت بينهما رابطة الأستاذ مع تلميذه، وكما مر معنا في ترجمة ابن عباس كيف أنّ عمر بن الخطاب كان يقرب تلميذه ويبرزه للصحابة - رضي الله عنهم -، لا لشيء إلا لباهته وعلمه وبروزه على أقرانه، ومن ناحية نجد ابن عباس الطالب النّجيب الذي ينهل من علم شيخه ونصائحه، فما هو يسأله مثلاً عن المرأتين اللتين تظاهرتا، وليس بعيداً أن ابن عباس كان كثير الحضور لخطب عمر، وليس مستبعد أنه سمعه في المنبر على ما رواه سعيد بن المسيب: بينما عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على المنبر فقال: يا أيها الناس ما تقولون في قول الله: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: 47]، فسكت الناس، فقام شيخ فقال: يا أمير المؤمنين هذه لغتنا في هذيل، التّخوّف: التنقص، فقال عمر: وهل تعرف العرب ذلك في أشعارهم قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي (2): [يصف ناقة تنقص السير سنامها بعد تمكه واكتنازه].

تَخَوُّفَ الرَّحْلِ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا **** كَمَا تَخَوُّفَ عُوْدَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ (3).

فَقَالَ عُمَرُ: " أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِدِيَوَانِكُمْ لَا تَضَلُّوا، قَالُوا: وَمَا دِيَوَانُنَا؟ قَالَ شِعْرُ الْجَاهِلِيَّةِ فِيهِ تَفْسِيرٌ كِتَابِكُمْ " (4).

(1)، إيضاح الوقف و الابتداء، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (328هـ)؛ ط: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط: 1391هـ-1971م. ج1ص100/ص101.

² أبو كبير الهذلي: قيل هو عامر بن الحليس، وهو جاهلي. ينظر: الشعر والشعراء (2/659). وقيل اسمه: عامر بن ثابت بن عبد شمس بن خالد بن عمرو بن عبد كعب بن مالك بن كعب بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل شاعر مشهور وله ذكر في حديث لعائشة رضي الله عنها. ينظر: الإكمال في رفع الارتفاع عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماکولا (ت: 475هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان، ط: الأولى: 1411هـ-1990م. (7/126).

³ البيت لذي الرّمة، كما هو في ديوانه، (ص284)؛ كذا نسبه الجوهري (393هـ) في الصحاح تاج اللغة (4/1359).

4 تفسير الثعلبي الكشف والبيان عن تفسير القرآن (6/19)؛ تفسير الزمخشري (2/609)؛ تفسير ابن عطية المحرر الوجيز (1/12)؛ تفسير الرازي (20/213).

ومن هنا نستطيع أن نبرز ذلك الاهتمام، الذي أخذه الطالب من شيخه بل جعله منهجا ثابتا في حياته العلمية والاجتماعية، حتى أصبح ذوقا يتوق إليه، ويخصص له مجالس خاصة، ولولا هذا الاهتمام من ابن عباس، لما جاءه الناس يطلبونه في الشعر، وخاصة في زمن مزال للشعراء فيه كلمة، وها هو الشاعر المخضرم الحطيئة يغرس فيه روح التفاؤل والهمة؛ حيث قال أبو عمرو بن العلاء: "نظر الحطيئة: إلى ابن عباس في مجلس عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- غالباً عليه، فقال: من هذا الذي برع الناس بعلمه، ونزل عنهم بسننه قالوا: عبد الله بن عباس، فقال فيه أبياتاً منها:

إِنِّي وَجَدْتُ بَيَانَ الْمَرْءِ نَافِلَةً **** تُهْدِي لَهٗ وَوَجَدْتُ الْعِيَّ كَالصَّمَمِ

والمرء يفنى ويبقى سائر الكليم **** وقد يلام الفتى يوماً ولم يلم". (1)

ومن هنا تجسد وتؤكد ذلك الاهتمام بعقد مجالس شعرية، وأمسيات شعرية، وليس الأمر مقتصرًا كما هو شائع، فيما عرف بمسائل نافع بن الأزرق فقط.

بل احتفل سجل سيرته، بعقد مجالس خاصة بالشعر؛ قال عمرو بن دينار: " ما رأيت مجلسا أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس: الحلال، والحرام، والعربية، والأنساب، وأحسبه قال: والشعر". (2)

وعن عطاء، قال: "كان ناسٌ يأتون ابنَ عباسٍ في الشعرِ والأنسابِ، وناسٌ يأتونَ لأيامِ الحربِ ووقائعِها، وناسٌ يأتونَ للعلمِ والفقه، ما منهم صنفٌ إلا يُقبلُ عليهم بما شاءوا". (3)

وعن عبيد الله بن عبد الله، قال: " كان ابنُ عباسٍ قد فاتَ النَّاسَ بِخِصَالٍ: بِعِلْمٍ مَا سَبَقَ، وَفَقْهِ فِيمَا احْتِيجَ إِلَيْهِ مِنْ رَأْيِهِ، وَحِلْمٍ، وَنَسَبٍ ... وَلَقَدْ كُنَّا نَحْضُرُ عِنْدَهُ، فَيُحَدِّثُنَا الْعَشِيَّةَ كُلَّهَا فِي الْمَعَارِي، وَالْعَشِيَّةَ كُلَّهَا فِي النَّسَبِ، وَالْعَشِيَّةَ كُلَّهَا فِي الشَّعْرِ". (4)

وكما هو معلوم في بابه أن الشعر ليس مجرد كلمات موزونة، بل هو يحكي تاريخاً وأحداثاً ويتكلم عن شخصيات وأنساب، قبائل وعادات، قيم وآداب، ومن يزعم أن ابن عباس كان اهتمامه

¹ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 936). وقد مضى.

² نفس المرجع (3/ 936).

³ نفس المرجع (3/ 939).

⁴ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (3/ 350).

بالشعر لمجرد التفسير، فهو على خطي، فعن الشَّعْبِيِّ، قَالَ: " قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: مَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا؟

فَقَالَ: أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ:

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أُخِي ثِقَّةٍ **** فَادْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا

خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَتْقَاهَا وَأَعَدَّهَا **** بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا

الثَّانِي التَّالِي الْمَحْمُودُ مَشْهُدُهُ **** وَأَوَّلُ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا (1). (2)

كان-رضي الله- يكفيه جواباً أنه أبو بكر-رضي الله عنه- لكن استأنس بالشعر لما له من الوقع في النفوس، وكأنه وهج يضيء جواباً، وهذا أسلوب قديم عند العرب، فالشعر قرينة تزيد الجواب بهاءً وجمالاً؛ حيث ورد عنهم طلب الاستشهاد به.

وقد دخل ابن عباس على معاوية وعنده عمرو بن العاص فقال له عمرو: " إِنَّ قُرَيْشًا تَزْعُمُ أَنَّكَ أَعْلَمُهَا، فِيمَ سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا؟ قَالَ: بِأَمْرَيْنِ. قَالَ: فَأَيْنَ لَنَا، وَهَلْ قَالَ أَحَدٌ فِيهِ شِعْرًا؟ قَالَ: نَعَمْ، سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ بِدَابَّةٍ فِي الْبَحْرِ تُسَمَّى قُرَيْشًا، وَقَدْ قَالَ الْمُشْمِرُ بْنُ عَمْرِو الْحَمِيرِيِّ⁽³⁾:

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْرَ **** بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا

تَأْكُلُ الْعَتَّ وَالسَّمِينَ وَلَا تَتْرُكُ **** فِيهِ لَدَى جَنَاحَيْنِ رِيشًا

هَكَذَا فِي الْبِلَادِ حَيْثُ قُرَيْشٌ **** يَأْكُلُونَ أَكْلًا حَشِيشًا

وَهُمْ آخِرُ الزَّمَانِ نَبِيٌّ **** يُكْتَبِرُ الْقَتْلَ فِيهِمْ وَالْحُمُوشَا

¹ والبيت في ديوان حسَّان بن ثابت، شرحه وقدم له، الأستاذ عبدأ مهنا، ط: دار الكتب العلمية، ط الثانية: 1414هـ-1994م. (ص179).

² تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري؛ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)؛ الناشر: دار التراث - بيروت ط: الثانية - 1387 هـ. (2/314). والقصة مع الأبيات الشعرية ذكرها صاحب محاضرات الأدباء، وصاحب نهاية الأرب ينظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط: الأولى، 1420 هـ. (2/491). ونهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: 733هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ط: الأولى: 1423 هـ. (16/180).

³ المشمرج بن عمرو الحميري جاهلي قديم. ينظر: معجم الشعراء، (ص: 469).

تَمَلُّ الأَرْضَ خَيْلُهُ وَرِجَالُ **** يَنْحَرُونَ الْمُطَيِّ سَيْرًا قَمِيشًا. (1)

فابن عباس كانت حياته غامرة بالشعر، كيف لا، وهو ابن بيئته ينهل منها، ويعيش في أوساطها، ويأخذ بعاداتها، ويستمتع لقصصها، حتى تكونت فيه ملامح جامع الدواوين الشعرية، يغرف من هذا، وينهل من ذاك، وهذا التنوع في المصادر الأدبية، والشواهد الشعرية، جعل منه موسوعياً، ذو ثقافة متنوعة.

فَعَن يَحْيَى بَن سَعِيدٍ، عَن عَجُوزٍ، مِنْهُمْ قَالَتْ: " رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخْتَلِفُ إِلَى صِرْمَةَ بْنِ قَيْسِ الْأَنْصَارِيِّ⁽²⁾ يَرُوي هَذِهِ الْأَبْيَاتَ: [البحر الطويل]

تَوَى فِي قُرَيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً **** يُدَكِّرُ لَوْ لَأَقَى صَدِيقًا مُوَاتِبًا

وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ **** فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرَ دَاعِيَا

فَلَمَّا أَتَانَا وَاطْمَأْنَنْتَ بِهِ التَّوَى **** وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَيِّبَةِ رَاضِيَا

وَأَصْبَحَ مَا يَخْشَى ظَلَامَةَ ظَالِمٍ **** بَعِيدٍ وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ بَاغِيَا

تُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ **** جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا. (3)

1 معجم الشعراء، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت: 384 هـ)، بتصحيح وتعليق: الأستاذ: الدكتور ف. كرنكو، الناشر: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط: الثانية، 1402 هـ - 1982 م. (ص: 469). الكشف والبيان الثعلبي. (10/ 301). تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: 571 هـ)؛ ت: عمرو بن غرامة العمري؛ الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع؛ عام النشر: 1415 هـ - 1995 م. (41/ 260). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597 هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا؛ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت؛ ط الأولى: 1412 هـ - 1992 م. (2/ 228). البداية والنهاية؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774 هـ)، الناشر: دار الفكر؛ عام النشر: 1407 هـ - 1986 م. (2/ 202). شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام؛ محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسيني الفاسي (ت: 832 هـ)؛ الناشر: دار الكتب العلمية؛ الطبعة: الأولى 1421 هـ - 2000 م. (2/ 79).

² صرمة بن قيس (نحو 5 هـ) هو: صرمة بن قيس بن مالك النجاري الأوسي، أبو قيس: شاعر جاهلي، عمر طويل، وترهب، وفارق الأوثان في الجاهلية. وكان معظماً في قومه. أدرك الإسلام في شيخوخته، وأسلم عام الهجرة ينظر: الأعلام للزركلي (3/ 203).
3 أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرق (ت: 250 هـ)، ت: رشدي الصالح ملحق، الناشر: دار الأندلس للنشر - بيروت. (2/ 147). المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت: 333 هـ)، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين)، دار ابن حزم (بيروت) تاريخ النشر: 1419 هـ. (3/ 149). المستدرك على الصحيحين

إن هذه بعض الشواهد التي وصلتنا، وأكد هناك الكثير منها في طي النسيان، وفي هذا الصدد يقول فهد العرابي الحارثي⁽¹⁾: "ونلاحظ أن أمثال هذه الشهادات لا تقدم لنا تفاصيل أكثر حول ثقافة ابن عباس الشعرية، أو حول علاقاته بالشعراء الذين يرتادون مجلسه، أو حول ما كان يدور في يوم الشعر، من حوارات أو مساجلات أو تناشد للشعر، ونظن أنه لو بلغنا ما كان يلقي على ابن عباس من أسئلة حول الشعر في مجلسه، أو لو وصلتنا أخبار "يوم الشعر".. لوجدنا أنفسنا أمام ثروة لا يستهان بها من الأفكار والآثار والآراء والمواقف... وفي كل الأحوال فإن ابن عباس كان بالنسبة إلى جيله ومعاصريه، محسوباً على الثقافة الشرعية أكثر مما هو محسوب على ما عداها"⁽²⁾.

ومما يبرهن على هذه الموسوعيّة، هذا الإحصاء الذي قمت به من خلال مسائل نافع ابن الأزرق مع أجوبة ابن عباس له، حينما راح يستشهد لكل مسألة بيت من الشعر، مع نسبته في الغالب إلى صاحبه، وهذا الإحصاء كالتالي:

رقم	شاعر جاهلي	شاعر مخضرم	شاعر إسلامي
1	عبيد بن الأبرص	أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب	عمر بن أبي ربيعة
2	عنتره العبسي	ليبيد بن ربيعة	عبد الله بن الحارث السهمي
3	طرفه بن العبد	مالك بن عوف	علي بن أبي طالب
4	سلامة بن جندل	عبد الله بن الزبيري	الحارث بن خالد المخزومي
5	محمد بن نمير الثقفي	حسان بن ثابت	الطرماح بن حكيم

للحاكم (2/ 683)، برقم: 4255 وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَمُجَرَّجَاهُ... وَلَهُ شَاهِدٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، قلت رواه مسلم في صحيحه (4/ 1825) برقم: 116 ولم يذكر الشاهد الشعري. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة؛ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى - 1405 هـ. (2/ 513). جامع بيان العلم وفضله (2/ 1103) برقم: 2155.

¹ أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض - المملكة العربية السعودية.

² مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، 5 العدد (1412هـ - 1992م). ص 106 - مقال بعنوان: "في علاقة عبد الله بن عباس بالشعر" لفهد العرابي الحارثي.

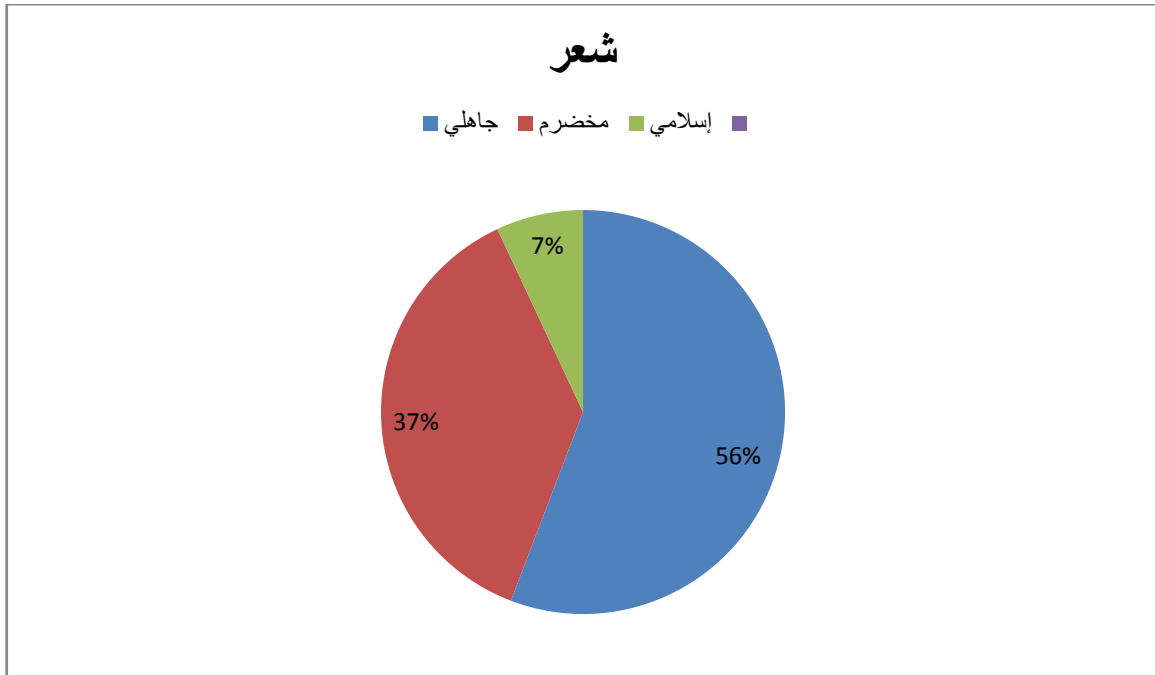
	النابعة الجعدي (قيس بن عبد الله)	زهير بن أبي سلمى	6
	أبو ذؤيب (خويلد بن خالد)	عدي بن زيد	7
	أبو محجن الثقفي (عمرو بن حبيب)	أمية بن أبي الصلت	8
	حمزة بن عبد المطلب	امرؤ القيس	9
	زيد بن عمرو الرياحي اليربوعي	الأعشى ميمون بن قيس	10
	عبد الله بن رواحة الأنصاري	النابعة الذبياني (زياد بن معاوية)	11
	كعب بن مالك الأنصاري	قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي	12
	خفاف بن ندبة السلمي	أوس بن حجر بن مالك التميمي	13
	الحارث بن هشام المخزومي	الخطيم التميمي	14
	الحطيئة جرول بن أوس	عمرو بن كلثوم التغلبي	15
	عباس بن مرداس (أمه الخنساء الشاعرة)	الزبير بن عبد المطلب	16
		المهلهل عدي بن ربيعة	17
		بشر بن أبي خازم	18
		أحيحة بن الجلاح الأوسي	19
		المسيب بن علس (خال الأعشى ميمون)	20
		أبو زيد الطائي	21
		قيس بن رفاعة	22
		تبع بن حسان (من ملوك حمير في اليمن)	23
		هُزَيْلَةُ بِنْتُ بَكْرِ (أُخْتُ مُعَاوِيَةَ لِأَبِيهِ وَأُمُّهُ)	24
5	16	24	نتيجة

نلاحظ من خلال هذا الجدول تنوع ثقافة وموسوعيّة ابن عبّاس في ميدان الشعر والشعراء، بحيث استشهد بأربعة وعشريّ شاعراً من شعراء الجاهلية، و ستّة عشرَ شاعراً من الشعراء المخضرمين وخمسة من شعراء الإسلام وبحصيلة خمسة وأربعين شاعراً ؛ وهذه الحصيلة فقط في مسائل نافع ابن الأزرق، مما يبرهن أن ثقافته كانت أوسع من هذا بكثير ؛ وكما نلاحظ اهتمامه بالشعر الجاهلي ، حيث كثر استشهاده به أكثر من غيره، لما له من المزيّة ؛ كأصحاب المعلقات⁽¹⁾: امرئ القيس ، زهير بن أبي سلمى، النابغة الذبياني، الأعشى، لبيد بن ربيعة، طرفة بن العبد، وهؤلاء من شعراء الطبقة الأولى؛ كما نراه أيضاً من خلال الإحصاء، استشهاده بأصحاب المجمرات⁽²⁾: كعبيد بن الأبرص، وعدي بن زيد، وبشر بن أبي خازم، وأمّية بن أبي الصلت، وهؤلاء من شعراء الطبقة الثانية ؛ مما يعكس قدرات ابن عباس الهائلة في هذا الميدان، ولعل هذا المخطط البياني يوضح مدى اهتمامه بالشعر الجاهلي، ونحن في هذا الصدد لا نقلل من أهمية الشعراء المخضرمين، أو شعراء الإسلام، ونحن على وعي أن كثير من شعر المخضرمين الذي استشهد به ابن عباس هو من مقول الجاهلية قبل إسلامهم، وإنما هو من باب التقسيمات، كما أن المخضرمين بعد إسلامهم أخذ شعرهم منحى آخر في الغالب.

وهذا مخطط يبين النسبة المئوية في استشهد ابن عباس بالشعر في أطواره الثلاث وهو كالتالي:

¹ قال ابن رشيق القيرواني (463 هـ): " وكانت المعلقات تسمى المذهبات، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة؛ فلذلك يقال: مذهبة فلان، إذا كانت أجود شعره، ذكر ذلك غير واحد من العلماء، وقيل: بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول: علقوا لنا هذه، لتكون في خزائنه ". اه ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجليل، ط: الخامسة، 1401 هـ - 1981م. (1/96).

² المجمرات هن الطبقة التي تلي المعلقات، قال المفضل: هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب السموط، فمن قال: إن السبع لغيرهم، فقد خالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة، وقد أدركنا أكثر أهل العلم يقولون: إن بعدهن سبعاً ما هن بدوخن، ولقد تلا أصحابهن أصحاب الأوائل، فما قصروا، وهن المجمرات . ينظر: جهرة أشعار العرب ، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت: 170هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، الناشر: نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. (ص: 98).



يمكن أن نصل من خلال هذا الإحصاء والمخطط البياني، الذي يعكس قدرات ابن عباس وموسوعيته في معرفة الشعر والشعراء، مما يعطي ملامح أخرى في شخصه، ووعي مبكر بالاهتمام بديوان العرب، الذي يسجل تاريخاً لغوياً، تنفجر منه جلّ الدراسات اللغوية في المستقبل. وحقاً تعد صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس المنهج اللغوي، كما تمثل مسائل نافع بن الأزرق⁽¹⁾ لابن عباس وأجوبته له، واستشهاده بالشعر النموذج الكامل لملاح هذه المدرسة.

¹ هو: نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي، البكري الوائلي، الحوروي، أبو راشد: رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم، كان أمير قومه وفقههم، من أهل البصرة، صحب في أول أمره عبد الله ابن عباس. وله أسئلة رواها عنه، قال الذهبي: مجموعة في (جزء) أخرج الطبراني بعضها في مسند ابن عباس من المعجم الكبير، الأعلام للزركلي، ج 7 ص 351، وقد حقق وجمع "سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس" محمد بن عبد الرحيم و أحمد نصر الله وسموه: "غريب القرآن في شعر العرب" -ط: مؤسسة الكتب الثقافية-

✓ الاستشهاد بالشعر في تفسير القرآن.

لقد مضى الكلام عن ثقافة ابن عباس بصورة عامة حول الشعر والشعراء، وفي هذا العنصر خصصنا بعض النصوص التي يتضح من خلالها استعانةه بالشعر في فهم وبيان ألفاظ القرآن الكريم، حتى أصبح هذا المنهج سمة بارزة في تفسيره -رضي الله عنه-.

فقد ورد عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ يُسْأَلُ عَنْ عَرَبِيَّةٍ الْقُرْآنَ، فَيُنْشِدُ الشَّعْرَ".⁽¹⁾

بل كان يحض على هذا المنهج، فعَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "إِذَا قَرَأَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ فَلَمْ يَدْرِ مَا تَفْسِيرُهُ فَلْيَلْتَمِسْهُ فِي الشُّعْرِ فَإِنَّهُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ".⁽²⁾

وَعَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: 42]، قَالَ: "إِذَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَاذْبَعُوهُ فِي الشُّعْرِ، فَإِنَّهُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ".⁽³⁾

وسنلاحظ في الجانب التطبيقي، كيف استشهد ابن عباس بالشعر العربي، كشاهد على ما ورد من معاني بعض ألفاظ القرآن الكريم، والتي جاءت بها العرب في أشعارها؛ وموضوع الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم جدير بالدراسة، ثم وجدت الباحث: عبد الرحمان بن معاضة الشَّهْرِي، تناوله بالدراسة.⁽⁴⁾

¹ التفسير من سنن سعيد بن منصور - محققا (2/ 316) برقم: 91.

² رواه البيهقي في السنن الكبرى (10/ 241) برقم: 21654. وفي شعب الإيمان (3/ 212) برقم: 1560.

³ المستدرک علی الصحیحین للحاکم (2/ 542) 3845، الأسماء والصفات للبيهقي (2/ 183) برقم: 746.

⁴ وأصل الدراسة عبارة عن أطروحة دكتوراه نوقشت بتاريخ: 15/08/1426هـ؛ ثم طبعتها: مكتبة دار المنهاج، ط: الأولى:

1431هـ، بعنوان: "الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم-أهميته وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به-"

المبحث الثالثُ: خصائص ومميزات تفسير

ابن عباس.

ويحتوي على:

- ✓ مشاهدة التنزيل ومعرفة أحواله.
- ✓ معرفة أحوال من نزل فيهم القرآن.
- ✓ معرفة اللسان الذي نزل به القرآن.
- ✓ حسن فهمه وسلامة مقصده.

➤ المبحث الثالث: خصائص ومميزات تفسير ابن عباس.

إن الخصائص والمميزات التي تحلى بها مفسري الصحابة-رضي الله عنهم- ترجع في الغالب إلى فهم العوامل الاجتماعية والثقافية والتجارية والجغرافية، والمختصة بهم ويزمنهم وبيئتهم، وهذا أحد الدلالات التي تميز بها جيلهم دون غيرهم، وقد يقع التفاضل بين الصحابة في قوة وقدرة فهم هذه العوامل والتي من أهمها: مشاهدة التنزيل ومعرفة أحواله؛ معرفة أحوال من نزل فيهم القرآن من العرب وغيرهم من اليهود والنصارى؛ اختصاصهم باللسان الذي نزل به القرآن؛ كما أنهم امتازوا بحسن فهمهم، وسلامة قصدهم، وفهموا مقاصد الشرع وعانوا حلاوة الإيمان بعدما ذاقوا شقاوة الكفر والعصيان؛ كل هذا وغيره من العوامل بوأهم المنازل الشريفة والمراتب العليا، ولهذا رجح بعض العلماء قولهم في التفسير، إذا لم يجد مستنداً في القرآن والسنة.

قال ابن تيمية (728هـ): " وَحِينَئِذٍ إِذَا لَمْ يَجِدْ التَّفْسِيرَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ رَجَعْنَا فِي ذَلِكَ إِلَى أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ فَإِنَّهُمْ أَدْرَى بِذَلِكَ لِمَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي اخْتَصُّوا بِهَا؛ وَلِمَا لَهُمْ مِنَ الْفَهْمِ التَّامِّ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لَا سِيَّمَا عُلَمَاؤُهُمْ وَكِبْرَاؤُهُمْ كَالْأئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأئِمَّةِ الْمُهَدِّيِّينَ ".⁽¹⁾

وتقديم قولهم وترجيحه على غيرهم، يرجع إلى الخصائص والمميزات التي اكتسبها واختصوا بها دون غيرهم، ولهذا اعتمده العلماء؛ قال الشاطبي (790هـ): " وَلَكِنَّهُمْ يَتَرَجَّحُ الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهِمْ فِي الْبَيَانِ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَعْرِفَتُهُمْ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ؛ فَإِنَّهُمْ عَرَبٌ فَصَحَاءُ، لَمْ تَتَعَيَّرْ أَلْسِنَتُهُمْ وَلَمْ تَنْزَلْ عَنْ رُتَبَتِهَا الْعُلْيَا فَصَاحَتُهُمْ؛ فَهُمْ أَعْرَفُ فِي فَهْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَإِذَا جَاءَ عَنْهُمْ قَوْلٌ أَوْ عَمَلٌ وَقَعَ مَوْقِعَ الْبَيَانِ؛ صَحَّ اعْتِمَادُهُ مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ.

والثاني: مُبَاشَرَتُهُمْ لِلْوَقَائِعِ وَالنَّوَازِلِ، وَتَنْزِيلِ الْوَحْيِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَهُمْ أَقْعَدُ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ الْحَالِيَةِ، وَأَعْرَفُ بِأَسْبَابِ التَّنْزِيلِ، وَيُدْرِكُونَ مَا لَا يُدْرِكُهُ غَيْرُهُمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَالشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى

1 مجموع الفتاوى (13/364).

الْعَائِبُ" (1)

وحيثما نتكلم عن تفسير صحابي ما، قد يغفل البعض عن لفظة صحابي والتي بدورها كافية في فضله وعدالته وشرفه، كيف لا، وهو من لقي النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال أبو إسحاق الجعبري (ت: 732هـ): "جلّ المُحدثين كالبخاري: الصَّحَابِيُّ كُلُّ مُسْلِمٍ لَقِيَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -". (2) وزاده بيانا قول ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ): "وهو مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به، ومات على الإسلام، ولو تَخَلَّتْ رِدَّةٌ فِي الْأَصْح" (3).

وهذه المنزلة من صحبة أشرف نبي على وجه الأرض، ليست من اختيارهم، بل اختارهم الله لصحبة نبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فازدادوا شرفاً على شرف، قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ (وفي رواية البغوي ابنُ مَسْعُودٍ): " مَنْ كَانَ مُسْتَنًا فَلَيْسَتْ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبْرَهَا قُلُوبًا، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَقَلَ دِينَهُ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ فَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ". (4)

ولقد زكاهم الله، ورضي عنهم، كما ورد ذلك في كتابه ؛ قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100]؛ وقال سبحانه: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ

1 الموافقات؛ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: 790هـ)؛ المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان؛ الناشر: دار ابن عفان؛ ط الأولى: 1417هـ - 1997م. (4/ 128).

2 رسوم التحديث في علوم الحديث، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري (ت: 732هـ) المحقق: إبراهيم بن شريف المليي، الناشر: دار ابن حزم - لبنان / بيروت، ط: الأولى، 1421هـ - 2000م. (ص: 142).

3 نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، المحقق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الناشر: مطبعة سفير بالرياض، ط: الأولى، 1422هـ. (ص: 140).

4 حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. (1/ 305). شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: 516هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط:

الثانية، 1403هـ - 1983م. (1/ 214).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقَالُ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ». (1) وروى أيضا من حديث أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي. فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ». (2) ومن حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ: « خَيْرُ النَّاسِ قُرْبِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ بِيَمِينِهِ، وَيَمِينُهُ شَهَادَةٌ». (3)

والكلام عن فضائل الصحابة - رضي الله عنهم - وعن منزلتهم يطول؛ وحسبنا ما كتبه عنهم أفاضل العلماء وخصوصهم فيه بالتأليف، ومن هؤلاء: الإمام أحمد بن حنبل (241هـ) في كتابه فضائل الصحابة (4) والإمام النسائي (303هـ)، في كتابه فضائل الصحابة (5)، والإمام البغوي (317هـ)، في كتابه معجم الصحابة (6)، والإمام أبو حسين البغدادي (351هـ)، في كتابه معجم الصحابة (7)، والإمام الدارقطني (385هـ)، في كتابه فضائل الصحابة ومناقبهم (8)، والإمام ابن منده العبدى (395هـ)

1 اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (3/180). برقم: 1645.

2 نفس المرجع (3/182) برقم: 1649.

3 نفس المرجع (3/180) برقم: 1646.

4 ينظر: فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الأولى، 1403 - 1983م.

5 ينظر: فضائل الصحابة، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: 303هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، 1405.

6 ينظر: معجم الصحابة، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المُرْزبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (ت: 317هـ)، المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني، الناشر: مكتبة دار البيان - الكويت، ط: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.

7 ينظر: معجم الصحابة، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (ت: 351هـ)، المحقق: صلاح بن سالم المصري، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، ط: الأولى، 1418.

8 ينظر: فضائل الصحابة ومناقبهم، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار الدارقطني (ت: 385هـ)، اعتنى به: محمد بن خليفة الرياح، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، -السعودية-، ط: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

هـ) في كتابه معرفة الصحابة⁽¹⁾، والإمام أبو نُعَيْم الأصبهاني (430هـ) ، في كتابه معرفة الصحابة⁽²⁾، والإمام أبو إدريس الملقب بالمؤيد بالله (745هـ) في كتابه أطواق الحَمَامَة في حَمَل الصَّحَابَة عَلَى السَّلَامَة⁽³⁾.

وبالطبع يُعد ابن عَبَّاس من أشرف الصحابة، بل من أعلمهم بكتاب الله سبحانه وتعالى، خاصة وهو على وعي تام بشروط المفسر، وما عليه معرفته، بما يزيل المشكل ويكشف عن مراد الله تعالى، من تلك الخصائص التي يَبَيِّنُهَا بِإِجْمَالٍ، وهذا تفصيلها بأمثلة من تفسير ابن عباس، والتي تبرز فيه قوته وحنكته، ومعرفته الواسعة بوسائل وأدوات الفهم الصحيح، التي من خلالها تبوأ تلك المنزلة الرفيعة، من حبر الأمة وترجمان القرآن.

✓ مشاهدة التنزيل ومعرفة أحواله:

إن معرفة أسباب النزول ومشاهد التنزيل ومعرفة أحواله، من الأهمية بمكان، حيث يتوقف فهم كثير من الآيات على أسباب نزولها وأحوالها، وتتضح ضرورة هذا العلم، حينما يقف العلماء المحققون على بعض أخطاء المفسرين الذين نحو في تفسيراتهم منحى لغويًا من غير مراعاة هذه الأسباب ، فيجد المحققون أن جلَّ أسلِبِهَا، الجهل بشواهد التنزيل، ومعرفة أحواله، لهذا نجد أن علماء التأويل نبهوا على أهمية ضرورة معرفة سبب النزول، حيث أن هذه المشاهد اختص بها، الصحابة رضي الله عنهم، دون غيرهم ممن جاء بعدهم، فما هي أسباب النزول وأهميتها؟ أسباب النزول مركب إضافي، وقبل تعريفه اصطلاحاً نعرفه لغة.

الأسباب لغة: جمع سبب والسبب كل ما يتوصل به إلى غيره ؛ قال ابن دُرَيْد (ت: 321هـ): السَّبَب: الحَبْلُ أَوْ الحَيْطُ، وَالجَمْعُ أَسْبَابٌ ؛ وَيَبْنِي وَبَيْنَ فَلَانَ سَبَبٌ، أَي حَبْلٌ يُوَصِّلُ⁽¹⁾.

1 ينظر: معرفة الصحابة لابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنَدَه العبدى (ت: 395هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: د. عامر حسن صبري، الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.

2 معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: 430هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط: الأولى 1419 هـ - 1998 م.

3 أطواق الحَمَامَة في حَمَل الصَّحَابَة عَلَى السَّلَامَة، أبو إدريس يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الزيدي الحسيني العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت: 745هـ)، حققها وعني بنشرها: مصطفى البغدادي.

النزول لغة: مصدر نزل ينزل نزولا وهو الحلول⁽²⁾ والانحطاط من أعلى؛ قال ابن فارس (395هـ): (نَزَلَ) النَّوْنُ وَالزَّاءُ وَاللَّامُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى هُبُوطِ شَيْءٍ وَوُقُوعِهِ.⁽³⁾ وقال الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ): التُّزُولُ فِي الْأَصْلِ هُوَ انْحِطَاطٌ مِنْ عُلوِّ.⁽⁴⁾

تعريف أسباب النزول اصطلاحاً: عرف بعدة تعريفات، من بينها:

- قول السُّيُوطِي (ت: 911هـ): "وَالَّذِي يَتَحَرَّرُ فِي سَبَبِ التُّزُولِ أَنَّهُ مَا نَزَلَتْ الْآيَةُ أَيَّامَ وُقُوعِهِ". اهـ.⁽⁵⁾

- وعرفها محمد عبد العظيم الزُّرْقَانِي (ت: 1367هـ) بقوله: "هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أن مبينة لحكمه أيام وقوعه". اهـ.⁽⁶⁾

- وقال مناع بن خليل القطان (ت: 1420هـ): "هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال". اهـ.⁽⁷⁾

- وقيل سبب النزول هو: كل قول أو فعل نزل بشأنه قرآن عند وقوعه.⁽⁸⁾

واستناداً إلى التعريفات السابقة نستطيع القول أن أسباب النزول: تشمل الأقوال والأفعال والحوادث التي نزل بشأنها قرآن عند وقوعه.

¹ جمهرة اللغة (2/ 1000).

² ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، (5/ 1829).

³ مقاييس اللغة (5/ 417).

⁴ المفردات في غريب القرآن (ص: 799).

⁵ الإتيان في علوم القرآن (1/ 116).

⁶ مناهل العرفان في علوم القرآن (1/ 106).

⁷ مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (ت: 1420هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: الثالثة 1421هـ - 2000م. (ص: 78).

⁸ ينظر: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى: 1427 هـ - 2006 م. (1/ 105).

أهمية سبب النزول: إن معرفة سبب النزول، من أهم الأمور التي يحتاجها المفسر، لأنه سبب قوي في كشف ملابسات الآية، مما يزيد فهم الألفاظ وتوجيهها توجيهاً صحيحاً.

قال ابن أبي حاتم الرازي (327هـ): " فإن قيل كيف السبيل إلى معرفة ما ذكرت من معاني كتاب الله عز وجل ومعالم دينه؟ قيل: بالآثار الصحيحة عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعن أصحابه النجباء الأولياء الذين شهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، رضي الله تعالى عنهم".⁽¹⁾

فمعرفة التأويل قد يتوقف فيه القول والصواب على سبب النزول ومشاهدة التنزيل، قال الواحدي (468هـ): "إِبَانَةٌ مَا أُنزِلَ فِيهِ مِنَ الْأَسْبَابِ، إِذْ هِيَ أَوْفَى مَا يَجِبُ الْوُقُوفُ عَلَيْهَا، وَأَوْلَى مَا تُصَرَّفُ الْعِنَايَةُ إِلَيْهَا، لِامْتِنَاعِ مَعْرِفَةِ تَفْسِيرِ الْآيَةِ وَقَصْدِ سَبِيلِهَا، دُونَ الْوُقُوفِ عَلَى قِصَّتِهَا وَبَيَانِ نُزُولِهَا. وَلَا يَجِلُّ الْقَوْلُ فِي أَسْبَابِ نُزُولِ الْكِتَابِ، إِلَّا بِالرُّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ مِمَّنْ شَاهَدُوا التَّنْزِيلَ، وَوَقَعُوا عَلَى الْأَسْبَابِ، وَبَحَثُوا عَنْ عِلْمِهَا وَجَدُّوا فِي الطَّلَابِ".⁽²⁾

بل هو مستند قوي، وطريق قوي، للوصول إلى فهم الآية دون مخاطر، ومعرفة الحال تورث فهم الخطاب، يقول بهذا الصدد ابن دقيق العيد (702هـ): " وَبَيَانُ سَبَبِ النُّزُولِ: طَرِيقٌ قَوِيٌّ فِي فَهْمِ مَعَانِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَهُوَ أَمْرٌ يَخْضُلُ لِلصَّحَابَةِ بِقِرَائِنٍ تُحْفُ بِالْقَضَايَا".⁽³⁾

وقال ابن تيمية (ت: 728هـ): " وَمَعْرِفَةُ " سَبَبِ النُّزُولِ " يُعِينُ عَلَى فَهْمِ الْآيَةِ فَإِنَّ الْعِلْمَ بِالسَّبَبِ يُورِثُ الْعِلْمَ بِالْمُسَبَّبِ".⁽⁴⁾

لقد كانت حجة بعض العلماء في رد بعض الآراء التفسيرية، بسبب مغلفتها شواهد التنزيل، فهذا الإمام الثعلبي (427هـ) بعد حكايته أقوال بعض المفسرين يقول: "وهذه التأويلات التي

1 الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، 1271 هـ 1952 م. (2/1).

2 أسباب نزول القرآن، الواحدي. (ص: 8).

3 إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ت 702هـ)، الناشر: مطبعة السنة الحمديّة. (2/259).

4 مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية. (ص: 16).

حكيناها كلها غير قويّة ولا مرضية لمخالفتها أقوال القدماء من العلماء الذين يؤخذ عنهم التأويل،
وهم قد أخذوا عن الذين شهدوا التنزيل" (1).

ومن هؤلاء الذين شهدوا التنزيل ابن عباس حيث أدرك أهميته، فجدده يدافع عن هذا المبدأ
باستعانته كأداة لترجيح بها في التفسير؛ وفهم الشريعة بصفة عامة، ولعله استخدم هذه الأداة في
مناظرته مع الخوارج، ونقتصر فيها على الشاهد، حينما قالوا له: "فَمَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ - أي ابن
عباس-: " أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، لِأُبَلِّغَكُمْ
مَا يَقُولُونَ ، وَتُخْبِرُونَ بِمَا تَقُولُونَ ، فَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِالْوَحْيِ مِنْكُمْ ، وَفِيهِمْ أَنْزَلَ
وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ..." (2)

ونلاحظ كيف استدل ابن عباس، ليقرر أولويات، ويُذكر بمسلمات، ويدلّل بإيجازات، حيث
قال: " أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ " أي
هؤلاء الذين تنعمون عليهم وتختلفون معهم، هم صحابة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبكل ما
توحي عبارة الصحبة من الفضل والتركية، وأنهم تلاميذ لمعلمهم الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -،
فنعم المعلم ونعم التلميذ، ثم زاد قيذا ليقوي الحجة، فهؤلاء الصحابة " مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ"،
ليشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْقَوْرُ
الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100]؛ وإلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
[التوبة: 117]، فإن كان هذا شأنهم وفضلهم، فما هو شأنكم وفضلكم؟! ثم يستمر ابن عباس في
تمهيداته بقوله ثانيا: " لِأُبَلِّغَكُمْ مَا يَقُولُونَ " ليوحي إلى تلازم بين المقدمة الأولى والثانية، وهي: إن
عرفتم حقيقة فضلهم، فعرفوا قدر قولهم، ثم يبرهن ابن عباس على المقدمة الثانية في صواب قولهم
ورجحانه-أي الصحابة- بقوله: " فَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِالْوَحْيِ مِنْكُمْ ، وَفِيهِمْ أَنْزَلَ "
ولا محيص لهم عن هذا، ليقرر منهجاً محكماً لهم ولغيرهم، ممن تُسول له نفسه مخالفة صحابة النبي -

1 تفسير الثعلبي (5/ 210).

2 السنن الكبرى للبيهقي (8/ 310).

- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثم يحتتم بعد البرهنة القوية والحجة المتناهية بقوله: "وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ" ليلصق الخصائص بأصحابها والمميزات بذويها، والفضل لأهل الفضل، كما يُلِمِح ابن عباس إلى وحدة الفهم للقرآن الكريم عند الصحابة -رضي الله عنهم- وبخاصة في مثل هذه المواقف، فإن كانوا قد اختلفوا سياسياً فهم لم يختلفوا في فهم القرآن، بل تحاكموا إليه، بخلاف الخوارج تحاكموا عليه، بِأَفْهَامٍ كَلِيلَةٍ، وَأَبْصَارٍ عَلِيلَةٍ، وَنَظَرٍ مَدْخُولٍ، فَحَرَفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، لِيُؤَسِّسُوا بِذَلِكَ مِنْهَجًا منحرفاً، لتعيش الأمة مساوئته إلى يومنا هذا -والله المستعان-.

كان من البديهي أن ابن عباس، لم يدرك كثيرًا من المشاهد وأسباب النزول، كما سلف من حياته، إلا أنه كان حريصاً على معرفتها والبحث عنها، وسؤال من أدركها، حتى تميّز عن كبار الصحابة -رضي الله عنهم-، وها هو يروي لنا ابن عباس قصته مع الرجل من المهاجرين الذي شرب الخمر ثم حاج عمر في عدم الحد؛ فقال رضي الله عنه: "أَيُّ بَرَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَقَدْ كَانَ شَرِبَ فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُجْلَدَ، فَقَالَ: لَمْ تَجْلِدْنِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فِي أَيِّ كِتَابِ اللَّهِ تَجِدُ أَيُّ لَا أَجْلِدُكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: 93 الآية] فَأَنَا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، ثُمَّ اتَّقُوا وَآمَنُوا، ثُمَّ اتَّقُوا وَأَحْسِنُوا، شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ وَالْحَنْدَقَ وَالْمَشَاهِدَ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا تَرُدُّونَ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ هَذِهِ آيَاتِ أَنْزَلَتْ عُذْرًا لِلْمَاضِينَ وَحِجَّةً عَلَى الْبَاقِينَ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: 90]، ثُمَّ قَرَأَ حَتَّى أَنْفَذَ آيَةَ الْأُخْرَى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسِنُوا﴾ [المائدة: 93]، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ نَهَى أَنْ يُشْرَبَ الْحُمُرُ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صَدَقْتُ".⁽¹⁾

وهذه الرواية تبين منزلة معرفة سبب النزول، والذي بدوره تتوقف عليه فهم الآية فهماً صحيحاً، كما أنّها تبين منزلة ابن عباس وعلمه في هذا الميدان، حيث كان أصغر من البدري وعمر اللذان خفي عنهما سبب النزول، وعلمه ابن عباس، والذي كان على وعي بلهية أسباب النزول وخاصة لمن يتحشم صرح مسؤولية التفسير، وهكذا نجد في تراث ابن عباس التفسيري عدّة نماذج، تبرز قوة ابن

1 المستدرك على الصحيحين للحاكم (4/ 417). وعلق عليه الذهبي في تلخيص فقال: صحيح.

عباس في هذه الأداة، ونشير إلى نقطة مهمة يذكرها العلماء، وهي "أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، وفي هذا الإطار نتساءل عن مدى أهمية هذا السبب م ادم حال القاعدة، "العبرة بعموم اللفظ"، فالجواب قد مضى عندما حررنا القول في التفسير وحدّ البيان، وقلنا أن ثمة أسباب نزول، يتوقف فهم الآية عليها، وبذلك تدخل في صلب التفسير، وخير مثال على ذلك ؛ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحْرِمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 37]، فلو فسرنا الآية بمجرد اللغة، لاستوقفنا لفظة "النسيء" وهي التأخير لغة⁽¹⁾ وبذلك لا نستطيع فهم الآية على هذا النحو الصحيح، "إنما التأخير زيادة في الكفر" فتأخير ماذا؟ زيادة في الكفر؛ لكن حينما ندرك سبب النزول نفهم المقصود من الآية، وفي هذا الصدد يقول ابن عباس: "النسيء أن جنادة بن عوف بن أمية الكنايني كان يوافي الموسم كل عام وكان يكفي أبا ثمامة فينادي ألا إن أبا ثمامة لا يجاب ولا يعاب، ألا وإن عام صفر الأول العام حلال، فيحله للناس فيحرم صفرًا عامًا ويحرم المحرم عامًا فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحْرِمُونَهُ عَامًا﴾ [التوبة: 37] إلى قوله ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾".⁽²⁾

ونفهم من هذا النص، أن اللغة في بعض الحالات لا تستطيع أن تزيل اللبس والإشكال، وتلبي ضروريات النص القرآني من الفهم، حيث لا بد لها من الاستعانة في بعض المواطن بأسباب النزول وملابساتها، ويظهر هذا جلياً في بعض الأمثلة التي ذهب فيها بعض أهل اللغة إلى فهم النصوص بمجرد اللغة وما تحمله من اتساع؛ وهذا أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت: 209هـ) يقول في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُعَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 11]؛ "بجازه: يفرغ عليهم الصبر وينزله عليهم فيثبتون لعدوهم".⁽³⁾

1 قال ابن دريد الأزدي: "وكل متأخر فهو نسيء". ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت

321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط: الأولى، 1987م. (2/ 1105).

2 تفسير الطبري (14/ 245) برقم: 16706؛ ورواه البيهقي في سننه الكبرى (5/ 271).

3 مجاز القرآن (1/ 242).

لكن إذا رجعنا إلى سبب نزول الآية وقصتها، نجد ابن عباس قال: ﴿إِذْ يَغْشَاكُمْ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 11]؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ لَمَّا خَرَجُوا لِيَنْصُرُوا الْعَبْرَ وَيُقَاتِلُوا عَنْهَا، نَزَلُوا عَلَى الْمَاءِ يَوْمَ بَدْرٍ، فَعَلَبُوا الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ، فَأَصَابَ الْمُؤْمِنِينَ الظَّمُّ، فَجَعَلُوا يُصَلُّونَ مُجْنِبِينَ مُخْذِلِينَ، حَتَّى تَعَاظَمَ ذَلِكَ فِي صُدُورِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً حَتَّى سَالَ الْوَادِي، فَشَرِبَ الْمُسْلِمُونَ وَمَلَأُوا الْأَسْقِيَةَ، وَسَقَوْا الرِّكَابَ وَاعْتَسَلُوا مِنَ الْجَنَابَةِ، فَجَعَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ طَهُورًا، وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَوْمِ رَمْلَةٌ فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْمَطَرَ، فَضَرَبَهَا حَتَّى اشْتَدَّتْ، وَثَبَّتَ عَلَيْهَا الْأَقْدَامَ". (1)

ويرجح الطبري (ت:310هـ) قول ابن عباس ومعلقا على قول أبي عبيدة بقوله: "وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، أَنَّ مَجَازَ قَوْلِهِ: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 11] وَيُفْرِعُ عَلَيْهِمُ الصَّبْرَ وَيُنَزِّلُهُ عَلَيْهِمْ، فَيَثْبُتُونَ لِعَدُوِّهِمْ؛ وَذَلِكَ قَوْلٌ خِلَافٌ لِقَوْلِ جَمِيعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَحَسَبُ قَوْلٍ خَطَأً أَنَّ يَكُونُ خِلَافًا لِقَوْلِ مَنْ ذَكَرْنَا". (2)

وإن كان قول أبي عبيدة يحتمل صواباً في عموم اتساع اللغة، إلا أن التقرير من ابن عباس بسبب النزول يرجح كفته.

✓ معرفة أحوال من نزل فيهم القرآن.

إن معرفة أحوال من نزل فيهم الخطاب، هو من الملامح الدلالية التي تعين على فهم ظاهر النص اللغوي في سياقه القرآني، وفق ملابساته الثقافية والاجتماعية للعرب وعاداتها وأعرافها، وخاصة حينما نعلم أن للعرب فنوناً في القول والعمل، لا تدرك إلا بالمعاينة والمعايشة لتلك الطرائق، وسواء حصلت للعرب فيما بينهم، أو ما جاورهم من اليهود والنصارى؛ إذاً فما المقصود من عادات العرب وأعرافها؟ وما أهميتها في الجانب التفسيري؟

1 تفسير الطبري (13/424).

2 تفسير الطبري (13/427).

تعريف العادة والعرف لغة:

العَادَةُ لغة: عرفها الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ) بقوله هي: " الدُرْبَةُ، وَالتَّمَادِي فِي شَيْءٍ حَتَّى يَصِيرَ لَهُ سَجِيَّةٌ؛ وَيُقَالُ لِلْمُؤَاظِبِ عَلَى الشَّيْءِ: الْمُعَاوِدُ".⁽¹⁾

وهو من الفعل الثلاثي عَوَدَ، قال أحمد بن فارس (ت: 395هـ): " (عَوَدَ) الْعَيْنُ وَالْوَاوُ وَالذَّالُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى تَثْنِيَةِ فِي الْأَمْرِ، وَالْآخَرُ جِنْسٌ مِنَ الْحَشَبِ. فَأَلَاوُلُ: الْعَوْدُ، قَالَ الْخَلِيلُ: هُوَ تَثْنِيَةُ الْأَمْرِ عَوْدًا بَعْدَ بَدْءٍ. تَقُولُ: بَدَأْتُ عَادًا. وَالْعَوْدَةُ: الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ".⁽²⁾

والعرف لغة:

قال أبو منصور الأزهري (ت: 370هـ): " وَالْعَرَفُ وَالْعَارِفَةُ وَالْمَعْرُوفُ وَاحِدٌ، وَهُوَ كَلٌّ مَا تَعْرِفُهُ النَّفْسُ مِنَ الْخَيْرِ وَتَبْسَأُ⁽³⁾ بِهِ وَتَطْمئنُّ إِلَيْهِ".⁽⁴⁾

وهو من الفعل الثلاثي عَرَفَ، قال أحمد بن فارس (ت: 395هـ): " (عَرَفَ) الْعَيْنُ وَالرَّاءُ وَالْفَاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى تَتَابُعِ الشَّيْءِ مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَالْآخَرُ عَلَى السُّكُونِ وَالطَّمَانِينَةِ. ... وَالْأَصْلُ الْآخِرُ الْمَعْرِفَةُ وَالْعِرْفَانُ. تَقُولُ: عَرَفَ فُلَانٌ فُلَانًا عِرْفَانًا وَمَعْرِفَةً، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْرُوفٌ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا مِنْ سُكُونِهِ إِلَيْهِ، لِأَنَّ مَنْ أَنْكَرَ شَيْئًا تَوَحَّشَ مِنْهُ وَتَبَا عَنْهُ.

وَمِنَ الْبَابِ الْعَرَفُ، وَهِيَ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ. وَهِيَ الْقِيَّاسُ، لِأَنَّ النَّفْسَ تَسْكُنُ إِلَيْهَا. يُقَالُ: مَا أَطْيَبَ عَرْفَهُ. قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمُ﴾ [محمد: 6]، أَي طَيَّبَهَا. قَالَ:

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ قَدْ هَوَتْ وَلَيْلَةٌ *****
بِوَاضِحَةِ الْحَدِيدِ طَيِّبَةِ الْعَرَفِ⁽⁵⁾

¹ ينظر: العين (2/ 218).

² مقاييس اللغة (4/ 182).

³ قال صاحب تاج العروس - الناشر: دار الهداية - (1/ 149): بَسَأَ بِهِ أَي بِالرَّجْلِ وَبَسَىءَ (كَحَجَلٍ وَفَرَجٍ) ؛ تَبَسَأَ بَسَاءً، يَفْتَحُ فَسْكَونٌ؛ وَبَسَأً مَحْرَكَةً، وَبُسُوءًا كَفُعُودٍ إِذَا (أَنَسَ) بِهِ، (و) يُقَالُ: أَبْسَأْتُهُ فَبَسَىءَ بِي... وَبَسَأَ بِالْأَمْرِ بَسَاءً وَبُسُوءًا: مَرَنَ عَلَيْهِ". اهـ

⁴ تهذيب اللغة (2/ 208).

⁵ البيت أورده الخليل في كتابه العين (2/ 122)، وإبراهيم الحربي في غريب الحديث (1/ 189).

وَالْعُرْفُ: الْمَعْرُوفُ، وَسَمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ النَّفْسَ تَسْكُنُ إِلَيْهِ. قَالَ النَّابِغَةُ⁽¹⁾:

أَبَى اللَّهُ إِلَّا عَدْلَهُ وَوَفَاءَهُ ***** فَلَا النُّكْرَ مَعْرُوفٌ وَلَا الْعُرْفَ ضَائِعٌ (2) . (3)

تعريف العادة والعرف اصطلاحاً:

تعريف العادة اصطلاحاً:

عرفها شَهَابُ الدِّينِ الْقَرَّافِي (ت: 684هـ): "وَالْعَادَةُ غَلْبَةٌ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي عَلَى النَّاسِ".⁽⁴⁾
و قَالَ الشَّرِيفُ الْجُرْجَانِي (816هـ): "الْعَادَةُ مَا اسْتَقَرَّتْ النَّاسُ فِيهِ عَلَى حَكْمِ الْعُقُولِ وَعَادُوا إِلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى".⁽⁵⁾
أما ابن أمير حاج الحنفي (ت: 879هـ) قال: "الْعَادَةُ: وَهِيَ الْأَمْرُ الْمُتَكَرِّرُ مِنْ غَيْرِ عِلَاقَةٍ عَقْلِيَّةٍ".⁽⁶⁾

ونستخلص أن العادة: هي مجموعة ما تعارف عليه الناس، وعادوه كَرَّةً بعد كَرَّةً.

تعريف العرف اصطلاحاً:

عرفها الشَّرِيفُ الْجُرْجَانِي (816هـ) بقوله: "العرف ما اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ النَّفْسُ بِشَهَادَةِ الْعُقُولِ وَتَلَقَّتْهُ الطَّبَاعُ بِالْقَبُولِ وَهُوَ حِجَّةٌ".⁽⁷⁾

¹ النَّابِغَةُ الدُّبِّيَانِي هُوَ: زِيَادُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ ضِيَابِ الدُّبِّيَانِي الْغَطَفَانِي الْمَضْرِي، أَبُو أَمَامَةَ: شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ، مِنْ الطَّبَقَةِ الْأُولَى؛ وَأَهْلُ الْحِجَازِ يَفْضَلُونَ النَّابِغَةَ وَزَهْرًا. يَنْظُرُ: الشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ لِابْنِ قَتَيْبَةَ (1/156)؛ الْأَعْلَامُ لِلزُّرْكَلِيِّ (3/54).

² الْبَيْتُ فِي دِيْوَانِ النَّابِغَةِ الدُّبِّيَانِي، شَرْحٌ وَقَدَّمَ، عَبَّاسُ عَبْدِ السَّاتِرِ، ط: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، ط: الثَّلَاثَةُ: 1416هـ-1996م. (ص: 57).

³ مَقَائِيسُ اللَّغَةِ (4/281).

⁴ شَرْحُ تَنْفِيحِ الْفُصُولِ، أَبُو الْعَبَّاسِ شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَالِكِيِّ الشَّهِيرَ بِالْقَرَّافِيِّ (ت: 684هـ)، الْمَحْقُوقُ: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط: الأولى: 1393 هـ - 1973 م. (ص: 448).

⁵ التَّعْرِيفَاتُ (ص: 149).

⁶ التَّقْرِيرُ وَالتَّحْبِيرُ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَعْرُوفِ بَابِنِ أَمِيرِ حَاجٍ وَيُقَالُ لَهُ ابْنُ الْمَوْقِتِ الْحَنْفِيُّ (ت: 879هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الثانية: 1403هـ - 1983م. (1/282).

⁷ التَّعْرِيفَاتُ (ص: 149).

وقال أبو البقاء الكفوي (ت: 1094هـ): " وَالْعُرْفُ: هُوَ مَا اسْتَقَرَّ فِي النُّفُوسِ مِنْ جِهَةٍ شَهَادَاتِ الْعُقُولِ وَتَلَقَّتْهُ الطَّبَاعُ السَّلِيمَةُ بِالْقَبُولِ ؛ وَعَرَفَ اللِّسَانَ: مَا يَفْهَمُ مِنَ اللَّفْظِ بِحَسَبِ وَضْعِهِ اللَّغَوِيِّ؛ وَعَرَفَ الشَّرْعَ: مَا فَهَمَ مِنْهُ حَمَلَةَ الشَّرْعِ وَجَعَلُوهُ مَبْنَى الْأَحْكَامِ".⁽¹⁾

وفي الأخير نستطيع القول أن هذه التعريفات متقاربة، كما أن الفقهاء درجوا على جعل العادة والعرف شيء واحدًا، ومن فرق بينهما، أرجع ذلك الفرق بين الأفعالِ و الأقوالِ.

الفرق بين العادة والعرف:

العرف والعادة - في استعمالات الفقهاء - بمعنى واحد، ومنهم من خص العادة بالعرف العملي، وترك العرف للعرف القولي، وصرح بهذا الفرق أبو هلال العسكري (ت: نحو 395هـ) في فروقه⁽²⁾. وقد يطلق العرف على العادة القولية، وقد يطلق ويراد به العادة القولية، والعادة الفعلية.⁽³⁾

وَقِيلَ الْعَادَةُ نَشْتَعَمَلُ فِي الْأَفْعَالِ وَالْعُرْفُ يُسْتَعَمَلُ فِي الْأَقْوَالِ⁽⁴⁾

ومن ثمرات هذا الفرق ما قاله الزركشي (ت: 794هـ): " الْعُرْفُ تَارَةً يَكُونُ قَوْلِيًّا وَتَارَةً (يَكُونُ) فِعْلِيًّا (وَفَرَّقَ) بَيْنَ قَوْلِنَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِاسْتِعْمَالِ هَذَا اللَّفْظِ فِي هَذَا الْمُسَمَّى ، وَبَيْنَ قَوْلِنَا جَرَتْ بِفِعْلِ هَذَا الْمُسَمَّى ، وَالْأَوَّلُ الْعُرْفُ الْقَوْلِيُّ، وَالثَّانِي الْفِعْلِيُّ وَهُوَ عَيْرٌ مُعْتَبَرٌ فِي تَخْصِيصِ الْأَلْفَاظِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ عُرْفًا لَهَا فَلَا يَكُونُ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَيْهَا، بَلْ سُلْطَانُهُ عَلَى الْأَفْعَالِ، وَالْعُرْفُ الْقَوْلِيُّ سُلْطَانُهُ عَلَى الْأَقْوَالِ؛ لِأَنَّهُ عُرْفٌ لَهَا (فِيخَصُّصُهَا) وَلَا سُلْطَانٌ لَهُ عَلَى الْأَفْعَالِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ عُرْفًا لَهَا".⁽⁵⁾

¹ الكليات (ص: 617) - بتصرف -.

² معجم الفروق اللغوية (ص: 345) برقم: 1380.

³ القاموس الفقهي ، الدكتور سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر. دمشق - سورية ، ط: الثانية: 1408 هـ - 1988 م. (ص: 249).

⁴ كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (ت: 730هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي - بدون سنة الطبع - . (3/ 152)؛ وينظر أيضا: تاج العروس (8/ 443).

⁵ المنشور في القواعد الفقهية، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بھادر الزركشي (ت: 794هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية، ط: الثانية: 1405 هـ - 1985 م. (2/ 393).

أهمية معرفة العادات والأعراف حال نزول القرآن:

قد أدرك المفسرون ضرورة معرفة أحوال من نزل فيهم القرآن ، وخاصة حينما تستوقفهم بعض التصوص القرآنية ليجدوا فهمها مُشكِلاً، ولا يجدوا بدأً من فهمها، إلا بالرجوع إلى أحوال من نزل فيهم الخطاب، بل يَتَعَيَّنُ الوقوف عليها، بهذا الصدد يقول الشَّاطِبي (ت:790هـ): " وَمِنْ ذَلِكَ مَعْرِفَةُ عَادَاتِ الْعَرَبِ فِي أَقْوَالِهَا وَأَفْعَالِهَا وَمَجَارِي أَحْوَالِهَا حَالَةَ التَّنْزِيلِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ سَبَبٌ خَاصٌ لَا يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَةِ الْعَرَبِ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ مِنْهُ، وَإِلَّا وَقَعَ فِي الشُّبُهَةِ وَالْإِشْكَالَاتِ الَّتِي يُتَعَدَّرُ الْخُرُوجُ مِنْهَا إِلَّا بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ".⁽¹⁾

قال حسين الذهبي (ت:1398هـ): "ومعرفة عادات العرب تُعين على فهم كثير من الآيات التي لها صلة بعاداتهم، فمثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: 37] ؛ وقوله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: 189] ؛ لا يمكن فهم المراد منه، إلا لمن عرف عادات العرب في الجاهلية وقت نزول القرآن".⁽²⁾

ولعل من هذا القبيل، قوم لم تتضح لهم بعض الآيات من جهة اللغة ، فادعوا أنها من المتشابه أو المشكل ، لأن اللغة لا تستقل بالبيان ، ولا تكاد تفصل في مثل هذه المواضع؛ قال الطاهر بن عاشور (1393هـ): " آيَاتٌ جَاءَتْ عَلَى عَادَاتِ الْعَرَبِ، فَفَهَمَهَا الْمُخَاطَبُونَ، وَجَاءَ مَنْ بَعْدَهُمْ فَلَمْ يَفْهَمْوَهَا، فَظَنُّوْهَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ".⁽³⁾

لقد وقع الخطأ في التفسير ، بسببين رئيسيين: هما الخطأ في الدليل أو المدلول، أو يكونا معاً، وقد نبه على هذا ابن تيمية(728هـ) بقوله: " أَكْثَرُ مَا فِيهِ الْخَطَأُ مِنْ جِهَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا : قَوْمٌ اعْتَقَدُوا مَعَانِي ثَمَّ أَرَادُوا حَمْلَ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ عَلَيْهَا. وَالثَّانِيَةُ : قَوْمٌ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ بِمَجَرَّدِ مَا يُسَوِّغُ أَنْ يُرِيدَهُ بِكَلَامِهِ مَنْ كَانَ مِنَ النَّاطِقِينَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ بِالْقُرْآنِ وَالْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ وَالْمُخَاطَبِ بِهِ. فَالْأَوْلَى: رَاعُوا الْمَعْنَى الَّذِي رَأَوْهُ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى مَا تَسْتَحِقُّهُ أَلْفَاظُ الْقُرْآنِ مِنَ الدَّلَالَةِ وَالْبَيَانِ.

1 الموافقات (4/ 15).

2 التفسير والمفسرون (1/ 45).

3 التحرير والتنوير (3/ 160).

وَالْآخَرُونَ: رَاعُوا مُجَرَّدَ اللَّفْظِ وَمَا يَجُوزُ عِنْدَهُمْ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الْعَرَبِيُّ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى مَا يَصْلُحُ
لِلْمُتَكَلِّمِ بِهِ وَلِسِيَاقِ الْكَلَامِ... " (1).

نبه ابن تيمية بقوله: " وَإِنْ كَانَ نَظَرُ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْمَعْنَى أَسْبَقَ وَنَظَرُ الْآخَرِينَ إِلَى اللَّفْظِ أَسْبَقُ ".
إلى طائفتين لم تراعي معهود خطاب القرآن وملايساته، حيث أن القرآن نزل في بيئة لها عادات قولية
وفعلية، فالله جلّ وعلا راعى في خطابه معهود العرب في كلامها وعاداتها القولية والفعلية.
ونجد ابن عباس من المفسرين الأوائل الذين أعطوا للخطاب القرآني حقه من البيان دون
التقصير في أدواهم، بل كان يضع المعنى الصحيح في المحل الصحيح، بالأداة الصحيحة والمناسبة، فهو
يراعي دلالة السياق، إذ كشف الآية يتوقف عليه، ويراعي الخطاب القرآني، من غير إهمال للأعراف
والعادات التي تنبؤ عنها صياغة الآيات وتبين القصد منها.

علاقة العرف والعادة بتفسير كتاب الله:

من القواعد الفقهية المشهورة: "الْعَادَةُ مُحْكَمَةٌ"⁽²⁾ ومعنى ذلك مراعاة العادة والعرف في شرع الله
والاحتكام إليها في معرفة مراد الشارع، ما لم تخالف نصاً صريحاً⁽³⁾ وما دام أن القرآن نزل بلغة العرب
قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]، فلا بد من مراعاة معهود العرب
في الكلام، والأفعال، قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الأحقاف: 12]، وهذا

1 مجموع الفتاوى (13/ 355 / 356).

² الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى:
1411هـ - 1990م. (ص: 89) ؛ وينظر أيضا: الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، زين الدين بن إبراهيم بن
محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت: 970هـ)، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب
العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى: 1419 هـ - 1999 م. (ص: 79).

³ يقول عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف: " يعني الفقهاء بهذه القاعدة أنه يُرجع في تحديد المراد من بعض الألفاظ الشرعية،
والألفاظ التي يتعامل بها الناس، وبناء الأحكام الشرعية عليها إلى عادة الناس وما تعارفوا عليه، وذلك إذا لم يرد الشرع بتحديدده،
ولم يتضمن المعنى اللغوي للفظ تحديدا وتقديرا له ". ينظر: القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، عبد الرحمن بن صالح العبد
اللطيف، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1423هـ-
2003م. (1/ 298 / 299).

اللسان له عرف عندا أصحابه، وطرائق في القول يحتكم إليه ا ؛ قال الشَّاطِبي (ت:790هـ): " أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي فَهْمِ الشَّرِيعَةِ مِنْ اتِّبَاعِ مَعْهُودِ الْأُمِّيِّينَ، وَهُمْ الْعَرَبُ الَّذِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِمْ، فَإِنْ كَانَ لِلْعَرَبِ فِي لِسَانِهِمْ عُرْفٌ مُسْتَمَرٌّ، فَلَا يَصِحُّ الْعُدُولُ عَنْهُ فِي فَهْمِ الشَّرِيعَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ عُرْفٌ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُجْرَى فِي فَهْمِهَا عَلَى مَا لَا تَعْرِفُهُ؛ وَهَذَا جَارٍ فِي الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ وَالْأَسَالِيبِ".⁽¹⁾

ومعلوم أن عرف اللغة قد يتغير⁽²⁾ ؛ لكن لغة القرآن معلومة الزمان والمكان، ولذلك لا بد من الاحتكام إلى عرف اللغة وعادة العرب التي أقرها الشارع، وفق الزمان والمكان، وهذا ما يجعل عملية التفسير أصوب كلما، اقتربت من عصر التنزيل، وهذا ما يفسر ترجيح أولوية الصحابة في التفسير، وسواء تعلق الأمر بالعرف(العادة) القولي أو العملي على حدّ هذا التقسيم:

أقسام العُرفِ (العادة)⁽³⁾:

يُنْقَسِمُ الْعُرْفُ بِحَسَبِ اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهَا فِي بَعْضِ الْمَعَانِي، أَوْ بِحَسَبِ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا النَّاسُ إِلَى قِسْمَيْنِ: عُرْفٍ قَوْلِيٍّ: (لَفْظِيٍّ) ، وَعُرْفٍ عَمَلِيٍّ.

تعريف العُرفِ القَوْلِيٍّ: أَنْ يَتَعَارَفَ قَوْمٌ إِطْلَاقَ لَفْظٍ عَلَى مَعْنَى، بِحَيْثُ لَا يَتَبَادَرُ عِنْدَ سَمَاعِهِ إِلَّا ذَلِكَ الْمَعْنَى، كَالدَّرْهِمِ عَلَى النَّقْدِ الْعَالِيِّ. فَمَعْنَى الْعُرْفِ فِي اللَّفْظِ: أَنْ يُنْقَلُ إِطْلَاقُ لَفْظٍ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَى، حَتَّى يَصِيرَ هُوَ الْمُعْتَادُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، مِثَالُ ذَلِكَ إِطْلَاقُ لَفْظِ الدَّابَّةِ عَلَى ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مَعَ أَنَّهَا فِي اللَّعَّةِ لِكُلِّ مَا يَدِبُّ.

تعريف العُرفِ العَمَلِيٍّ: هُوَ مَا جَرَى عَلَيْهِ النَّاسُ وَتَعَارَفُوهُ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ، كَتَعَارَفِ النَّاسِ الْبَيْعِ بِالتَّعَاطِي وَالِاسْتِصْنَاعِ".

1 الموافقات (2/ 131).

² يقول عبد الله بن يوسف الجديع: (العُرف) متغيّر بتغيّر الزّمانِ والمكانِ، وما يتمُّ تطبيقُهُ على وَفْقِهِ من الأحكامِ يَختلفُ باختلافِهِ، وكثيرٌ من فتاوى الفقهاء بُنيَتْ على مُراعَاةِ الزّمانِ الَّذِي كانوا فيه، والبَلَدِ الَّذِي عاشوا فيه، فلا تصلحُ تعديهُ ما أثار فيه العُرفُ من الفتاوى والأحكامِ إلى غيرِ أهلِ العُرفِ الَّذِي أثار فيها، إنَّما تُعتبرُ خاصَّةً بذلكِ الزّمانِ أو المكانِ. اهـ ؛ ينظر: تيسيرُ علمِ أصولِ الفقه، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوبِ اليعقوبِ الجديعِ العنزِي، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: الأولى: 1418 هـ - 1997 م. (ص: 213).

³ الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ). (30/ 54/ 55).

العادات الفعلية في ضوء القرآن الكريم:

سيوضح من خلال بعض هذه النماذج من تفسير ابن عباس، كيفية معالجته لبعض نصوص الكتاب، في ضوء العادات الفعلية التي نزل بها القرآن الكريم، حيث يكون البيان وفق ما جاء من تلك العادات الفعلية في ذلك الزمان، كما أن النص وحده لا يبين عن نفسه، إلا من خلال فهم تلك العادات:

الأمثلة:

1. ﴿إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 158].

قد يستشكل البعض مفهوم هذه النص، من خلال لفظة فلا جناح، وقد أورد هذا الإشكال ابن جرير الطبري حيث قال: " فَإِنَّ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا وَجْهَ هَذَا الْكَلَامِ، وَقَدْ قُلْتُمْ لَنَا: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 158] وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ ظَاهِرَ الْخَبَرِ فَإِنَّهُ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ بِالطَّوَّافِ بِهِمَا؟ فَكَيْفَ يَكُونُ أَمْرًا بِالطَّوَّافِ، ثُمَّ يُقَالُ: لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فِي الطَّوَّافِ بِهِمَا؟ وَإِنَّمَا يُوضَعُ الْجُنَاحُ عَمَّنْ أَتَى مَا عَلَيْهِ بِإِتْيَانِهِ الْجُنَاحَ وَالْحَرْجَ، وَالْأَمْرُ بِالطَّوَّافِ بِهِمَا، وَالتَّرْجِيصُ فِي الطَّوَّافِ بِهِمَا غَيْرُ جَائِزٍ اجْتِمَاعُهُمَا فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ؟" (1)

وقد أجاب ابن عباس عن مثل هذه الإشكالات، كونه أحاط بكثير من عادات العرب القولية والفعلية، وما يقتضيه الخطاب من دلالات خارج النص؛ فقال في هذا الموطن على ما رواه الطبري عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: " ﴿إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 158] وَذَلِكَ أَنَّ نَاسًا كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَطُوفُوا بَيْنَ الصَّغَا وَالْمَرْوَةِ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنََّّهُمَا مِنْ شَعَائِرِهِ، وَالطَّوَّافُ بَيْنَهُمَا أَحَبُّ إِلَيْهِ، فَمَضَتْ السُّنَّةُ بِالطَّوَّافِ بَيْنَهُمَا" (2).

وإن كان في هذا الخبر إجابة جملة مختصرة في قوله: " نَاسًا كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ" وهي في الحقيقة كافية، إلا أنه ورد عن تلاميذه ما يُفصّل ذلك، ولعل ابن عباس على دراية بإجابة عائشة-رضي الله

1 تفسير الطبري(3/ 230).

2 تفسير الطبري(3/ 234) برقم: 2341.

عنها- فيما استشكل هر عروة؛ فعن الزُّهري، قال عُرْوَةُ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- فَقُلْتُ لَهَا: "أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: 158]، فَوَ اللَّهِ مَا عَلَيَّ أَحَدٍ جُنَاحٌ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةَ، قَالَتْ: بِمَنْسٍ مَا قُلْتُ يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنَّ هَذِهِ لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوْلَتْهَا عَلَيَّ، كَانَتْ: لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا، وَكَانَتْ أَنْزَلَتْ فِي الْأَنْصَارِ، كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمُوا يُهْلُونَ لِمَنَاةَ الطَّاعِيَةِ، الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ الْمِثْلَلِ، فَكَانَ مِنْ أَهْلِ يَنْحَرِّجُ أَنْ يَطَّوَّفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةَ، فَلَمَّا أَسَلِمُوا، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا نَتَحَرِّجُ أَنْ نَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 158]؛ الْآيَةُ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّوْفَ بَيْنَهُمَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرَكَ الطَّوْفَ بَيْنَهُمَا». متفق عليه". (1)

فنلاحظ كيف استشكل عُرْوَةُ الخطاب بسبب عدم معرفته عادات العرب وسبب النزول.

2. قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: 198].

روى البخاري (2) في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ..﴾ [البقرة: 198] عن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: "كَانَتْ عُكَاظُ، وَجَحْنَةُ، وَذُو الْمِجَازِ، أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ، فَكَانَتْهُمْ تَأْتَمُّوا فِيهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: 198] فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ."

قال الطاهر بن عاشور (1393هـ) في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾: "جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْمُتَعَاظِفِينَ بِمُنَاسَبَةِ النَّهْيِ عَنْ أَعْمَالٍ فِي الْحَجِّ تُنَافِي الْمَقْصِدَ مِنْهُ فَتَقَلَّ الْكَلَامَ إِلَى إِبَاحَةِ مَا كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ مِنْهُ فِي الْحَجِّ وَهُوَ التَّجَارَةُ بَيَانِ أَنَّهَا لَا تُنَافِي الْمَقْصِدَ الشَّرْعِيَّ إِبْطَالًا لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ، إِذْ كَانُوا يَرَوْنَ التَّجَارَةَ لِلْمُحْرِمِ بِالْحَجِّ حَرَامًا. فَالْفَضْلُ هُنَا هُوَ الْمَالُ، وَابْتِغَاءُ الْفَضْلِ التَّجَارَةُ لِأَجْلِ الرَّبْحِ كَمَا هُوَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ

¹ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (58/2) برقم: 803.

² صحيح البخاري (53/3). وذكره الطبري في تفسير (169/4) برقم: 3791.

فَضِّلَ اللَّهُ ﴿﴾ [المزمل: 20]. وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سُوقِ ذِي الْمَجَازِ إِلَى مَكَّةَ حَرُمَ
عِنْدَهُمُ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ قَالَ النَّابِغَةُ:

كَادَتْ تُسَاقِطُنِي رَحْلِي وَمِثْرَتِي
مِنْ صَوْتِ حَرَمِيَّةٍ قَالَتْ وَقَدْ طَعَنُوا
فُلْتُ لَهَا وَهِيَ تَسْعَى تَحْتَ لَبَّتِهَا
بِذِي الْمَجَازِ وَلَمْ تُحْسِنْ بِهِ نَ
هَلْ فِي مُحْفِيكُمْ مَنْ يَشْتَرِي أَدَمًا
لَا تَحْطَمَنَّكَ إِنَّ الْبَيْعَ قَدْ زَرَمًا (1).

أَيِ انْقَطَعَ الْبَيْعُ وَحَرُمَ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَتْ عُكَازٌ وَمِجَنَّةٌ، وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ
فَتَأْتَمُّوْا أَنْ يَتَّجِرُوا فِي الْمَوَاسِمِ فَنَزَلَتْ: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوْسَمِ الْحُجِّ)
أَيِ قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ بِزِيَادَةِ فِي مَوْسَمِ الْحُجِّ.

وَقَدْ كَانَتْ سُوقُ عُكَازٍ تَفْتَحُ مُسْتَهْلَ ذِي الْقَعْدَةِ وَتَدُومُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَفِيهَا تُبَاعُ نَفَائِسُ السَّلْعِ
وَتَتَفَاخَرُ الْقَبَائِلُ وَيَتَبَارَى الشُّعْرَاءُ، فَهِيَ أَعْظَمُ أَسْوَاقِ الْعَرَبِ وَكَانَ مَوْقِعُهَا بَيْنَ نَخْلَةَ وَالطَّائِفِ، ثُمَّ
يَخْرُجُونَ مِنْ عُكَازٍ إِلَى بَجْنَةَ ثُمَّ إِلَى ذِي الْمَجَازِ، وَالْمَطْنُونُ أَنَّهُمْ يَفْضُونَ بَيْنَ هَاتَيْنِ السُّوقَيْنِ بَقِيَّةَ
شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ لِأَنَّ النَّابِغَةَ ذَكَرَ أَنَّهُ أَقَامَ بِذِي الْمَجَازِ أَرْبَعَ لَيَالٍ وَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ ذِي الْمَجَازِ إِلَى مَكَّةَ
فَقَالَ يَذْكُرُ رَاحِلَتَهُ:

بَاتَتْ ثَلَاثَ لَيَالٍ ثُمَّ وَاحِدَةً
بِذِي الْمَجَازِ تُرَاعِي مَنْزِلًا زَيْمًا (2).

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ هُنَالِكَ حَاجًّا فَقَالَ: كَادَتْ تُسَاقِطُنِي رَحْلِي وَمِثْرَتِي". (3)

نلاحظ أن ملابس الخطاب، مهمة في فهم النص، حيث يتوقف النص على فهم عادات
الجاهلية، والآية جاءت على نفي الحرج الذي كانت عليه عادة وعرف الجاهلية.

3. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
[البقرة: 199].

¹ والأبيات في ديوان النَّابِغَةِ الدُّبِّيَّانِي، ط: دار الكتب العلمية، (ص113). مِثْرَتِي: ما يوضع على ظهر البعير تحت راكبه (حريمه):
نسبة إلى الحرم؛ (اللبة): أعلى الصدر؛ (زرم): قطع.

² البيت في ديوان النَّابِغَةِ الدُّبِّيَّانِي، ط: دار الكتب العلمية، (ص113). تُرَاعِي مَنْزِلًا زَيْمًا: مكثت تراقب جماعات جماعات.

³ التحرير والتنوير (2/ 237).

روى الطبري بسنده عن ابن عباس، قال: " كانت العرب تَقِفُ بِعَرَفَةَ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَقِفُ دُونَ ذَلِكَ بِالْمُزْدَلِجَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ [البقرة: 199] فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَوْقِفَ إِلَى مَوْقِفِ الْعَرَبِ بِعَرَفَةَ ".⁽¹⁾

ومثله ما رواه البخاري عن عائشة - رضي الله عنهما - قالت: " كانت قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِجَةِ، وَكَانُوا يُسَمُّونَ الْحُمْسَ، وَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ، ثُمَّ يَقِفَ بِهَا، ثُمَّ يُفِيضَ مِنْهَا " فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ [البقرة: 199]."⁽²⁾

فقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ [البقرة: 199]، لا نستطيع فهم النص بمجرد اللغة، دون الوقوف على عادة العرب قبل الإسلام، ولا سبيل لمعرفة ذلك إلا من جهة الخبر عن الصحابة - رضي الله عنهم - أو عن نقل عنهم. وفي ذلك روى الطبري بسنده عن عبد الله بن أبي بَجِيحٍ، قَالَ " كَانَتْ قُرَيْشٌ لَا أَذْرِي قَبْلَ الْفَيْلِ أَوْ بَعْدَهُ ابْتَدَعَتْ أَمْرَ الْحُمْسِ، رَأْيًا رَأَوْهُ بَيْنَهُمْ؛ قَالُوا: نَحْنُ بَنُو إِبْرَاهِيمَ، وَأَهْلُ الْحُرْمَةِ وَوَلَاةُ الْبَيْتِ، وَقَاطِنُو مَكَّةَ وَسَاكِنُوهَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ مِثْلُ حَقِّنَا، وَلَا مِثْلُ مَنْزِلِنَا، وَلَا تَعْرِفُ لَهُ الْعَرَبُ مِثْلَ مَا تَعْرِفُ لَنَا، فَلَا تُعْظَمُوا شَيْئًا مِنَ الْحِلِّ كَمَا تُعْظَمُونَ الْحَرَمَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ اسْتَحَقَّتِ الْعَرَبُ بِحَرَمِكُمْ، وَقَالُوا: قَدْ عَظَّمُوا مِنَ الْحِلِّ مِثْلَ مَا عَظَّمُوا مِنَ الْحَرَمِ. فَتَرَكُوا الْوُقُوفَ عَلَى عَرَفَةَ، وَالْإِفَاضَةَ مِنْهَا، وَهُمْ يَعْرِفُونَ وَيَقْرُونَ أَنَّهَا مِنَ الْمَشَاعِرِ وَالْحُجِّ وَدِينِ إِبْرَاهِيمَ، وَيَرُونَ لِسَائِرِ النَّاسِ أَنْ يَقِفُوا عَلَيْهَا، وَأَنْ يُفِيضُوا مِنْهَا. إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا: نَحْنُ أَهْلُ الْحَرَمِ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنَ الْحُرْمَةِ، وَلَا نُعْظَمَ غَيْرَهَا كَمَا نُعْظَمُهَا نَحْنُ الْحُمْسُ، وَالْحُمْسُ: أَهْلُ الْحَرَمِ ثُمَّ جَعَلُوا لِمَنْ وَلَدُوا مِنَ الْعَرَبِ مِنَ سَاكِنِي الْحِلِّ مِثْلَ الَّذِي لَهُمْ بِوِلَادَتِهِمْ إِيَّاهُمْ، فَيَحِلُّ لَهُمْ مَا يَحِلُّ لَهُمْ، وَيَحْرُمُ عَلَيْهِمْ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِمْ. وَكَانَتْ كِنَانَةُ، وَخِرَاعَةُ قَدْ دَخَلُوا مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ ابْتَدَعُوا فِي ذَلِكَ أُمُورًا لَمْ تَكُنْ.. فَحَمَلُوا عَلَى ذَلِكَ الْعَرَبَ فَدَانَتْ بِهِ، وَأَخَذُوا بِمَا شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، فَكَانُوا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ حِينَ أَحْكَمَ لَهُ دِينَهُ، وَشَرَعَ لَهُ حُجَّتَهُ: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَعْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: 199]،

1 تفسير الطبري (4/ 186) برقم: 3833.

2 صحيح البخاري (6/ 28).

يَعْنِي قُرَيْشًا وَالنَّاسَ الْعَرَبَ. فَرَفَعَهُمْ فِي سَنَةِ الْحَجِّ إِلَى عَرَفَاتٍ، وَالْوُقُوفِ عَلَيْهَا، وَالْإِفَاضَةَ مِنْهَا؛ فَوَضَعَ اللَّهُ أَمْرَ الْحُمْسِ، وَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ ابْتَدَعَتْ مِنْهُ عَنِ النَّاسِ بِالْإِسْلَامِ حِينَ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ " (1).

4. قوله تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: 223].

قد يقع سوء فهم لهذه الآية الكريمة، لكن معرفة سبب النزول مع معرفة حالة أصحابها وعاداتها في مثل هذه الأمور يزيل الإشكال واللبس، ولقد كان ابن عباس عالماً بحال نزول هذه الآية وما تعنيه، لقد روى الطبري بسنده عن أبان بن صالح، عن مجاهد، قال: " عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتَمَتِهِ أُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: 223] فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنْ قُرَيْشٍ، كَانُوا يَشْرَحُونَ النِّسَاءَ بِمَكَّةَ، وَيَتَلَدَّدُونَ بَيْنَ مُقْبَلَاتٍ، وَمُدْبِرَاتٍ. فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ تَزَوَّجُوا فِي الْأَنْصَارِ، فَذَهَبُوا لِيَفْعَلُوا بَيْنَ كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ بِالنِّسَاءِ بِمَكَّةَ، فَأَنْكَرَنَ ذَلِكَ وَقُلْنَ: هَذَا شَيْءٌ لَمْ نَكُنْ نُؤْتَى عَلَيْهِ فَانْتَشَرَ الْحَدِيثُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ فِي ذَلِكَ: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: 223] إِنَّ شِئْتَ فَمُقْبِلَةٌ وَإِنْ شِئْتَ فَمُدْبِرَةٌ وَإِنْ شِئْتَ فَبَارِكَةٌ وَإِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ مَوْضِعَ الْوَلَدِ لِلْحَرْثِ، يَقُولُ: ائْتِ الْحَرْثَ مِنْ حَيْثُ شِئْتَ " (2).

ولهذا علق الحاكم النيسابوري (ت: 405هـ) في تفسير الصحابي لهذه الآية بقوله: " هَذَا الْحَدِيثُ وَأَشْبَاهُهُ مُسْنَدَةٌ عَنْ آخِرِهَا، وَلَيْسَتْ بِمَوْقُوفَةٍ، فَإِنَّ الصَّحَابِيَّ الَّذِي شَهِدَ الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فَأَخْبَرَ عَنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي كَذَا وَكَذَا فَإِنَّهُ حَدِيثٌ مُسْنَدٌ " (3). وبغض النظر عن صحة ما ذكره الحاكم، فإنه ينبىء عن أهمية تفسير الصحابي الذي شهد التنزيل وعرف أسبابه وملايساته.

1 تفسير الطبري (4/ 188) برقم: 3840.

2 تفسير الطبري (4/ 409) برقم: 4337.

3 معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي النيسابوري (ت: 405هـ)، المحقق: السيد معظم حسين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثانية: 1397هـ - 1977م. (ص: 20).

العادات القولية في ضوء القرآن الكريم: أما العادات القولية: فهي كثيرة، ومن بينها:

5. قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه: 15].

أورد الإمام الطبري (310هـ) بسنده عن ابن عباس، قوله: ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ [طه: 15]، يُقُولُ: "لَا أَظْهَرُ عَلَيْهَا أَحَدًا غَيْرِي؛ وَقَالَ: لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعْتَهُ؛ وَقَالَ أَيْضًا: مِنْ نَفْسِي"⁽¹⁾.

ثم تناول الطبري قراءة "أخفيها" بالفتح⁽²⁾ وذكر معناها، ورجح معنى قراءة الأمصار، وقال: "فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ الْفَتْحُ فِي الْأَلْفِ مِنْ أَخْفِيهَا غَيْرَ جَائِزٍ عِنْدَنَا لِمَا ذَكَرْنَا، ثَبَتَ وَصَحَّ الْوَجْهُ الْآخِرُ، وَهُوَ أَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ، أَكَادُ اسْتُرْتَهَا مِنْ نَفْسِي. وَأَمَّا وَجْهُ صِحَّةِ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ، فَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ خَاطَبَ بِالْقُرْآنِ الْعَرَبَ عَلَى مَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ كَلَامِهِمْ وَجَرَى بِهِ خِطَابُهُمْ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا كَانَ مَعْرُوفًا فِي كَلَامِهِمْ أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَرَادَ الْمُبَالَغَةَ فِي الْخَبَرِ عَنِ إِخْفَائِهِ شَيْئًا هُوَ لَهُ مُسِرٌّ: قَدْ كِدْتُ أَنْ أَخْفِي هَذَا الْأَمْرَ عَنْ نَفْسِي مِنْ شِدَّةِ اسْتِسْرَارِي بِهِ، وَلَوْ قَدَرْتُ أَخْفِيهِ عَنْ نَفْسِي أَخْفَيْتُهُ، خَاطَبْتُهُمْ عَلَى حَسَبِ مَا قَدْ جَرَى بِهِ اسْتِعْمَالُهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ بَيْنَهُمْ، وَمَا قَدْ عَرَفُوهُ فِي مَنْطِقِهِمْ. وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ غَيْرُ مَا قُلْنَا، ... وَذُكِرَ أَنَّهُ حُكِيَ عَنِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: أَوْلَيْكَ أَصْحَابِي الَّذِينَ أَكَادُ أَنْزِلَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: مَعْنَاهُ: لَا أَنْزِلُ إِلَّا عَلَيْهِمْ؛ قَالَ: وَحُكِيَ: أَكَادُ أَبْرَحَ مَنْزِلِي: أَيُّ مَا أَبْرَحَ مَنْزِلِي، وَاحْتُجَّ بِبَيْتٍ أَنْشَدَهُ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ: [البحر الكامل].

كَادَتْ وَكَدَتْ وَتَلَّكَ خَيْرٌ إِرَادَةً **** لَوْ عَادَ مِنْ عَهْدِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى

وَقَالَ: يُرِيدُ: بِكَادَتْ: أَرَادَتْ، قَالَ: فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أُرِيدُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى. قَالَ: وَمِمَّا يُشَبِّهُ ذَلِكَ قَوْلُ زَيْدِ الْحَيْلِ⁽³⁾: [البحر الطويل].

¹ تفسير الطبري (18 / 285).

² نسبت هذه القراءة إلى أبي الدرداء وسعيد بن جبیر، وهي قراءة شاذة، ينظر: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البدیع، لابن خالویه، عني بنشره، ج. برحستر اسرن ط: مؤسسة الريان-بيروت - مطبوعات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ط 1430هـ - 2009م، ص 87.

³ زَيْدُ الْحَيْلِ (9هـ) هو: زيد بن مهلهل بن منهب بن عبدرضا، من طيِّ، كنيته أبو مكنف: من أبطال الجاهلية؛ لقب (زيد الحيل) لكثرة خيله، أو لكثرة طراده بها. كان طويلا جسيما، من أجمل الناس؛ وكان شاعرا محسنا، وخطيبا لسنا، موصوفا بالكرم. وله مهاجاة مع كعب بن زهير. ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني (ت: 356هـ)، تحقيق: سمير جابر، الناشر: دار الفكر - بيروت، ط: الثانية. (17 / 247)؛ الأعلام للزركلي (3 / 61).

(1) سَرِيْعٌ إِلَى الْهَيْجَاءِ شَاكٍ سِلَاحَهُ **** فَمَا إِنْ يَكَادُ قَرْنُهُ يَتَنَفَّسُ

وَقَالَ: كَأَنَّهُ قَالَ: فَمَا يَتَنَفَّسُ قَرْنُهُ، وَإِلَّا ضَعْفَ الْمَعْنَى، قَالَ: وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ: [البحر الطويل].

(2) إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِيبِينَ لَمْ يَكِدْ **** رَسِيْسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرُحُ

قَالَ: وَلَيْسَ الْمَعْنَى: لَمْ يَكِدْ يَبْرُحُ: أَي بَعْدَ يُسْرِ، وَيَبْرُحُ بَعْدَ عُسْرِ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى: لَمْ يَبْرُحْ، أَوْ

لَمْ يُرِدْ يَبْرُحْ، وَإِلَّا ضَعْفَ الْمَعْنَى، قَالَ: وَكَذَلِكَ قَوْلُ أَبِي النَّجْمِ⁽³⁾: [البحر البسيط]

(4) وَإِنْ أَتَاكَ نَعْيٌ فَاذْبَنْ أَبَا **** قَدْ كَادَ يَضْطَلِعُ الْأَعْدَاءَ وَالْحُطْبَا

وَقَالَ: يَكُونُ الْمَعْنَى: قَدْ اضْطَلَعَ الْأَعْدَاءَ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ مَدْحًا إِذَا أَرَادَ كَادَ وَلَمْ يُرِدْ يَفْعَلْ⁽⁵⁾.

على هذا الأساس فرق جمع من أهل اللغة، بين أَخْفِيهَا، وَأُخْفِيهَا.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ): "ومن قرأ: (أَكَادُ أَخْفِيهَا) ، فهو يُرِيدُ :

أُظْهِرْهَا، وَأُخْفِيهَا أَي أُسْرِهَا مِنَ الْإِخْفَاءِ"⁽⁶⁾.

وقال أبو العباس المعروف بثعلب (ت: 291هـ): "﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ أريدُ أسترها؛ ومن قال

أَخْفِي قَالَ أُظْهِرْ"⁽⁷⁾.

وَوَجَّهَ قِرَاءَةَ (أَكَادُ أَخْفِيهَا) بِالْفَتْحِ، ابْنُ جَنِّي (392هـ) بقوله: "فَأَمَّا "أَخْفِيهَا" بفتح الألف فإنه

أُظْهِرْهَا"⁽¹⁾.

¹ والبيت أوردته صاحب لسان العرب، ط: دار صادر. (384 /3). ولم أجد في ديوانه المطبوع-ولعل المحقق أغفله- شعر زيد

الخليل الطائي، جمع ودراسة وتحقيق: الدكتور أحمد مختار البرزة، ط: دار المأمون للتراث، ط الأولى 1408هـ-1988م.

² البيت في دوان ذي الرُّمَّةِ، (ص43).

³ أَبُو النَّجْمِ (130هـ): واسمه الْفَضْلُ بن قدامة بن عبيد بن مُحَمَّد بن عبيد الله بن عبدة بن الحارث بن إياس بن عَوْف بن ربيعة بن

مالك بن ربيعة بن عجل؛ من أكابر الرِّجَاز ومن أحسن الناس إنشادا للشعر. نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد

الملك بن مروان وولده هشام. ينظر: طبقات فحول الشعراء (2/737)؛ الأعلام للزركلي (5/151).

⁴ والبيت في ديوان أبي النجم العجلي الفضل بن قدامة (130هـ)، جمعه وشرحه وحققه، د محمد أديب عبد الواحد صبران، ط:

مطبوعات مجمع اللغة العربية-بدمشق- ط: 1427هـ-2006م. (ص78).

⁵ تفسير الطبري (18/288).

⁶ كتاب العين (4/314).

⁷ مجالس ثعلب، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب (ت: 291هـ)، شرح وتحقيق: عبد

السلام محمد هارون، ط: دار المعارف-بمصر- ط: الثانية: 1956م. ص231.

وقال أبو البقاء الكفوي (ت: 1094هـ): ﴿أَكَاذُ أَخْفِيهَا﴾ بِالضَّمِّ: أَكْتَمَهَا وَبِالْفَتْحِ: أَظْهَرَهَا".⁽²⁾

6. قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا﴾ [الفرقان: 10].

عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلُهُ: "﴿وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا﴾: بُيُوتًا مَبْنِيَّةً مُشِيدَةً؛ كَانَتْ فُرُشٌ تَرَى الْبَيْتَ مِنْ حِجَارَةٍ قَصْرًا كَائِنًا مَا كَانَ".⁽³⁾

قال ابن فارس (395هـ): (فَصَرَ): "الْقَافُ وَالصَّادُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى أَلَّا يَبْلُغُ الشَّيْءُ مَدَاهُ وَنَهَائِيَّتَهُ، وَالْآخَرُ عَلَى الْحُبْسِ. وَالْأَصْلَانِ مُتَقَارِبَانِ".⁽⁴⁾

قال ابن عطية الأندلسي (ت: 542هـ): "وكانت العرب تسمي ما كان من الشعر والصفوف والقصب بيتا، وتسمي ما كان بالجدران قصرا لأنه قُصِرَ عن الداخلين والمستأذنين".⁽⁵⁾

وقال أبو عبد الله القرطبي (ت: 671هـ): "وَالْقَصْرُ فِي اللُّغَةِ الْحُبْسُ، وَسُمِّيَ الْقَصْرُ قَصْرًا لِأَنَّ مَنْ فِيهِ مَقْصُورٌ عَنْ أَنْ يُوَصَلَ إِلَيْهِ. وَقِيلَ: الْعَرَبُ تُسَمِّي بُيُوتَ الطَّيْنِ الْقَصْرَ. وَمَا يُتَّخَذُ مِنَ الصُّوفِ وَالشَّعْرِ الْبَيْتَ. حَكَاهُ الْمُشَيْرِيُّ".⁽⁶⁾

7. قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: 38].

¹ المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-، ط: 1420هـ- 1999م. (2/ 47).

² الكلبيات.(ص: 64).

³ تفسير ابن أبي حاتم - محققا (8/ 2666) برقم: 14996.

⁴ مقاييس اللغة (5/ 96).

⁵ تفسير ابن عطية (4/ 201).

⁶ تفسير القرطبي (13/ 6).

قال ابن جرير الطبري (310): "أَيُّ بُعْدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَعَلَّبَ اسْمَ أَحَدِهِمَا عَلَى
الْآخَرَ، كَمَا قِيلَ: شَبَّهُ الْقَمَرَيْنِ.

وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

(1) أَعْزَدْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ
لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ
وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ:

فَبَصُرَهُ الْأَزْدُ مِنَّا وَالْعِرَاقُ لَنَا
وَالْمَوْصِلَانِ وَمِنَّا مِصْرُ وَالْحَرَمُ

يَعْنِي: الْمَوْصِلَ وَالْجَزِيرَةَ، فَقَالَ: الْمَوْصِلَانِ، فَعَلَّبَ الْمَوْصِلَ". (2)

وقال أبو إسحاق الرِّجَّاح (ت: 311هـ): "معنى (المَشْرِقَيْنِ) ههنا بعد المشرق والمغرب، فلما
جعلنا اثنين غلب لفظ المشرق كما قال: لنا قمرها والنجوم الطوالع يريد الشمس والقمر، وكما قالوا
سنة العُمَرَيْنِ يراد سنة أبي بكر وعمر -رحمة الله عليهما-". (3)

وقال أبو بكر الأنباري (ت: 328هـ) في معاني كلمات الناس: "من ذلك قولهم: ما عندنا إلا
الأسودان، يراد بالأسودين: التمر والماء. والمألوان: الليل والنهار. وكذلك: الخافقان: المشرق
والمغرب... والحيرتان: الكوفة والحيرة. والموصلان: الموصل والجزيرة". (4)

✓ معرفة اللسان الذي نزل به القرآن.

نزل القرآن بلسان العرب، وبلسان النبي المرسل إليهم، حتى يُبَيِّنَ لَهُمْ وَيُبَشِّرَهُمْ، لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ
؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4]؛ وقال سبحانه:
﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مریم: 97]؛ وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا
يَسْتَرْزَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: 58]؛ وهذا اللسان هو العربي المبين؛ قال تعالى: ﴿

¹ البيت للفرزدق وهو في ديوانه: ديوان الفرزدق، شرحه وقدم له الأستاذ على فاعور، ط: دار الكتب العلمية، ط: الأولى: 1407 هـ-1987 م. (ص361).

² تفسير الطبري، ت شاکر (21/ 606).

³ معاني القرآن وإعرابه للزجاج (4/ 412).

⁴ الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت: 328هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الأولى: 1412 هـ -1992 م. (1/ 504).

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿﴾ [الشعراء: 195]؛ فهذا اللسان حري أن تعرفه العرب وتعي معانيه ؛ قال الشافعي (ت:204هـ): "فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها".⁽¹⁾ قال أبو منصور الأزهري (ت:370هـ): "نزل القرآن الكريم والمخاطبون به قوم عرب، أولو بيان فاضل، وفهم بارع، أنزله جل ذكره بلسانهم، وصيغة كلامهم الذي نشئوا عليه، وجبلوا على النطق به، فتدربوا به يعرفون وجوه خطابه، ويفهمون فنون نظامه، ولا يحتاجون إلى تعلم مشكله وغريب ألفاظه، حاجة المولدين الناشئين فيمن لا يعلم لسان العرب حتى يعلمه، ولا يفهم ضروبه وأمثاله، وطرقه وأساليبه، حتى يفهمها".⁽²⁾

وهذا اللسان له عرف عند أصحابه، وطرائق في القول، يحتكم إليه؛ قال الشاطبي (ت:790هـ): "أنه لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العُدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف، فلا يصح أن يجزى في فهمها على ما لا تعرفه؛ وهذا جارٍ في المعاني والألفاظ والأساليب".⁽³⁾

وقد اشتهر ابن عباس في هذا الميدان، حيث أولى اهتماماً خاصاً، لا يداريه فيه أحد، ونستطيع أن نلمس جلياً هذا المنهج من خلال تفسيره حيث أعطى اهتماماً للغة، والاحتكام إلى لغة العرب نثراً وشعراً، وجعله أحد مصادر البيان، وسوف يكون إيضاح هذا الأمر، في الجانب التطبيقي.

✓ حسن فهمه وسلامة مقصده.

حسن فهمه:

قال ابن تيمية (728هـ): "...وللصحابة فهم في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين كما أن لهم معرفة بأمور من السنة وأحوال الرسول لا يعرفها أكثر المتأخرين فإنهم شهدوا الرسول والتنزيل

¹ الرسالة للشافعي (1/50).

² تهذيب اللغة (1/5).

³ الموافقات (2/131).

وَعَايَنُوا الرَّسُولَ وَعَرَفُوا مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ مِمَّا يَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى مُرَادِهِمْ مَا لَمْ يَعْرِفُوهُ أَكْثَرَ
الْمُتَأَخِّرِينَ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا ذَلِكَ". (1)

وقال أبو حيان (ت: 745): "... وَقَدْ فَهَمَ الصَّحَابَةُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْعُمُومَ، وَهُمْ الْعَرَبُ
الْفَصِيحُ الْمَرْجُوعُ إِلَيْهِمْ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ". اهـ (2)

ويقول ابن قَيِّم الجوزية (ت: 751هـ) وهو يتكلم عن فهم الصحابة: " فعاد الصواب إلى
تفسير الصحابة، وهم أعلم الأمة بكتاب الله، ومراده منه " (3)؛ وقال: " وفهم الصحابة في القرآن هو
الغاية التي عليها المعول ". (4)

وقد مر معنا أن الله خصَّ ابن عبَّاس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بفهمٍ في تأويل الكتاب، بدعوة
نبيِّنا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وذلك بقوله: «اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا الْكِتَابَ». (5) وفي رواية: «اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي
الدِّينِ». (6) وفي رواية: «اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا الْحِكْمَةَ». (7)

وهذا عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - يقول فيه: " وَلِنَعْمَ تَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ ". (8)
وما هذا إلاَّ لحسن فهمه، الذي اكتسبه من خلال الأدوات التي تعين على الفهم.

سلامة المقصد:

¹ مجموع الفتاوى (19/ 200).

² البحر المحيط في التفسير (2/ 69).

³ طريق المحررتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، الناشر: دار
السلفية، القاهرة، مصر، ط: الثانية، 1394هـ. (ص: 383).

⁴ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:
751هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط: 1398هـ/1978م. (ص: 259).

⁵ رواه البخاري بوقم: 75، وقد مضى (ص99).

⁶ قد مضى (ص99).

⁷ قد مضى (ص99).

⁸ الطبقات الكبرى ط دار صادر (2/ 366)؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 935)؛ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (3/ 347)؛ الإصابة في تمييز الصحابة (4/ 126).

عُلِمَ عن الصحابة سلامة مقصدهم، ودل الحديث على ذلك؛ فعن عبد الله بن عمرو قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لِيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عِلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِלَّةً وَتَفَرَّقَتْ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (1) ووجه الشاهد من الحديث عطفه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما كان عليه أصحابه، على ما كان عليه من صفاء القصد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعن قتادة قال: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبْرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا وَأَقْلَهَا تَكْلُفًا وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا وَأَحْسَنَهَا حَالًا، قَوْمًا اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ". (2)

وعن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، قال: " إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَأَتْبَعْتَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وَرَاءَ نَبِيِّهِ ، يُفَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ " (3).

قال ابن تيمية (728هـ): "وَقَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: كَانُوا أَبْرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَهَا تَكْلُفًا، كَلَامٌ جَامِعٌ، بَيَّنَّ فِيهِ حُسْنَ قَصْدِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ بِرِّ الْقُلُوبِ ، وَبَيَّنَّ فِيهِ كَمَالَ الْمَعْرِفَةِ وَدَقَّتْهَا بِعُمُقِ الْعِلْمِ، وَبَيَّنَّ فِيهِ تَيْسُرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَامْتِنَاعَهُمْ مِنَ الْقَوْلِ بِلَا عِلْمٍ بِقَلَّةِ التَّكْلِيفِ". (4)

¹ قال الألباني: حسن ينظر: مشكاة المصابيح برقم: 171.

² جامع بيان العلم وفضله (2/ 947).

³ مسند أحمد ط الرسالة (6/ 84) برقم: 3600، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

⁴ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى: 1406 هـ - 1986 م. (2/ 79).

يستخلص أن حسن الفهم وسلامة المقصد، تعين على فهم مراد الله-عزّ وجلّ- وخاصة إذا ما علمنا أن سبب تحريف النصوص، عدم سلامة المقصد، كما هو الحال عند أهل الأهواء والبدع، حيث أخذوا النصوص وفق أهوائهم ونخلهم، وهذا الأمر لم يرد عن الصحابة-رضي الله عنهم وأرضاهم-.

يستخلص من خلال أبرز العوامل التي ذكرناها، أن الصحابة-رضي الله عنهم- بصفة عامة، وابن عباس بصفة خاصة، وقفوا على الأدوات التي تعين على فهم النص القرآني وما يدور حوله من ملابسات، مما لا يقدر على فهمه ممن جاء بعدهم من المفسرين وأهل اللغة، إلا عن طريقهم، إذاً فتفسير الصحابة له مكانته، وهو مصدر لمن جاء بعدهم-والله أعلم-

➤ المبحث الرَّابِعُ: مصادر ابن عباس في التفسير.

ويحتوي على:

- ✓ تفسير القرآن بالقرآن.
- ✓ تفسير القرآن بالسُّنَّة.
- ✓ تفسير القرآن بالأثر عن الصحابة - رضي الله عنهم -.
- ✓ تفسير القرآن بالرجوع إلى لغة العرب.

➤ المبحث الرابع: مصادر ابن عباس في التفسير.

حدد ابن عباس بصورة شاملة مصادر التفسير، ومنهجه العام، حيث ورد عنه: " التفسير على أريعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالتيه، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله".⁽¹⁾

وإذا أمعن النظر في الأثر من حيث التقسيم والترتيب، لوجدناه شاملاً لأوجه بيان القرآن مع ترتيب محكم، حيث ذكر الترتيب باعتبار اتساع البيان ووفرته، ولأن القرآن عربي اللفظ وجاء على طرائق العرب في الكلام، فكان الوجه الأول في بيان معرفة تفسيره ودلالاته من جهة لغة العرب، ويتجلى هذا المفهوم بصورة واضحة حينما ندرك أن القرآن الكريم كان يخاطب قوما ذو ألسن، وذو ذوق في الشعر وكلام العرب، ومع ذلك وجدوا أنفسهم عاجزين أمام بلاغة القرآن ونظمه وها هو الوليد بن المغيرة يقول قولته المشهورة " وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ آفَافًا كَلَامًا مَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْإِنْسِ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ، وَإِنَّ لَهُ لِحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثَمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُعْدِقٌ، وَإِنَّهُ يَعْلُو وَمَا يُعْلَى".⁽²⁾ وهكذا شهد شاهد من أهلها، وكان من باب أولى أن يعييه من نزل فيهم، وهم به كافرون، ولو وجدوا سبيلاً إلى نقده والحكم عليه بالتعارض والتضارب لفعلوه؛ قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، ولقد وقع التحدي في نظمه قال تعالى في حقهم: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 23]؛ ومعلوم مضت السنون ولم يأتوا بشيء من مثله، ولم يجدوا ما يعبونه من جهة نظمه ولغته، بل آثروا السيف والموت على ما هو أقل ثمنه وهو مجرد سورة أقلها ثلاث آيات، لكن هذه الآيات كانت أثقل عليهم من حمل السلاح ومن تحمل الموت، فهم أهل عربية وبلاغة ويدركون أساليب العرب، نثراً وشعراً، ولم يخطر ببالهم مثل هذا الكلام، ولهذا ورد عنهم تعجبهم وحيرتهم عند سماع آياته ومن ذلك؛ ما ذكره أبو عبيد أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94]؛ فسجد، وقال: "سجدت

¹ تفسير الطبري (1/75).

² معالم التنزيل في تفسير القرآن؛ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: 510هـ)؛ ت: عبد الرزاق المهدي؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت؛ ط الأولى: 1420 هـ. (5/176).

لفصاحته"⁽¹⁾، وسمع آخر رجلاً يقرأ: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: 80 آية] قال: "أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام"⁽²⁾. وهذا ما يفسر قولهم، كما أخبر عنهم سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ [فصلت: 26]. قال الطاهر بن عاشور (1393هـ): "فَإِنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامٌ هُوَ أَكْمَلُ الْكَلَامِ شَرِيفَ مَعَانٍ وَبَلَاغَةَ تَرَائِبٍ وَفَصَاحَةَ أَلْفَاظٍ، وَأَيُّقِنُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْمَعُهُ وَتُدَاخِلُ نَفْسَهُ جَزَائِلَ أَلْفَاظِهِ وَسُمُوْ أَعْرَاضِهِ قَضَى لَهُ فَهْمُهُ أَنَّهُ حَقٌّ إِتِّبَاعُهُ، وَقَدْ أَدْرَكُوا ذَلِكَ بِأَنْفُسِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ غَالَبَتْهُمْ مَحَبَّةُ الدَّوَامِ عَلَى سِيَادَةِ قَوْمِهِمْ فَتَمَالَوْا وَدَبَّرُوا تَدْبِيرًا لِمَنْعِ النَّاسِ مِنْ اسْتِمَاعِهِ، وَذَلِكَ خَشْيَةً مِنْ أَنْ تَرِقَّ قُلُوبُهُمْ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ فَصَرَفُوهُمْ عَنْ سَمَاعِهِ"⁽³⁾.

لقد تنبه ابن عباس لشمولية هذا الوجه وسعته في إدراك دلالات القرآن الكريم؛ حيث من أراد مثلاً أن يفسر القرآن بالقرآن، وهو لا يدرك معانيه اللغوية، فأنى له ذلك! وهذا المنهج اللغوي قد لا يظهر في تفاسير الصحابة والتابعين كثيراً وهذا واضح، لأن اللغة كانت عندهم سليقة وملكة، ولم تكن لهم حاجة في إظهار غرره وأسارره، وبيان أوجه بلاغته، بخلاف من جاءوا بعدهم، حيث فسد اللسان، ولم تدرك المعاني إلا بالجهد والبحث، وهذا ما يفسر ظهور كثير من العلوم المعينة على فهم كتاب الله من علم النحو والصرف والبلاغة، وبهذا الصدد يقول أبو حيان (ت: 745): "فَلَمَّا فَسَدَ اللِّسَانُ، وَكَثُرَتِ الْعَجْمُ، وَدَخَلَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ أَنْوَاعُ الْأُمَمِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَلْسِنَةِ، وَالنَّاقِصَةِ الْإِدْرَاكِ، اِحْتِيَاجَ الْمُتَأَخَّرُونَ إِلَى إِظْهَارِ مَا انْطَوَى عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، مِنْ غَرَائِبِ التَّرْكِيبِ، وَأَنْتِزَاعِ الْمَعَانِي، وَإِبْرَازِ النُّكْتِ الْبَيَانِيَّةِ، حَتَّى يُدْرِكَ ذَلِكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ فِي طَبْعِهِ، وَيَكْتَسِبَهَا مَنْ لَمْ تَكُنْ نَشْأَتُهُ عَلَيْهَا، وَلَا عُنْصُرُهُ يُحَرِّكُهُ إِلَيْهَا، بِخِلَافِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنَ الْعَرَبِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ مَرْكُوزًا فِي

¹ ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى؛ عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)؛ الناشر: دار الفيحاء - عمان؛ ط: الثانية - 1407 هـ. (1/ 507). ونهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: 733هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423 هـ. (5/ 7).

² نفس المرجع. (5/ 7).

³ التحرير والتنوير (24/ 277).

طِبَاعِهِمْ، يُدْرِكُونَ تِلْكَ الْمَعَانِي كُلَّهَا، مِنْ غَيْرِ مُوقِّفٍ وَلَا مُعَلِّمٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ لِسَانُهُمْ وَخُطَّتُهُمْ
وَبَيَانُهُمْ، عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَفَاوُثُونَ أَيْضًا فِي الْفَصَاحَةِ وَفِي الْبَيَانِ. (1)

وبذلك كانوا يدركون دلالات الألفاظ الوضعية مفردة ومركبة، مع ما أوتوا من معرفة طرائق

العرب في الكلام وعاداتها، من غير تكلف ولا مشقة، وبهذا الصدد يقول ابن خلدون(ت):

808هـ): "يتعين النظر في دلالة الألفاظ وذلك أن استفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام

على الإطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة. والقوانين اللسانية في ذلك هي

علوم النحو والتصريف والبيان، وحين كان الكلام ملكة لأهله لم تكن هذه علومًا ولا قوانين ولم

يكن الفقه حينئذ يحتاج إليها لأنها جبلّة وملكة، فلما فسدت الملكة في لسان العرب قيدها الجهابذة

المتجرّدون لذلك بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علومًا يحتاج إليها الفقيه في معرفة

أحكام الله تعالى. (2)

لكن رغم هذا أدرك ابن عباس في وقت مبكر أهمية اللغة، بل جعلها من أوسع وأشمل المصادر

في بيان مراد الله، وخاصة إذا ما أشكلت علينا دلالة النص، وقوله: " وَجَهٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا

" (3) فيه إشارة إلى إزالة الإشكال بالرجوع إلى كلام العرب.

أما ما يختص بأحكامه التشريعية فهي واضحة من خلال وضوح اللغة، فلهذا يخاطب قوم ذو

اللسن، كما أنه وصف فيما آية بأن كتابه عربي مبين، بل لازم بين عربيته وبيانه، قال تعالى: ﴿وَهَذَا

لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: 103]؛ وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 195]؛ قال

الطبري(310): " وَإِنَّمَا ذَكَرَ تَعَالَى ذِكْرَهُ أَنَّهُ نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ،

إِعْلَامًا مِنْهُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ أَنَّهُ أَنْزَلَهُ كَذَلِكَ، لِئَلَّا يَقُولُوا إِنَّهُ نَزَلَ بِغَيْرِ لِسَانِنَا، فَنَحْنُ إِنَّمَا نَعْرِضُ عَنْهُ

وَلَا نَسْمَعُهُ، لِأَنَّا لَا نَفْهَمُهُ، وَإِنَّمَا هَذَا تَقْرِيعٌ لَهُمْ (4)

1 تفسير البحر المحيط؛ (1/ 26).

2 ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر؛ عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد، ابن خلدون
أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: 808هـ)؛ المحقق: خليل شحادة؛ الناشر: دار الفكر، بيروت؛ ط الثانية: 1408 هـ
- 1988 م. (1/ 574).

3 تفسير الطبري (1/ 75).

4 تفسير الطبري ت شاکر (19/ 396).

وبذلك ندرك الوجه الثاني الذي قرره ابن عباس بقوله: " وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ " (1) وهو يشير إلى خطاب الله المفهوم؛ مما يتناول الخطاب الوعظي الإرشادي والذي بدوره يدخل فيه تقرير: التوحيد والميعاد والترغيب والترهيب.. من الخطاب الإخباري، وهذا واضح الدلالة لا يحتاج إلى تفسير لأن بيانه من جهة فهم لغة الخطاب وهي لغة العرب؛ وإما أن يتناول الخطاب التكليفي التشريعي من الواجب والحرام والمباح، وحكمة الله تقتضي أن تكون أصول أحكامه التشريعية واضحة بيّنة حتى يتعبد بها الله من غير حجة واهية، فهي مفهومة في معظمها، كما أن كثيراً من أحكامها نزلت لتحيب استفتاءات السائلين وتساؤلاتهم، وللتالي هي تعبر عن واقع معلوم؛ قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: 189]؛ وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللّٰوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وََالْيَتَامَىٰ وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: 215]؛ وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: 217]؛ وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخُمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: 219]؛ وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 220]؛ وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ﴾ [البقرة: 222]؛ وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: 4]؛ وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: 187]؛ وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 1]؛ وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: 85]؛ وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 83]؛ وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: 105]؛ وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: 42]؛ وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء: 127]؛ وقال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: 176].

1 تفسير الطبري (1/75).

وقد ثبت عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قوله: «الْحَلَالُ بَيْنٌ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ»⁽¹⁾. متفق عليه. (1)
 ووجه الدلالة من كلام ابن عباس "لا أحد يعذر بجهله"، من جهة بيان الله أصول التشريع
 وأركانها، مما هو معلوم لعامة الناس، كمشروعية الصلاة والزكاة والصيام والحج، ولحرمته قتل النفس
 وارتكاب الفواحش؛ قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْنَا أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ
 إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَنْزُرُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ
 وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمَ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 151].

وهذا النوع من البيان الذي لا يعذر أحد بجهله هو أيضا من أوسع وجوه البيان في القرآن
 الكريم وإن كان أقل من الوجه الأول، وقد يستشكل القائل بأن يكون هذا تفسيرا، فقد أجاب أبو
 جعفر بقوله: "وَهَذَا الْوَجْهُ الرَّابِعُ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، مِنْ أَنَّ أَحَدًا لَا يُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، مَعْنَى غَيْرِ
 الْإِبَانَةِ عَنْ وَجْهِهِ مَطَالِبِ تَأْوِيلِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ خَبْرٌ عَنْ أَنَّ مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ الْجَهْلُ بِهِ".⁽²⁾
 أما الوجه الثالث كما قرره ابن عباس: "وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ".⁽³⁾ وهذا يتناول من

القرآن ما دق فهمه وبعد غوره، ليتنافس فيه المتنافسون، أو ما أشكل فهمه، فليس كل مشكل
 يتساوى الناس في رده، أو ما تشابه على صاحبه، أو ما لا يدرك إلا بالجمع بين نصوصه، من حمل
 الخاص على العام، والمقيد على المطلق، والمبين على المجمل.. إن هذا النوع من الفهم لا بد له من
 إعمال النظر في النصوص جمعا وتحقيقا للمناط، وإدراكا للمقاصد، وفهما لقرائن الحال والمقام، أو
 بقوة الاستنباط والاجتهاد.

ولعل الحكمة في ذلك ما ذكره ابن قتيبة (ت: 276هـ) بقوله: "ولو كان القرآن كله ظاهرا
 مكشوفاً حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت
 الخواطر، ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة".⁽⁴⁾

1 اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (2/ 153) برقم: 1028.

2 تفسير الطبري (1/ 75).

3 تفسير الطبري (1/ 75).

4 تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار
 الكتب العلمية، بيروت - لبنان. (ص: 58).

وقد ذكر القرآن هذا الصنف مثنياً عليه ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْحَوْفِ
أَدَاعُوا بِهِ وَكَلَّوْا رُدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 83] ؛ وقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا
تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ
مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]، قال ابن عباس في هذه الآية: " أَنَا يَمُنُّ
يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ " (1) . وكما سبق في حديث الحلال والحرام قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في تتمته:
« وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ». المشبهات: مَعْنَاهُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِوَاضِحَةٍ الْحُلِّ
وَالْحُرْمَةِ، وَهَذَا لَا يَعْرِفُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَيَعْرِفُونَ حِكْمَهَا بِنَصِّ أَوْ قِيَاسٍ أَوْ اسْتِصْحَابِ
وَعَيْرِهِ (2).

قال أبو سليمان الخطابي (ت:388هـ): " ومعنى قوله وبينهما أمور مشتهات أي أنها تشبهه
على بعض الناس دون بعض وليس أنها في ذوات أنفسها مشتهاة لا بيان لها في جملة أصول الشريعة،
فإن الله تعالى لم يترك شيئاً يجب له فيها حكم، إلا وقد جعل فيه بياناً، ونصب عليه دليلاً، ولكن
البيان ضربان، بيان جلي يعرفه عامة الناس كافة، وبيان خفي لا يعرفه إلا الخاص من العلماء الذين
عنوا بعلم الأصول فاستدركوا معاني النصوص، وعرفوا طرق القياس والاستنباط ورد الشيء إلى المثل
والنظير " (3).

وفي الحقيقة، حيز بيان العلماء للقرآن الكريم، هو أقل من الوجهين السالفين الذكر، وهذا أمر
صحيح في زمانه، وهو ما يفسر قلة التفسير في مرحلته الأولى، ومعلوم أن في مراحل المتأخرة نمتي،
وأصبحت التفسيرات أضخم حجماً ومحتوى، وهذا ليس باعتبار زيادة المعرفة والاجتهاد ، كلا ،
فالصحابة كانوا أعلم من غيرهم بالقرآن، لكن هذه التفسيرات المتأخرة احتوت من المعارف وقوانين

1 تفسير الطبري (6/203).

2 ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين
العيني (ت 855هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. (1/299).

3 معالم السنن، (شرح سنن أبي داود)، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت):

388هـ، الناشر: المطبعة العلمية - حلب، ط: الأولى 1351 هـ - 1932 م. (3/56).

العلوم ما كان في زمن الصحابة ملكة، وإدراكه لا يحتاج إلى كبير عناء بخلاف غيرهم، ولهذا المنظومة التفسيرية تغيرت في مفهومها وأصبحت أكثر تعقيدا لأن الأمر متعلق بالبيان، ودرجة البيان تتغير من حين إلى آخر، كما سلف معنا في بابه.

أما الوجه الأخير الذي ذكره ابن عباس: " وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ".⁽¹⁾ عنى به حقيقة علم الغيب من زمن وقوع الساعة وحقائق أهوال القيامة وحقيقة ما يقول إليه الأشياء الغيبية؛ قال تعالى: -مستنكراً على من كفر وتولى-: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْ يَرَى﴾ [النجم: 35]؛ وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 34]؛ وقال تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهٗ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: 85]؛ فالله سبحانه وتعالى هو عالم الغيب والشهادة قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 73]؛ وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 94] [التوبة: 105]؛ وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 9]، وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: 92]؛ وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [السجدة: 6]؛ وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 3]؛ وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر: 38]؛ وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الزمر: 46]؛ وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: 22]؛ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: 8]؛ وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [التغابن: 18]؛ وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 26].

¹ تفسير الطبري (1/75).

يستخلص من تقسيم ابن عباس لوجوه البيان في المنظومة التفسيرية إدراكه قبل غيره، أصول البيان، والتي رتبها- في نظري- وفق اعتبارٍ منطقيٍّ ومحكمٍ، راعى فيه الأولوية والشمولية، مركزاً على الأداة التي يقع بها فهم القرآن، وفق شروط ذكرت في بابها.

أما عن علاقة أوجه البيان عند ابن عباس مع مصادر البيان في القرآن الكريم، هو- في نظري- الإشارة إلى ترتيب المصادر واختلافها، حيث درج علماء أصول التفسير، ترتيب المصادر وفق قوتها، لكن ابن عباس، أدرج البيان وفق سعته ومعرفته؛ وهو ما ذلك على علمٍ بترتيب قوة المصادر حيث ورد عنه تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بالرجوع إلى الصحابة، وتفسير القرآن بالرجوع إلى كلام العرب، وهذا تفصيلها كالاتي:

تفسير القرآن بالقرآن.

إن هذا النوع من التفسير يحتاج من صاحبه الإمام بالقرآن حفظاً وتدبراً، م ع إدراك مواقع التشابه اللفظي والمعنوي، ويتطلب من صاحبه الإمام والفهم لمعنى اللفظ وتغيراته في تراكيب الكلام، مع وعي تامٍ بمسؤولية المهمة، حيث المفسر في هذا النوع يدعي ترجمة القرآن بالقرآن، وبلتالي أي خطئ يفضي إلى تناقض القرآن بين آياته، ومعلوم أن هذا الخطأ يقع من جهة الاجتهاد في الربط بين الآيتين، ومن هنا ندرك خطأ من يجعل هذا المصدر أول المصادر وأوثقها من غير قيدٍ وبيانٍ، ويجعل كل ربط بين الآيتين تفسير للقرآن بالقرآن، من غير النظر إلى صحة الربط من عدمه، ويجدر بنا أن نتساءل: هل كل تفسير للقرآن بالقرآن صحيح؟ وما حدود هذا التفسير؟

وقبل الشروع في الإجابة لابد من تحديد مصطلح تفسير القرآن بالقرآن.

وقد مر معنا تحديد مصطلح التفسير والبيان، ومن خلاله نكاد نجد تعريف لهذا المصطلح

وهو كالاتي:

تعريف تفسير القرآن بالقرآن هو: بيان معاني القرآن بالقرآن⁽¹⁾

أما مراتب بيان القرآن بالقرآن نستطيع القول منها ما هو صريح صحيح لا يدخل في باب الاجتهاد واحتمال الخطأ، ومنه غير صريح، وقد يكون صحيحاً، وقد يكون خطأ، وهو يعتمد على الاجتهاد.

1 ينظر: تفسير القرآن بالقرآن، تأليف: د. محسن بن حامد المطيري، ط: دار التدمرية، ط1: 1432هـ-2011. ص33.

فمن الأول : على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ [الطارق: 1، 2]، ثم فسره بقوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: 3]؛ فهذا مما لا خلاف فيه، وهو بين واضح وهو عند حبر الأمة من القسمين المذكورين: وَجْه تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، فلا داعي لإيضاحه لوضوحه.

قال أبو زكريا الفراء (ت: 207هـ): " الطارق: النجم لأنه يطلع بالليل، وما أتاك ليلاً فهو طارق، ثم فسره فقال: (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) والثاقب: المضيء." (1)
أمثلة تفسير القرآن بالقرآن عند ابن عباس: ومن ذلك:

ورد عن ابن عباس، قوله: " ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: 73]؛ يَعْنِي بِالصُّورِ النَّفْخَةَ الْأُولَى، أَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّهُ يَقُولُ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ يَعْنِي الثَّانِيَةَ ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: 68]". (2)
فجدد في هذا المثال يشير ابن عباس إلى معنى الآية الأولى بالآية الثانية بقوله: أَلَمْ تَسْمَعْ، تذكيراً بوجه الدلالة في الآية الثانية لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ ليستدل على دلالة الآية الأولى: أنها النَّفْخَةُ الْأُولَى.

ورد عنه في قوله تعالى : ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف: 30] : " إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَدَأَ خَلْقَ ابْنِ آدَمَ مُؤْمِنًا وَكَافِرًا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: 2] ، ثُمَّ يُعِيدُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا بَدَأَ خَلْقَهُمْ مُؤْمِنًا وَكَافِرًا". (3) ووجه العلاقة بين الآيتين واضح.

وورد عنه في تفسير المثاني ، قوله: " مَا تَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ، أَلَمْ تَسْمَعْ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ [الزمر: 23] ". (4)

¹ معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: 207هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشليبي؛ الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط: الأولى. (3/ 254).

² تفسير الطبري (11/ 464) برقم: 13433. تفسير ابن أبي حاتم (5/ 285) برقم: 7516.

³ تفسير الطبري (12/ 382) برقم: 14478.

⁴ تفسير الطبري (17/ 137)

وورد عَرِه في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: 27]، يعني بالناس: " أهل القبلة، أَمْ تَسْمَعُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: 96]، إلى قوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: 97]، يَتَوَلَّى: وَمَنْ دَخَلَهُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ أُمِرَ أَنْ يُؤَدَّوْنَ فِيهِمْ، وَكُتِبَ عَلَيْهِمُ الْحُجُّ، فَإِنَّهُ آمِنٌ، فَعَظَّمُوا حُرْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ " (1).

وورد عَرِه في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ [القيامة: 15]، يَعْنِي: " الإِعْتِدَارُ، أَمْ تَسْمَعُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: 52]، وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ﴾ [النحل: 87]، وَقَالَ اللَّهُ: ﴿فَأَلْقُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ [النحل: 28]، وَقَوْلُهُمْ: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 23] " (2).

نلاحظ في كل مرة كيف ابن عباس يشير إلى وجه الربط بين الآيتين بقوله: " أَمْ تَسْمَعُ " لأن الحال كذلك، ليس كل مفسرٍ فضلاً عن غيره، باستطاعته أن يفسّر بهذه الطريقة، التي تحتاج من صاحبه كما سلف الإمام بمعاني القرآن وألفاظه، وكأن القرآن وحدة مصورة في قلبه، وهذا فيه أيضاً الإشارة إلى الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

كما أن تفسير القرآن بالقرآن، يتطلب من صاحبه الدقة والتدبر في المعنى، حتى لا يقع في المتشابه، الذي يقع فيه كثيراً من لم ترسخ قدمه في التفسير، فهذا رَجُلٌ جَاءَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ: " أَشْيَاءٌ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ فِي الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ؟ أَشَكُّ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: لَيْسَ بِالشَّكِّ ، وَلَكِنَّهُ اخْتِلَافٌ. قَالَ: فَهَاتِ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْكَ قَالَ: أَسْمَعُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 23] وَقَالَ: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 42] وَقَدْ كَتَمُوا. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 23] فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَيَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَلَا يَغْفِرُ شِرْكًَا وَلَا يَتَعَاطَمُهُ ذَنْبٌ أَنْ يَغْفِرَهُ جَحَدَ الْمُشْرِكُونَ ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ، رَجَاءً أَنْ يُغْفَرَ لَهُمْ ، فَخْتِمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتَكَلَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 42] " (3).

¹ تفسير الطبري (18 / 607).

² تفسير الطبري (24 / 63).

³ تفسير الطبري ت شاكر (8 / 373) برقم: 9521.

فستخلص من هذا المثال كيف يقع التشابه في أول وهلة، ثم كيف عالج ابن عباس، هذا التشابه والإشكال، مما يدل على رسوخه في هذا المصدر.

بل يعتبر ابن عباس في هذا المجال مؤسس تأويل مشكل القرآن، الذي ظهر كعلم مستقل بعده، مما يدل على ذلك ما ورد في صحيح البخاري عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: " قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي أَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ، قَالَ: ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: 101]، ﴿ وَأَقْبَلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الصفات: 27] ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: 42]، ﴿ وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: 23]، فَقَدْ كَتَمُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟ وَقَالَ: ﴿ أُمِّ السَّمَاءِ بَنَاهَا ﴾ [النازعات: 27] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ دَحَاهَا ﴾ [النازعات: 30] فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ أَأَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت: 9] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: 11] فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الْأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ؟ وَقَالَ: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: 96]، ﴿ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 56]، ﴿ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: 58] فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى؟ فَقَالَ: ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ [المؤمنون: 101]: " فِي النَّفْحَةِ الْأُولَى، ثُمَّ يَنْفَعُ فِي الصُّورِ: ﴿ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ فَلَا أَنْسَابَ [ص: 128] بَيْنَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ، ثُمَّ فِي النَّفْحَةِ الْآخِرَةِ، ﴿ أَقْبَلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الصفات: 27] وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: 23]، ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: 42]، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ ذُنُوبَهُمْ، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: تَعَالَوْا نَقُولُ لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ، فَخْتِمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، فَتَنْطِقُ أَيْدِيهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ عُرِفَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُكْتَمُ حَدِيثًا، وَعِنْدَهُ: ﴿ يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة: 105] الْآيَةَ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ، وَدَحَّوْهَا: أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَالْمَرْعَى، وَخَلَقَ الْجِبَالَ وَالْجِمَالَ وَالْأَكَامَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ دَحَاهَا ﴾ [النازعات: 30]. وَقَوْلُهُ: ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت: 9]. فَجَعَلَتِ الْأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَخَلَقَتِ السَّمَوَاتِ فِي يَوْمَيْنِ، ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: 96] سَمَى نَفْسَهُ ذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ، أَيُّ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابَ بِهِ الَّذِي أَرَادَ، فَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ، فَإِنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ " (1).

¹ صحيح البخاري (6/127).

فهذا المثال يكشف بكل وضوح، القدرات الهائلة لابن عباس، في الاستشهاد بالقرآن والتفسير به، والدفاع عنه من خلاله.

✓ تفسير القرآن بالسنة.

لقد كان ابن عباس حريصاً منذ صغره، في أخذ العلم عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، لكن لم يدرك ما أدركه كبار الصحابة، بسبب موت النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو لم يتجاوز الثالثة عشر، لكن رغم هذا، لم يضعف عن الطلب، بل ثابر وضاعف مجهوده ليسأل صحابة - رسول الله - ممن سمع النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وخاصة ما تعلق بالقرآن وتأويله، ومما ورد عنه - رضي الله عنه - : أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقَيْيهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " هُوَ خَضِرٌ، إِذْ مَرَّ بِهِمَا أَبُو بْنُ كَعْبٍ، فَنَادَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقَيْيهِ، فَهَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "بَيْنَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: هَلْ تَعَلَّمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقَيْيهِ، وَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، فَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ، فَارْجِعْ، فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، قَالَ ابْنُ مُصْعَبٍ، فِي حَدِيثِهِ: فَنَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ: ﴿آتَانَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: 62] ، فَعِنْدَ ذَلِكَ فَقَدَ الْحُوتَ، ﴿فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: 64] ، فَجَعَلَ مُوسَى يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ ". قَالَ: "فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ" (1)

فنلاحظ في هذا المثال مدى استفسار ابن عباس لما ورد في السنة حول الآية الكريمة، مما يدل على اهتمامه بهذا المصدر، كما نجده يروي بعض التفسيرات عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مما يفسترها مباشرة، أو ينسبها ويرويها عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومن ذلك ما ورد عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْحَيْرَةِ أَيَّ الْأَجْلِينَ قَضَى مُوسَى، قُلْتُ: لَا أَدْرِي، حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيَّ حَبْرُ الْعَرَبِ فَأَسْأَلُهُ، فَقَدِمْتُ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: "قَضَى أَكْثَرَهُمَا، وَأَطْيَبُهُمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ

¹ مسند أحمد ط الرسالة (36 / 35) برقم: 21109 ؛ صحيح البخاري (1 / 26) برقم: 78 ؛ صحيح مسلم (4 / 1852) برقم: 174.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَالَ فَعَلَ" (1) وهذا التفسير استفاده من النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حيث ورد عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « سَأَلْتُ جِبْرَائِيلَ أَيَّ الْأَجْلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟ قَالَ: أُمَّتُهُمَا وَأَكْمَلَهُمَا » (2) كما ورد عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « قَالَ لِي جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخِذٌ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِرْعَوْنَ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ ». (3)

كما نجد - رضي الله عنه - يفسر القرآن ويدعم ذلك بما ورد في السنة، مما نقله عن الصحابة - رضي الله عنهم - ، ومن ذلك ما ورد عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " أَتَدْرِي مَا سِعَةُ جَهَنَّمَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ مَا تَدْرِي، إِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعِينَ خَرِيْفًا، تَجْرِي فِيهَا أَوْدِيَةٌ الْقَيْحِ وَالْدَّمِ، قُلْتُ: أَنْهَارًا؟ قَالَ: لَا، بَلْ أَوْدِيَةٌ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا سِعَةُ جَهَنَّمَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ مَا تَدْرِي، حَدَّثَنِي عَائِشَةُ أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: 67] فَأَيُّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « هُمْ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ ». (4)

كما نجد ابن عباس حريصاً على تعليم أصحابه، ما تعلمه من رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في تأويل آي القرآن؛ فقد ورد عَنْ أَبِي يَحْيَى، مَوْلَى ابْنِ عُقَيْلِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ: لَقَدْ عَلَّمْتُ آيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا سَأَلَنِي عَنْهَا رَجُلٌ قَطُّ، فَمَا أَدْرِي أَعَلِمَهَا النَّاسُ، فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا، أَمْ لَمْ يَفْطِنُوا لَهَا، فَيَسْأَلُوا عَنْهَا؟ ثُمَّ طَفِقَ يُحَدِّثُنَا، فَلَمَّا قَامَ، تَلَاوَمْنَا أَنْ لَا نَكُونَ سَأَلْنَا عَنْهَا، فَقُلْتُ: أَنَا لَهَا إِذَا رَاحَ عَدَا، فَلَمَّا رَاحَ الْعَدَا، قُلْتُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، ذَكَرْتَ أَمْسِ أَنَّ آيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، لَمْ يَسْأَلْكَ عَنْهَا رَجُلٌ قَطُّ، فَلَا تَدْرِي أَعَلِمَهَا النَّاسُ، فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا، أَمْ لَمْ يَفْطِنُوا لَهَا؟ فَقُلْتُ: أَخْبَرَنِي عَنْهَا، وَعَنِ اللَّاتِي قَرَأْتُ قَبْلَهَا. قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِقُرَيْشٍ: « يَا مَعْشَرَ

¹ صحيح البخاري (3/ 181).

² تفسير الطبري (19/ 569) وأخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة ، برقم: 1880.

³ ينظر: مسند أبي داود الطيالسي (4/ 344) برقم: 2740 ؛ مسند أحمد ط الرسالة (4/ 82) برقم: 2203 ؛ سنن الترمذي ت شاكر (5/ 287) برقم: 3107 ؛ وأورده الطبري في تفسيره (15/ 191) برقم: 17859؛ وأخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (5/ 26) برقم: 2015.

⁴ رواه أحمد مسنده، ط الرسالة (41/ 349) برقم: 24856؛ الترمذي في سننه، ت شاكر (5/ 372) برقم: 3241 ؛ وأخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (2/ 104) وقال: وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير عنبسه ابن سعيد وهو ابن الضريس الأسدي وهو ثقة بلا خلاف.

قُرَيْشٍ، إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيهِ خَيْرٌ» وَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ النَّصَارَى تَعْبُدُ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَمَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عَيْسَى كَانَ نَبِيًّا وَعَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ صَالِحًا، فَلَيْسَ كُنْتَ صَادِقًا، فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَكُمْ تَقُولُونَ. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: 57]، قَالَ: قُلْتُ: مَا يَصِدُّونَ؟ قَالَ: يَضْجُونَ، ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: 61]، قَالَ: "هُوَ خُرُوجُ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ".⁽¹⁾

ويستخلص مدى اهتمام ابن عباس في تأويل القرآن الكريم بالسنة، والرجوع إليها والسؤال عنها، مما يبرهن على أهميتها عنده، كمصدر موثوق به.

✓ تفسير القرآن بالرجوع إلى الصحابة -رضي الله عنهم-. لقد أدرك ابن عباس فضل الصحابة، وسبقهم في الإسلام، وكان حريصاً على أن يتعلم منهم، ويعترف من جرهم الواسع.

كما أنه حرص على أخذ العلم، من مظانِّه وأصحابه الذين كانوا فيه أعلاماً، لذلك نجد أنه تأثر بعُمَرَ وَعَلِيٍّ وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وقد روى في ذلك الإمام أحمد: عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ: "عَامَّهُ عِلْمُ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ، مِنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ".⁽²⁾

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ: "إِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ قَدْ أَخَذَ مَا عِنْدَ عَلِيٍّ مِنَ التَّفْسِيرِ، وَضَمَّ إِلَى ذَلِكَ مَا أَخَذَهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ".⁽³⁾

ولا يعني هذا أنه استغنى عن باقي الصحابة -رضي الله عنهم-؛ فقد ورد أنه قال: "إِنْ كُنْتُ لَأَسْأَلَ عَنِ الْأَمْرِ الْوَاحِدِ مِنْ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-".⁽⁴⁾

وَقَالَ مَغِيرَةُ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَلَيْ أَصَبْتَ هَذَا الْعِلْمَ؟ قَالَ: بِلِسَانِ سَعُولٍ، وَقَلْبِ عَقُولٍ.⁽⁵⁾

¹ مسند أحمد مخرجا (86 / 5) برقم: 2918؛ وأخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (7 / 632) برقم: 3208.

² البداية والنهاية ط الفكر (8 / 298).

³ البداية والنهاية ط الفكر (8 / 303).

⁴ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (3 / 344)؛ وقال الذهبي: إسناده صحيح.

⁵ البداية والنهاية ط الفكر (8 / 299).

كما تَفَطَّنَ رضي الله عنه لقوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ اللهَ لَا يَفْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَفْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا، أَخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».(1)

فقد وردَ عَهْ أَنَّهُ قَالَ: " لَمَّا فُيِضَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: هَلُمَّ فَلِنَسْأَلْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، فَقَالَ: يَا عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسِ!! أَتَرَى النَّاسَ يَفْتَقِرُونَ إِلَيْكَ وَبِى النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَنْ فِيهِمْ؟ قَالَ: فَتَرَكَ ذَلِكَ وَأَقْبَلْتُ أَنَا أَسْأَلُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَإِنْ كَانَ لِيَبْلُغُنِي الْحَدِيثَ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِي بَابَهُ وَهُوَ قَائِلٌ فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ يَسْفِي الرِّيحَ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عمِّ رَسُولِ اللَّهِ مَا جَاءَ بِكَ؟ هَلَا أُرْسَلَتْ إِلَيَّ فَآتِيكَ؟ فَأَقُولُ: لَا! أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيكَ، قَالَ: فَاسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ، قَالَ: فَعَاشَ هَذَا الرَّجُلُ الْأَنْصَارِيُّ حَتَّى رَأَى وَقَدِ اجْتَمَعَ حَوْلِي النَّاسُ يَسْأَلُونِي، فَيَقُولُ: هَذَا الْفَتَى كَانَ أَعْقَلَ مِنِّي ".(2)

ومن أمثلة سؤال ابن عباس للصحابة-رضي الله عنهم-:

ما جاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ: أَكَلْنَا الضَّبْعُ، قَالَ مِسْعَرٌ: يَعْنِي السَّنَةَ، قَالَ: فَسَأَلَهُ عُمَرُ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَمَا زَالَ يَنْسُبُهُ حَتَّى عَرَفَهُ، فَإِذَا هُوَ مُوسِرٌ، فَقَالَ عُمَرُ: "لَوْ أَنَّ لَامِرِيَّ وَادِيًّا أَوْ وَادِيَيْنِ، لَأَبْتَعِي إِلَيْهِمَا ثَالِثًا". فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "وَلَا يَمَلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ". فَقَالَ عُمَرُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ أَبِي، قَالَ: فَإِذَا كَانَ بِالْعَدَاةِ، فَأَعْدُ عَلَيَّ؛ قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى أُمِّ الْفَضْلِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: وَمَا لَكَ وَلِلْكَلامِ عِنْدَ عُمَرَ وَخَشِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَنْ يَكُونَ أَبِي نَسِيًّا، فَقَالَتْ أُمُّهُ: إِنَّ أُبَيًّا عَسَى أَنْ لَا يَكُونَ نَسِيًّا..."(3)

وعنه رضي الله عنه-، قَالَ: " لَمْ أَرَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ الْمُرَاتَيْنِ مِنَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اللَّتَيْنِ قَالَ اللهُ هُمَا: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: 4]، فَحَجَّجْتُ مَعَهُ، فَعَدَلَّ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ، فَتَبَرَّرَ حَتَّى جَاءَ، فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنَ الْمُرَاتَيْنِ مِنَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّتَانِ

¹ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (3/ 218) برقم: 1712.

² البداية والنهاية ط الفكر (8/ 298).

³ مسند أحمد ط الرسالة (35/ 38) برقم: 21110.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُمَا: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: 4]؟ فَقَالَ: وَاعَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرَ الْحَدِيثَ يَسُوفُهُ..⁽¹⁾

وَعَنْ سَيَّارٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، "أَنَّهُ سَأَلَ كَعْبَ الْأَخْبَارِ عَنْ أُمَّ الْكِتَابِ، فَقَالَ: "عَلِمَ اللَّهُ مَا هُوَ خَالِقٌ وَمَا خَلَقُهُ عَامِلُونَ، فَقَالَ لِعَلِمِهِ: كُنْ كِتَابًا"⁽²⁾. يشير إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: 70].

وَعَنْ أَبِي مَجَلِزٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ، عَنْ تَبَعٍ، مَا كَانَ؟ فَقَالَ: "إِنَّ تَبَعًا كَانَ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ، وَإِنَّهُ ظَهَرَ عَلَى النَّاسِ، فَاخْتَارَ فِتْيَةً مِنَ الْأَخْيَارِ فَاسْتَبَطْنَهُمْ وَاسْتَدَخَلَهُمْ، حَتَّى أَخَذَ مِنْهُمْ وَبَايَعَهُمْ، وَإِنَّ قَوْمَهُ اسْتَكْبَرُوا ذَلِكَ وَقَالُوا: قَدْ تَرَكَ دِينَكُمْ، وَبَايَعَ الْفِتْيَةَ؛ فَلَمَّا فَشَا ذَلِكَ قَالَ لِلْفِتْيَةِ، فَقَالَ الْفِتْيَةُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ النَّارُ تُحْرِقُ الْكَاذِبَ، وَيَنْجُو مِنْهَا الصَّادِقُ، فَفَعَلُوا، فَعَلَّقَ الْفِتْيَةُ مَصَاحِفَهُمْ فِي أَعْنَاقِهِمْ، ثُمَّ غَدَوْا إِلَى النَّارِ، فَلَمَّا ذَهَبُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا، سَفَعَتِ النَّارُ فِي وُجُوهِهِمْ، فَانْكَصُوا عَنْهَا، فَقَالَ لَهُمْ تَبَعٌ: لَتَدْخُلَنَّهَا؛ فَلَمَّا دَخَلُوهَا أُفْرِجَتْ عَنْهُمْ حَتَّى قَطَعُوهَا، وَإِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ ادْخُلُوهَا؛ فَلَمَّا ذَهَبُوا يَدْخُلُونَهَا سَفَعَتِ النَّارُ وَجُوهِهِمْ، فَانْكَصُوا عَنْهَا، فَقَالَ لَهُمْ تَبَعٌ: لَتَدْخُلَنَّهَا، فَلَمَّا دَخَلُوهَا أُفْرِجَتْ عَنْهُمْ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطُوا أَحَاطَتْ بِهِمْ، فَأَحْرَقَتْهُمْ، فَأَسْلَمَ تَبَعٌ، وَكَانَ تَبَعٌ رَجُلًا صَالِحًا"⁽³⁾.

يستخلص أن ابن عباس بالإضافة إلى مصدر القرآن والسنة، جعل الرجوع إلى علم الصحابة، مصدر من مصادره، وخاصة من اختص منهم في تأويل القرآن.

✓ تفسير القرآن بالرجوع إلى لغة العرب.

لقد كان الصحابة-رضي الله عنهم- يفهمون القرآن وفق معهود كلام العرب، هذا هو الأصل، وإذا تغيرت الحقيقة اللغوية، إلى الحقيقة الشرعية، بينها- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وما يدل على هذا الأصل، فهم الصحابة لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَمَنْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ

¹ صحيح البخاري (3/ 133) برقم: 2468.

² تفسير الطبري (16/ 491) برقم: 20512.

³ تفسير الطبري (22/ 337).

يَلْسِنَ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهُ لَيْسَ بِذَلِكَ، أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13] ⁽¹⁾ فهم فهموا من الظلم العام، الجاري على معهود كلام العرب، وهكذا فهم عدي بن حاتم من قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: 187]، حَتَّى فَسَّرَهُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: "إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ". ⁽²⁾

وهذا الأصل، كان واضحاً عند ابن عباس، فورد عنه الاستعانة والرجوع إلى كلام العرب، وسواء في منشور كلامها العام، أو في ديوانها الشعر، أو في بعض لهجات قبائلها، ومما ورد عنه قوله: "مَا كُنْتُ أَذْرِي مَا قَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: 89] حَتَّى سَمِعْتُ ابْنَةَ ذِي يَزَنَ تَقُولُ: تَعَالَ أَفَاتِحُكَ، يَعْنِي: أَفَاضِيكَ". ⁽³⁾

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: "كُنْتُ لَا أَذْرِي مَا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بَيْتٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَنَا فَطَرْتُهَا، يَقُولُ: أَنَا ابْتَدَأْتُهَا" ⁽⁴⁾. ولم يكن ابن عباس يتحرج في عدم معرفته لبعض الألفاظ، لوعيه التام بسعة كلام العرب، ومن ذلك ما رواه عمرو بن دينار، أَنَّهُ سَمِعَ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا حَنَانًا". ⁽⁵⁾ لكن ابن عباس، بتواضعه استطاع أن يجمع الكثير من كلام العرب، حَتَّى أَصْبَحَ فِيهِ الْحُكْمُ، فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: اخْتَلَفَتِ الْعَرَبُ وَالْمَوَالِي فِي الْمُلَامَسَةِ عَلَى بَابِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَتِ الْعَرَبُ: الْجِمَاعُ، وَقَالَتِ الْمَوَالِي: بِالْيَدِ. قَالَ: فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: "غُلِبَ فَرِيقُ الْمَوَالِي، الْمُلَامَسَةُ: الْجِمَاعُ" ⁽⁶⁾

وهذا الشاهد يدل على ما وصل إليه ابن عباس في هذا الباب.

¹ صحيح البخاري (6/ 114) برقم: 4776.

² اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (2/ 5).

³ تفسير الطبري ت شاكر (12/ 564) برقم: 14856. تفسير ابن أبي حاتم - محققا (5/ 1523) برقم: 8733؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور (3/ 503).

⁴ تفسير الطبري ت شاكر (11/ 283) برقم: 13111؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور (3/ 255).

⁵ تفسير الطبري ت شاكر (18/ 157).

⁶ تفسير الطبري ت شاكر (8/ 391) برقم: 9593.

كما لا ننسى فصاحة ابن عباس حيث ورد عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: " كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ،
قُلْتُ: أَجْمَلُ النَّاسِ، فَإِذَا نَطَقَ، قُلْتُ: أَفْصَحُ النَّاسِ، فَإِذَا تَحَدَّثَ، قُلْتُ: أَعْلَمُ النَّاسِ ".⁽¹⁾
وبذلك أصل للمنظومة التفسيرية بقوله: التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: وَجْهٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ
كَلَامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ".⁽²⁾ وقد
مضى شرحه بما فيه كفاية، لكن سنلاحظ في الجانب التطبيقي كيف أولى ابن عباس اهتماماً خاصاً،
بمصدر اللغة، لكونه شامل البيان، وخاصة أمام المتغيرات الثقافية والعلمية التي طرأت على المجتمع،
ونخص منها بداية تضاعف إدراك اللسان العربي.

¹ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (3/ 351).

² تفسير الطبري ت شاكر (1/ 75) برقم: 71.

❖ الفصلُ الثالثُ: ملامح التفسير اللغوي

عند بن عباس.

ويشتملُ على ثلاثة مباحث:

➤ المَبْحَثُ الأوَّلُ: تعريف التفسير اللغوي.

➤ المَبْحَثُ الثَّانِي: الاتجاه اللغوي عند ابن عباس
وأساببه.

المَبْحَثُ الثالثُ: ملامح الاتجاه اللغوي في
تفسير ابن عباس وإثره في الدِّراسات اللغوية.

➤ المَبْحَثُ الأَوَّلُ: تعريف التفسير اللغوي.

ويحتوي على أربعة مطالب:

- ✓ تعريف اللّغة لغة.
- ✓ تعريف اللّغة اصطلاحا.
- ✓ تعريف التّفسير اللّغوي.
- ✓ أهمية التّفسير اللّغوي.

➤ المَبْحَثُ الأَوَّلُ: تعريف التفسير اللغوي.

تقرر فيما سبق أن القرآن الكريم واضح الدلالة، في بيئته لا يحتاج إلى تفسير إلا في بعض ما أشكل، وقد تولى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بيان ما أشكل، أما باقي القرآن فهو كما وصفه جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿طَس تَلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: 1]، ولأنه كما قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: 195]، ونستخلص من المنظومة التفسيرية أن الاستفسار عن معانيه يقع بسبب الجهل بلغة العرب، وسواء ما يختص بدلالة ألفاظها أو بطرق الكلام بها، وهذا كفيل بالدلالة على الاهتمام بهذا المنحى؛ وقد عُلم أن منهج الصحابة - رضي الله عنهم - في التفسير أعم، وهو يركز على فهم المعنى، دون تحرير الألفاظ لغة، لأن المعنى عندهم هو المقصود، والألفاظ ما جاءت إلا لتخدم المعاني، وكما قال عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِي (ت: 471هـ): "أَنَّ الألفاظَ هي التابعة والمعاني هي المتبوعة"⁽¹⁾ والألفاظ ابنة بيئتها؛ يقول ابن قَيِّمِ الْجَوْزِيَّة (ت: 751هـ): "وتفسير النَّاسِ يدور على ثلاثة أصولٍ تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة والقياس وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم"⁽²⁾ لكن ابن قَيِّمِ الْجَوْزِيَّة (751هـ) أطلق هذا التقسيم من باب التغليب، وإلا نفينا عن الصحابة - رضي الله عنهم - أي شكل من أشكال التفسير اللفظي، وخاصة بعد دخول الأعاجم إلى الإسلام، وفساد اللسان العربي، مما دعت الحاجة إلى تفسير ألفاظ القرآن لغوياً، إذ متى ظهر هذا التفسير اللغوي؟ وما هي أسبابه؟ ثم ما هو الفرق بين التفسير اللغوي، والاتجاه اللغوي في التفسير؟ وقبل الإجابة عن هذه التساؤلات، يجدر بنا أن نقف على بعض المصطلحات.

¹ ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، الجرجاني (ت: 471هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بمكة، ط: الثالثة: 1413هـ - 1992م. (1/ 373).

² التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (751هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان. (ص: 79).

✓ تعريف اللغة لغة.

اللُّغَةُ لغةٌ: فُعْلَةٌ من لَعَوْتُ؛ أي: تَكَلَّمْتُ. وأصلها: لُعُوَّةٌ، ككرة وَقلة، والجمع: لُعَاتٌ ولغون.⁽¹⁾

وقيل: أَصْلُهَا لُعْيٌ أَوْ لُعَوٌ، وَجَمَعَهَا (لُعَى) مِثْلُ بُرَّةٍ وَبُرَى وَ (لُعَاتٌ) أَيضاً؛ والنسبة إليها: لُعَوِيٌّ، وَلَا تَقُلْ: لِعَوِيٌّ.⁽²⁾ وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: "لِعَوَى الطير أصواتها".⁽³⁾

وقال ابن فارس (ت: 395هـ): "اللَّامُ وَالغَيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى الشَّيْءِ لَا يُعْتَدُّ بِهِ، وَالْآخَرُ عَلَى اللَّهَجِ بِالشَّيْءِ".

فَأَلَاوُلُ اللَّغُو: مَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ أَوْلَادِ الْإِبِلِ فِي الدِّيَةِ. يُقَالُ مِنْهُ لَعَا يَلْعُو لَعُوءًا. وَذَلِكَ فِي لَعُوِ الْإِيمَانِ. وَاللَّعَا هُوَ اللَّغُو بِعَيْنِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: 225] ، أَي مَا لَمْ تَعْقُدُوهُ بِقُلُوبِكُمْ.

وَالثَّانِي قَوْلُهُمْ: لَعِي بِالْأَمْرِ، إِذَا هَجَّ بِهِ. وَيُقَالُ إِنَّ اشْتِقَاقَ اللَّغَةِ مِنْهُ، أَي يَلْهَجُ صَاحِبُهَا بِهَا.⁽⁴⁾ وتدور معنى لفظه اللغة حول: التكلم واللَّهَجُ بالصوت.

✓ اللغة اصطلاحاً: عرفت بعدة تعريفات وتنوعت بين القدامى والمحدثين ومن ذلك:

- تعريفات القدامى:

عرفها أبو الفتح ابن جني (ت: 392هـ) بقوله: "أصواتٌ يُعَبَّرُ بِهَا كُلُّ قَوْمٍ عَنْ أَعْرَاضِهِ".⁽⁵⁾ وقال ابن حزم (ت: 456هـ): "واللغة أَلْفَاظٌ يَعْبُرُ بِهَا عَنِ الْمَسْمِيَّاتِ وَعَنِ الْمَعَانِي الْمُرَادِ إِفْهَامَهَا وَلِكُلِّ أُمَّةٍ لِعَتْمَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: 4]".⁽⁶⁾

¹ ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (6/ 62).

² ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (6/ 2484)، ومختار الصحاح (ص: 283).

³ ينظر: تهذيب اللغة (8/ 173).

⁴ ينظر: مقاييس اللغة (5/ 255) - بتصرف -.

⁵ الخصائص (1/ 34).

⁶ الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (1/ 46).

وقال ابن سنان الخفاجي (ت:466هـ): "اللغة عبارة عما يتواضع القوم عليه من الكلام أو يكون توقيفاً".⁽¹⁾

وقال: ابن خلدون (ت:808هـ): "اعلم أنّ اللغات كلّها ملكات شبيهة بالصنّاعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها. وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنّما هو بالنظر إلى التراكيب".⁽²⁾

وقال الشّريف الجرجاني (816هـ): اللغة: "هي ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".⁽³⁾

و تشتمل تعريفات القدامى على أربعة جوانب هي :

أن اللغة: أصوات؛ وهذه الأصوات محدودة الحروف، كما أنّها تشترك فيها جميع الأجناس.

أن اللغة: تعبير؛ أي أن هذه الأصوات تتركب منها الكلمات والجمل لنصل بها إلى التعبير.

أن اللغة: تعبير يختص به كل قوم؛ أي أن تلك الألفاظ وصياغة الجمل مما تختلف فيه

الأجناس.

أن اللغة: تعبير عن أغراض؛ أي أنّ هذه التعبيرات، لا بد أن تفيد غرض، وإلاّ أصبحت لغواً.

- أما تعريفات المحدثين:

فقد عرفها دي سوسير (ت:1913م) أنّها: "نتائج اجتماعي ملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبنّاها مجتمع ما ، ليساعد أفرادها على ممارسة هذه الملكة".⁽⁴⁾

بينما يرى إبراهيم أنيس (ت:1397هـ/1977م) أن اللغة: " عبارة عن نظام عربي لرموز صوتية يستغلها الناس في الاتصال بعضهم ببعض".⁽⁵⁾

¹ سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت: 466هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى 1402هـ_1982م. (ص: 48).

² ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ، لابن خلدون. (1/ 764).

³ كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: الأولى 1403هـ - 1983م. (ص: 192).

⁴ علم اللغة العام ؛ فردينان دي سوسير، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيزمراجعة النص العربي: د.مالك يوسف المطلي، إصدارات: دار آفاق عربية، ط الثالثة: 1985. (ص27).

⁵ اللغة بين القومية والعالمية، د. إبراهيم أنيس، ط: دار المعارف ط الأولى: 1970 م. (ص11).

ولعل أشمل هذه التعريفات قول أنيس فريجة (1993م): " اللغة ظاهرة سيكولوجية اجتماعية ثقافية مكتسبة ... تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية، اكتسبت عن طريق الاختبار، معاني مُقرّرة في الذهن، وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل".⁽¹⁾

✓ تعريف التفسير اللغوي:

عرفه مساعد الطيار بقوله: " بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب".⁽²⁾
ثم قال: " أمّا الشقُّ الأولُ مِنَ التعريفِ، وهو بيان معاني القرآن: فإنه عامٌّ يشملُ كلَّ مصادرِ البيانِ في التفسيرِ؛ كالقرآنِ، والسُّنَّةِ، وأسبابِ النزولِ، وغيرها.
وأما الشقُّ الثاني منه، وهو بما ورد في لغة العرب: فإنه قيّدُ واصفٌ لنوعِ البيانِ الذي وَقَعَ لتفسيرِ القرآنِ، وهو ما كان طريقُ بيانه عن لغةِ العربِ.
وبهذا النوعِ من البيانِ يخرجُ ما عداه من أنواعِ البيانِ؛ كالبيانِ الكائنِ بأسبابِ النزولِ وقصصِ الآيِ، أو غيرها مما ليس طريقُ معرفته اللُّغَةُ، كما يخرج بهذا القيدِ ما كان طريقُ بيانه بغيرِ لغةِ العربِ، كمن يُفسِّرُ بمدلولاتٍ لا تُعرفُ عند العربِ؛ كالمصطلحاتِ الحادثة".⁽³⁾
يستخلص من هذا التعريف ، أن الصحابة-رضي الله عنهم- من أوائل المفسرين، الذين رجعوا إلى لغةِ العربِ؛ واخص بذكر منهم ابن عباس.

✓ أهمية التفسير اللغوي.

إنَّ أهميةَ التفسيرِ اللغويِ ترجع إلى لغة القرآن؛ حيث تتوقف فهم دلالاته عليه، ولما كان القرآن هو مهد الدِّراسات اللُّغويَّة عند اللغويين والمفسرين، ومصدر قوي من مصادر اللغة، كانت بوادر الاهتمام بالجانب اللغوي في التفسير مبكراً، منذ عهد الصحابة، ويتجلى بصورة واضحة حول

¹ نظريات في اللغة، أنيس فريجة(1993م)، ط: دار الكتاب اللبناني،-بيروت- ط الثانية:1981م.ص14.

² التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي ط: الأولى، 1432هـ. (ص: 38).

³ نفس المرجع، (ص: 38).

السؤال عن اللفظ الغريب في القرآن الكريم، ومن بين تلك الشواهد المسجلة؛ ما ورد عن أبي الصلت الثقفى: أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قرأ هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضِيْقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: 125] بنصب الراء. قال: وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (ضِيْقًا حَرَجًا). قال صفوان: " فقال عمر: ابغوني رجلا من كنانة واجعلوه راعياً، وليكن مُدْجِيًّا. قال: فأتوه به. فقال له عمر: يا فتى، ما الحرجة؟ قال: "الحرجة" فينا، الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء. قال: فقال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير".⁽¹⁾

وقال ابن عباس: "كنت لا أدري ما"فاطر السماوات والأرض"، حتى أتاني أعرابيان

يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: "أنا فَطَرْتَهَا"، يقول: أنا ابتدأتها".⁽²⁾

كما تسجل بعض الآثار حول منهجية البحث في التفسير اللغوي حيث ورد البحث عن لغة القبيلة، بالإضافة إلى الشاهد الشعري؛ روى سعيد بن المسيب: بينما عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على المنبر فقال: "يا أيها الناس ما تقولون في قول الله: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخُوفٍ﴾ [النحل: 47]، فسكت الناس، فقام شيخ فقال: يا أمير المؤمنين هذه لغتنا في هذيل، التخوف: التنقص، فقال عمر: وهل تعرف العرب ذلك في أشعارهم قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي:

تَخُوفَ الرَّحْلِ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا **** كَمَا تَخُوفَ عَوْدِ النَّبْعَةِ السَّقْنُ⁽³⁾

فَقَالَ عُمَرُ: أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِدِيَوَانِكُمْ لَا تَضِلُّوا، قَالُوا: وَمَا دِيَوَانُنَا؟ قَالَ شِعْرُ الْجَاهِلِيَّةِ فِيهِ تَفْسِيرُ كِتَابِكُمْ".⁽⁴⁾

ومن ثم كان لشاهد الشعري حضور مهم، في كثير من أبواب العلم، ونجد أن جل ما تناوله ابن عباس في منهجه اللغوي في تفسير كتاب الله، بدأ يأخذ منحى لغوي أو اتجاه لغوي، أصبح مهذاً لكثير من المباحث والدراسات اللغوية.

¹ تفسير الطبري جامع البيان ت شاكر (104 / 12).

² تفسير الطبري جامع البيان ت شاكر (283 / 11).

³ والبيت لذي الرمة، وقد مضى.

⁴ تفسير الثعلبي الكشف والبيان عن تفسير القرآن (6 / 19)؛ تفسير الزمخشري (2 / 609)؛ تفسير ابن عطية المحرر الوجيز (1 /

12)؛ تفسير الرازي (20 / 213).

ظهور التفسير اللغوي:

إنّ التفسير اللغوي في حقيقة الأمر كان موجوداً منذ النشأة الأولى لعملية تفسير القرآن الكريم، وذلك نتيجة حتمية، لكون اللغة مصدر من مصادر التفسير، وقد مر معنا قول ابن عباس: " وَجِهَ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا " ⁽¹⁾ وقد عدّه ابن جرير الطبري (310هـ) من مصادر التفسير تحت عنوان " الْقَوْلُ فِي أُلُوجِهِ الَّتِي مِنْ قَبْلِهَا يُوصَلُ إِلَى مَعْرِفَةِ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ " فقال: " وَأَنَّ مِنْهُ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ كُلُّ ذِي عِلْمٍ بِاللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ، وَذَلِكَ إِقَامَةٌ إِعْرَابِهِ، وَمَعْرِفَةُ الْمُسَمِّيَّاتِ بِأَسْمَائِهَا اللَّازِمَةِ غَيْرِ الْمُشْتَرَكِ فِيهَا، وَالْمَوْصُوفَاتِ بِصِفَاتِهَا الْخَاصَّةِ دُونَ مَا سِوَاهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجْهَلُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ " ⁽²⁾.

وقال ابن قتيبة (ت: 276هـ): " القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز والاختصار، والإطالة والتوكيد، والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا اللقن، وإظهار بعضها، وضرب الأمثال لما خفي " ⁽³⁾.

وقال الطاهر بن عاشور تحت " الْمُقَدِّمَةُ التَّاسِعَةُ ": "... وَإِذْ قَدْ كَانَ الْقُرْآنُ وَحِيًّا مِنَ الْعَلَامِ سُبْحَانَهُ وَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُ آيَةً عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ وَتَحَدَّى بُلْغَاءَ الْعَرَبِ بِمُعَارَضَةِ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ كَمَا سَيَأْتِي فِي الْمُقَدِّمَةِ الْعَاشِرَةِ، فَقَدْ نُسِجَ نَظْمُهُ نَسِجًا بِالِغَا مُنْتَهَى مَا تَسْمَحُ بِهِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مِنَ الدَّقَائِقِ وَاللِّطَائِفِ لَفْظًا وَمَعْنَى بِمَا يَنْبَغِي بِأَقْصَى مَا يُرَادُ بِإِلَاحَةِ إِلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ. فَجَاءَ الْقُرْآنُ عَلَى أُسْلُوبِ أَدْبَعٍ مِمَّا كَانُوا يَعْهَدُونَ وَأَعْجَبَ، فَأَعْجَزَ بُلْغَاءَ الْمُعَانِدِينَ عَنِ مُعَارَضَتِهِ وَلَمْ يَسْعَهُمْ إِلَّا الْإِدْعَانُ " ⁽⁴⁾.

لكن التفسير اللغوي لم يكن بارزا بالنسبة للمنظومة التفسيرية، لأنه يعتبر جزء منها، فالصحابة التفسير عندهم أعم؛ كما أنهم لم يكونوا بحاجة ماسة إلى معرفة معانيه اللغوية، كونهم عرب خلص، والقرآن نزل بلغتهم؛ وبهذا الصدد يقول أبو عبيدة (ت: 209): " فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن،

¹ تفسير الطبري = جامع البيان ت شاکر (75 / 1).

² تفسير الطبري (75 / 1).

³ تأويل مشكل القرآن (ص: 58).

⁴ التحرير والتنوير (93 / 1).

فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه، وعمما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص".⁽¹⁾

وقال أبو حيان (ت: 745هـ): " فَلَمَّا فَسَدَ اللِّسَانُ، وَكَثُرَتِ العَجَمُ، وَدَخَلَ فِي دِينِ الإِسْلَامِ أَنْوَاعُ الأُمَّمِ المُخْتَلِفَةُ الأَلْسِنَةِ، وَالنَّاقِصَةُ الإِدْرَاكِ، اِحْتِاجَ المُتَأَخِّرُونَ إِلَى إِظْهَارِ مَا انْطَوَى عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، مِنْ غَرَائِبِ التَّرَكِيبِ، وَانْتِزَاعِ المَعَانِي، وَإِبْرَازِ التُّكْتِ البَيَانِيَّةِ، حَتَّى يُدْرِكَ ذَلِكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ فِي طَبَعِهِ، وَيَكْتَسِبَهَا مَنْ لَمْ تَكُنْ نَشَأَتُهُ عَلَيْهَا، وَلَا عُنُصْرُهُ يُحَرِّكُهُ إِلَيْهَا، بِخِلَافِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مَنْ العَرَبِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ مَرْكُوزًا فِي طِبَاعِهِمْ، يُدْرِكُونَ تِلْكَ المَعَانِي كُلَّهَا، مِنْ غَيْرِ مُوقِّفٍ وَلَا مُعَلِّمٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ لِسَانُهُمْ وَحُطَّتْهُمْ وَبَيَانُهُمْ، عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَفَاوُثُونَ أَيْضًا فِي الفَصَاحَةِ وَفِي البَيَانِ".⁽²⁾

لكن نستخلص أن التفسير اللغوي جزء لا يتجزأ عن المنظومة التفسيرية، أما ما يفسر عدم بروزه كون الصحابة عرب خلص، كما أنه لا ينفي عدم معرفتهم ببعض الدلالات، كونها نزلت بلغات القبائل، أو هي من قبيل الغريب النسبي، ومن ثم نجدهم يبحثون في مصادر اللغة، كما مر سالفاً.

¹ مجاز القرآن (8 / 1).

² تفسير البحر المحيط؛ (1 / 26).

➤ المَبْحَثُ الثَّانِي: الاتجاه اللّغوي
في تفسير عند ابن عبّاس وأسبابه.

ويحتوي على:

- ✓ مفهوم الاتجاه اللغوي.
- ✓ أسباب ظهور الاتجاه اللّغوي في تفسير ابن عبّاس.
- ✓ تعريف الدّراسات اللّغويّة.
- ✓ أهم الدّراسات اللّغوية عند علماء اللّغة.

➤ المَبْحَثُ الثَّانِي: الاتجاه اللغوي في تفسير عند ابن عباس وأسبابه.

✓ مفهوم الاتجاه اللغوي.

يدور معنى الاتجاه حول الجِهَةِ والوَجْهَةِ وفي الأصل يعود إلى الوَجْهِ.

قال الفراهيدي(ت:170هـ): " الوَجْهُ: مُسْتَقْبَلُ كُلِّ شَيْءٍ. وَالجِهَةُ: النَّحْوُ. يُقَالُ: أَخَذْتُ جِهَةً كَذَا، أَي: نَحْوَهُ... وَالوَجْهَةُ: الْقِبْلَةُ وَشِبْهُهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ اسْتَقْبَلْتَهُ وَأَخَذْت فِيهِ. تَوَجَّهُوا إِلَيْكَ، يَعْنِي: وَلَّوْا وَجُوهَهُمْ إِلَيْكَ. وَالتَّوَجَّهَ: الْفَعْلُ اللَّازِمُ. وَالوُجَاهُ وَالتُّجَاهُ: مَا اسْتَقْبَلَ شَيْءٌ شَيْئًا. تَقُولُ: دَارُ فُلَانٍ بُجَاهِ دَارِ فُلَانٍ. وَالْمُوَاجَهَةُ: اسْتِقْبَالُكَ الرَّجُلَ بِكَلَامٍ أَوْ وَجْهِهِ".⁽¹⁾

وقال قال ابن فارس (ت:395هـ): "والوجهة كل موضع استقبلته؛ ووجهت الشيء: جعلته على جهة واحدة".⁽²⁾

وقال ابن سيده المرسى (ت:458هـ): "والجهة والوجهة جميعاً: الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده".⁽³⁾

تعريف الاتجاه التفسيري: إن مصطلح الاتجاه التفسيري لم يكن معروفا كمصطلح إلاّ

حديثاً، لذلك لا نجد من عرفه من القدامى، لكن هذا لا ينفي وجوده.

وممن عرفه حديثاً، فهد الرومي بقوله: "هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون بتفاسيرهم، ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون".⁽⁴⁾ ثم فرق في تمام تعريفه بين الاتجاه والمنهج فقال: "أما المنهج فهو السبيل التي تؤدي إلى الهدف المرسوم، وأما الطريقة فهي الأسلوب الذي يطرقه المفسر عند سلوكه للمنهج المؤدي إلى الهدف".⁽⁵⁾

¹ العين (4/ 66).

² مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الثانية: 1406 هـ - 1986 م. (ص: 917).

³ المحكم والمحيط الأعظم (4/ 397).

⁴ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ د فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة 1418هـ - 1997 م. (ج 1 ص 22).

⁵ نفس المرجع. (ج 1 ص 22).

وقال محمد إبراهيم شريف : "ومفهوم الاتجاه يتحدد أساساً بمجموعة من الآراء والأفكار والنظرات والمباحث التي تشيع في عمل فكري - كالتفسير - بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبية على ما سواها، ويحكمها إطار نظري أو فكرة كلية، تعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها صاحب التفسير، ولونت تفسيره بلونها".⁽¹⁾

نستنتج من خلال ما سبق، أن التعريف المختار للاتجاه التفسيري هو: الاتجاه الذي يقصده المفسر في إبراز لون من ألوان التفسير، حيث يصبح الصبغة البارزة فيه، كالاتجاه اللغوي في التفسير أو الاتجاه الفقهي أو البياني في التفسير، وهلم جراً.

ومن خلال هذا التعريف يظهر الفرق بين التفسير اللغوي والاتجاه اللغوي، حيث بينها عموم وخصوص، فكل اتجاه لغوي في تفسير، يتضمن التفسير اللغوي، وليس بالضرورة كل تفسير لغوي الإطلاق على صاحبه، الاتجاه اللغوي، وبهذا يُعلم أن تفاسير الصحابة تتضمن التفسير اللغوي؛ فهل ظهر في جيلهم من اتجه اتجاهاً لغوياً؟

الاتجاه اللغوي في تفسير ابن عباس:

نستطيع القول من خلال استقراء مرويات ابن عباس التفسيرية؛ أن لابن عباس طريقتين في عرض تفسيره، وذلك استناداً لما جمعه العلماء ونسبوه إليه.

أولاً: تفسير عام: وهذا نجده جلياً في الصحائف التفسيرية وكتب التفسير، وإن كنت مقتنعاً، من خلال الممارسة لتفسره، أنه احتوى على كم كبير من المرويات الخاصة بالتفسير اللغوي.

ثانياً: تفسير خاص: ونقصد بالتفسير الخاص، ما اتجه فيه اتجاهاً خاصاً ومقصداً معيناً، وإن لم يقصده بالتأليف، ويتمثل هذا في مسائل نافع ابن الأزرق؛ وبعض ما جاء في صحيفة علي بن أبي طلحة، حيث اقتصر فيهما على المسائل اللغوية فقط، ومن هنا نستطيع القول أن ابن عباس اتجه فيهما اتجاهاً لغوياً.

ولما كان موضوع البحث الملامح الدلالية في تفسير ابن عباس وأثرها في الدراسة اللغوية، فإن الباحث نتناول تفسير ابن عباس بشكل عام وخاص؛ أما العام فاقصر فيه على التفسير اللغوي فحسب؛ وأما الخاص هو ما تناوله ابن عباس من اتجاه تفسيري لغوي.

¹ اتجاهات التجديد في تفسير القرآن، د. محمد إبراهيم شريف ط: دار التراث، القاهرة، ط الأولى: 1420هـ. (ص 63).

ويتجلى الاتجاه اللغوي والمنهج اللغوي في تفسير ابن عباس، بكل ما كان لبنةً في صرح الدراسات اللغوية، حيث منذ أن منَّ الله على العرب بإتمام الرسالة، بدأت تظهر بوادر هذا الاتجاه، حيث كان الباعث على ذلك، فهم القرآن والسنة، والدفاع عن لغتهما، وما لبث أن تطورت الحاجة لمعرفة لغة القرآن، مما أسفر عن اتجاه بارز يهتم بالمسائل اللغوية أكثر، فتمخض عن ميلاد مولود جديد، سمي بالدراسات اللغوية، وأصبحت ظاهرة اختلاف الألقاب بارزة: أهل التفسير وأهل اللغة؛ يقول يعقوب بكر وهو بصدد الحديث عن سبب نشوء هذه الدراسات اللغوية: "... هذا الشيء هو مساس الحاجة إلى تفسير القرآن وشرح الحديث، ومن ثم إلى كتابة النحو وتدوين اللغة. ذلك لأن العرب حين انتشروا في البلاد المفتوحة، وامترجوا بأهلها من الأعاجم، و انتأوا عن الصحراء مهد لغتهم، أخذوا يفقدون فصاحتهم الأولى، وجعلوا ينسون بلاغتهم المأثورة. هنالك غمضت عليهم لغة القرآن والحديث، وخفيت عليهم أسرارها. وهنالك مست الحاجة إلى تفسير القرآن وشرح الحديث، ومن ثم إلى كتابة النحو وتدوين اللغة؛ كانت اللغة إذن تُدرس لا لذاتها، ولكن لخدمة الشرع".⁽¹⁾ وسنحاول البحث عن أهم أسباب ظهور الاتجاه اللغوي عند ابن عباس في التفسير، لنبرهن على ضرورة هذا الاتجاه لتلبية مقتضيات الحال.

✓ أسباب ظهور الاتجاه اللغوي في تفسير ابن عباس.

إن هذا الاتجاه اللغوي الذي سلكه ابن عباس، إنما جاء ليُلبِّي مقتضيات الحال، ومتغيرات الأحوال، حيث لما ذهب السليقة احتيج لبيان دلالات القرآن لغة. قال أبو عبيدة(ت:209هـ): " فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه، وعمما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص. وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب، ومن الغريب، والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر وفيه مضمير...".⁽²⁾

¹ ملج الرسالة، العدد 647 عنوان المقالة "رأي جديد في حماد الرواية" للأستاذ السيد يعقوب بكر، بتاريخ: 26 - 11 -

1945م-بتصرف-.

² مجاز القرآن (8/1).

وهذه أبرز العوامل- في نظري- التي ساهمت في بداية ظهور اتجاه جديد عند ابن عباس في التفسير، تلبيةً لواقعه، ومساهمة منه، في حلّ المشاكل الثقافية والعلمية في بيئته الجديدة، والذي فرضها واقع الأعاجم وما انجر عنهم؛ وهي كالآتي:

- تأخر وفاة ابن عباس:

يعد ابن عباس من صغار الصحابة كابن عمر و جابر بن عبد الله ، وبالتالي تأخرت وفاتهم، فقد مات ابن عباس سنة (68هـ) بالطائف أما ابن عمر فمات سنة (73هـ أو 74هـ)، ويعتبر آخر من مات بمكة⁽¹⁾ وليس بينه وبين ابن عباس إلا خمسة أو ستة سنوات؛ وهذا التأخر، كشف عن واقع جديد، ومستجدات حادثة، ونوازل مختلفة، وخاصة أن ابن عباس عاش بعد النبي--صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فترة سبعة وخمسون سنة، مما جعله يساهم في معالجة تلك المستجدات والمعضلات، والتي كان من أبرزها فساد اللسان العربي. وها هي المستجدات كالآتي:

- ظهور الفتحات في عهده ودخول كثير من الأعاجم إلى الإسلام:

لقد كان فتح الدولة الفارسية والإمبراطورية الساسانية بالكامل في حدود سنة ثلاثة وعشرون⁽²⁾، ولم يتجاوز سن ابن عباس ستة وعشرون سنة وهو في ريعان شبابه، وهذه الفترة شهدت دخول الأعاجم إلى الإسلام، وبالتالي على هؤلاء تعلم الديانة الإسلامية والقرآن العربي، مما يوحى إلى انتهاج مسلك لغوي لبيان كلام الله لهؤلاء الأعاجم، ولمن فسد لسانه من العرب، جراء الاحتكاك بين الأجناس المختلفة الألسن، ولعل هذه المهمة كانت كفيلة، بالصحابي الشاب الطموح، المتفائل بدعوة النبي--صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- له؛ ولا ندعى أن ثمة نصوص سجلت أسئلة الأعاجم لابن

¹ قال أبو الفضل زين الدين العراقي (ت: 806هـ): "آخرهم موتاً بما عبد الله بن عمر بن الخطاب، قاله قتادة وأبو الشيخ ابن حبان في "تاريخه"، وبه صدّر ابن الصلاح كلامه. .. والصحيح: أنّ أبا الطفيل آخر من مات بمكة" اهـ. ينظر: شرح التبصرة والتذكرة (ألفية العراقي)، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت: 806هـ)، المحقق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1423 هـ - 2002 م. (2/ 150).-بتصرف يسير-

² موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر؛ أحمد معمور العسيري؛ ط: الأولى، 1417 هـ - 1996 م. (ص: 116).

عبّاس، لكن هذا لا يمنع أن بعض الأسئلة كانت بسبب هؤلاء الأعاجم، أو على الأقل ما حصل بسببهم في تضاءل اللسان العربي، ومن ثم وُجِه لابن عبّاس أسئلة تحوم حول دلالات الألفاظ، كما هو الشأن لمسائل نافع بن الأزرقي، على أن هذه الفترة شهدت زيادة السؤال عن غريب القرآن بشكل كبير، حيث تمخض عنه علم غريب القرآن، وعلم لغات القرآن، كما ازداد الإشكال في معاني القرآن، مما تمخض عنه علم معاني القرآن؛ ثم هناك دليل آخر قد يصلح الاستشهاد به، وهو كون أن بعض تلاميذ ابن عباس أوفد إليه انشغالات السائلين حول ما يحوم من إشكالات دلالية، بدليل أن السؤال عنها في عهد النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وعهد توافر الصحابة قليل؛ ثم إذا ثبت عن مجاهد، قوله: "عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتَمَتِهِ، أَوْقَفْتُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ، وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا".⁽¹⁾ فمن باب أولى غيره، ممن لم يقف على أسرار اللغة.

- ظهور اللحن:

ويظهر الفتحات اختلط العرب مع الأعاجم، مما تسبب في فشوّ ظاهرة اللحن، يقول أبو بكر الزبيدي (ت: 379هـ): "ولم تزل العرب العاربة في جاهليتها وصدر من إسلامها، نثر في نطقها بالسجّية، وتكلم على السليق يقي، حتى فُتِحَت المدائن، ومُصِّرَت الأمصار، ودُونَت الدواوين، فاختلط العربي بالنبطي والقفى الحجازي بالفارسي، ودخل الدين أخلاط الأمم، وسواقط البلدان، فوق الحُلُّ في الكلام، وبدأ اللحن في السنة العوام".⁽²⁾

ويرجح أبو الطيّب اللغوي (ت: 351هـ) بداية ظهور اللحن إلى عهد النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حيث يقول: "واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب وأحوج إلى التعلّم الإعراب، لأن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد روينا أن رجلا لحن

¹ تفسير الطبري (1/ 90).

² لحن العوام، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مدحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (ت: 379هـ)، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي - بالقاهرة - ط الثانية: 1420هـ - 2000م. (ص 59).

بحضرتة فقال: " أرشدوا أحاكم " (1) ؛ وقال أبو بكر -رضي الله عنه- : "لأن أقرأ فأسقط أحبُّ إليَّ من أن أقرأ فألحن " (2)

فقد كان اللحنُ معروفاً، بل قد رَوَيْنَا من لفظ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: « أنا مِنْ قريش ونشأت في بني سعد فأنتي لي اللحن » (3) . اهـ (4)

وورد في زمن خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه: " مرَّ على قوم يسيئون الرمي فقرعهم فقالوا: إنا قوم متعلمين، فأعرض مغضبا وقال: والله لخطأكم في لسانكم أشدَّ عليَّ من خطِّ يكم في رميكم، سمعت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «رحم الله إمرءا أصلح من لسانه» (5) . اهـ (6) وإن كانت هذه الشواهد لم تسلم من النقد، من جهة نسبتها لقائلها؛ وحتى لو ثبت بعضها فهو لا يعتبر في زمن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ظاهرة تؤثر على اللسان العربي بصفة عامة، وعلى القرآن بصفة خاصة، لكن نستطيع القول أنها بدأت تتبلور هذه الظاهرة بعد وفاة النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على اختلاف تحديد زمن ظهورها، فالبعض يرجح زمن خلافة عمر -رضي الله عنه- وقد سُقنا الأثر في ذلك.

ويروي لنا ابن جني (ت: 392هـ) سبب ظهور علم التَّحو في زمن علي -رضي الله عنه- حيث يقول: " وروي من حديث علي -رضي الله عنه- مع الأعرابي الذي أقرأه المقرئ: ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة: 3] (بجر حرف اللام) حتى قال الأعرابي: برئت من رسول الله، فأنكر ذلك عليُّ -رضي الله عنه- ورسم لأبي الأسود من عمل التَّحو ما رسمه " (7)

1 ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (2/ 315) برقم: 914. وهذه الرواية ليس لها وجود في مرويات الحديث إلا في المستدرک برقم: 3643.

2 ذكره السيوطي في المزهرة في علوم اللغة وأنواعها (2/ 341).

3 قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: موضوع. (14/ 1173) برقم: 7063.

4 مراتب التَّحويين، عبد الواحد بن علي الحلبي، أبو الطيب اللغوي (ت: 351هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: مكتبة نضرة مصر ومطبعتها -القاهرة-. (ص5).

5 قال أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت: 365هـ): وهذا حديث منكر لا أعلم رواه، عن الزُّهري غير الحكم الأيلي، وهو منكر متروك الحديث. ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال (6/ 441).

6 معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى: 1414 هـ - 1993م. (1/ 16/ 17).

7 الخصائص (2/ 10). مراتب التَّحويين، أبو الطيب اللغوي (ت: 351هـ). (ص6).

لكن نستطيع القول أن انتشار اللحن كظاهرة خطيرة، تمس سمعة اللغة، لم يكن إلا في بدايات الخلافة الأموية، لأن هذه الفترة شهدت أهم الفتوحات الإسلامية، كما شاع فيها اختلاط العجم مع العرب، قال أبو العباس المبرد (ت: 285هـ): " وكان الصدر الأول من أصحاب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعربون طبعاً، حتى خالطهم العجم ففسدت ألسنتهم، وتغيّرت لغاتهم".⁽¹⁾

ولهذا نسجل في هذه الفترة، الخوف من اللحن، مع التّحرج من الوقوع فيه، من قبل العلماء والأمرء، ويروي لنا أبو طاهر المقرئ (ت: 349هـ) في أخبار النحويين ما يثبت ذلك، حيث قال: " قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَسْرَعَ إِلَيْكَ الشَّيْبُ فَقَالَ شَيْبِي كَثْرَةُ ارْتِقَاءِ الْمُنْبَرِ وَمَخَافَةُ اللَّحْنِ".⁽²⁾

فلا يستبعد من عبد الله بن عباس، معرفة هذه الظاهرة، وأثرها في استغلاق المعاني، وخاصة عندما نعلم أنه عاش برهة من الخلافة الأموية.

- بداية ظهور الحركة الشعبية في حياته:

بعدما دخل العجم إلى الإسلام، واستقروا تحت ظل رايته، والتي كان يحمل مساعيها العرب، كان كفيلاً بظهور بوادر حركة مناهضة، سميت بالحركة الشعبية فيما بعد، وابتدأت بتفضيل العجم على العرب، إلى أن صارت فكراً مناهضاً للعروبة والإسلام والطعن فيهما، وقد نحدد فترة الخلافة الأموية لبداية ظهور هذه الحركة، مع العلم أن ابن عباس -رضي الله عنه- عاش برهة من هذه الخلافة، حيث كانت وفاته في فترة حُكْمِ عبد الملك بن مروان الخليفة الخامس للخلافة الأموية، أما عن تعريف هذه الحركة، قال جابر الله الزُّمَّشَرِيُّ (ت: 538هـ): " الشعبية وهم الذين يصغرون شأن العرب ولا يرون لهم فضلاً على غيرهم".⁽³⁾ ؛ وقال الإمام القرطبي (ت: 671هـ): " والشُّعُوبِيَّةُ تُبْغِضُ الْعَرَبَ وَتُفَضِّلُ الْعَجَمَ".⁽⁴⁾ ولعل أبو عثمان الجاحظ (ت: 255هـ) أولى اهتماماً كبيراً في كتاباته لرد على هذه الحركة ، وذلك نظراً لتطور الحركة في عهده، والتي أصبحت تنتقد التراث اللغوي للعرب،

¹ الفاضل، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت: 285هـ)، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: الثالثة: 1421 هـ. (ص: 4).

² أخبار النحويين، أبو طاهر، عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم البزار (ت: 349هـ)، تحقيق: مجدي فتحي السيد، الناشر: دار الصحابة للتراث - طنطا، ط: الأولى: 1410 هـ. (ص: 48).

³ أساس البلاغة (1/ 509).

⁴ تفسير القرطبي (11/ 189).

عامّة؛ يقول الجاحظ(ت: 255هـ) تحت فصل [سنن الخطابة العربية]: "ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية ومن يتحلى باسم التسوية وبمطاعنهم على خطباء العرب".⁽¹⁾ ومعلوم أن الطعن في العربية، هو الطعن في القرآن، ولعل أقدم نص ثبت عن ابن عباس يُشعر منه رائحة الشعوبية، ما ورد عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ: أَشْيَاءٌ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ فِي الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ؟ أَشْكُ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: لَيْسَ بِالشَّكِّ ، وَلَكِنَّهُ اخْتِلَافٌ ، قَالَ: فَهَاتِ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْكَ... (القصة)".⁽²⁾

فلاحظ كيف استفسر ابن عباس عن سبب الإشكال؛ وازدادت الشكوك حول القرآن، مما تمخض عنه علم مشكل تأويل القرآن؛ الذي يرجع أساساً إلى عاملين: الجهل بلغة العرب، والطعن في لغة القرآن.

قال ابن قُتَيْبَةَ (ت: 276هـ): "وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ﴿مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: 7]، بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله ، ثم قضاوا عليه بالتناقض، والاستحالة، واللحن، وفساد النظم، والاختلاف، وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعتزضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور ، ولو كان ما نحلوا إليه على تقريرهم وتأولهم - لسبق إلى الطعن به من لم يزل رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، يحتجّ عليه بالقرآن، ويجعله العلم لنبوته، والدليل على صدقه، ويتحداه في موطن بعد موطن، على أن يأتي بسورة من مثله. وهم الفصحاء والبلغاء، والخطباء والشعراء، والمخصوصون من بين جميع الأنام بالألسنة الحداد، واللدد، في الخصام، مع اللب والتّهي، وأصالة الرّأي. وقد وصفهم الله بذلك في غير موضع من الكتاب، وكانوا مرّة يقولون: هو سحر، ومرّة يقولون: هو قول الكهنة، ومرّة: أساطير الأولين ، ولم يحك الله تعالى عنهم، ولا بلغنا في شيء من الروايات - أنهم جذبوه من الجهة التي جذبته منها الطاعنون".⁽³⁾ وهذا الرد وجيه من ابن قُتَيْبَةَ ، بحيث يوحي أن الطعن في القرآن كان بسبب الجهل بكلام العرب بصفة عامة، والجهل بلغة القرآن بصفة خاصة.

¹ البيان والتبيين (3/ 5).

² تفسير الطبري ت شاكر (8/ 373) برقم: 9521.

³ تأويل مشكل القرآن (ص: 23).

ويستخلص أن السبيل في الرد على الطاعنين في القرآن الكريم، هو الرجوع بهم إلى كلام فصحاء العرب، الذين أقرّوا ببلاغته وعجيب نظمه، مع ما كانوا من التكذيب في أصل دعواه، وهذا أيضاً كفيلاً بظهور اتجاه لغوي، يدافع عن لغة القرآن.

إن هذه العوامل وغيرها، كان لها الأثر البالغ، في انتهاج ابن عباس منحى لغوي، يفسر من خلاله ألفاظ القرآن ويدافع عنها، وذلك تلبية لضرورة السائلين، والرد على الطاعنين، وما قام به ابن عباس بنجده مبعوثاً في كتب الدراسات اللغوية، فما هي هذه الدراسات وما مدى استفادتها من ابن عباس.

✓ تعريف الدراسات اللغوية.

في الحقيقة لا بد أن نفرق بين الباعث على الاشتغال بالدراسات اللغوية وبين التدوين والتفصيل لتلك المسائل، وقد يرى بعض العلماء أن تدوين الدراسات المتعلقة باللغة لم يكن إلا بعد إتمام الدراسات المتعلقة بالشرع، يقول شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ) أثناء ذكره سنة ثلاث وأربعين ومائة قال: "وفي هذا العصر شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنّف ابن جريج التصانيف بمكّة... ثمّ ابن المبارك، وأبو يوسف، وابن وهب. وكثّر تدوين العلم وتبويته، ودوّنت كُتُب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس، وقبّل هذا العصر كان سائر الأئمة يتكلمون على حفظهم أو يروون العلم من صحفٍ صحيحةٍ غيرٍ مُرتبةٍ".⁽¹⁾

لكن هذا لا ينكر وجود اشتغال بالجانب اللغوي، وإن كان باعته ديني، وبهذا الصدد عقد ابن خلدون (808هـ) تحت عنوان "علم اللغة" فقال: "هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك أنّه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب واستنبتت القوانين لحفظها كما قلناه. ثمّ استمرّ ذلك الفساد بملازمة العجم ومخالطتهم حتى تأدّى الفساد إلى موضوعات الألفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعة عندهم ميلاً مع هجنة المستعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين

¹ تاريخ الإسلام، ت: بشار (3/ 776).

خشية الدّروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدّواوين".⁽¹⁾

ويقول أحمد مختار عمر (ت 1424هـ): "وحتى ما وجد في القرن الأول من تأملات نحوية، أو محاولات لدراسة بعض المشاكل اللغوية كان الحافظ إليه إسلامياً، ولم يقصد لذاته وإنما لاعتباره خادماً للنص القرآني؛ ومن ذلك محاولة ابن عباس جمع الكلمات الغريبة في القرآن وشرحها إن صحت نسبة (غريب القرآن) إليه؛ وكذلك محاولة أبي الأسود الدؤلي لضبط المصحف".⁽²⁾

إن تدوين اللغة كان في بدايته محتشماً، عبثاً أكثر منه تنظيراً، يقول أحمد أمين (ت: 1954م): "كان المدونون الأولون للغة في هذا العصر يدونون المفردات حيثما اتفق، وكما يتيسر لهم سماعها؛ فقد يسمعون كلمة في الفرس، وأخرى في الغيث، وثالثة في الرجل القصير، وهكذا، فكانوا يقيّدون ما سمعوا من غير ترتيب".⁽³⁾

ثم بعد ذلك بدأت تبلور مجموعة من الأعمال المتعلقة باللغة، على اختلاف مشاربها ووجهاتها، حتى نمت في الدرس اللغوي، يقول أحمد مختار عمر (ت 1424هـ): "وبعد ذلك اتجه أهل اللغة إلى التبويب والتصنيف والتقسيم، ورد النظر إلى النظر، كل بطريقة الخاصة التي رآها؛ فمنهم من صنف المادة اللغوية بحسب الموضوعات، مثل النبات والشجر والإبل... ومنهم من اتجه إلى الشعر الجاهلي أو الإسلامي يدونه ويرويّه ويشرح مفرداته الصعبة، ومنهم من اهتم بتسجيل بعض الظواهر الخاصة التي لاحظها في بعض القبائل... وهكذا؛ وتوجهت هذه الجهود بظهور المعاجم اللغوية المنظمة التي كان رائدها الخليل بن أحمد (170هـ).. أما البحث النحوي فلا شك أنه بدأ متأخراً عن جمع اللغة، لأنه لا يمكن القيام به بدون مادة توضع تحت تصرف النحويين وبعبارة أخرى لأن تعقيد القواعد ما هو إلاّ فحص لمادة لغوية تم جمعها بالفعل".⁽⁴⁾

وفي الأخير أستطيع القول أن **الدراسات اللغوية**: هو مجموعة المسائل المتعلقة باللغة، من جهة حفظها وضبطها وأدائها بشكل صحيح، كما كانت عند العرب.

¹ تاريخ ابن خلدون (1/ 756).

² البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، د أحمد مختار عمر، الناشر: عالم الكتب، ط السادسة: 1988م. (79).

³ ضحى الإسلام، الأستاذ أحمد أمين، تقديم: عبد المجيد البصير، ط: الأنيس، موفم للنشر، 1989م. (ص302)

⁴ البحث اللغوي عند العرب، د أحمد مختار عمر. (81).

✓ أهم الدراسات اللغوية عند علماء اللغة.

لقد ارتبطت الدراسات اللغوية بالقرآن، منذ بداية نشأتها، بل كانت هي الحافز على تلك الدراسة، كما أسلفنا، ونستطيع أن نحمل أهم الدراسات اللغوية عند علماء اللغة في طريقتين:

- **الدراسات اللغوية في إطار القرآن والسُّنة** : ونعتبر أنها دراسات مباشرة في تفسير القرآن والسُّنة بوجهة لغوية؛ كدراسة الغريب في القرآن، والغريب في الحديث، ومعاني القرآن، وإعراب القرآن، ومشكل القرآن، ولغات القرآن، وتوجه القراءات وغيرها.
- **الدراسات اللغوية خارج إطار القرآن والسُّنة** : وهي دراسات غير مباشرة في تفسير القرآن والسُّنة، ويتجسد ذلك في المصنفات على الأبواب، والمعاجم اللغوية، ومعاجم المعاني.

أولاً: الدراسات اللغوية المباشرة في تفسير القرآن:

نستطيع القول أن أول دراسة لغوية، كانت في غريب القرآن تعود لابن عباس، وهذا قد يكاد يجمع عليه الباحثون، ولعل قبل انفصال كثير من الفنون، نجد أن غريب القرآن عالج ظواهر أخرى كالمعنى والمشكل، بحيث اللفظ الغريب كان في حد ذاته مشكلاً في فهم اللفظ، ومن ثم فهم المعنى.

وقد دُوِّنَ في غريب القرآن ثلة من علماء اللغة قديماً، ومُنَّ ذُكْرٌ له فيه تدويناً:

1 - أَبَانُ بْنُ تَغْلِبِ الرَّبِيعِيِّ الْكُوفِيِّ (ت: 141):

أَبُو سَعِيدِ الْبَكْرِيِّ مَوْلَى بَنِي جَرِيرِ بْنِ عَبَادٍ.

قَالَ ياقوت الحموي: "كَانَ قَارِئًا فَفِيهَا لَغَوِيَا إِمامًا ثِقَّةً، عَظِيمَ المَنزَلَةِ، جليل القدر، روى عَن عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ وَأبي جَعْفَرٍ وَأبي عبد الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَسَمِعَ مِنَ العَرَبِ، وصنف غَرِيبَ القُرْآنِ وَغَيرِهِ".⁽¹⁾

وَقَالَ الداني: "هُوَ رُبَعِي كُوفِي نُحَوِي يَكْنَى أبا أُمَيْمَةَ؛ اخذ القِرَاءَةَ عَن عاصِمِ بنِ أَبِي النُّجُودِ وَطَلْحَةَ بنِ مِصرِفٍ وَسليمانَ الأَعْمَشِ".⁽²⁾ ولقد أثبت علماء فهرس الكتب ، نسبة كتاب غريب القرآن له.⁽³⁾

2 - أَبُو فَيْدٍ مَوْجِبُ بنِ عَمْرٍو السَّدُوسِيُّ (ت: 195):

قال عنه الحُطَيْبُ البَغْدَادِي (ت: 463هـ): "صاحب العربية وهو مؤرِّج بن عمرو بن الحارث بن ثور بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، كان بخراسان وقدام بغداد مع المأمون، وله كتاب في غريب القرآن".⁽⁴⁾

¹ معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) (1/ 38)؛ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا. (1/ 404) برقم: 803.

² بغية الوعاة (1/ 404).

³ ينظر في ذلك: الأعلام للزركلي (1/ 26) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (2/ 1207) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت: 1399هـ)، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية استانبول 1951؛ أعادت طبعه: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان. (1/ 1) كتب غريب القرآن الكريم، الدكتور حسين محمد نصار، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. (ص: 3).

⁴ تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت ، ط: الأولى: 1422هـ - 2002 م. (15/ 346) برقم: 7163؛ وينظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (9/ 309) برقم: 95

وقال علي بن هبة بن مأكولا (ت: 475هـ): " روى عن أبي عمرو بن العلاء وشعبة بن الحجاج وهرون الأعور والحريش وقرّة بن خالد والأسود بن شيبان وسعيد بن سماك بن حرب وغيرهم مات سنة خمس وتسعين ومائة وله كتاب في غريب القرآن".⁽¹⁾

3 - وأبو عبيدة معمر بن المثنى البصري (ت: 209هـ):

قال عنه شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ): " الإمام، العلامة، البحر، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي مولاهم، البصري، النحوي، صاحب التصانيف.

حَدَّثَ عَنْ: هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، وَرُوْبَةَ بْنِ الْعَجَّاجِ، وَأَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ، وَطَائِفَةٍ. حَدَّثَ عَنْهُ: عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، وَأَبُو عُبَيْدِ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ، وَأَبُو عُثْمَانَ الْمَازِينِيُّ، وَعُمَرُ بْنُ شَبَّهَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْأَنْزَمِيُّ، وَأَبُو الْعَيْنَاءِ، وَعِدَّةٌ. حَدَّثَ بِعَدَادٍ بِجُمْلَةٍ مِنْ تَصَانِيفِهِ.

قَالَ الْجَاحِظُ: لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ جَمَاعِيٌّ وَلَا خَارِجِيٌّ أَعْلَمَ بِجَمِيعِ الْعُلُومِ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ. وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: كَانَ الْعَرَبِيُّ وَأَيَّامُ الْعَرَبِ أَعْلَبَ عَلَيْهِ، وَكَانَ لَا يُفِيْمُ الْبَيْتَ إِذَا أَنْشَدَهُ، وَيُحْطِئُ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ نَظْرًا، وَكَانَ يُبْغِضُ الْعَرَبَ، وَأَلَّفَ فِي مِثَالِهَا كُتُبًا، وَكَانَ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ".⁽²⁾

أما عن كتابه غريب القرآن فكثير من أصحاب التراجم والفهارس يجعله غير مجاز القرآن، لكن الظاهر أنه مجاز القرآن، فقد قال أبو بكر الإشبيلي (ت: 575هـ) في فهرسته: "كتاب المجاز لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي تيم قرئش مولى لهم وهو أول كتاب صنف في غريب القرآن فيما ذكر بعض المشيخة رحمهم الله"⁽³⁾

ثم قال في موضع آخر: " قَالَ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَرَأَتْ بِحِطِّ أَبِي عَمْرٍ أَمْرًا بِنَ مُحَمَّدٍ الْمُقْرِي الطلمنكي رحمه الله قَالَ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْأَدْفَوِيَّ النَّحْوِيَّ الْمُقْرِيَّ بِمَصْرٍ يَقُولُ أَوْلَ

¹ الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب (7 / 57)؛ وينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، ط: الأولى: 1994م. (5 / 304).

² سير أعلام النبلاء ط الرسالة (9 / 445).

³ فهرسة ابن خبير الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي (ت: 575هـ)، المحقق: محمد فؤاد منصور، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، ط: الأولى: 1419هـ - 1998م. (ص: 54).

كتاب وضع في الفقه والحديث مُصَنَّف حَمَّاد بن سَلَمَةَ ثمَّ بعده موطأ مالك بن أنس وأول كتاب جمع في غريب القرآن ومعانيه كتاب أبي عُبَيْدَةَ معمر بن المثنى وهو كتاب المَجَاز⁽¹⁾.
 وكتابه مجاز القرآن هو أول كتاب وصلنا في معنى غريب القرآن؛ وقد انتهج أبو عبيدة في كتابه مجاز القرآن نفس الوجهة التي جاء بها كتاب غريب القرآن لابن عباس فيما يعرف بمسائل نافع ابن الأزرق، وأكثر من الشواهد الشعرية، إلا أنه يكاد يعدم النقل عن ابن عباس.
 ويرجح أبو هلال العسكري (ت: نحو 395هـ) أن كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة استفاده من ابن عباس حيث قال: "أبو عبيدة معمر بن المثنى، صنف كتاب المَجَاز، وأخذ ذلك من ابن عباس حين سأله نافع بن الأزرق عن أشياء من غريب القرآن، ففسرها له واستشهد عليها بأبيات من شعر العرب، وهو أول ما روى في ذلك، وهو خبر معروف"⁽²⁾.

4 - ابنُ قُتَيْبَةَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ الدِّينَوْرِيِّ (ت: 276هـ):

قال عنه شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ): "العلامة، الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري؛ وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف؛ نزل بغداد، وصنف وجمع، وبعده صيته.
 قال أبو بكر الخطيب: كان ثقة دينا فاضلاً.
 ذكر تصانيفه: (غريب القرآن)، (غريب الحديث)، (كتاب المعارف)، (كتاب (مشكل القرآن)، (كتاب (مشكل الحديث)..."⁽³⁾.
 ولعل أول كتاب وصل إلينا باسم غريب القرآن؛ هو لابن قتيبة.

كتب معاني القرآن:

لعل من أهم أسباب ظهور هذا الفن، أو انفصاله عن غريب القرآن هو المباحث المتعلقة بالنحو، لأن كتب الغريب اهتمت بغريب القرآن من جهة الألفاظ، وإثبات معناها في لغة العرب،

¹ فهرسة ابن خير الإشبيلي (ص: 112).

² الأوائل، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ)، الناشر: دار البشير، طنطا، ط: الأولى، 1408 هـ. (ص: 381).

³ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (13/ 296). برقم: 138.

لكن بعد ازدهار الحركة العلمية في النَّحو بقاء إلى ظهور مدرستين متوازيتين، تختلفان في تعليلاتهما النحوية؛ مما تفتن العلماء لهذا المعنى فجاءت كتبهم بهذا الاسم "معاني القرآن" وإن تضمنت الحديث عن اللفظ الغريب، ونستطيع تعريف **علم معاني القرآن** كفن مستقل عن غريب القرآن بما يأتي: هو الإجابة عما كان يدور من أسئلة حول نص القرآني لفظاً وكلاماً مركباً، خصوصاً الغامض والمشكل منهما، أي ما يحتاج إلى بعض العناية في فهمه.

ونستطيع القول أيضاً أنه يتحدد علم معاني القرآن بمفهوم آخر وهو عبارة عن جملة الوسائل المعرفية والأدوات اللغوية التي استخدمها علماء المسلمين لمقاربة لغة القرآن وتحديد كلامه ونصه بغرض ضبطه وفهم معانيه مع درء المشكلات والصعوبات اللغوية التي تتعرض سبيل هذا الفن. ومن أَلَفَ هذا النَّوعَ من الكتبِ لُغَوِيَّو القرنِ الثَّاني، ونُسِبَت إليهم مؤلَّفَاتٌ:

5 - يُؤنُسُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَبِيبِ الضَّبِّيِّ مَوْلَاهُمْ (ت: 182هـ):

قال البخاري(ت: 256هـ): "هو يونس بن حبيب الضَّبِّيُّ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّحْوِيُّ سَمِعَ زِيَادَ بْنَ عَثْمَانَ بْنَ زِيَادَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ وَسَمِعَ الْحُسَيْنَ رَوَى عَنْهُ النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ".⁽¹⁾
قال عنه ياقوت الحموي(ت: 626هـ): "مرجع الأدباء والنحويين في المشكلات. كانت حلقتة مجمع فصحاء الأعراب وأهل العلم والأدب، سمع من العرب كما سمع من قبله، وأخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه سيويه وروى عنه في كتابه، وأخذ عنه أيضاً أبو الحسن الكسائي وأبو زكريا الفراء وأبو عبيدة معمر بن المثنى وخلف الأحمر وأبو زيد الأنصاري وغيرهم من الأئمة. وكان له في العربية مذاهب وأقيسة يتفرد بها".⁽²⁾
ومن الكتب التي صنَّفها: كتاب: "معاني القرآن". وكتاب "اللغات".⁽³⁾

6 - محمد بن الحسن الرُّؤاسيُّ النَّحْوِيُّ (ت: 187هـ):

¹ التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: 256هـ)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، تحقيق: محمد عبد المعيد خان. (8/ 413). برقم: 3533.
² معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (6/ 2851).
³ ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (4/ 77).

قال ياقوت الحموي (ت: 626هـ): "مُحَمَّد بن الحسن بن أبي سارة الرُّؤَاسِي أَبُو جَعْفَر سمي بذلك لِأَنَّهُ كَانَ كَبِيرَ الرَّأْسِ وَكَانَ يَنْزِلُ النَّيْلَ فَتَقِيلُ لَهُ النَّيْلِيُّ وَهُوَ ابْنُ أَخِي مَعَاذِ الْمُهْرَاءِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ مِنَ الْكُوفِيِّينَ كِتَابًا فِي النَّحْوِ وَمَاتَ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ وَهُوَ أَسْتَاذُ الْكِسَائِيِّ وَالْفَرَاءِ وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا.

وَقَالَ بَعَثَ الْخَلِيلُ إِلَى يَطْلُبُ كِتَابَ فَبَعَثَتْ بِهِ إِلَيْهِ فَقَرَأَهُ فَكَلَّ مَا فِي كِتَابِ سَيِّوِيهِ وَقَالَ الْكُوفِيُّ كَذًا فَإِنَّمَا عَنِي بِهِ الرُّؤَاسِي هَذَا؛ وَكُتَابَهُ يُقَالُ لَهُ الْفَيْصَلُ.
وَقَالَ الْمُبَرِّدُ مَا عَرَفَ الرُّؤَاسِي بِالْبَصْرَةِ وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ صَنَفَ كِتَابًا فِي النَّحْوِ فَدَخَلَ الْبَصْرَةَ لِيَعْرُضَهُ عَلَى أَصْحَابِنَا فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ أَوْ لَمْ يَجْسُرْ عَلَى إِظْهَارِهِ لِمَا سَمِعَ كَلَامَهُمْ.
وَقَالَ ابْنُ دُرَيْسٍ زَعَمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ أَنَّ الْكُوفِيَّ الَّذِي يَذْكُرُهُ الْأَخْفَشُ فِي آخِرِ كِتَابِ الْمَسَائِلِ وَيُرَدُّ عَلَيْهِ هُوَ الرُّؤَاسِي.

وله كتاب **مَعَانِي الْقُرْآنِ** كتاب التصغير كتاب الوُوقف والابتداء الكبير الوُوقف والابتداء الصَّغِير".⁽¹⁾

قال أبو الحسن القفطي (ت: 646هـ): "أخذ الرؤاسي العربية عن أبي عمرو بن العلاء، وتقدم في النحو حتى قال الكسائي: ما وجدت بالكوفة أحدا أعلم بالنحو من أبي جعفر الرؤاسي".⁽²⁾
قال شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ): "هو إمام مشهور، روى الحروف عن أبي عمرو، وله اختيار في القراءة يروى عنه".⁽³⁾

7 - الكِسَائِيُّ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (ت: 189هـ):

¹ ينظر: معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (6/ 2486) - بتصرف؛ الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: 764هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، ط: 1420هـ - 2000م. (2/ 248).

² إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: 646هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط: الأولى: 1406 هـ - 1982م. (4/ 105).

³ غاية النهاية في طبقات القراء (2/ 116).

قال عنه شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ): "الإمام، شيخ القراءة والعريية، أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مؤلأهم، الكوفي، الملقب: بالكسائي؛ لكساء أكرم فيه، تلاً على: ابن أبي ليلى عرضاً، وعلى حمزة (الزيات).
 وحَدَّثَ عَنْ: جَعْفَرِ الصَّادِقِ، وَالْأَعْمَشِ، وَسُلَيْمَانَ بْنِ أَزْقَمٍ، وَجَمَاعَةٍ، وَتَلَا أَيْضاً عَلَى: عَيْسَى بْنِ عُمَرَ الْمُهْرِيِّ، وَاخْتَارَ قِرَاءَةً اشْتَهَرَتْ، وَصَارَتْ إِحْدَى السَّبْعِ.
 وَجَالَسَ فِي النَّحْوِ الْحَلِيلَ، وَسَافَرَ فِي بَادِيَةِ الْحِجَازِ مُدَّةً لِلْعَرَبِيَّةِ، فَقِيلَ: قَدِمَ وَقَدْ كَتَبَ بِخَمْسِ عَشْرَةَ فَنِينَةَ حَبْرٍ، وَأَخَذَ عَنْ: يُؤُنْسَ.
 قَالَ الشَّافِعِيُّ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّبَعَ فِي النَّحْوِ، فَهُوَ عِيَالٌ عَلَى الْكِسَائِيِّ.
 قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: اجْتَمَعَ فِيهِ أَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالنَّحْوِ، وَوَأَحَدَهُمْ فِي الْعَرَبِ، وَأَوْحَدَ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ، كَانُوا يُكْتَبُونَ عَلَيْهِ، حَتَّى لَا يَضِطُّ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ يَجْمَعُهُمْ، وَيَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ، وَيَتْلُو، وَهُمْ يَضِطُّونَ عَنْهُ، حَتَّى الْوُقُوفِ".⁽¹⁾
 وَهُوَ عِدَّةُ تَصَانِيفٍ، مِنْهَا: (مَعَانِي الْقُرْآنِ)، وَكِتَابُ فِي الْقِرَآتِ، وَكِتَابُ (النَّوَادِرِ الْكَبِيرِ)، وَخُتِّصَ فِي النَّحْوِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ".⁽²⁾

وما وصلنا من كتب معاني القرآن، منها:

8 - الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد الأسدي (ت: 207هـ).

قال عنه شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ): "العلامة، صاحب التصانيف، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مؤلأهم، الكوفي، النحوي، صاحب الكسائي.
 يروي عن: قيس بن الربيع، ومندل بن علي، وأبي الأخص، وأبي بكر بن عياش، وعلي بن حمزة الكسائي.
 روى عنه: سلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم السمرقي، وغيرهما؛ وكان ثقةً.

¹ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (9/ 131) برقم: 44.

² ينظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (9/ 133).

وَرَدَ عَنْ ثَعْلَبٍ: أَنَّهُ قَالَ: لَوْلَا الْفَرَاءُ، لَمَا كَانَتْ عَرَبِيَّةً، وَلَسَقَطَتْ؛ لِأَنَّهُ خَلَصَهَا، وَلَا تَهَا
كَانَتْ تُتَنَازَعُ وَيَدَّعِيهَا كُلُّ أَحَدٍ.
وَنَقَلَ أَبُو بُدَيْلٍ الْوَضَّاحِيُّ: أَنَّ الْمَأْمُونَ أَمَرَ الْفَرَاءَ أَنْ يُؤَلِّفَ مَا يُجْمَعُ بِهِ أَصُولُ النَّحْوِ، وَأُفْرِدَ
فِي حُجْرَةٍ، وَقَرَّرَ لَهُ خَدَمًا وَجَوَارِي، وَوَرَّاقِينَ، فَكَانَ يُمْلِي فِي ذَلِكَ سِنِينَ.
قَالَ: وَلَمَّا أَمَلَى كِتَابَ (مَعَانِي الْقُرْآنِ)، اجْتَمَعَ لَهُ الْخَلْقُ، فَكَانَ مِنْ جُمَلَتِهِمْ ثَمَانُونَ قَاضِيًا،
وَأَمَلَّ (الْحَمْدَ) فِي مِائَةِ وَرَقَةٍ.

وَكَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ وَكَّلَ بِالْفَرَاءِ وَلَدَيْهِ يُلَقِّنُهُمَا النَّحْوَ، فَأَرَادَ الْقِيَامَ، فَأَبْتَدَرَ إِلَى نَعْلِهِ، فَقَدَّمَ
كُلُّ وَاحِدٍ فَرْدَةً؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَأْمُونُ، فَقَالَ: لَنْ يَكْبُرَ الرَّجُلُ عَنْ تَوَاضُعِهِ لِسُلْطَانِهِ وَأَبِيهِ
وَمُعَلِّمِهِ". (1)

قال أبو بكر الإشبيلي (ت: 379هـ): "وحدّث محمد بن الجهم قال: حدّثني ابن المستنير
فُطْرِبَ قال: دخل الفراء على هارون الرشيد فتكلّم بكلامٍ لحن فيه مرّاتٍ، قال جعفر بن يحيى:
إنه لحن يا أمير المؤمنين. فقال الرشيد للفراء: أتلحن؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن طباع أهل البدو
الإعراب، وطباع أهل الحضرة اللحن؛ فإذا تحفّظت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطبع لحنت.
فاستحسن الرشيد قوله". (2)

وكتابه أول كتاب وصل إلينا كاملاً في معاني القرآن، وبخلاف كتاب مجاز القرآن نجد أن
الفراء صرح كثيراً في كتابه بذكر ابن عباس (3) سواء في القراءة، أو معاني الألفاظ، مع نقده له في
بعض الأحيان.

9 - الْأَخْفَشُ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ الْبَلْخِيُّ (ت: 215هـ).

قال عنه شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ): "إِمَامُ النَّحْوِ، أَبُو الْحَسَنِ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ
الْبَلْخِيُّ، ثُمَّ الْبَصْرِيُّ، مَوْلَى بَنِي مُجَاشِعٍ.
أَخَذَ عَنِ: الْحَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ؛ وَلَزِمَ سَبِيبُوهُ حَتَّى بَرَعَ، وَكَانَ مِنْ أَسْنَانِ سَبِيبُوهِ، بَلَّ أَكْبَرَ.

¹ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (10/ 118) برقم: 12.

² طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الإشبيلي (ت: 379هـ). (ص: 131).

³ نقل عنه أكثر من مئة موضع.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ: كَانَ الْأَخْفَشُ قَدْرِيًّا، رَجُلَ سُوءٍ، كِتَابُهُ فِي الْمَعَانِي صُورِيحٌ، وَفِيهِ أَشْيَاءٌ فِي الْقَدْرِ.

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْمَازِينِيُّ: كَانَ الْأَخْفَشُ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْكَلَامِ، وَأَخَذَقَهُمْ بِالْجَدَلِ.
قُلْتُ: أَخَذَ عَنْهُ: الْمَازِينِيُّ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَسَلَمَةُ، وَطَائِفَةٌ.
وَكَانَ تَعَلَّبَ يُفْضِلُ الْأَخْفَشَ، وَيَقُولُ: كَانَ أَوْسَعَ النَّاسِ عِلْمًا.
وَلَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ فِي: النَّحْوِ، وَالْعَرُوضِ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ⁽¹⁾.
وقد يكاد يعدم تصريح بالتقل عن ابن عباس في كتابه معاني القرآن.

ثانيا: الدراسات اللغوية غير مباشرة في تفسير القرآن:

نقصد بها الدراسات اللغوية التي شاركت في تفسير القرآن، بوجهة لغوية غير مباشرة، كالمعاجم اللغوية؛ حينما تطرقت لشرح ألفاظ عربية، تناولها القرآن بالذكر، حينها استشهد بها علماء اللغة، وتناولوها أيضا بالشرح، ونقتصر في هذا العنصر على معجم العين للخليل (170هـ)، وبعض مصنفات أبي عبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ).

10 - الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن (ت: 170هـ):

قال عنه شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ): "الإمام، صاحبُ العَرَبِيَّةِ، ومُنشئُ علمِ العَرُوضِ، البَصْرِيُّ، أَحَدُ الْأَعْلَامِ.

حَدَّثَ عَنْ: أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ، وَعَاصِمِ الْأَحْوَلِ، وَالْعَوَّامِ بْنِ حَوْشَبِ، وَعَالِبِ الْقَطَّانِ.
أَخَذَ عَنْهُ: سَبْيَوْنَةُ النَّحْوِ، وَالتَّنْضِيرُ بْنُ شَمِيلٍ، وَهَارُونُ بْنُ مُوسَى النَّحْوِيُّ، وَوَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، وَالْأَصْمَعِيُّ، وَآخَرُونَ.

وَكَانَ رَأْسًا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، دِينًا، وَرِعًا، قَانِعًا، مُتَوَاضِعًا، كَبِيرَ الشَّانِ.
يُقَالُ: إِنَّهُ دَعَا اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ عِلْمًا لَا يُسْبِقُ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَهُ بِالْعَرُوضِ، وَلَهُ كِتَابُ (الْعَيْنِ) فِي اللُّغَةِ"⁽²⁾.

¹ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (10/ 206) برقم: 48.

² سير أعلام النبلاء ط الرسالة (7/ 429) برقم: 161.

وقد قلَّ التَّقَلُّ عن ابن عَبَّاسٍ في كتاب العين، إلاَّ في بعض المواطن المعدودة باليد.

11 - أَبُو عُبَيْدِ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (ت: 224هـ).

قال عنه شمس الدين الدَّهَبِيُّ (ت: 748هـ): "الإمام، الحافظ، المجتهد، ذو الفنون، أبو عُبَيْدِ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، كَانَ أَبُوهُ سَلَامٌ مَمْلُوكًا رُومِيًّا لِرَجُلٍ هَرَوِيٍّ. وَسَمِعَ: إِسْمَاعِيلَ بْنَ جَعْفَرٍ، وَشَرِيكَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَهَشِيمًا، وَإِسْمَاعِيلَ بْنَ عِيَّاشٍ، وَسُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، وَأَبَا بَكْرٍ بْنَ عِيَّاشٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمَيْرَازِ، وَسَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُمَحِيِّ، وَعُبَيْدَ اللَّهِ الْأَشْجَعِيَّ، وَعُنْدَرَاءَ، وَحَفْصَ بْنَ غِيَاثٍ، وَوَكَيْعًا، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ إِدْرِيسَ، وَعَبَّادَ بْنَ عَبَّادٍ، وَمَرْوَانَ بْنَ مُعَاوِيَةَ، وَعَبَّادَ بْنَ الْعَوَّامِ، وَجَرِيرَ بْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ، وَأَبَا مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرَ، وَيَحْيَى الْقَطَّانَ، وَإِسْحَاقَ الْأَزْرَقَ، وَابْنَ مَهْدِيٍّ، وَيَزِيدَ بْنَ هَارُونَ، وَخَلَقَا كَثِيرًا. وَقَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى: أَبِي الْحَسَنِ الْكِسَائِيِّ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنَ جَعْفَرٍ، وَشُجَاعِ بْنِ أَبِي نَصْرِ بْنِ الْبَلْخِيِّ.

وَسَمِعَ الْحُرُوفَ مِنْ طَائِفَةٍ. وَأَخَذَ اللَّغَةَ عَنْ: أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَبِي زَيْدٍ، وَجَمَاعَةٍ ، وَصَنَّفَ التَّصَانِيفَ الْمُونِقَةَ الَّتِي سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ.

وَلَهُ مُصَنَّفٌ فِي الْقِرَاءَاتِ لَمْ أَرَهُ، وَهُوَ مِنْ أَيْمَّةِ الاجْتِهَادِ.

لَهُ: كِتَابُ (الْأَمْوَالِ) ، فِي مُجَلَّدٍ كَبِيرٍ، سَمِعْنَاهُ بِالِاتِّصَالِ، وَكِتَابُ (الْعَرِيبِ) مَرْوِيٌّ أَيْضًا،

وَكِتَابُ (فَضَائِلِ الْقُرْآنِ) وَقَعَ لَنَا، وَكِتَابُ (الطَّهْرُورِ) ، وَكِتَابُ (النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ) ، وَكِتَابُ

(الْمَوْاعِظِ) ، وَكِتَابُ (الْعَرِيبِ الْمُصَنَّفِ فِي عِلْمِ اللِّسَانِ) ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَلَهُ بِضْعَةٌ وَعِشْرُونَ

كِتَابًا⁽¹⁾. وقد أكثر التَّقَلُّ عن ابن عَبَّاسٍ في كتبه.

يستخلص أنَّ علماء اللُّغة الَّذِينَ شاركوا في تفسير القرآن، سواء تفسيراً مباشراً أو غير مباشر،

قد ساهموا في الحركة العلمية اللغوية، وكان من أكبر أسباب هذه الحركة، الحفاظ على القرآن ولغته،

ولا نشك أن أثر الصحابة على من جاء بعدهم من علماء اللغة ظاهر، وخاصة منه أثر ابن عَبَّاسٍ،

الذي كان له الفضل في تحريك هذا الاتجاه اللغوي، والذي ظهر لأسباب ودواعي كما سلف، إلا أن

بعض أهل اللغة الذين قل عنهم التَّقَلُّ عن ابن عَبَّاسٍ، لا يعني أن أثره لم يصلهم، بل الأثر قد يكون

¹ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (10/ 490) برقم: 164.

مباشر، وقد يكون عاماً، حيث أن كثير من علماء اللغة له رابطة مع ابن عباس من حيث السند، وخاصة ممن اهتم بنقل القراءات ورواية الحديث، كأبان بن تغلب، والكسائي والأصمعي. مما قد يكون له أثر في جوانب لم يسجل لنا التاريخ كيفيته.

وبهذين المثالين، في الجدول الآتي : تبين تلك العلاقة والرابطة.

أ - أبان بن تغلب الربيعي الكوفي (ت: 141)

إمام اللغة	شيخه	شيخه	ابن عباس
أبان بن تغلب الربيعي الكوفي (ت: 141)	جعفر بن محمد الصادق	عطاء بن أبي رباح	عبد الله بن عباس
	الحكم بن عتيبة	سعيد بن جبير	عبد الله بن عباس
	سليمان الأعمش	ذكوان أبي صالح السمان	عبد الله بن عباس
	طلحة بن مصرف	خيثمة بن عبد الرحمن	عبد الله بن عباس
	عدي بن ثابت	سعيد بن جبير	عبد الله بن عباس
	عطية بن سعد العوفي	عبد الله بن عباس	عبد الله بن عباس
	عكرمة مولى ابن عباس	عبد الله بن عباس	عبد الله بن عباس
	عمر بن ذر الهمداني	مجاهد بن جبر المكي	عبد الله بن عباس
	أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي	أريدة التميمي (صاحب التفسير)	عبد الله بن عباس
	فضيل بن عمرو الفقيمي	يحيى بن الجزار	عبد الله بن عباس
أبان بن تغلب الربيعي الكوفي (ت: 141)	أبي جعفر محمد بن علي الباقر	عبد الله بن عباس	عبد الله بن عباس
	المنهال بن عمرو الأسدي	علي بن عبد الله بن عباس	عبد الله بن عباس

ب - الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن (ت: 170هـ):

إمام اللغة	شيخه	شيخه ⁽¹⁾	ابن عباس
الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن (ت: 170هـ)	أيوب السخيتاني	سعيد بن جبير	عبد الله بن عباس
	عاصم الأحول	عكرمة مولى ابن عباس	عبد الله بن عباس
	عثمان بن حاضر	عبد الله بن عباس	عبد الله بن عباس
	العوام بن حوشب	مجاهد بن جبر المكي	عبد الله بن عباس
	غالب القطان	محمد بن سيرين	عبد الله بن عباس

يستخلص مما سبق أن الحركة العلمية لعلماء اللغة في دراساتهم اللغوية، ما هي إلا امتداد للاتجاه اللغوي عند ابن عباس في تفسيره للقرآن الكريم، ومسائله اللغوية التي كان يجيب عليها.

¹ ملاحظة: بالنسبة لشيوخ أئمة اللغة، قد توجد أكثر من طريق موصلة إلى ابن عباس، لكن نحن اكتفينا بطريق واحد، لتمثيل؛ كما أن هذه الطرق ليس بالضرورة، تعلم منها الإمام: اللغة، لكن نحن نتكلم عن الأثر العام في العلم، سواء كان في القراءة أو الحديث، أو التفسير، أو اللغة.

➤ المَبْحَثُ الثَّالِثُ: ملامح الاتجاه اللغوي

في تفسير ابن عبّاس وإثره في الدراسات اللغوية.

ويحتوي على:

✓ ملامح الغريب في تفسير ابن عبّاس وأثره في الدراسة اللغوية.

✓ ملامح (اللهجات) في تفسير ابن عباس وأثرها في الدراسة اللغوية.

✓ ملامح المعرّب في تفسير ابن عباس وأثره في الدراسة اللغوية.

✓ ملامح الغريب في تفسير ابن عباس وأثره في الدراسة اللغوية.

تعريف الغريب لغة واصطلاحاً:

تعريف الغريب لغة: تدور كلمة الغريب والعُرْبَةُ حول معنى البعد.

قال الفراهيدي(ت: 170هـ): "والعُرْبَةُ: الاغترابُ من الوطن. وَعَرَبَ فلانٌ عَنَّا يَعْرُبُ عَرَباً أي تنحى، أغربته وَعَرَّبْتُهُ أي نحيتَه؛ والعَرِيبُ: الغامض من الكلام، وغربت الكلمة غرابة، وصاحبه مُعْرَبٌ".⁽¹⁾

وقال ابن دُرَيْد الأزدِي (ت: 321هـ): "ويُقَال: غرِب الرجل تغريباً إذا بعد وَمِنه قَوْلهم: اغرب عني أي ابعُد. وَيُقَال: هَل من مغربة خبر أي هَل من خبر جَاء من بُعِد. وأحسب أن اشتقاق العَرِيب من هَذَا والمصدر العُرْبَةُ".⁽²⁾

وقال أبو بكر الأنباري (ت: 328هـ): "الغريب معناه في كلام العرب: المبعُد من وطنه. وأصل العُرْبَةُ البُعْد، يقال للرجل: أغرب عنا، أي ابعُد؛ ويقال قذفته نويّاً غُرْبَةً، أي: بعيدةً. قال الشاعر⁽³⁾ :

أما من مقام أشتكى عُرْبَةَ النوى **** وخوفَ العِدَى فيه إليك سبيل.⁽⁴⁾
ويقال: قد عُرِبَ الرجل: إذا نُفِيَ من أرض إلى أرض".⁽⁵⁾

¹ العين (4/ 410 / 411).

² جهرة اللغة (1/ 321).

³ الشاعر هو: ابن الطَّرِيفَةِ (126هـ) يزيد بن سلمة بن سمرة، ابن الطَّرِيفَةِ، من بني قشير بن كعب، من عامر بن صعصعة: شاعر مطبوع. من شعراء بني أمية، مقدم عندهم، وله شرف وقدر في قومه بني قشير. كنيته " أبو المكشوح " ونسبته إلى أمه من بني " طثر " من عنز بن وائل. وفي اسم أبيه خلاف، كان حسن الشعر، حلو الحديث، شريفاً، متلافاً للمال، صاحب غزل وظرف وشجاعة وفصاحة. ينظر: الأعلام للزركلي (8/ 183).

⁴ شعر يزيد بن الطَّرِيفَةِ، صنعه حاتم صالح الضامن، ساعدت وزارة الاعلام على نشره، ط: مطبعة أسعد-بغداد-. (ص88).

⁵ الزاهر في معاني كلمات الناس (1/ 194).

وأما الغريب في الكلام:

فقد عرفه أبو سُلَيْمَانَ مُحَمَّدَ الْخَطَّابِيِّ (ت: 388هـ) بقوله: "الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس، إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل... (إلى أن قال) ثم إن الغريب من الكلام يقال به على وجهين " أحدهما أن يُرَادَ أنه بعيد المعنى غامضه لا يتناولهُ الفهم إلاَّ عن بعدٍ ومعاناة فكر، وَالْوَجْهُ الآخر أن يُرَادَ بِهِ كَلَامٌ من بَعْدتِ بِهِ الدَّارُ ونأى بِهِ المحلُّ من شواذ قبائل العَرَب، فَإِذَا وَقَعَتِ الْكَلِمَةُ من لغاتهم استغريناها".⁽¹⁾

وتعليل الغرابة عند الخطابي باستعمالها من شواذ قبائل العَرَب،، يشير إلى نسبة الغرابة عند سامعيها ومستعمليها، وهذا ما أشار إليه، أبو القاسم الزَّجَّاجِي (ت: 337هـ) قبل الإمام الخطابي بقوله: " وأما الغريب: فهو ما قل استماعه من اللغة ولم يدر في أفواه العامة كما دار في أفواه الخاصة".⁽²⁾

ويزيدنا الزَّجَّاجِي (ت: 337هـ) توضيحاً بقوله: " ليس كل العرب يعرفون اللغة كلها، غريبها وواضحها، ومستعملها وشاذها، بل هم في ذلك طبقات، يتفاضلون فيها، كما أنه: ليس كلهم يقول الشعر، ويعرف الأنساب كلها، وإنما هو في بعض دون بعض".⁽³⁾

وهذه النسبية تختلف من شخص لآخر، ومن قبيلة لأخرى؛ ولهذا قال ابن الهائم (ت: 815هـ): " ولا شك أن الغريب يقابله المشهور، وهما أمران نسيبان قرب لفظ يكون غريباً عند شخص مشهور عند آخر".⁽⁴⁾

¹ ينظر: غريب الحديث، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: 388هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، ط: جامعة أم القرى-معهد البحوث العلمية-مركز إحياء التراث الإسلامي-مكة المكرمة- ط الثانية: 1422هـ - 2001م. (ج1ص70/71).

² الإيضاح في علل النحو، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: 337هـ)، تحقيق: مازن مبارك، - الناشر: دار النفائس -بيروت- ط: 1393هـ- 1973م. (ص 92).

³ نفس المرجع. (ص 92).

⁴ التبيان في تفسير غريب القرآن، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (ت: 815هـ)، تحقيق: د ضاحي عبد الباقي محمد، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: الأولى - 1423 هـ . (ص: 358).

أما غريب القرآن اصطلاحاً:

نستطيع القول أن الغريب من القرآن هو: الألفاظ البعيدة عن الفهم والتي لم تتضح دلالتها على المعنى بشكل ظاهر، وسهل وهي على وجهين: إما أن يكون معناها غامضاً لا يفهم إلا بعد جهد وبحث، وإما أن يكون معناها معروفاً لدى قوم دون غيرهم، لأنها مستعملة في لغتهم، أو كثيرة الاستعمال عندهم قليلة الاستعمال عند غيرهم.

ولا يراد بغريب القرآن الشاذ من الكلام أو الوحشي من الكلام، الذي ينفر عنه السامع، ويستعصى على المتكلم به، وبهذا الصدد يقول مصطفى صادق الرافعي (ت: 1356هـ): "وفي القرآن ألفاظ اصطلاح العلماء على تسميتها بالغرائب؛ وليس المراد بغرابتها أنها منكراً أو نافرة أو شاذة، فإن القرآن منزّه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة ههنا هي التي تكون حسنة مستغرّبة في التأويل؛ بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس".⁽¹⁾

يستخلص أن الغريب في الكلام، هو أمر نسبي بين الناس، فرب لفظ غريبة المعنى بعيدة المنال عند قوم، مفهومة المعنى قريبة المنال عند قوم آخرين، وهكذا أفهام الناس لألفاظ القرآن، مع أن الله اختار حسن الألفاظ ورونتها في السمع، فلا نجد في القرآن من ألفاظ الغريب ما تنفر عنه النفس، ويستعصى على اللسان.

أهمية العلم، بغريب القرآن:

قال الزركشي (794هـ): "الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادين لمن يريد أن يدرك معانيه وهو كتّاحصيل اللين من أوائل المعادين في بناء ما يريد أن يبنيه".⁽²⁾

فمن لم يدرك دلالة الألفاظ، لا يستطيع الولوج في عالم التفسير، وخاصة ما يتعلق بغريبه.

غريب القرآن عند ابن عباس:

قال السيوطي (911) في إتقانه: "النوع السادس والثلاثون: في معرفة غريبه: أفردّه بالتصنيف خلائق لا يُحصون: منهم أبو عبيدة وأبو عمر الزاهد وابن دُرَيْد. ومن أشهرها كتاب العزيري فقد أقام

¹ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: 1356هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط الثامنة : 1425 هـ - 2005 م. (ص: 53).

² البرهان في علوم القرآن (2/ 173)

فِي تَأْلِيْفِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً يُحَرِّرُهُ هُوَ وَشَيْخُهُ أَبُو بَكْرٍ بِنِ الْأَنْبَارِيِّ ؛ وَمِنْ أَحْسَنِهَا الْمَفْرَدَاتُ لِلرَّاعِبِ
وَلِأَبِي حَيَّانَ فِي ذَلِكَ تَأْلِيْفٌ مُخْتَصَرٌ فِي كُرَاسِيْنٍ... وَأَوَّلَى مَا يُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ مَا ثَبَتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ
وَأَصْحَابِهِ الْأَخْذِيْنَ عَنْهُ فَإِنَّهُ وَرَدَ عَنْهُمْ مَا يَسْتَوْعِبُ تَفْسِيْرَ غَرِيْبِ الْقُرْآنِ بِالْأَسَانِيْدِ الثَّابِتَةِ الصَّحِيْحَةِ.

وَهَا أَنَا أَسُوْقُ هُنَا مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ طَرِيْقِ ابْنِ أَبِي طَلْحَةَ خَاصَّةً فَإِنَّهَا مِنْ
أَصْحَاحِ الطَّرِيْقِ عَنْهُ وَعَلَيْهَا اعْتَمَدَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيْحِهِ مُرْتَبًا عَلَى السُّورِ".⁽¹⁾

وقال في موضع آخر: "وَقَدْ وَرَدَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي التَّفْسِيْرِ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً وَفِيهِ رَوَايَاتٌ وَطُرُقٌ
مُخْتَلِفَةٌ فَمِنْ جَيِّدِهَا طَرِيْقُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْهَاشِمِيِّ عَنْهُ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ "بِمِصْرَ صَحِيْفَةٌ فِي
التَّفْسِيْرِ رَوَاهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ لَوْ رَحَلَ رَجُلٌ فِيهَا إِلَى مِصْرَ قَاصِدًا مَا كَانَ كَثِيْرًا" أَسْنَدُهُ أَبُو جَعْفَرٍ
النَّحَّاسُ فِي نَاسِخِهِ

قَالَ ابْنُ حَجْرٍ: وَهَذِهِ النُّسْخَةُ كَانَتْ عِنْدَ أَبِي صَالِحٍ كَاتِبِ اللَّيْثِ رَوَاهَا عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ
عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَهِيَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ وَقَدْ اعْتَمَدَ عَلَيْهَا فِي
صَحِيْحِهِ كَثِيْرًا فِيمَا يُعَلِّقُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَخْرَجَ مِنْهَا ابْنُ جَرِيْرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ كَثِيْرَ
بُوسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيَّنَّ أَبِي صَالِحٍ وَقَالَ قَوْمٌ لَمْ يَسْمَعْ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ التَّفْسِيْرَ وَإِنَّمَا أَخَذَهُ
عَنْ مُجَاهِدٍ أَوْ سَعِيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ

قَالَ ابْنُ حَجْرٍ: بَعْدَ أَنْ عَرَفْتَ الْوَاسِطَةَ وَهُوَ ثِقَةٌ فَلَا ضِيْرَ فِي ذَلِكَ".⁽²⁾

وأفرد محمد فؤاد عبد الباقي ، معجماً سماه " معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح
البخاري، ويليهِ: مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس " نشرته: دار إحياء الكتب العربية - عيسى
الباي الحلبي-، سنة الطبع: 1369 - 1950م.

أما عن مسائل نافع بن الأزرق فأوردها الشُّيْطِيُّ (911هـ) في الدر المنثور في التفسير بالمأثور،
وقال في إتقانه: " قَدْ رَوَيْنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَثِيْرًا مِنْ ذَلِكَ وَأَوْعَبُ مَا رَوَيْنَاهُ عَنْهُ مَسَائِلُ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ
وَقَدْ أَخْرَجَ بَعْضُهَا ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي كِتَابِ الْوَقْفِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيْرِ وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَسُوْقَهَا
هُنَا بِتَمَامِهَا لِتُسْتَفَادَ".⁽³⁾

¹ الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ (2/ 3-6).

² نَفْسِ الْمَرْجِعِ (4/ 237).

³ نَفْسِ الْمَرْجِعِ (2/ 67).

وهذه المسائل اختلف في عدّها وصحّتها، لكن الظاهر أن لها أصل حيث ممن أوردتها قديماً ، أبو العباس المبرّد (ت: 285هـ) في كتابه الكامل حيث قال في موضع يتكلم فيه عن نافع: " نافع بن الأزرق الحنفي، وكان نافع شجاعاً مقدماً في فقه الخوارج، وله ولعبد الله بن عباس مسائل كثيرة، وسنذكر جملة منها في هذا الكتاب، إن شاء الله ".⁽¹⁾ كما أن أبو بكر الأنباري (ت: 328هـ) أورد جملة من هذه المسائل في كتابه الوقف والابتداء مدلّلة بالشعر.⁽²⁾

ومن أهل التفسير يحيى بن سلام (ت: 200هـ)، وأبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: 211هـ)، وابن جرير الطبري (ت: 310هـ)، و ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)؛ ويظهر أن المسائل التي وردت عند المفسرين، لم يرد فيها الاحتجاج بالشعر، وإنما هي متعلقة بمشاكل تأويل القرآن.

ومن ذلك ما ورد عن أبي رزّين، قال: " خَاصَمَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: هَلِ الصَّلَاةُ الْخُمْسُ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " نَعَمْ ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ [الروم: 17] الْمَغْرِبِ ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: 17] الْفَجْرِ ﴿وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 11] الْعَصْرِ ، وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: 18] الظُّهْرِ ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَنْ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ [النور: 58] ".⁽³⁾

أما علماء الحديث فقد أوردتها أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ) في معجمه الكبير، و أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: 405هـ) في مستدركه؛ وقد جاءت هذه المسائل مدلّلة بالشعر، حيث ما ورد عن أبي القاسم الطبراني (ت: 360هـ) بسنده عن الضحّاك بن مزاحم الهلاليّ قال: " خَرَجَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ وَجَدَهُ ابْنَ عُومَيْرٍ فِي نَعْرِ مَنْ رُوِيَ الخَوَارِجَ لِيَنْفُثُوا عَنِ الْعِلْمِ وَيَطْلُبُونَهُ، حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ، فَإِذَا هُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَاعِدًا قَرِيبًا مِنْ زَمْرَمَ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ أَحْمَرٌ وَقَمِيصٌ، وَإِذَا نَاسٌ قِيَامٌ يَسْأَلُونَهُ عَنِ التَّفْسِيرِ يُقُولُونَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا تَقُولُ فِي كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: هُوَ كَذَا أَوْ كَذَا، فَقَالَ لَهُ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ: مَا أَجْرُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَى مَا تُجْرِيهِ مِنْذُ الْيَوْمِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَكَلِّتُكَ أُمَّكَ يَا نَافِعُ وَعَدِمَتِكَ، أَلَا أَخْبَرْتُكَ مَنْ هُوَ أَجْرًا مِنِّي؟ قَالَ: مَنْ هُوَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: رَجُلٌ تَكَلَّمَ بِمَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ، وَرَجُلٌ كَتَمَ عِلْمًا عِنْدَهُ، قَالَ: صَدَقْتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَتَيْتُكَ لِأَسْأَلَكَ، قَالَ: هَاتِ يَا ابْنَ الْأَزْرَقِ

¹ الكامل في اللغة والأدب (3/ 136).

² ينظر: إيضاح الوقف والابتداء (1/ 76) برقم: 116.

³ تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: 200هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور هند شلي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى: 1425 هـ - 2004 م. (2/ 649)؛ تفسير عبد الرزاق (3/ 18) برقم: 2280؛ تفسير الطبري، جامع البيان ت شاکر (20/ 84).

فَسَلَّ، قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ﴾ [الرحمن: 35] مَا الشَّوَاظُ؟ قَالَ: اللَّهُبُ الَّذِي لَا دُخَانَ فِيهِ، قَالَ: وَهَلْ كَانَتْ الْعَرَبُ تَعْرِفُ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أُمِّئَةَ بِنِ أَبِي الصَّلْتِ (وأورد الأبيات) ⁽¹⁾. ثم أتمم المسائل.

ثم شاعت هذه المسائل بعد القرن الرابع هجري إلى زماننا ، ومن أفردها حديثاً بالتأليف، جمعاً ودِّراسةً ، إبراهيم السامرائي تحت عنوان "سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس" طبعت: المعارف - بغداد - سنة الطبع: 1968م؛ ومن جمعها أيضاً محمد بن عبد الرحيم و أحمد نصر الله وسموه: "غريب القرآن في شعر العرب" - طبعته: مؤسسة الكتب الثقافية ؛ وحققتها أيضاً، محمد أحمد الدالي، باسم "مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عباس" تحت رعاية دار النشر: الجفان والجاي، طبع الأولى: 1413هـ - 1993م.

ومن درسها دراسة بيانية، وأجاد فيها، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء ؛ تحت عنوان: "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق" نشرته دار المعارف - القاهرة - مصر ، طبع سنة: 1391هـ-1971م.

كما نشرت دراسة باسم: "شواهد القرآن لأبي تراب الظاهري"، من إصدارات النادي الأدبي الثقافي بجد، تاريخ النشر: 1983م.

كما وجدت دراسة نقدية لعبد الرزاق بن إسماعيل هرماس تحت عنوان: "مسائل نافع بن الأزرق في ميزان النقد" نشرته حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، العدد السادس عشر: 1419هـ-1998م.

وحتى لا أطيل، والدراسات كثيرة بين مثبت ونافي، أقول إن المنظومة التفسيرية لا تخضع دائماً إلى معايير الصحة والضعف، في روايتها التفسيرية ما عادا تفسير النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وما ليس لرأي فيه مجال ، وذلك استناداً على قول أن التفسير اجتهاد يحتمل الصحة والخطأ، وبالتالي قد تكون صحة نسبة الرواية إلى صاحبها مع خطئه في التفسير، والعكس صحيح، ولست بصدد فتح هذا الباب لكن الإشارة إليه ضرورة، والحال الاستشهاد بأقوال ابن عباس، لكن حتى نتوسط في المسألة ونحدد مجال الدراسة، هو كوننا نستشهد بروايات تفسيرية لغوية، لا تحتاج - في نظري - إلى أن

¹ ينظر: المعجم الكبير للطبراني (10/ 248).

تعرض على منفتح المحدثين في تحري الرواية، وخاصة إذا علمنا أن منفتح الطبري (310هـ) فيما فهمت عليه، يميل إلى ما أشرت إليه حيث يقول عن هذه المنظومة: " **وَالْوَجْهُ الثَّانِي** : مَا خَصَّ اللَّهُ بِعِلْمِ تَأْوِيلِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دُونَ سَائِرِ أُمَّتِهِ، وَهُوَ مَا فِيهِ مِمَّا بَعَادَهُ إِلَى عِلْمِ تَأْوِيلِهِ الْحَاجَّةُ، فَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى عِلْمِ ذَلِكَ، إِلَّا بَيَّانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ تَأْوِيلَهُ. **وَالثَّالِثُ مِنْهَا** : مَا كَانَ عِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ اللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ، وَذَلِكَ عِلْمُ تَأْوِيلِ عَرَبِيَّتِهِ وَإِعْرَابِهِ، لَا تَوْصُلَ إِلَى عِلْمِ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِمْ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَأَحَقُّ الْمُفَسِّرِينَ بِإِصَابَةِ الْحَقِّ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ الَّذِي إِلَى عِلْمِ تَأْوِيلِهِ لِلْعِبَادِ سَبِيلٌ، أَوْضَحَهُمْ حُجَّةً فِيمَا تَأَوَّلَ وَفَسَّرَ، مِمَّا كَانَ تَأْوِيلُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دُونَ سَائِرِ أُمَّتِهِ، مِنْ أَحْبَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الثَّابِتَةِ عَنْهُ، إِمَّا مِنْ وَجْهِ النَّقْلِ الْمُسْتَفِيضِ، فِيمَا وَجَدَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ عَنْهُ النَّقْلُ الْمُسْتَفِيضُ، وَإِمَّا مِنْ وَجْهِ نَقْلِ الْعُدُولِ الْأَنْبَاتِ، فِيمَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَنْهُ النَّقْلُ الْمُسْتَفِيضُ، أَوْ مِنْ وَجْهِ الدَّلَالَةِ الْمَنْصُوبَةِ عَلَى صِحَّتِهِ، وَأَوْضَحَهُمْ بُرْهَانًا فِيمَا تُرْجَمَ وَيَتَّيَّنُ مِنْ ذَلِكَ، مِمَّا كَانَ مُدْرِكًا عِلْمَهُ مِنْ جِهَةِ اللِّسَانِ، إِمَّا بِالشَّوَاهِدِ مِنْ أَشْعَارِهِمُ السَّائِرَةِ، وَإِمَّا مِنْ مَنْطِقِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ الْمُسْتَفِيضَةِ الْمَعْرُوفَةِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ ذَلِكَ الْمُتَأَوَّلُ وَالْمُفَسِّرُ، بَعْدَ أَنْ لَا يَكُونُ خَارِجًا تَأْوِيلُهُ وَتَفْسِيرُهُ مَا تَأَوَّلَ وَفَسَّرَ مِنْ ذَلِكَ عَنْ أَقْوَالِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْأُمَّةِ وَالْخَلْفِ مِنَ التَّابِعِينَ وَعُلَمَاءِ الْأُمَّةِ " (1) فنلاحظ كيف تكلم عن وجوه الدلالة وما يلزم منها، لكن عندما وصل إلى الوجه الذي يُدركُ مِنْ جِهَةِ اللِّسَانِ قال عبارة: " **كَائِنًا مَنْ كَانَ ذَلِكَ الْمُتَأَوَّلُ وَالْمُفَسِّرُ** " فهو لم يشترط صحة النسبة قدر ما يشترط صحة اللسان، لأن الأمر متعلق برواية اللغة، وهي لا يشترط فيها ما يشترط عند المحدثين؛ قال السُّيُوطِي (ت: 911هـ) نقلا عن عبد اللطيف البغدادي في شرح الخطب النبائية قوله: " اعلم أن اللغوي شأنه أن يَنْقُلَ ما نطقت به العرب ولا يتعداه. " (2) ثم من جهة أخرى، كيف نكون منصفين في موازنتنا، إذا أحكمنا الباب على الروايات التفسيرية اللغوية لابن عباس، ما لا نحكمه على أقوال أهل اللغة، ثم نجد أنفسنا نستدل بأقوال أهل اللغة، مع رد أقوال الصحابة في اللغة، بحجة عدم صحة نسبتها !.

¹ تفسير الطبري، جامع البيان ت شاکر (1/ 93).

² المزهري في علوم اللغة وأنواعها (1/ 48).

ومع هذا كله انتهجت في دراسة الاحتياط ؛ وأستطيع القول أن مسائل نافع بن الأزرق ، لها أصل صحيح كما سلف، إلا أنه لا يُشك في الزيادة فيها، وهذا لا بد له من بحث مستقل، لكن انتهجتُ طريقاً وسطاً، بحيث وضعت شرطين في تقوية نسبة المسألة لابن عباس:

الأولى: صحة تفسير المعنى عند علماء التفسير ممن اهتم بنقل الروايات التفسيرية كابن جرير الطبري(310هـ) وابن أبي حاتم(327هـ).

ثانياً: صحة الشاهد اللغوي، من الشعر؛ مع نسبة الشعر إلى عصر الاحتجاج؛ وقبيل وفاة ابن عباس.

وبهذه الطريقة تناولت الدراسة، بخلاف ما قامت به الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء، حيث كان نظرها إلى الجانب البياني فحسب.

وقد اخترنا بعض المسائل فقط، وهي كالآتي:

مسائل نافع بن الأزرق من كتاب غريب القرآن في شعر العرب وإجابة ابن عباس له.

ورد في مسائل نافع بن الأزرق ، قول ابن الأزرق لابن عباس: أخبرني عن قول الله عز وجل:

1 - قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 13].

قال: يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ [مريم: 13].

قال: رحمة من عندنا.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت طرفة بن العبد⁽¹⁾ وهو يقول:

أبا منذرٍ! أفنيت فاستبقي بعضنا ***** حنائيك! بعضُ الشر أهون من بعض⁽²⁾.⁽³⁾

¹ طرفة بن العبد هو: طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك ابن عباد بن صعصعة بن قيس بن ثعلبة. ويقال إن اسمه عمرو، وسمى طرفة ببيت قاله. وأمه وردة من رهط أبيه ، وفيها يقول لأحواله وقد ظلموها حقها ما تنظرون بحق البيت ، وكان أحدث الشعراء ستاً وأقلهم عمراً، قتل وهو ابن عشرين سنة. ينظر: الشعر والشعراء (1/ 185).

² البيت في ديوان طرفة بن العبد، طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (ت: 60 ق هـ)، تعيّن: مهدي محمد ناصر الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الثالثة: 1423 هـ - 2002 م. (ص: 53).

³ مسائل نافع بن الأزرق ، غريب القرآن في شعر العرب (ص: 36)؛ وأردها السيوطي: في الدر المنثور (5/ 485)؛ والإنتقان في علوم القرآن (2/ 70).

وأورد الطبري(310هـ) صحة هذا التأويل، حيث أسند إلى ابن عباس، قوله: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ يقول: ورحمة من عندنا".⁽¹⁾

قال أهل اللغة:

قال الخليل (170هـ): "والحنانُ: الرحمة، والفعل: التحنُّن؛ والله الحنانُ المَنَّانُ الرَّحِيمُ بعباده: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ [مریم: 13]، أي رحمةً من عندنا".⁽²⁾

قال القراء(207هـ): "﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾، الحنان: الرحمة، (ونصب) حناناً أي، وفعلنا ذلك رحمةً لأبويه".⁽³⁾

قال أبو عبيدة(209هـ): "﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾، أي رحمة من عندنا، قال امرؤ القيس ابن حجر الكندي⁽⁴⁾:

وَيَمْنَعُهَا بَنُو شَمَجَى بْنِ جَرْمٍ **** مَعِيرُهُمْ، حَنَانِكَ، ذَا الْحَنَانِ. (5)
وقال الحطّيئة:

تَحَنَّنَ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكُ **** فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا. (6)

أي ترحم، وعامة ما يستعمل في المنطق على لفظ الاثنين. قال طرفة العبدى:

أبا منذرٍ! أُنْفَيْتَ فَاسْتَبَقِ بَعْضَنَا **** حَنَانِيكَ! بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ (7) (8)

¹ تفسير الطبري ت شاكر (18/156). وأخرجه أيضا: ابن أبي حاتم في تفسيره (7/2401) برقم: 13063، مِنْ طَرِيقِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِهِ.

² العين (3/29).

³ معاني القرآن للفراء (2/163).

⁴ امرؤ القيس (80ق هـ) هو: هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي، وهو من أهل نجد، من الطبقة الأولى. أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد. قال لبيد بن ربيعة: أشعر الناس ذو القروح، يعنى امرأ القيس. ينظر: الشعر والشعراء (1/107).

⁵ البيت في ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (ت: 545 م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ط: الثانية: 1425 هـ - 2004 م. (ص: 161).

⁶ البيت في ديوان الحطّيئة، برواية وشرح ابن السكيت(246هـ). (ص: 164).

⁷ البيت في ديوان طرفة بن العبد (ص: 53).

⁸ مجاز القرآن (2/3).

قال أبو عبيد القاسم بن سلام (224هـ): "قوله: حَنَانِيكَ يُرِيد: رحمتك والعرب تقول: حَنَانِكَ يَا رَبِّ وَحَنَانِيكَ يَا رَبِّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ: [الوافر]

وَيَمْنَعُهَا بَنُو شَمَجَى بْنِ جَرْمٍ **** مَعِيرُهُمْ، حَنَانِكَ، ذَا الحَنَانِ. (1)
يُرِيد: رحمتك يَا رَبِّ.

وَقَالَ طَرْفَةُ [الطَّوِيل]: حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ قَالَ: الرَّحْمَةُ". (2)

2 - قوله تعالى: ﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ

نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ [مريم: 23].

قال: يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ [مريم: 23].

قال: فأجأها المخاض إلى جذع النخلة.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت الشاعر (هو: حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ) يقول:

إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صَادِقَةً فَاجَأْنَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الجَبَلِ (3). (4)

قال الطبري (310هـ): "وقوله ﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم: 23]، يَقُولُ

تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَجَاءَ بِهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ، ثُمَّ قِيلَ: لَمَّا أُسْقِطَتِ الْبَاءُ مِنْهُ أَجَاءَهَا، كَمَا يُقَالُ:

أَتَيْتُكَ بِزَيْدٍ، فَإِذَا حَذَفَتِ الْبَاءُ قِيلَ أَتَيْتُكَ زَيْدًا، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَتُونِي زُبَيْرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف:

96] وَالْمَعْنَى: أَتُونِي بِزُبَيْرِ الْحَدِيدِ، وَلَكِنَّ الْأَلْفَ مُدَّتْ لَمَّا حُذِفَتِ الْبَاءُ، وَكَمَا قَالُوا: خَرَجْتُ بِهِ

وَأَخْرَجْتُهُ، وَذَهَبْتُ بِهِ وَأَذْهَبْتُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ أَفْعَلُ مِنَ الْمَجِيءِ، كَمَا يُقَالُ: جَاءَهُ هُوَ، وَأَجَأْتُهُ أَنَا: أَيُّ

¹ البيت في ديوان امرئ القيس ت المصطاوي (ص: 161).

² غريب الحديث للقاسم بن سلام (4/ 401).

³ والبيت في ديوان حسان بن ثابت، ط: دار الكتب العلمية. (ص: 181).

⁴ مسائل نافع بن الأزرق، غريب القرآن في شعر العرب (ص: 39)؛ وأردها السيوطي: في الدر المنثور (5/ 500)، والإتقان في

علوم القرآن (2/ 71).

جُنْتُ بِهِ، وَمَثَلٌ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ: شَرُّ مَا أَجَاءَنِي إِلَى مُحَنَّةِ عَرْقُوبٍ " وَأَشَاءَ وَيُقَالُ: شَرُّ مَا يَجِيئُكَ وَيَشِيئُكَ إِلَى ذَلِكَ، وَمِنْهُ قَوْلُ زُهَيْرٍ⁽¹⁾: [البحر الوافر]

وَجَارٍ سَارٍ مُعْتَمِدًا إِلَيْكُمْ **** أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ. (2)

يَعْنِي: جَاءَ بِهِ، وَأَجَاءَهُ إِلَيْنَا وَأَشَاءُكَ: مِنْ لُغَةِ تَمِيمٍ، وَأَجَاءَكَ مِنْ لُغَةِ أَهْلِ الْعَالِيَةِ، وَإِنَّمَا تَأْوَلُ مَنْ تَأْوَلُ ذَلِكَ بِمَعْنَى: أَجَاءَهَا، لِأَنَّ الْمَخَاضَ لَمَّا جَاءَهَا إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ، كَانَ قَدْ أَجَاءَهَا إِلَيْهِ.⁽³⁾

وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: (ثم روى بسنده عن): مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ [مرسم: 23] قَالَ: الْمَخَاضُ أَجَاءَهَا. وَفِي رِوَايَةِ "أَجَاءَهَا الْمَخَاضُ" وَ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ.⁽⁴⁾

قال ابن أبي حاتم (327هـ): "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ قَالَ: أَجَاءَهَا."⁽⁵⁾

قال أهل اللغة:

قال الفراء (207هـ): "قوله: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾، المعنى - والله أعلم -

فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة."⁽⁶⁾

وقال أبو عمر الزاهد، المعروف بـغلام ثعلب (ت: 345هـ): "﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾، أي:

فَأَجَاءَهَا، قَالَ: وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالِهَا: إِذَا طَلَبْتَ الْمَعْرُوفَ مِنَ الْبَحِيلِ اللَّئِيمِ مَا أَشَاءَكَ وَأَجَاءَكَ إِلَى مِحَّةِ عَرْقُوبٍ، أَيْ أَجَاءَكَ إِلَى أَنْ تَطْلُبَ الْمَخَ مِنْ الْعَرْقُوبِ."⁽⁷⁾

¹ زهير بن أبي سلمى (13ق هـ) هو: زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، من مضر: حكيم الشعراء في الجاهلية. وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة. قال ابن الأعرابي: كان زهير في الشعر ما لم يكن لغيره، كان أبوه شاعرا، وخاله شاعرا، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة. ينظر: الأعلام للزركلي (3/ 52).

² البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى، ط: دار صادر - بيروت. - (ص13).

³ وما أورده الطبري في هذا الموضوع، نقله عن الفراء ينظر: معاني القرآن للفراء (2/ 164).

⁴ تفسير الطبري ت شاكر (18/ 167/ 168).

⁵ تفسير ابن أبي حاتم - محققا (7/ 2404).

⁶ معاني القرآن للفراء (1/ 19).

⁷ ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز البازدي، المعروف بـغلام

ثعلب (ت: 345هـ)، حققه وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية - المدينة المنورة، ط: الأولى: 1423هـ - 2002م. (ص: 337).

وقال ابن جني (ت: 392هـ) في المحتسب: "ومن ذلك قراءة شبيب بن عزة⁽¹⁾: ﴿فَأَجَأَهَا﴾، مثل (فَأَجَأَهَا)".⁽²⁾

وقال أبو البقاء الكفوي (ت: 1094هـ): "﴿فَأَجَأَهَا الْمَخَاضُ﴾: فَأَجَأَهَا".⁽³⁾

3 - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مریم: 73].

قال: يا ابن عباس: فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مریم: 73].
قال: النادي المجلس والتكأة.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت الشاعر (هو: سلامة بن جندل)⁽⁴⁾ وهو يقول:

يَوْمَانِ يَوْمٌ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَّةٌ **** وَيَوْمٌ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيْبٍ (5). (6)

وأورد الطبري (310) صحة هذا التأويل، بسنده عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، قوله: "﴿يَوْمَانِ يَوْمٌ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَّةٌ﴾ [مریم: 73]؛ قال: المقام: المنزل، والندي: المجلس".⁽⁷⁾

وقال الطبري (310): "﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ [مریم: 73]، يَعْنِي بِالْمَقَامِ: مَوْضِعَ إِقَامَتِهِمْ، وَهِيَ مَسَاكِنُهُمْ وَمَنَازِلُهُمْ ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مریم: 73] وَهُوَ الْمَجْلِسُ، يُقَالُ مِنْهُ: نَدَوْتُ الْقَوْمَ أَنْدُوهُمْ نُدْوًا: إِذَا جَمَعْتُهُمْ فِي مَجْلِسٍ".⁽⁸⁾

¹ شبيب بن عزة (140هـ) هو: شبيب بن عزة بن عمير الضبيعي: راوية، خطيب، شاعر، نسابة. من أهل البصرة. له كتاب (الغريب) في اللغة. كان يرى رأي الخوارج ثم رجع عنه. وله في كلا الحالين شعر. ينظر: الأعلام للزركلي (3/ 157).

² المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (2/ 39).

³ الكليات (ص: 52).

⁴ سلامة بن جندل (23ق هـ) هو: سلامة بن جندل بن عبد عمرو، من بني كعب بن سعد التميمي، أبو مالك: شاعر جاهلي، من الفرسان. من أهل الحجاز. في شعره حكمة وجودة. وهو من وُصِّفَ الخيل ينظر: الأعلام للزركلي (3/ 106).

⁵ البيت في ديوان سلامة بن جندل، سلامة بن جندل بن عبد عمرو، من بني كعب بن سعد التميمي (23ق هـ)، المحقق: فخر الدين قباوة، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: 1407 هـ - 1987 م. (ص: 92).

⁶ مسائل نافع بن الأزرق، غريب القرآن في شعر العرب (ص: 40)؛ وأردها السيوطي في الإتيان في علوم القرآن (2/ 71).

⁷ تفسير الطبري، ت شاکر (18/ 239).

⁸ تفسير الطبري، ت شاکر (18/ 238).

قال أهل اللغة:

قال الخليل (170هـ): "ندو: النادي: مجلسٌ يندو إليه من حوَالِيهِ، ولا يُسمَّى نادياً من غير أهله، وهو النديُّ، ويجمع أنديَّةً، وسمِّي به لأنهم يندون إليه ندواً وندوةً، وبه سُمِّي دارُ الندوة بمكَّة، كانت داراً لبني هاشم إذا حَزَبَهُمْ أمرٌ ندوا إليها فاجتمعوا للمُشاورة".⁽¹⁾

وقال الفراء (207هـ): "وقوله: ﴿خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مریم: 73]: مجلساً. والنديُّ والنادي لغتان".⁽²⁾

قال أبو عبيدة (209هـ): "﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مریم: 73] أي مجلسا والندی والنادي واحد، قال حاتم الطائي⁽³⁾.

وُدُعِيْتُ فِي أُولَى النَّدِيِّ وَمَمْ
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا * * * * * يُنْظَرُ إِلَيَّ بِأَعْيُنِ خُزْرِ

(4).

والجميع منها أندية، قال سلامة بن جندل:

يَوْمَانِ يَوْمٌ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَّةٍ * * * * * وَيَوْمٌ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيْبٍ.

(5)

قال ابن دُرَيْدٍ الأزدِي (321هـ): "الندِيّ، وَهُوَ الْمَجْلِسُ لِلْقَوْمِ وَالنَّادِي وَالنَّدِيّ وَاحِدٌ، وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ دَارِ النَّدْوَةِ. قَالَ الرَّاجِزُ:

لَكِنَّهُ يَنْدُو كَمَا يَنْدُو النَّدِي * * * * * كَأَنَّهُ فِي الْعِزِّ قَيْسُ بْنُ عَدِي".

(6)

قال نَشْوَانُ الْحِمَيْرِي (573هـ): "الندِيّ: المجلس فيه القوم، فإذا نفرُوا عنه فليس بنديّ. قال الله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ أي: مجلساً. وقال جميل⁽⁷⁾:

¹ العين (8 / 76).

² معاني القرآن للفراء (2 / 171).

³ حاتم الطائي (46ق هـ) هو: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عديّ: فارس، شاعر، جواد، جاهلي. يضرب المثل بجودة. كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيِّئ). ينظر: الأعلام للزركلي (2 / 151).

⁴ والبيت في ديوان حاتم الطائي، حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عديّ (46ق هـ)، الناشر: دار صادر، ط: 1401هـ - 1981م. (ص54).

⁵ مجاز القرآن (2 / 10).

⁶ جمهرة اللغة (2 / 686)، والبيت لم أجده إلا في جمهرته.

⁷ البيت ليس لجميل، فلعله وهم، أو تصحيف في الطبعة.

وما قام منا قائم في ندينا **** فينطق إلا بالتي هي أعرف (1) " (2).

4 - قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ [طه: 119].

قال: يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ [طه: 119].

قال: لا تعرف فيها من شدة حرّ الشمس.

قال: فهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر (3) وهو يقول: [البحر الطويل]

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ **** فَيُضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيُخْصِرُ (4). (5)

وروى الطبري (310هـ) وابن أبي حاتم (327هـ) بسنديهما عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾: لَا يُصِيبُكَ فِيهَا عَطَشٌ وَلَا حَرٌّ. (6)

قال أهل اللغة:

قال الخليل (170هـ): "ضحو: الضحُو: ارتفاع النهار، والضحى: فويق ذلك، والضحاء- ممدود- إذا امتدّ النهار، وكرب أن ينتصف. وضحي الرجل ضحى: أصابه حرّ الشمس. قال الله تعالى: ﴿لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ [طه: 119]، أي: لا يؤذيك حرّ الشمس". (7)

قال الفراء (207هـ): "وقوله: ﴿وَلَا تَصْحَى﴾: لا تُصِيبُكَ شمس مؤذية وذكر في بعض التفسير ﴿وَلَا تَصْحَى﴾: لا تَعْرِقُ وَالْأَوَّلُ أَشْبَهَ بِالصَّوَابِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

¹ البيت للفردق وهو في ديوانه، ط: دار الكتب العلمية. (ص389).

² شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (10/ 6540). والبيت لم يرد في ديوان جميل.

³ هو: عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب: أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفردق.

ولم يكن في قريش أشعر منه. ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب، فسمي باسمه ينظر: الأعلام للزركلي (5/ 52).

⁴ شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مطبعة السعادة، ط: 1371هـ - 1952م. (86).

⁵ مسائل نافع بن الأزرق، غريب القرآن في شعر العرب (ص: 43)؛ وأردها السيوطي في الدر المنثور (5/ 605)؛ الإتيان في علوم القرآن (2/ 72).

⁶ تفسير الطبري، ت شاكر (18/ 387)؛ تفسير ابن أبي حاتم - محققا (7/ 2438) برقم: 13557 وبرقم: 13558.

⁷ العين (3/ 265).

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ **** فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصِرُ " (1).

قال أبو عبيدة (209هـ): ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾: أي لا تعطش ولا تضحى للشمس فتجد الحرّ، قال عمر بن أبي ربيعة.

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ **** فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصِرُ " (2).

قال ابن دريد الأزدي (321هـ): " وَضَحِيَ الرَّجُلُ لِلشَّمْسِ يَضْحَى، إِذَا بَرَزَ لَهَا مِنْ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ [طه: 119]". (3)

5 - قوله تعالى: ﴿ فَكَايَيْنُ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرُ

مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ﴾ [الحج: 45].

قال: يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ﴾ [الحج: 45].

قال: مشيد بالحصّ والآجر .

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت: عدي بن زيد⁽⁴⁾ وهو يقول:

شادُهُ مَرْمَرًا وَجَلَلَهُ كِلْ **** سا فللطير في ذراهُ وكورُ (5). (6)

¹ معاني القرآن للفراء (2/ 194).

² مجاز القرآن (2/ 32).

³ جمهرة اللغة (2/ 1050).

⁴ علي بن زيد حماد بن زيد العبادي التميمي: شاعر، من دهاة الجاهليين. كان قرويا، من أهل الحيرة، فصيحا، يحسن العربية والفارسية والرمي النشاب، ويلعب لعب العجم بالصوالجة على الخيل. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، اتخذ في خاصته وجعله ترجمانا بينه وبين العرب. ينظر: الأعلام للزركلي (4/ 220).

⁵ والبيت في ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعبيد، ط: وزارة الثقافة والإرشاد ن سلسلة كتب التراث (2)، ط: 1385هـ - 1965م. (ص88).

⁶ مسائل نافع بن الأزرق، غريب القرآن في شعر العرب (ص: 47)؛ وأورده السيوطي في الدر المنثور (6/ 61)؛ و الإلتقان في علوم القرآن (2/ 72).

أورد ابن أبي حاتم (327) بسنده عن ابن عباس ﴿ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ [الحج: 45]؛ قوله: " هو المخصص".⁽¹⁾

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿ مَشِيدٌ ﴾ [الحج: 45]: "بِالْقَصَّةِ حِصٌّ".⁽²⁾

قال الطبري (310هـ) في ترجيحه المعنى: " وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِالْمَشِيدِ الْمُحْصَصُ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْدَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ الْجِصُّ بِعَيْنِهِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ: [البحر البسيط]: كَحَبَّةِ الْمَاءِ بَيْنَ الطِّيِّ وَالشَّيْدِ

فَالْمَشِيدُ: إِتْمَا هُوَ مَفْعُولٌ مِنَ الشَّيْدِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ: [البحر الطويل]

وَتَيْمَاءٌ لَمْ يَنْتُرِكَ بِهَا جَذَعٌ نَحْلَةٌ ***** وَلَا أُطْمًا إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلٍ

يَعْنِي بِذَلِكَ: إِلَّا بِالْبِنَاءِ بِالشَّيْدِ وَالْجَنْدَلِ. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِالْمَشِيدِ: الْمَرْفُوعُ بِنَاؤُهُ

بِالشَّيْدِ، فَيَكُونُ الَّذِينَ قَالُوا: عُنِيَ بِالْمَشِيدِ الطَّوِيلُ، نَحْوًا بِذَلِكَ إِلَى هَذَا التَّأْوِيلِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ: [البحر الخفيف]

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْدًا ***** سَا فَللطَيْرِ فِي دُرَاهُ وَكُورُ

وَقَدْ تَأَوَّلَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ، بِمَعْنَى الْمُرْتَبِّ بِالشَّيْدِ، مِنْ: شَدْتُهُ أَشِيدُهُ. إِذَا رَتَبْتَهُ

بِهِ، وَذَلِكَ شَبِيهٌ بِمَعْنَى مَنْ قَالَ مُجْصَصٌ".⁽⁴⁾

قال أهل اللغة:

قال الأزهرى (370هـ): قَالَ اللَّيْثُ: تشييد البناء: إحكامه ورفعته قَالَ: وقد يُسمى بعض العرب

الجِصَّ شِيدًا، والمشييد: المني بالشَّيْدِ. قَالَ عَدِيٌّ:

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْدًا ***** سَا فَللطَيْرِ فِي دُرَاهُ وَكُورُ

¹ تفسير ابن أبي حاتم - محققا (8/ 2498) برقم: 13982.

² ينظر: صحيح البخاري (6/ 97).

³ البيت في ديوان امرئ القيس ت المصطاوي (ص: 66)؛ تيماء: قرية عادية في بلاد العرب. ؛ الأطم: القصر، والأطم الأذج، والجمع الأطم الجندل: الصخر.

⁴ تفسير الطبري، ت شاكر (18/ 656).

⁵ تهذيب اللغة (11/ 270).

قال أبو هلال العسكري (ت: نحو 395هـ): "والشَّيْدُ الجِصُّ، بكسر الجيم. ويُقال له: القِصَّةُ، وبيتٌ مقصَّصٌ، أي مجصَّصٌ، وقد جصَّصْتُ الدَّارَ والبيتَ. والكلسُ الصَّهْرُوجُ.

قال الشاعر:

شادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلَ **** سا فللطيرِ في ذُراهُ وَكُورُ " (1).

قال نَشْوانُ الحِميري (573هـ): " [شاد]: أي بني. وشادَهُ: أي رفعه.

وشاد بناءه: أي طلاه بالشيد، وعلى هذه الوجوه جميعاً يُفسَّر قول الله تعالى: ﴿ وَفَصَّرِ مَشِيدٍ ﴾ [الحج: 45].

قال عدي بن زيد:

شادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلَ **** سا فللطيرِ في ذُراهُ وَكُورُ " (2).

قال ابن منظور (711هـ): " شيد: الشَّيْدُ، بِالْكَسْرِ: كُلُّ مَا طَلِيَ بِهِ الحائِطُ من جِصٍّ أو بِلَاطٍ، وَبِالْفَتْحِ: المَصْدَرُ، تَقُولُ: شادَهُ يَشِيدُهُ شِيدًا: جَصَّصَهُ. وبناءُ مَشِيدٍ: مَعْمُولٌ بالشَّيْدِ. وَكُلُّ ما أَحْكَمَ مِنَ البِناءِ، فَقَدْ شِيدَ. وَتَشِيدُ البِناءِ: إِحْكامُهُ وَرَفْعُهُ. قَالَ: وَقَدْ يُسَمَّى بَعْضُ العَرَبِ الحَضَرَ شِيدًا. والمَشِيدُ: المَبْنِيُّ بالشَّيْدِ؛ وَأَنشَد:

شادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلَ **** سا فللطيرِ في ذُراهُ وَكُورُ " (3).

6 - قوله تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن: 35].

قال: يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿ شَوْاظٌ مِنْ نارٍ ﴾ [الرحمن: 35].

قال: الشَّواظُ: اللهب الذي لا دخان له.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

¹ التَّلْخِيسُ في مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الأَشْياءِ ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ)، عني بَتَحْقِيقِهِ: الدكتور عزة حسن ، الناشر: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ، ط: الثانية: 1996 م. (ص: 171).

² شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (6/ 3605).

³ لسان العرب (3/ 244).

قال: نعم، أما سمعت أمية بن أبي الصلت⁽¹⁾ يهجو حسّان بن ثابت وهو يقول:

ألا من مُبْلِغِ حَسَّانِ عَنِّي **** مُعْلَعَلَةً تَدِبُ إِلَى عُكَاظِ

أليس أبوك فينا كان قيناً **** لدى القينات، فسلاً في الحفاظ؟

بماتياً يظلُّ يَشُدُّ كِبِيراً **** وَيَنْفُخُ دَائِبًا لَهَبَ الشُّوَاظِ (2).

فأجابه حسّان بن ثابت:

أتاني عن أمي ثنا كلام **** وما هو في المغيب بذي حفاظ

ستأتيه قصائد محكمات **** وتشد بالمجاز إلى عكاظ

همزتك فاحتضعت بذل لفظ **** بقافية تأجج كالشواظ (3). (4)

قال الطبري (310هـ): "﴿شُواظٌ مِنْ نَارٍ﴾ ، وَهُوَ لَهْبُهَا مِنْ حَيْثُ تَشْتَعِلُ وَتَوَجَّحُ بِغَيْرِ دُخَانٍ كَانَتْ فِيهِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ رُوْبَةَ بْنِ الْعَجَّاجِ⁽⁵⁾:"

¹ أمية بن أبي الصلت (5هـ) هو: أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي: شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام. وكان مطلعاً على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبدًا. وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية. ينظر: الأعلام للزركلي (2/23).

² ديوان أمية بن أبي الصلت، جمعه وحققه وشرحه: د، سجع جميل الجبيلي، ط: دار صادر-بيروت- ط: الأولى: 1998م. (ص168).

³ الأبيات في ديوان حسّان بن ثابت، ط: دار الكتب العلمية. (ص148)؛ لكن ليس بهذا السياق؛ وجاءت في تاج العروس (20/239) بهذه الألفاظ:

تُرْوِزُكَ إِنْ شَتَوْتَ بِكُلِّ أَرْضٍ **** وَتَرَضُّحِي فِي مَحَلِّكَ بِالْمَقَاظِ

بَنَيْتُ عَلَيْكَ أُبْيَاتًا صِلَابًا **** كَأَسْرِ الْوَسْقِ فُعُضَ الشُّظَاظِ

مُجَلَّلَةٌ تُعَمِّمُهُ شِنَارًا **** مُضْرَمَةٌ تَأَجَّجُ كَالشُّوَاظِ

⁴ مسائل نافع بن الأزرق، غريب القرآن في شعر العرب (ص: 48)، وأوردها السيوطي الدر المنثور في التفسير بالمأثور (7/702)؛ الإتيان في علوم القرآن (2/73)، لكن لم يورد الأبيات جميعاً.

⁵ رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحّاف، أو أبو محمد: راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة. مات في البادية، وقد أسر. ينظر: الأعلام للزركلي (3/34).

إِنَّ هُمْ مِنْ وَفَعِنَا أَقْيَاطَا **** ونازُ حَرْبُ تُسْعِرُ الشُّواظَا. (1)
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل: (ثم أسند) عن ابن عباس، قوله: ﴿شُواظٌ مِنْ نَارٍ﴾ [الرحمن: 35]، يقول: هَبَّ النار". (2).

قال أهل اللغة:

قال الخليل (170هـ): "شوظ: الشُواظُ: اللهب الذي لا دُخان فيه ؛ قال الله عز وجل: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُواظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾ [الرحمن: 35]". (3)

قال أبو عبيدة (209هـ): "﴿شُواظٌ﴾ : "وشواظ واحد وهو النَّار التي تُوَجَّح لا دخان فيها، قال رؤبة:

إِنَّ هُمْ مِنْ وَفَعِنَا أَقْيَاطَا **** ونازُ حَرْبُ تُسْعِرُ الشُّواظَا". (4)

قال الجوهري (ت: 393هـ): " [شوظ] الشواظ والشواظ: اللهب الذي لا دُخان له. قال أمية بن خلف يهجو حسان بن ثابت:

أَلَيْسَ أَبوكَ فِينَا كَانَ فِينَا **** لَدَى الْقَيْنَاتِ، فَسَلَّا فِي الْحِفَاطِ؟

يَمَانِيًّا يَظَلُّ يَشُدُّ كَبِيرًا **** وَيَنْفُحُ ذَائِبًا هَبَّ الشُّواظِ .

وقال رؤبة:

إِنَّ هُمْ مِنْ وَفَعِنَا أَقْيَاطَا **** ونازُ حَرْبُ تُسْعِرُ الشُّواظَا". (5)

¹ البيت لم أحده في ديوانه المطبوع بعنوان: "مجموع أشعار العرب، ويشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنى به: وليم بن الورد البرونسي، ط: دار ابن قتيبة-الكويت-، ولا في شرح ديوان رؤبة بن العجاج، لعلم لغوي قديم، تحقيق: د، ضاحي عبد الباقي محمد، ط: مجمع اللغة العربية-جمهورية مصر- ط: الأولى: 1432هـ-2011م. وقال محمود شaker: البيتان في ديوان العجاج (طبع ليسج 81)؛ ينظر: هامش تفسير الطبري ت شaker (23/45).

² تفسير الطبري، ت شaker (23/45)؛ تفسير ابن أبي حاتم - محققا، برقم: 18739.

³ العين (6/278).

⁴ مجاز القرآن (2/244).

⁵ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (3/1173)

قال أبو عمرو الداني (ت: 444هـ): " قوله، عز وجل: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ ﴾ [الرحمن: 35]. والشواظ: اللهب الذي لا دخان فيه، والنحاس، بضم النون: الدخان الذي لا لهب فيه. كذا فسّر ذلك ابن عباس ، وأنشد لأمية بن خلف: وينفخ داببا لهب الشواظ. ويقرأ: الشواظ، والشواظ، بضم الشين وكسرها، وهما لغتان⁽¹⁾.

7 - قوله تعالى: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن: 35].

قال: يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن: 35]. قال: النحاس: الدخان بلغتك يا ابن آدم يا ابن أم الأزرق، الدخان الذي لا لهب فيه. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت الشاعر⁽²⁾ وهو يقول:

يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيطِ * * * * *
مَ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسًا (3). (4)

وأسند الطبري(310هـ): عن ابن عباس، في قوله: ﴿ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾ قال: "النحاس: الدخان. وفي رواية أخرى: دخان النار".⁽⁵⁾

¹ الفرق بين الضاد والطاء في كتاب الله عز وجل وفي المشهور من الكلام ، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: 444هـ)، المحقق: حاتم صالح الضامن، الناشر: دار البشائر - دمشق، ط: الأولى: 1428 هـ - 2007 م. (ص: 86).

² الشاعر هو: النَّابِغَةُ الجُعْدِي(50هـ) قيس بن عبد الله بن عُذَس بن ربيعة الجعدي العامري، أبو ليلى: شاعر مفلح، صحابي: من المعمرين. اشتهر في الجاهلية. وسمي " النابغة " لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقوم الشعر ثم نبغ فقاله وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر، قبل ظهور الإسلام. ينظر: الأعلام للزركلي (5/ 207).

³ البيت في ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه د، واضح الصمد، ط: دار صادر، ط: الأولى: 1998م. (ص100).

قَالَ الْفَرَاءُ: قَالَ لِي أَعْرَابِي مِنْ بَنِي سَلِيمٍ: السَّلِيطُ: دَهْنُ السَّنَامِ، وَلَيْسَ لَهُ دَخَانٌ إِذَا اسْتَصْبَحَ بِهِ.

وسمعت أنه الخلل وهو دهن السمسم. وسمعت أنه الزيت. والزيت أصوب فيما أرى. ينظر: معاني القرآن للفراء (3/ 117).

⁴ مسائل نافع بن الأزرق، غريب القرآن في شعر العرب (ص: 52)؛ وأوردها السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (7/ 702)؛ والإتقان في علوم القرآن (2/ 73).

⁵ تفسير الطبري ، ت شاكر (23/ 47).

قال أهل اللغة:

قال الخليل (170هـ): "والنحاس: الدخان الذي لا لب فيه، قال:

" (1) . يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيْطِ **** لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاسًا

قال الفراء (207): " والنحاس: الدخان. أنشدني بعضهم:

" (2) . يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيْطِ **** لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاسًا

قال ابن قتيبة (ت: 276هـ) بصدد شرح البيت: " لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاسًا " : أي: دخانا. وَمِنْهُ

قَوْلُهُ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾ [الرحمن: 35].⁽³⁾

قال الهنائي الملقب بـ (كراع النمل) (ت: بعد 309هـ): " والنحاس: الدخان، وفي القرآن:

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾ [الرحمن: 35].

وقال النابغة الجعدي:

" (4) . يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيْطِ **** لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاسًا

8 - قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

[الإنسان: 2].

قال: يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: 2] .

قال: اختلاط ماء الرجل وماء المرأة إذا وقعا في الرحم.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت أبا ذؤيب⁽⁵⁾

¹ العين (3/ 144).

² معاني القرآن للفراء (3/ 117).

³ غريب الحديث لابن قتيبة (2/ 126).

⁴ المنجد في اللغة (ص: 337).

⁵ أبو ذؤيب الهذلي (نحو 27هـ): خويلد بن خالد بن محرث، أبو ذؤيب، من بني هذيل بن مدركة، من مضر: شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. وسكن المدينة. واشترك في الغزو والفتوح. وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبد الله بن سعد

وهو يقول:

كَأَنَّ الرَّيْشَ وَالْفُوقَيْنِ مِنْهُ ***** خِلَالَ النَّصْلِ سَيْطَ بِهِ مَشِيحُ (1). (2)

وأَسَدُ الطَّبْرِيِّ (310): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "مَاءُ الْمَرْأَةِ وَمَاءُ الرَّجُلِ يُمَشَّحَانِ. (وفي رواية): مَاءُ الْمَرْأَةِ وَمَاءُ الرَّجُلِ يَخْتَلِطَانِ". (3)

وورد في صحيح البخاري: ﴿أَمَشَاجٌ﴾ [الإنسان: 2]: "الأخْلَاطُ، مَاءُ الْمَرْأَةِ وَمَاءُ الرَّجُلِ، الدَّمُ وَالْعَلَقَةُ، وَيُقَالُ: إِذَا خَلِطَ مَشِيحٌ كَقَوْلِكَ: خَلِيطٌ، وَمَمَشُوجٌ مِثْلُ: مَخْلُوطٌ". (4)

قال أهل اللغة:

قال الخليل (170هـ): "مشح: المشح: اختلاط حُمرةٍ ببياضٍ، والمَشْحُ منه، وكلُّ لونٍ من ذلك مَشْحٌ، والجميع أمشاجٌ، ولا يُفرد، قال أبو ذؤيب:

كَأَنَّ الرَّيْشَ وَالْفُوقَيْنِ مِنْهُ ***** خِلَالَ الرَّيْشِ سَيْطَ بِهِ مَشِيحُ .

والمشيح: كلُّ لونٍ مُستنكرٍ خلطه غيره". (5)

قال القراء (207هـ): "وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: 2]؛ الأمشاج: الأخلاط، ماء الرجل، وماء المرأة، والدم، والعلقة، ويقال للشيء من هذا إذا خلط: مشيح كقولك: خلِيط، وممشوج، كقولك: مخلوط". (6)

بن أبي سرح إلى إفريقية (سنة 26 هـ غازيا، فشهد فتح إفريقية وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشري الفتح إلى عثمان (رضي الله عنه) فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها. وقيل مات بإفريقية نظرا: الأعلام للزركلي (2/ 325).

¹ البيت لم أجد في ديوان الهذليين في قسم أبي ذؤيب، وقال محمد فواد سزكين في هامش مجاز القرآن (2/ 279):

البيت ليس لأبي ذؤيب كما زعم أبو عبيدة وتبعه الطبري 29/ 109 بل هو لعمر بن الداحل الهذلي من قصيدته في ديوان الهذليين 3/ 104". قلت نسبة الخليل (170) أيضا لأبي ذؤيب، فالنفس تطمأن لصحة ما أورده أبو عبيدة، كما أن مجاز القرآن أقدم من ديوان الهذليين، والذي قد يعتريه تصحيف-والله أعلم-.

² مسائل نافع بن الأزرق، غريب القرآن في شعر العرب (ص: 53)؛ وأوردها السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (8/ 367)، وفي الإتيان في علوم القرآن (2/ 74) والبيت جاء بلفظ: كَأَنَّ الرَّيْشَ وَالْفُوقَيْنِ مِنْهُ ***** خِلَالَ النَّصْلِ خَالَطَهُ مَشِيحٌ.

³ تفسير الطبري، جامع البيان ت شاكر (24/ 89)؛ تفسير ابن أبي حاتم، برقم: 19077.

⁴ صحيح البخاري (6/ 164).

⁵ العين (6/ 41).

⁶ معاني القرآن للفراء (3/ 214).

قال أبو عبيدة (209): ﴿أَمْشَاجٌ﴾: خلطين قال رؤية: من دم أمشاج؛ وقال أبو ذؤيب:
 كأنَّ الرِّيشَ والفُوقَيْنِ مِنْهُ **** خِلَالَ النَّصْلِ سَيْطَ بِهِ مَشِيحٌ (1).
 قال ابن قُتَيْبَةَ (ت: 276هـ): ﴿أَمْشَاجٌ﴾ أخلاط؛ يقال: مَشَحْتُهُ فهو مَشِيحٌ. يريد: اختلاط
 ماء الرجل بماء المرأة". (2)

9 - قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ [الصفات: 11].

قال: يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصفات: 11].
 قال: الملتزق الجيد وهو الطين الحر.
 قال: وهل تعرف العرب ذلك؟
 قال: نعم، أما سمعت النَّابِغَةَ وهو يقول:
 فَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ **** وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرَبَةَ لَازِبٍ (3). (4)

وأسند الطبري (310هـ): عَنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " خَلَقَ آدَمَ مِنْ صَلْصَالٍ
 مِنْ حَمَاءٍ وَمِنْ طِينٍ لَازِبٍ وَأَمَّا اللَّازِبُ: فَالْجَيِّدُ، وَأَمَّا الْحَمَاءُ: فَالْحَمَاءُ، وَأَمَّا الصَّلْصَالُ: فَالتُّرَابُ الْمُرْقُوقُ،
 وَإِنَّمَا سُمِّيَ إِنْسَانًا لِأَنَّهُ عَاهَدَ إِلَيْهِ فَنَسِيَ ". وفي رواية: قَالَ: " خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ ثَلَاثَةِ: مِنْ طِينٍ لَازِبٍ،
 وَصَلْصَالٍ، وَحَمَاءٍ مَسْنُونٍ وَالطِّينُ اللَّازِبُ: اللَّازِقُ الْجَيِّدُ، وَالصَّلْصَالُ: الْمُرْقُوقُ الَّذِي يُصْنَعُ مِنْهُ الْفَخَّارُ،
 وَالْمَسْنُونُ: الطِّينُ فِيهِ الْحَمَاءُ " فيه الحمأة". (5)

¹ مجاز القرآن (2/ 279).

² غريب القرآن لابن قتيبة ت أحمد صقر (ص: 502).

³ البيت في ديوانه، (ص48).

⁴ مسائل نافع بن الأزرق، غريب القرآن في شعر العرب (ص: 62)؛ وأوردها السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (7/

81)، و الإتيان في علوم القرآن (2/ 76).

⁵ تفسير الطبري، ت شاكر (17/ 96).

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصفات: 11] قَالَ: "هُوَ الطِّينُ الْحُرُّ الْجَيِّدُ اللَّزِجُ". وَفِي رِوَايَةٍ: "اللَّازِبُ: الْجَيِّدُ".⁽¹⁾ وَفِي رِوَايَةٍ: "مُلْتَصِقٌ".⁽²⁾

قال أهل اللغة:

قال الخليل (170هـ): "لزب: اللزب: الأزبة. والأزب: الشدة والصلابة. ولزب لزوباً، أي: لزق، والطين اللازب منه، قال النابغة:

فَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ * * * * *
وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبٍ " (3)

قال الفراء (207هـ): "قوله: ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصفات: 11]؛ اللازب: اللاصق. .. والعرب تقول: ليس هذا بضربة لازب ولازم، يدلون الباء ميمًا لتقارب المخرج".⁽⁴⁾

قال أبو عبيدة (209هـ): قوله: "﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصفات: 11]؛ مجازها مجاز «لازم» قال نَابِغَةُ بَنِي دُبَيَّانَ:

فَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ * * * * *
وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبٍ .

وقال النجاشي⁽⁵⁾:

بَنَى اللُّؤْمُ بَيْنَنَا فَاسْتَقَرَّتْ عِمَادُهُ * * * * *
عَلَيْكُمْ بَنَى النَّجَّارِ ضَرْبَةَ لَازِمٍ " (6)

10 - قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22].

¹ تفسير الطبري، ت شاكر (21 / 21).

² تفسير الطبري، ت شاكر (22 / 21)؛ تفسير ابن أبي حاتم - محققا (10 / 3206)، برقم: 18145.

³ العين (7 / 369).

⁴ معاني القرآن للفراء (2 / 384).

⁵ النجاشي (40هـ) هو: قيس بن عمرو بن مالك، من بني الحارث بن كعب، من كهلان: شاعر هجاء مخضرم، اشتهر في الجاهلية والإسلام. أصله من نجران (باليمن) انتقل إلى الحجاز، واستقر في الكوفة. وهجا أهلها ينظر: الأعلام للزركلي (5 / 207).

⁶ مجاز القرآن (2 / 167).

قال: يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أُنْدَادًا﴾ [البقرة: 22].

قال: الأنداد: الأشباه والأمثال.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت لبيد⁽¹⁾ وهو يقول:

أحمدُ الله فلا نِدَّ لهُ **** بيديهِ الحَيْرُ ما شاء فعَلَنُ (2).

وقال حسان بن ثابت يرد على أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

أتهجوهُ ولست لهُ بنِدُّ؟ **** فشرُّكمَا الحَيْرُكمَا الفِدَاءُ (3). (4)

وأسند الطبري(310): عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أُنْدَادًا﴾

[البقرة: 22] قَالَ: "أَشْبَاهًا". (5)

قال أهل اللغة:

قال الأَخْفَشُ الأَوْسَطُ(ت: 215هـ): " قوله ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أُنْدَادًا﴾... وواحد "الأنداد": نِدُّ.

و النِدُّ: المِثْلُ". (6)

قال أبو عبيدة(209هـ): " قوله ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أُنْدَادًا﴾ واحدها نَدٌّ، معناها: أضداد، قال

حسان:

أتهجوهُ ولست لهُ بنِدُّ؟ **** فشرُّكمَا الحَيْرُكمَا الفِدَاءُ (7). "

¹ هو لبيد بن ربيعة العامري، وقد مضت ترجمته.

² البيت في ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص: 90).

³ والبيت في ديوان حسان بن ثابت، ط: دار الكتب العلمية.(ص20).

⁴ مسائل نافع بن الأزرق، غريب القرآن في شعر العرب (ص: 63)؛ وأوردها السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (1/

88)، والإتقان في علوم القرآن (2/ 76).

⁵ تفسير الطبري، ت شاكر (1/ 369) برقم: 484؛ تفسير ابن أبي حاتم - محققا (1/ 62) برقم: 228.

⁶ معاني القرآن للأخفش (1/ 56).

⁷ مجاز القرآن (1/ 34).

اتضح من خلال هذه الأمثلة ما يلي:

- سبق ابن عبّاس أهل اللغة في بيان كثير من التفسيرات اللغوية، المتعلقة بالنص القرآني.
- وضوح ملامح الاتجاه اللغوي في تفسير ابن عبّاس لمسائل نافع ابن الأزرق.
- وضوح منهج ابن عبّاس في الكشف عن اللفظ الغريب.
- اهتمام ابن عبّاس بالمصادر في الاستشهاد على اللفظ الغريب قبل غيره.
- اهتمام ابن عبّاس بكلام العرب بصفة عامة، وبديوان العرب خاصة.
- اهتمام ابن عبّاس بالشاهد الشعري، والتركيز عليه في الاستشهاد.
- المعرفة الواسعة لابن عبّاس، بالشعراء وشعرهم.
- عدم خروج أهل اللغة عما سطره من شرح ألفاظ الغريب.
- كثرة الشاهد الشعري في مسائل ابن عبّاس عن غيره من أهل اللغة.
- التماس الأثر الواضح لابن عبّاس على أهل اللغة، من خلال الاستشهاد بأقواله، أو من خلال تطابق الشواهد.

✓ ملامح اللغات (اللهجات) في تفسير ابن عباس وأثرها في الدراسة اللغوية.

إن الطبيعة الجغرافية والاجتماعية للعرب قبل الإسلام، عرفت وجود نمط حياتي يقوم على ارتكاز، في مجموعات قبلية، تحكمها صفات مشتركة عامة، لكن قد تختلف في هذه المجموعات، في كثير من نواحي الحياة، وعلى هذا الأساس تقوم كل قبيلة على الحفاظ على هويتها، وقد يكون هذا بدافع العصبية، وبمرور الأيام اختصت كثير من القبائل بلغة أو لهجة خاصة تحافظ عليها من خلال التحدث بها داخل القبيلة، حتى شاع هذا الأمر في أوساط العرب، وأصبح مزية للعرب في اختلاف لهجاتها، يقول ابن جرير الطبري (310): "إِذْ كَانَتْ الْعَرَبُ، وَإِنْ جَمَعَ جَمِيعَهَا اسْمٌ، أَنَّهُمْ عَرَبٌ، فَهُمْ مُخْتَلِفُو الْأَلْسُنِ بِالْبَيَانِ، مُتَبَايِنُو الْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ".⁽¹⁾

ولقد كانت لقبيلة قريش كل الحض، في موقعها الجغرافي والديني والتجاري، حيث عرفت حراكاً متواصلًا، بسبب مواسم الحج، مما أكسبها فائدة اقتصادية وأخرى ثقافية حيث هذبت لغتها ونمت واستوت، وأصبحت لها الريادة فيها، وما إن لبث الأمر كذلك حتى بزغ فجر الإسلام بنوره، بمعجزة القرآن، ﴿بَلِّسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 195]، فهل حوى القرآن الكريم لغات العرب أو لهجاتها، أم انفرد بلغة قريش دون غيرها؟ هذا ما سنعرفه من خلال هذا المبحث؛ وقبل الشروع في المقصود يجدر بنا الوقوف عند بعض المصطلحات المتعلقة بالمبحث.

تعريف اللهجة:

قال الخليل بن أحمد (ت: 170هـ): "لَهَجٌ فَلَانٌ بَكَذَا وَكَذَا: أَي: أُولِعَ بِهِ. وَلَهَجَ الْفَصِيلُ بِأَمِّهِ يَلْهَجُ، إِذَا تَنَاوَلَ ضَرْعَهَا يَمْتَصُّ؛ وَاللَّهْجَةُ: طَرْفُ اللِّسَانِ، وَيُقَالُ: جَرَسَ الْكَلَامَ، وَيُقَالُ: فَصِيحَ اللَّهْجَةَ وَاللَّهْجَةَ. وَهِيَ لُغَتُهُ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا فَاعْتَادَهَا، وَنَشَأَ عَلَيْهَا؛ وَرَجُلٌ مُلْهَجٌ بَكَذَا، أَي: مُوَلَّغٌ بِهِ".⁽²⁾

¹ تفسير الطبري ت شاکر (1/ 21).

² العين (3/ 390 / 391).

وفرق إسحاق الفَارَابِيُّ (ت:350هـ) بين هَجَّ وهَجَّ بقوله: "هَجَّ: اللُّهْجُ بالشَّيْءِ: الولوجُ به. وقد هَجَّ به بالكسر يلهج لهجا، إذا أُغْرِيَ به فتأبر عليه".⁽¹⁾

وأرجع ابن فارس (395هـ) أصلُ المادة بقوله: "اللَّامُ وَالْهَاءُ وَالْجِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الْمُتَابَرَةِ عَلَى الشَّيْءِ وَمُلَازِمَتِهِ، وَأَصْلٌ آخَرَ يَدُلُّ عَلَى اخْتِلَافٍ فِي أَمْرٍ. يُقَالُ: هَجَّ بِالشَّيْءِ، إِذَا أُغْرِيَ بِهِ وَتَأَبَّرَ عَلَيْهِ، وَهُوَ هَجٌّ... وَقَوْلُهُمْ: هُوَ فَصِيحُ اللَّهْجَةِ وَاللَّهْجَةِ: اللِّسَانُ، بِمَا يَنْطِقُ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ. وَسُمِّيَتْ هَجَّةً لِأَنَّ كُلًّا يَلْهَجُ بِلُغَتِهِ وَكَلَامِهِ".⁽²⁾

أما تعريف اللهجة في الاصطلاح الحديث:

فقد عرفها إبراهيم أنيس(ت:1977م) بقوله: "اللهجة في المصطلح العلمي الحديث : هي مجموعة من الصفات اللغوية ، وتنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة ، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع، وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية ، التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات".⁽³⁾

ولعل أشمل التعريفات، قول أحمد مختار(ت 1424هـ) في معجمه: "طريقة من طرق الأداء في اللغة، تتميز بها طبقة أو فئة اجتماعية عن أخرى "لهجة التُّجَّار - لهجة قرويَّة، مصريَّة".⁽⁴⁾

أما علم اللهجات:

علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صور من الكلام في لغة من اللغات.⁽⁵⁾

¹ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1/339).

² مقاييس اللغة (5/214).

³ اللهجات العربية ، د إبراهيم أنيس، طبعة الرسالة، الناشر: دار الفكر العربي. (ص 11).

⁴ معجم اللغة العربية المعاصرة (3/2041).

⁵ معجم اللغة العربية المعاصرة (3/2041).

الفرق بين اللهجة واللغة:

الجدير بالذكر أن مصطلح اللهجة لم يستخدمه اللغويون القدماء، بل استخدموا مصطلح اللعق، فقالوا: لُعَةُ قُرَيْشٍ، لُعَةُ تَمِيمٍ، لُعَةُ عَطْفَانَ، لُعَةُ لَبْنِي أَسَدٍ... وأحياناً كانوا يستخدمون مصطلح اللسان؛ فقالوا: لِسَانُ قُرَيْشٍ، لِسَانُ خُرَاعَةَ... وهم يعنون به اللهجة.

نقل أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ) عن أبي زيدٍ في لفظة الحُدَاقِي: "الفصيحُ اللسان البيِّنُ اللهجة".⁽¹⁾

وقال إسحاق الفَارَابِيُّ (ت: 350هـ): "واللهجةُ: اللسان، يُقال: هو فَصِيحُ اللهجة".⁽²⁾
وقد يطلق في كلام العرب لفظ اللحن ويراد به اللغة أو اللهجة، قال الأزهري (ت: 370هـ):
قَالَ لَحْنُ الرَّجُلِ لَعْنُهُ. وَأَنْشَدْتَنِي الْكَلْبِيَّةُ:

وَقَوْمٌ هُمْ لَحْنٌ سِوَى لَحْنِ قَوْمِنَا **** وَشَكْلٌ وَبَيْتِ اللَّهِ لَسْنَا نُشَاكِلُهُ".⁽³⁾

إلاً أن إبراهيم أنيس (ت: 1977م) يذهب إلى أن: "العلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص ، فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها ، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية، التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات".⁽⁴⁾ ثم نجده يضع ضابط للهجة ، كعنصر من لغة ما، ومتى تخرج عن كونها لهجة إلى لغة مستقلة بذاتها، حيث يقول: " فلا بد أن تشترك لهجات اللغة الواحدة في الكثرة الغالبة من الكلمات ومعانيها، وفي معظم الأسس التي تخص لها بنية الكلمات، وفوق هذا وذاك في تركيب الجمل، فإذا اختلفت معاني معظم كلماتها، واتخذت أسسا خاصة في بنية كلماتها، وقواعد خاصة في تركيب جملها، لا تسمى حينئذٍ لهجة ، بل لغة مستقلة".⁽⁵⁾

¹ الغريب المصنف (1/ 347).

² معجم ديوان الأدب (1/ 235).

³ تهذيب اللغة (5/ 41).

⁴ ينظر: اللهجات العربية ، د إبراهيم أنيس. (ص 11).

⁵ نفس المرجع. (ص 11).

أما عن تَكُون هذه اللهجات فهو يرجع إلى عدة أمور قد أشرنا إلى بعضها في هذا المدخل، لكن يرى محمد سالم محيسن (ت: 1422هـ) أن الأمر يرجع إلى عاملين رئيسيين يعزى إليهما تكوين اللهجات في العالم هما:

أ - الانعزال بين بيئات الشعب الواحد.

ب- الصراع اللغوي نتيجة غزو، أو هجرات⁽¹⁾.

لغة قريش بين لغات العرب:

نستطيع القول أن لهجة قريش قبل تطورها كانت أحد اللهجات، والتي لا تخرج عن بيئتها مثلها مثل اللهجات الأخرى، لكن بفضل موقعها الجغرافي، وتاريخها الديني استطاعت أن تجلب وتجمع في صرح ثقافتها، ما يُقَوِّمُ وَيُقَوِّي لسانها، حتَّى أخذت الزعامة فيه، كما أنها راعت في اختيارها، ما يسهل على اللسان، وَيُقَوِّي على البيان، فكانت حريصة كل الحرص أن لا يدخل في لسانها ما يعيب لهجتها، وبذلك ارتفعت في الفصاحة، وهذه الحقيقة يذكرها ثعلب (ت: 291هـ) حيث يقول: "ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة⁽²⁾ هوازن، وَتَضَجُّع قيس⁽³⁾، وَعَجْرَ فَيْيَةٍ⁽⁴⁾ ضَبَّة، وتلتله⁽⁵⁾ بهراء⁽⁶⁾ .

ويروى في مثل معناه ابن قتيبة (ت: 276هـ) ويُسنده إلى مُعَاوِيَةَ بن أَبِي سُفْيَانَ ، حيث قَالَ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا: " أَيُّ النَّاسِ أَفْصَحُ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: قَوْمٌ ارْتَفَعُوا عَن فُرَاتِيَّةِ الْعِرَاقِ (ويروى: لخلخانية

¹ القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد محمد محمد سالم محيسن (ت: 1422هـ)، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ط: الأولى: 1404 هـ - 1984 م. (80 / 1).

² يَعْنِي إِبْدَاهُمُ السِّنِّ مِنْ كَافِ الْخِطَابِ. يَقُولُونَ: أَبُوْس وَأُمْس: أَيُّ أَبُوْك وَأُمَّك. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (4/ 174).

³ لم أجده في أحد من المصادر، ولعله من تَضَجَّع في الأمر: إذا لم يجد فيه، أو تقاعد ولم يقم به. أي لم يقم لسانهم بجديّة. -والله أعلم-.

⁴ العجرفية: فانها تكون في أعراب قيس واليمن وهي جفاء في القراءة والكلام. ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة (2/ 407).

⁵ كسر حرف المضارعة تبعاً لإحدى اللهجات العربية. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 297).

⁶ مجالس ثعلب (1 / 80).

العراق⁽¹⁾ وَتَيَّاسَرُوا عَنْ كَشْكَشَةِ بَكْرِ⁽²⁾ وَتَيَّامَنُوا عَنْ عَنَعَةِ تَمِيمِ⁽³⁾ لَيْسَ فِيهِمْ غَمْغَمَةٌ⁽⁴⁾ قِضَاعَةٌ وَلَا طَمْطَانِيَةٌ⁽⁵⁾ حَمِيرٌ قَالَ: فَمَنْ هُمْ قَالَ قَوْمُكَ قُرَيْشٌ".⁽⁶⁾

ونعتبر أن لغة قريش ارتقى بها المقام إلى الهيمنة على اللغة العامة في أوساط العرب، ويقول بهذا الصدد محمد عبد العظيم الزُّرقاني(ت: 1367هـ) معبراً عن هذه الهيمنة بقوله: "ولا يغيبن عن بالك أن هذه اللغات كلها تمثلت في لغة قريش باعتبار أن لغة قريش كانت المترعمة لها والمهيمنة عليها والآخذة منها ما تشاء مما يحلو لها ويرق في ذوقها ثم يأخذها الجميع عنها حتى صح أن يعتبر لسان قريش هو اللسان العربي العام وبه نزل القرآن على ما سبق بيانه فلا تغفل".⁽⁷⁾

وهذه الهيمنة اللغوية، أصبح لها أثر على اللهجات(اللغات) العربية الأخرى، حيث كانت هذه الأخيرة، تنهل من لغة قريش وكأنها هي الأم، والحضن الذي يحتك به، يقول أحمد محمد الخراط: "على الرغم من أن اللسان العربي تتعدّد لهجاته على نحوٍ واسع. وفي الفترة التي سبقت نزول القرآن كان لهجة قريش السيادة على اللهجات العربية الأخرى في شبه الجزيرة العربية. وقد بلغت قريش هذه المنزلة بعد مراحل عديدة من احتكاك اللهجات العربية بها، وذلك بفضل موقعها الديني؛ فهي المشرفة على خدمة الكعبة المشرفة، ونهفو إليها أفئدة العرب جميعاً، وبفضل النشاط التجاري الذي كانت قريش تعقده في حواضرها، وكانت لهجة القرشية تستقي من لهجات القبائل ما تحتاج إليه من صفوة اللغات، حتى تمّ تكوينها قبيل نزول الوحي".⁽⁸⁾

1 قَالَ أَبُو عبيد: اللخلخانية: العجمة، يُقال: رجل لخلخاني، وأمرأة لخلخانية، إذا كانا لا يفصحان ينظر: تهذيب اللغة (6/305).

2 وكشكشة بكر: لغة لهم يجعلون كاف المخاطبة شينا يقولون: عليش وإيش يريدون عليك وإليك. ينظر: جمهرة اللغة (1/207)

3 عنعنة تميم لأنهم يجعلون الهمة عينا. ينظر: جمهرة اللغة (1/216).

4 العمّعة والتعمّم: كلامٌ غَيْرُ بَيِّنٍ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (3/388).

5 والطمطماني: هو الأعجم الذي لا يفصح وفي لسانه طمطانية. ينظر: تهذيب اللغة (13/209).

6 ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة (2/404)؛ غريب الحديث للخطابي (2/254).

7 مناهل العرفان في علوم القرآن (1/181).

8 عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم ، أ، د، أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. (ص: 45).

وحريّ بنا أن نذكر فصاحة لسان قريش، بين ألسنة العرب، حيث يروي لنا ابن فارس(ت:395هـ) عن إسماعيل بن أبي عبيد الله قوله: " أجمعَ علماءنا بكلام العرب، والرؤاؤه لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحامهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنةً وأصفاهم لغةً".⁽¹⁾ وبذلك نال هذا اللسان أفصح الألسنة وأصفاهها لغةً.

لغة قريش ولغة القرآن⁽²⁾:

لما اختصت قريش بأفصح اللغات، اختارها الله عزّ وجلّ، أن ينزل القرآن بلسانها، وأن يختار النبيّ من قريش، فازداد الشرف إلى الشرف، لكن هل انفراد القرآن الكريم بلغة قريش من بين لغات العرب؟

عقد الإمام الطبري(310) في تفسيره عنوان " الْقَوْلُ فِي اللُّغَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ مِنْ لُغَاتِ الْعَرَبِ " وقال: بِأَيِّ أَلْسِنِ الْعَرَبِ أُنزِلَ؟ أَبِأَلْسِنِ جَمِيعِهَا أَمْ بِأَلْسِنِ بَعْضِهَا؟ إِذْ كَانَتْ الْعَرَبُ، وَإِنْ جَمَعَ جَمِيعَهَا اسْمٌ، أَنَّهُمْ عَرَبٌ، فَهُمْ مُحْتَلِفُو الْأَلْسِنِ بِالْبَيَانِ، مُتَبَايِنُو الْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ. وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّهُ قَدْ جَعَلَ الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا، وَأَنَّهُ أُنزِلَ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، ثُمَّ كَانَ ظَاهِرُهُ مُحْتَمِلًا خُصُوصًا وَعُمُومًا، لَمْ يَكُنْ لَنَا السَّبِيلُ إِلَى الْعِلْمِ بِمَا عَنَى اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ مِنْ خُصُوصِهِ وَعُمُومِهِ، إِلَّا بَيَانٍ مَنْ جُعِلَ إِلَيْهِ بَيَانُ الْقُرْآنِ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَتْ الْأَخْبَارُ قَدْ تَظَاهَرَتْ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".⁽³⁾

ثم أورد مجموع أحاديث ارتبطت بالقراءات واللهجات ارتباطاً وثيقاً، ومن أبرزها قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ». ⁽⁴⁾

ونقل الزركشي (ت: 794هـ) الخلاف في معنى الأحرف السبعة وعلاقتها باللهجات العربية حيث قال: " أَنَّ الْمُرَادَ سَبْعَ لُغَاتٍ لِسَبْعِ قَبَائِلٍ مِنَ الْعَرَبِ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنْ يَكُونَ فِي الْحَرْفِ الْوَاحِدِ

¹ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ص: 28).

² هناك بحث بعنوان " لغة القرآن الكريم، لدكتور: عبد الجليل عبد الرحيم، ط: مكتبة الرسالة الحديثة، ط: الأولى: 1401هـ- 1981م. وقد أطنب فيه عن لغة القرآن الكريم.

³ تفسير الطبري، ت شاكر (1/ 21).

⁴ تفسير الطبري ت شاكر (1/ 26) برقم: 17، وقال المحقق: إسناده ضعيف جدا. والحديث في التفسير من سنن سعيد بن منصور (1/ 159) برقم: 33؛ وفي مسند إسحاق بن راهويه (5/ 193) برقم: 2321.

سَبْعَةٌ أَوْجُهُ هَذَا مَا لَمْ يُسْمَعْ قَطُّ أَي نَزَلَ عَلَى سَبْعِ لُغَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَبَعْضُهُ نَزَلَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ هَذَيْلٍ وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ تَمِيمٍ وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ أَزْدٍ وَرَبِيعَةَ وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ هَوَازِنَ وَسَعْدِ بْنِ بَكْرٍ وَكَذَلِكَ سَائِرُ اللُّغَاتِ وَمَعَانِيهَا فِي هَذَا كُلِّهِ وَاحِدَةٌ وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَبُو عُبَيْدِ الْقَاسِمِ بْنُ سَلَامٍ وَأَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ وَحَكَاةُ ابْنِ دُرَيْدٍ عَنْ أَبِي حَاتِمِ السَّجِسْتَانِيِّ وَحَكَاةُ بَعْضُهُمْ عَنِ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ. وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ فِي التَّهْذِيبِ إِنَّهُ الْمُخْتَارُ وَاخْتَجَّ بِقَوْلِ عُثْمَانَ حِينَ أَمَرَهُمْ بِكُتُبِ الْمَصَاحِفِ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَرَبِّدْ فَارْتَبِطْهُ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ فَإِنَّهُ أَكْثَرُ مَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ.

وَقَالَ أَبُو عَمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي التَّمْهِيدِ قَوْلٌ: مَنْ قَالَ نَزَلَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ مَعْنَاهُ عِنْدِي فِي الْأَغْلَبِ لِأَنَّ لُغَةَ غَيْرِ قُرَيْشٍ مَوْجُودَةٌ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ مِنْ تَحْقِيقِ الْهَمْزَةِ وَنُحُوها وَقُرَيْشٌ لَا تَهْمِزُ وَقَدْ رَوَى الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ صَارَ فِي عَجْزِ هَوَازِنَ مِنْهَا خَمْسَةٌ⁽¹⁾.

ولسنت بصدد الترجيح في مسألة الأحرف السبعة، فالخلاف فيها طويل عريض، حيث قال أبو عبد الله القرطبي (ت: 671هـ): " وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِالْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ عَلَى خَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ قَوْلًا ذَكَرَهَا أَبُو حَاتِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ حَبَّانِ الْبَسْتِيُّ، نَذَرْتُ مِنْهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ خَمْسَةَ أَقْوَالٍ"⁽²⁾. لكن ما يهمننا، وهو العلاقة بين اللهجات والقراءات، وإن كان كثير من العلماء ينجح إلى أن معظم القرآن نزل بلغة قُرَيْشٍ، وانتصر لهذا أبو بكر الباقلائي (ت: 403هـ) في كتابه الانتصار للقرآن حيث قال: " وَأَنَّ الْحِجَّةَ لَمْ تَقُمْ عَلَيْنَا بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَنْزِلَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ فَقَطْ دُونَ جَمِيعِ الْعَرَبِ، وَإِنْ كَانَ مَعْظَمُهُ مَنْزِلًا بِلُغَةِ قُرَيْشٍ"⁽³⁾.

ورجحه أبو عمرو الداني (ت: 444هـ) بقوله: " وَأَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزَلْ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ فَقَطْ دُونَ سَائِرِ الْعَرَبِ وَإِنْ كَانَ مَعْظَمُهُ نَزَلَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ"⁽⁴⁾.

¹ البرهان في علوم القرآن (1/ 217 / 284).

² تفسير القرطبي (1/ 42).

³ الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلائي المالكي (ت: 403هـ)، تحقيق: د.

محمد عصام القضاة، الناشر: دار الفتح - عمّان، دار ابن حزم - بيروت، ط: الأولى 1422 هـ - 2001 م. (1/ 61).

⁴ الأحرف السبعة للقرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: 444هـ)، تعق: د. عبد المهيمن طحان،

الناشر: مكتبة المنارة - مكة المكرمة-، ط: الأولى، 1408هـ. (ص: 61).

لكن هنا لا بد أن نفرق بين بنية الألفاظ، وبين أدائها صوتياً، وهذا أمر مازال جارٍ إلى يومنا هذا، وخاصة في البلد الشاسع، حيث نجد الشعب الواحد يشترك في معظم الكلمات، لكن يختلف في أدائها صوتياً، ولا نستطيع إلزام الشعب الواحد أن يؤديها بشكل واحد، وما هو ابن قتيبة(ت:276هـ) يقرر هذا ويربط اللهجة بالقراءة، بعدما فسّر الأحرف السبعة قال: " أن أمره بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم:

فالهذليّ يقرأ «عتيّ حين» ﴿يريد حتّى حين﴾ [المؤمنون: 54] ، لأنه هكذا يلفظ بها

ويستعملها.

والأسديّ يقرأ: تعلمون وتعلم ﴿وتَسْوُدُ وُجُوهُ﴾ [آل عمران: 106] و ﴿أَمْ أَعْهَدُ إِلَيْكُمْ﴾ [يس: 60] . والتميميّ يهمز. والقرشيّ لا يهمز.

والآخر يقرأ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: 11] ﴿وَعِصَ الْمَاءِ﴾ [هود: 44] بإشمام الضم مع الكسر، ﴿وهذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا﴾ [يوسف: 65] بإشمام الكسر مع الضم ﴿وما لك لا تأمّناً﴾ [يوسف: 11] بإشمام الضم مع الإدغام، وهذا ما لا يطوع به كل لسان.

ولو أن كل فريق من هؤلاء، أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً- لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة. فأراد الله، برحمته ولطفه، أن يجعل لهم متّسعا في اللغات، ومتصرّفاً في الحركات، كتيسيره عليهم في الدين".⁽¹⁾

ويري إبراهيم أنيس(ت:1977م) أن المحدثين يقسمون العادات الكلامية إلى ثلاثة فروع:"

- ما يتعلق بالأصوات وطبيعتها، وكيفية صدورها. (Phonetics)

- و ما يتعلق ببنية الكلمة ونسجها. (Morphology)

- و ما يتعلق بتركيب الجمل. (Syntax)

فالصفات التي تتميز بها كل لغة تتألف من هذه العناصر اللغوية الثلاثة والبحث في عادات كل لغة يعرض إلى كل منها، وهناك فرع رابع يعرض له الباحث في اللغات، وهو معاني الكلمات، ودلالاتها (Semantics). والبحث في هذا لا يقل أهمية عن البحث في العناصر الأخرى".⁽²⁾

¹ تأويل مشكل القرآن (ص: 32).

² اللّجات العربية ، د. إبراهيم أنيس. (ص 13).

ثم أجدني أميل إلى القول أن لغة قريش تأثرت بلغات العرب، من حيث أنها اختارت صفوتها، ثم أصبحت لها الريادة والهيمنة، من خلال بنية ألفاظها، ولا يمنع هذا أن تعود بعض ألفاظها إلى لغات أخرى، وتصبح من قبيل المشترك بين اللهجات أو المترادف اللغوي، لكن لا أزمع أن القرآن انفرد بأدائه من جهة الصوت للغة قريش، وإن نزل أصالةً به، لكن رحمة الله واسعة، ونبينا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رؤوف بأمته حيث جاء الخبر عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ عِنْدَ أَصَاةِ بَنِي غِفَارٍ، قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتِكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتِكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ»، فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّلَاثَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتِكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ، فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتِكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا». (1)

وفي الحديث إشارة لم أجد - في حدود علمي - من تناولها بالشرح من علماء الحديث، وفيها دلالة، وهي قول أَبِي بِنِ كَعْبٍ " أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ عِنْدَ أَصَاةِ بَنِي غِفَارٍ " وبنو غفار (2) هؤلاء بطن من بطون كنانة، وهم من فصحاء العرب، لكنهم اختصوا في لهجتهم ببعض الخصوصيات، خاصة في أداء الكلمات، ولهذا قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لجبريل «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ» إشارة منه لما اختصت به بنو غفار (3) وغيرها من القبائل.

قال أحمد محمد الخراط: " وقد اشتملت لهجة قريش على خصائص كثيرة من لهجات القبائل الأخرى؛ إذ استوعبت صفوة العناصر الحميدة لهذه اللهجات. فإذا قلنا: إن القرآن نزل بلغة قريش فليس معنى هذا أننا نَعْضُّ الطرف عن تأثير اللغات الأخرى في مفردات القرآن ونسيجه الصوتي، وإنما نقصد أن لغة قريش هي اللغة النموذجية العالية التي تَكُونَتْ عبر مراحل عديدة، واشتملت على

¹ صحيح مسلم (562 / 1) برقم: 821.

² غِفَارُ بْنُ مُثَلِّيلٍ: بطن من كنانة، من العدنانية، وهم: بنو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمه بن مدركة (عمرو) بن الياس بن مضر بن بزار بن معد بن عدنان. كانوا حول مكة ومن مياهم: بدر. ومن أوديتهم: ودان. ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة دمشق ي (ت: 1408هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: السابعة: 1414 هـ - 1994 م. (3/ 890).

³ ولي د. ميساء صائب رافع عبود مقالة في مجلة الأستاذ بعنوان " لهجة قبيلة كنانة - دراسة لغوية - " العدد (203) لسنة 1433هـ - 2012م. (ص 159-182).

خصائص لهجات العرب الأخرى ... ولو كانت لهجة قريش مقصورةً عليها غير معهودة عند العرب لما استطاعت هذه القبائل أن تحقّق الانتفاع بالقرآن الكريم والتعامل معه لأنه بلهجة غير لهجتها، وبذلك صار تحدّي القرآن للعرب جميعاً يقوم بغرضه الذي سيّق من أجله، فهو معجزٌ بالإضافة إلى قبائلهم كلها، ولو كان التحدي مُوجَّهاً إلى قبيلة قريش وحدها لقليل: إن القرآن جاء بما لا قدرةً للعرب على جنسه".⁽¹⁾

وفي الحقيقة موضوع اللّهجات وعلاقتها بالقراءات من المواضيع المتميزة في الدرس اللغوي، وقد قام جُلّة من الباحثين بدراساتها ومن أهمها ما يلي:

- القراءات واللهجات: عبد الوهاب حمودة.⁽²⁾
- المقتبس من اللهجات العربية و القرآنية: محمد سالم محيسن (ت: 1422هـ).⁽³⁾
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية: عبده علي إبراهيم الراجحي (ت: 1431).⁽⁴⁾
- اللهجات العربية والقراءات القرآنية: محمد خان.⁽⁵⁾
- معجم الفصح من اللهجات العربية وما وافق منها القراءات القرآنية: محمد أديب عبد الواحد جمران.⁽⁶⁾
- القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث: عبد الغفار حامد هلال.⁽⁷⁾
- دور اللهجة في توجيه القراءات القرآنية عند أبي حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط، إعداد: جزاء محمد حسن المصاورة.⁽⁸⁾
- الإمالة في القراءات واللهجات العربية، عبد الفتاح إسماعيل شليبي.⁽⁹⁾

¹ ينظر: عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم - أحمد محمد الخراط (ص: 46).

² نشرته: مكتبة النهضة المصرية، سنة النشر: 1948م.

³ نشرته: مؤسسة شباب الجامعة، ط: 1986م.

⁴ طبعته: دار المعرفة الجامعية، ط: 1996م.

⁵ طبعته: دار الفجر للنشر والتوزيع-القاهرة-مصر، ط: الأولى: 2002م.

⁶ نشرته: مكتبة العبيكان-الرياض-، ط: الأولى: 1421هـ-2000م.

⁷ طبعته: دار الفكر العربي-مصر-، ط: الثالثة: 1426هـ-2005م.

⁸ . عبارة عن رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية، 1997م.

⁹ نشرته : دار ومكتبة الهلال-بيروت-، دار الشروق-جدة-، ط: الأولى: 1429-2008م. والبحث أصله رسالة ماجستير.

ويجدر بنا في هذا المقام أن أشير إلى الجوانب المشتركة بين اللهجات العربية والقراءات، وخاصة المتواترة منها، حيث نجد من ربط هذه العلاقة في أربعة أقسام؛ يقول محمد سالم محيسن (ت: 1422هـ) مبيّناً هذه الأقسام: "وبالتتبع والاستقراء والبحث والنظر في القراءات العشر المتواترة استخلصت منها القراءات المشتملة على لهجات العرب المختلفة، وقد صنفتها أربعة أقسام:

الأول: لهجات قرآنية يرجع الاختلاف فيها إلى أصل الاشتقاق.

الثاني: لهجات قرآنية يرجع الاختلاف فيها إلى الجانب الصرفي.

الثالث: لهجات قرآنية يرجع الاختلاف فيها إلى الناحية الصوتية.

الرابع: لهجات قرآنية على المستوى الدلالي".⁽¹⁾

لهجات العرب وأهمية معرفتها:

ذكر السُّيُوطِي (911هـ) في إتقانه نقلا عن أَبِي بَكْرٍ الْوَأَسِطِيِّ⁽²⁾ فِي كِتَابِهِ: الْإِرْشَادُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ: " فِي الْقُرْآنِ مِنَ اللُّغَاتِ حَمْسُونَ لُغَةً: لُغَةُ قُرَيْشٍ وَهُذَيْلٍ وَكِنَانَةَ وَخَثْعَمَ وَالْحَزْرَجَ وَأَشْعَرَ وَتَمِيمَ وَقَيْسَ وَعِيلَانَ وَجَرَهْمَ وَالْيَمَنَ وَأَزْدَ شَنْوَةَ وَكِنْدَةَ وَتَمِيمَ وَحَمِيرَ وَمَدْيَنَ وَحَنَمَ وَسَعْدَ الْعَشِيرَةَ وَحَضْرَمَوْتَ وَسَدُوسَ وَالْعَمَالِقَةَ وَأَثَمَارَ وَعَسَنَانَ وَمَذْحِجَ وَخُزَاعَةَ وَعَطْفَانَ وَسَبَأَ وَعَمَانَ وَبَنُو حَنِيفَةَ وَتُعَلْبَةَ وَطَيْيَ وَعَامِرَ بْنِ صَعْصَعَةَ وَأَوْسَ وَمُرَيْنَةَ وَتَقِيفَ وَجُدَامَ وَبَلِيَّ وَعُدْرَةَ وَهَوَازِنَ وَالنَّمِرَ وَالْيَمَامَةَ".⁽³⁾

أما عن أهمية معرفة لهجات العرب وخاصة في باب تفسير القرآن الكريم، فقد نسب لمجاهد قوله: " لَا يَجِلُّ لِأَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِاللُّغَاتِ الْعَرَبِ".⁽⁴⁾

بل عدده السُّيُوطِي (911 هـ) وجهاً من وجوه الإعجاز فقال: "الوجه الثالث عشر: من وجوه إعجازه احتواؤه على جميع لغات العرب".⁽⁵⁾

¹ المقتبس من اللهجات العربية و القرآنية: محمد سالم محيسن (ت: 1422هـ)، نشرته: مؤسسة شباب الجامعة، ط: 1986م. (ص68).

² لعله عبد الله بن منصور بن عمران بن ربيعة المعروف بابن الباقلاني أبو بكر الواسطي شيخ القراء ومسندهم بواسطة. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء (1/ 460) برقم: 1917.

³ الإتقان في علوم القرآن (2/ 122).

⁴ البرهان في علوم القرآن (1/ 292).

⁵ معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، ط: الأولى: 1408 هـ - 1988 م. (1/ 147).

ملاحح دلالية في لغات القرآن من تفسير ابن عباس وأثرها في الدرس اللغوي:

لقد نُسب لابن عباس رسالة بعنوان " لغات القرآن " رواها عنه أبو أحمد السامري عبد الله بن الحسين بن حَسْنُون، (ت: 386هـ) ذكرها كل من صاحب الأعلام⁽¹⁾ وعمر بن رضا كحالة (ت: 1408هـ) في معجمه⁽²⁾ وصاحب معجم مصنفات القرآن الكريم⁽³⁾؛ والكتاب مطبوع، نشره صلاح الدين المنجد، طبع في القاهرة: 1946م؛ ثم طبعته دار الكتاب الجديد: 1972م؛ أما عن النسخة المخطوط منه، فهي في فهرس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية⁽⁴⁾ برقم: 1064.

أما الرسالة الثانية بعنوان " لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم " رواها عن ابن عباس بسنده أبو عُبيد القاسم بن سلام البغدادي (ت: 224هـ) وفي نسبتها شك؛ أوردها يوسف سركيس (ت: 1351هـ) في معجم المطبوعات حيث قال: " يظن أنها لأبي عبيد بن سلام طبعت بهامش كتاب التيسير في علوم التفسير للديريني ابن سلام " عبد الرحمن " البيروتي " .⁽⁵⁾ وهي أيضا مطبوعة بهامش تفسير الجلابين، طبعته دار إحياء الكتب العربية.

وبالنظر إلى الرسالتين، نكاد نجزم أنهما متطابقتان، وهذا يوحي في الشك في أحدهما، على أقل تقدير؛ ويذهب بعض الباحثين إلى صحة رسالة أبي عُبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ)⁽⁶⁾ بحجة أنه تقدم في الوفاة عن عبد الله بن الحسين بن حسنون (ت: 386هـ)، وهذا مستبعد. ثم وحت محقق كتاب المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، التهامي الراجي الهاشمي يقول: " واعتقد أن كتاب " اللغات في القرآن الكريم " الذي يعزي عادة، إلى ابن عباس كما سبق أن ذكرت،

¹ الأعلام للزركلي (4/ 79).

² معجم المؤلفين (6/ 45).

³ معجم مصنفات القرآن الكريم، الدكتور علي شواخ اسحاق، منشورات: دار الرفاعي-الرياض-ط الأولى: 1404هـ-1984م. (ج 4 ص 184) برقم: 3089.

⁴ فهرس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية، صلاح محمد الخيمي، الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق، عام النشر: 1403 هـ - 1983 م. (2/ 266) برقم: 1064.

⁵ معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إيلان بن موسى سركيس (ت: 1351هـ)، الناشر: مطبعة سركيس - بمصر -، ط: 1346 هـ - 1928 م. (1/ 121).

⁶ ويرى الأستاذ: د. عبده الراجحي، أنهما كتابين مستقلين؛ ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية. (ص 53).

سواء في صورته القديمة التي رتبت أيام إسماعيل بن عمرو العواد المصري (249هـ)، أو تلك التي رواها، في وقت لاحق، شرف الدين أبو الحسن علي بن المهضّل المقدسي، هو من تأليف مغمور يسمى أبا القاسم بن سلام.

وأحب أن أشير إلى أنه لا توجد أية علاقة بين هذا الرجل المغمور وبين العالم اللغوي المشهور أبو عبيد القاسم بن سلام... ولا يستبعد، كما رأى كثير من الباحثين قبلنا أن تكون رسالة ابن عباس هذه التي تنسب خطأ الآن، إلى أبي القاسم بن سلام⁽¹⁾.

وهذا الكلام يكاد يكون صحيحا، لو أن المحقق أبان لنا عن الرجل المغمور، ثم وجدت ما يدعّم عدم صحة الكتاب لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ)؛ يقول محمد حسين آل ياسين حيث قال: "ويجدر بنا أخيرا إلى أن الدكتور حسين نصار قد كشف الوهم في نسبة هذا الكتاب إلى أبي عبيد القاسم بن سلام حين نشر على هامش تفسير الجلالين... وهذه الرسالة المنشورة على هذا الهامش هي كتاب "اللغات في القرآن" لابن عباس، زيد عليها وهذب فيها في القرنين الخامس والسادس على يد متأخرين يتصلون سندا برواة النسخة التي حققها المنجد"⁽²⁾.

لكن مع صحة الكتاب إلى عبد الله بن الحسين بن حسنون (ت: 386هـ) فأنا في شك من صحة نسبته رواية إلى ابن عباس كاملاً، وذلك أن معظم مادة الكتاب لا نجدتها في كثير من مصادر التفسير واللغة والحديث والتي اهتمت بنقل ما ورد عن ابن عباس، ولو بسند ضعيف، على غرار ما رأيناه في مسائل نافع ابن الأزرق، فقد روى منها علماء الحديث، وأوردها علماء التفسير، واستشهد بها علماء اللغة على سواء، ثم أثبتت في كتب علوم القرآن، ولهذا الأمر ارتأيت أن أذكر في المجال التطبيقي للغات العرب من تفسير ابن عباس ما ورد عن علماء التفسير والحديث واللغة، ولا أجعل كتاب "لغات القرآن" هو الأصل إلا عند المقارنة.

كما أنه لا يعني أن ابن عباس لم يكن السبّاق في هذا العلم كعادته، بل نعتبره مؤسس هذا العلم، يقول محمد حسين آل ياسين: "كان من مظاهر عناية الدارسين بالقرآن عنايتهم بلغاته، وهي

¹ مقدمة المحقق المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقق: التهامي الراجي الهاشمي، مطبعة فضالة - بإشراف صندوق إحياء التراث الإسلامي، المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة. (ص4).

² الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، محمد حسين آل ياسين، منشورات: دار مكتبة الحياة، ط الأولى: 1400هـ-1980م. (ص169)

عناية قديمة مبكرة، إذ ظهرت أولى مؤلفاتهم في ذلك على يد ابن عباس... والكتاب يشعر أن ابن عباس لم يكن المؤلف له على الشكل الذي وصلت إلينا صورته... وما ابن عباس إلا صاحب هذه المادة المهمة".⁽¹⁾

وجدير بالذكر أن كتب لغات القرآن، ومنها الكتاب المنسوب لابن عباس لا تختص بذكر لغات العرب بل تعدتها للعجم، مما تعرّب أو اشتركت فيه اللغتان، (وسأرجى الكلام عنه بعد هذا المبحث)، ومن تأثر من أهل اللغة بمادة ابن عباس، وكتب فيه مصنفاً:

يونس بن حبيب (182هـ)⁽²⁾ والفراء (207هـ) واهيثم بن عدي (207هـ) و أبو زيد الأنصاري (210هـ) والأصمعي (231هـ) وابن دريد الأزدي (321هـ)⁽³⁾؛ لكن لم يصلنا أي مصدر من هذه المصادر.

وكتب أيضاً، أبو جعفر محمد بن أحمد البيهقي ويعرف ببو جعفر (544هـ) في كتاب المحيط بلغات القرآن.⁽⁴⁾ وغيره إلى يومنا هذا.

ملامح اللهجات القرآنية عند ابن عباس من الناحية الدلالية وأثرها في الدرس اللغوي:

قد أدرك ابن عباس أهمية لغات العرب في تفسير القرآن الكريم، كما أن الأمر كان معلوماً عند الصحابة - رضي الله عنهم -، فهذا عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرِجًا﴾ [الأنعام: 125] بنصب الراء. قال: وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (ضَيْقًا حَرِجًا). قال صفوان: فقال عمر: ابغوني رجلاً من كنانة واجعلوه راعياً، وليكن مُدْجِيًّا.⁽⁵⁾ قال: فأتوه به. فقال له عمر: يا فتى، ما الحرجة؟ قال: "الحرجة" فينا، الشجرة

¹ الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، محمد حسين آل ياسين (ص167).

² نسبه له الزركلي في الأعلام (8/261).

³ ينظر: الفهرست (ص: 54) تحت "الكتب المؤلفة في لغات القرآن". ينظر أيضاً: معجم المعاجم، (ص16).

⁴ ينظر: تاريخ بيهق (ص: 316)، ومعجم الأدباء (1/398)، والأعلام للزركلي (1/173). والكتاب طبع بتحقيق حسين

شفيعي فريديني، طبع ضمن مجموعة ميراث إسلامي إيران، قم، 1416 هـ.

⁵ مُدْجِي بن مُرَّة: بطن من كنانة، من العدنانية.

تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعيةٌ ولا وحشيةٌ ولا شيء. قال: فقال عمر: كذلك قلبُ المنافق لا يصل إليه شيء من الخير.⁽¹⁾

فدلالة المعنى أخذه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- من راعي لا معرفة له بالعلم، إلاّ بلهجته ومعناها، وهكذا استفاد ابن عباس من هذا المنهج في تفسيره ووردت عنه تفسيرات رجع فيها إلى لهجات العرب، ومنها ما يأتي:

1. قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الرعد: 31].

ورد في مسائل نافع بن الأزرق ، قول ابن الأزرق لابن عباس: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الرعد: 31]. قَالَ: أفلم يعلم بلغة بني مالك⁽²⁾.
قَالَ: وهل تعرف العرب ذلك قَالَ: نعم.
أما سمعت مالك بن عوف⁽³⁾ يقول:

لَقَدْ يَيْسُ الْأَقْوَامُ أَيُّ أَنَا ابْنُهُ ***** وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ الْعَشِيرَةِ نَائِبًا⁽⁴⁾.

وعن أبي صالح في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الرعد: 31]. قَالَ: أَفَلَمْ يَعْلَمُوا بِلُغَةِ هَوَازِنَ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ(207): قَالَ الْكَلْبِيُّ: بِلُغَةِ النَّحَعِ⁽⁵⁾.

وأورد الإمام الطبري (310) المسألة في تفسيره دون بيان عزو اللهجة لابن عباس، وعزاها لغيره، أم التفسير فعزاه لابن عباس، حيث قال: " اِخْتَلَفَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ:

¹ تفسير الطبري جامع البيان ت شاكر (104/12).

² و بني مالك نسبة إلى قبيلته، مالك بن عوف.

³ مالك بن عوف هو الصحابي: بن سعد بن يربوع بن وائلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، أبو علي النصري ، كان رئيس المشركين يوم حنين، ثم أسلم، وكان من المؤلفات، وصحب ثم شهد القادسية وفتح دمشق. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (5/ 550) برقم: 7689.

⁴ ينظر: مسائل نافع بن الأزرق (غريب القرآن في شعر العرب) (ص: 37)؛ وأوردها السيوطي(911) في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (4/ 654)، وفي الإتيقان في علوم القرآن (2/ 70).

⁵ الإتيقان في علوم القرآن (2/ 107).

: ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ﴾ [الرعد: 31]. فَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَزْعُمُ أَنَّ مَعْنَاهُ: أَلَمْ يَعْلَمْ وَيَتَّبِعِينَ، وَيَسْتَشْهَدُ لِقَبِيلِهِ ذَلِكَ بِنَيْتِ سُحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الرَّيَّاحِيِّ (ت: 60هـ) (1).

أَقُولُ لَهُمْ بِالشَّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونِي
بِقَوْلِهِ: أَلَمْ تَيَّأَسُوا: أَلَمْ تَعْلَمُوا وَأَنْشَدُوا أَيْضًا فِي ذَلِكَ:

أَلَمْ يَيْئَسِ الْأَقْوَامُ أَلِيَّ أَنَا ابْنُهُ
وَأِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ الْعَشِيرَةِ نَائِيًا (3).

وَفَسَّرُوا قَوْلَهُ: ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ﴾ [الرعد: 31]: أَلَمْ يَعْلَمْ وَيَتَّبِعِينَ، وَذَكَرَ عَنِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ أَنَّ ذَلِكَ لُغَةٌ لِحِيٍّ مِنَ النَّخَعِ، يُقَالُ لَهُمْ وَهَيْبِلٌ، تَقُولُ: أَلَمْ تَيَّأَسْ كَذَا بِمَعْنَى: أَلَمْ تَعْلَمْهُ، وَذَكَرَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مَعْنٍ أَنَّهَا لُغَةٌ هَوَازِنَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: يَيْسْتُ كَذَا: عَلِمْتُ. وَأَمَّا بَعْضُ الْكُوفِيِّينَ فَكَانَ يُنَكِّرُ ذَلِكَ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُ: يَيْسْتُ؛ بِمَعْنَى: عَلِمْتُ. (4)

ثم أورد الرواية التفسيرية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ﴾ [الرعد: 31]. يَقُولُ: أَفَلَمْ يَتَّبِعِينَ " وَفِي رِوَايَةٍ يَقُولُ: يَعْلَمُ " (5).

وَرَجَّحَ فِي الْأَخِيرِ أَبُو جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ (310) قَوْلَ مَنْ قَالَ: ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ﴾: أَفَلَمْ يَتَّبِعِينَ " أَوْ يَعْلَمُ وَقَالَ: " وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ مَا قَالَهُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: إِنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ: أَفَلَمْ يَتَّبِعِينَ وَيَعْلَمُ لِاجْتِمَاعِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَى ذَلِكَ، وَالْأَبْيَاتِ الَّتِي أَنْشَدْنَاهَا فِيهِ " (6).

أما قوله: " وَأَمَّا بَعْضُ الْكُوفِيِّينَ فَكَانَ يُنَكِّرُ ذَلِكَ " يقصد بذلك الْفَرَاءُ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ أَيْضًا أَبُو حَيَّانِ الْأَنْدَلِسِيُّ (ت: 745هـ) فِي تَفْسِيرِهِ بِقَوْلِهِ: " وَأَنْكَرَ الْفَرَاءُ أَنَّ يَكُونُ يَيْسَ بِمَعْنَى عَلِمَ، وَزَعَمَ أَنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُ: يَيْسْتُ بِمَعْنَى عَلِمْتُ أَنْتَهَى. وَقَدْ حَفِظَ ذَلِكَ غَيْرُهُ، وَهَذَا الْقَاسِمُ بْنُ

¹ سحيم بن وثيل هو: سحيم بن وثيل بن عمرو، الرياحي اليربوعي الحنظلي التميمي: شاعر مخضرم، عاش في الجاهلية والإسلام، وناهر عمره المئة. كان شريفًا في قومه، نابه الذكر. له أخبار مع زياد بن أبيه ومفاخرة مع غالب بن صعصعة والذفرزدق. قال ابن دريد: عاش أربعين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام. ينظر: الأعلام للزركلي (3/ 79).

² البيت أوردته أبو عبيدة في مجاز القرآن (1/ 332)؛ وابن قتيبة في الجرائيم (1/ 376)؛ و الهنائي الأزدي في المنجد في اللغة (ص: 361)؛ وأبو إبراهيم الفارابي في معجم ديوان الأدب (3/ 258)م، وغيرهم.

³ والبيت أورد الخليل في كتاب العين (7/ 331)؛ والزحشري في أساس البلاغة (2/ 386).

⁴ تفسير الطبري ت شاكر (16/ 450/ 451).

⁵ تفسير الطبري ت شاكر (16/ 453).

⁶ نفس المصدر: تفسير الطبري (16/ 455).

مَعْنٍ مِنْ ثِقَاةِ الْكُوفِيِّينَ وَأَجْلَائِهِمْ نَقَلَ أَنَّهَا لُغَةٌ هَوَازِنَ، وَابْنُ الْكَلْبِيِّ نَقَلَ أَنَّهَا لُغَةٌ لِحِيِّ مِنَ النَّخَعِ،
وَمَنْ حَفِظَ حُجَّةً عَلَى مَنْ لَمْ يَحْفَظْ".⁽¹⁾

أقوال أهل اللغة:

لقد أثبت الخليل (170) في معجمه صحة معنى يئس بمعنى علم حيث قال: " قد يئست أنك رجل صدق، أي: علمت. قال جلّ وعز: ﴿ أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الرعد: 31]، وقال الشاعر:

ألم يئأس الأقبوام أنني أنا ابنه ***** وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ الْعَشِيرَةِ نَائِيًا " .⁽²⁾

أما الفراء، أنكر أن تكون يئس بمعنى علم في لغة للعرب، وأول قول المفسرين بقوله: " قَالَ الْمَفْسُورُونَ: يَيْئَسُ: يَعْلَمُ. وَهُوَ فِي الْمَعْنَى عَلَى تَفْسِيرِهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْقَعَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا فَقَالَ: أَفَلَمْ يَيْئَسُوا عِلْمًا. يَقُولُ: يُؤَيِّسُهُمُ الْعِلْمَ، فَكَانَ فِيهِمُ الْعِلْمُ مُضْمَرًا".⁽³⁾
وقد سلف رد العلماء على هذا؛ أما أبا عبيدة (209) قال مجازة: " ألم يعلم ويتبين، قال سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلٍ الْيَرْبُوعِيُّ:

أقول لهم بالشعب إذ يأسروني ***** أَلَمْ تَيْئَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسٍ زَهْدَمَ " .⁽⁴⁾

وأثبت ابن قتيبة (276هـ) أنها لغة للنخع فقال: " ﴿ أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي أفلم يعلم. ويقال: هي لغة للنخع".⁽⁵⁾

وقال في تأويل مشكل القرآن: "(يئست) بمعنى: (علمت) من قول الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [الرعد: 31] ، لأنّ في علمك الشيء وتيقنك له يأسك من غيره".⁽⁶⁾

¹ البحر المحيط في التفسير (6/ 389).

² ينظر: العين (7/ 331).

³ معاني القرآن للفراء (2/ 63).

⁴ مجاز القرآن (1/ 332).

⁵ غريب القرآن لابن قتيبة ت أحمد صقر (ص: 227).

⁶ تأويل مشكل القرآن (ص: 121).

أما ابن فارس (395هـ) فأرجع أصل معنى يئس إلى معنيين، فقال: "الياءُ وَالهُمَزَةُ وَالسَّيْنُ. كَلِمَتَانِ: إِحْدَاهُمَا الْيَأْسُ: فَطَعُ الرَّجَاءِ. وَيُقَالُ إِنَّهُ لَيْسَتْ يَاءٌ فِي صَدْرِ كَلِمَةٍ بَعْدَهَا هَمْزَةٌ إِلَّا هَذِهِ. يُقَالُ مِنْهُ: يَيْسَ يَيْئَسُ وَيَيْئُسُ، عَلَى يَفْعَلٍ وَيَفْعِلٍ.

وَالكَلِمَةُ الْأُخْرَى: أَلَمْ تَيْئَسْ، أَيَّ أَلَمْ تَعْلَمْ. وَقَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الرعد: 31]، أَيَّ أَفَلَمْ يَعْلَمْ. وَأَنْشَدُوا:

أَقُولُ لَهُمْ بِالشَّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونِي ***** أَلَمْ تَيْئَسُوا أَيُّ ابْنِ فَارِسٍ زَهْدِمَ " (1).

وقال ابن سيده (ت: 458): "قال القاسم بن معن يئست بمعنى علمت لغة هوازن وقال الكسائي هي لغة وهبيل حي من النخع وهم زهط شريك قال غيرهما وفي التنزيل ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الرعد: 31]، أَي أَفَلَمْ يَعْلَمُوا" (2).

وقال نشوان الحميري (ت: 573 هـ): "وقيل: معنى يئس أي يتبين، بلغة جرهم، وعن ابن عباس والحسن (يئس) بمعنى يعلم، ومنه قول الشاعر:

أَلَمْ يَيْئَسِ الْأَقْوَامُ أَيُّ أَنَا ابْنُهُ ***** وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ الْعَشِيرَةِ نَائِيًا (3).

وجاء في القراءات الشاذة عن ابن عباس، قراءة (أفلم يتبين) ونسبت أيضاً لعلي بن أبي

طالب-رضي الله عنه-وجعفر بن محمد وابن مسعود (4)

قال ابن جني (392هـ): "ومن ذلك قراءة علي -عليه السلام- وابن عباس وابن أبي مليكة وعكرمة والجحدري وعلي بن حسين وزيد بن علي وجعفر بن محمد وأبي يزيد المدني وعلي بن بديمة وعبد الله بن يزيد: ﴿أَفَلَمْ يَتَّبِعِينَ الَّذِينَ﴾. ثم قال: "هذه القراءة فيها تفسير معنى قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وروينا عن ابن عباس أنها لغة وهبيل: فخذ من النَّخَعِ (5).

فلاحظ من خلال هذه الأمثلة، كيف انتهج علماء اللغة بيان اللفظة مستدلين بالشعر، ومنتهجين طريقة ابن عباس في الاستدلال على لغة القبيلة، مع نص بعضهم النقل والاستدلال عنه مباشرة-رضي الله عنه-.

¹ مقاييس اللغة (6/ 153).

² المحكم والمحيط الأعظم (8/ 632).

³ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (11/ 7391).

⁴ ينظر: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، (68).

⁵ المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (1/ 357).

2. قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78].

أسند الطبري (310) بسنده عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يُسْأَلُ عَنْ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]. قَالَ: " مَا هَا هُنَا مِنْ هُدَيْلٍ أَحَدٌ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: نَعَمْ قَالَ: مَا تَعُدُّونَ الْحَرْجَةَ فِيكُمْ؟ قَالَ: الشَّيْءُ الضَّيِّقُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَهُوَ كَذَلِكَ ".⁽¹⁾

قول أهل اللغة:

قال الخليل (ت: 170هـ): " حرج: الحرج: المأثم. والحارج: الأثم، ورجلٌ حرجٌ وحرجٌ ، في معنى الضيِّقِ الصِّدْرِ، قال الراجز: لا حرجُ الصِّدْرِ، ولا عنيفٌ.

ويقراً ﴿يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرْجًا﴾ [الأنعام: 125] وحرجاً. وقد حرج صدره: أي ضاق ولا ينشرج لخير ورجلٌ متحرِّجٌ: كافٌ عن الإثم. والحرجة من الشجر: الملتف⁽²⁾.
وعن الأصمعيّ قَالَ: " الحرج: الشجر الملتف الواحدة حرجة ".⁽³⁾

وأسند أبو محمد السرقسطي (ت: 302هـ)⁽⁴⁾: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ، أَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فِي نَاسٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي لَيْثٍ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الْحَرْجِ، فَقَالَ: " أَلَسْتُمْ الْعَرَبَ ؟ فَسَأَلُوهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: أَلَسْتُمْ الْعَرَبَ ؟ ثُمَّ قَالَ: " ادْعُوا لِي رَجُلًا مِنْ هُدَيْلٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا الْحَرْجُ فِيكُمْ؟ قَالَ: الْحَرْجَةُ مِنَ الشَّجَرِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مَخْرَجٌ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا الْحَرْجُ، الْحَرْجُ: الَّذِي لَا مَخْرَجَ لَهُ ".⁽⁵⁾

قال ابن دُرَيْدٍ الأزدِي (ت: 321هـ): " والحرج: الضيِّق. وَمَكَانٌ حَرَجٌ وَحَرِيحٌ: ضَيْقٌ. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿ضَيْقًا حَرْجًا﴾. وَمَنْ ذَلِكَ أَخَذَ الْحَرْجَ فِي الدِّينِ ".⁽⁶⁾

¹ تفسير الطبري ت شاكر (689 / 18). الدر المنثور في التفسير بالمأثور (6 / 79).

² ينظر: العين (3 / 76) - بتصرف -

³ ينظر: غريب الحديث لإبراهيم الحربي (1 / 240).

⁴ السرقسطي هو: قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، أبو محمد: عالم بالحديث واللغة. رحل مع أبيه من سرقسطة إلى مصر ومكة. ويقال: إنهما أول من أدخل كتاب " العين " إلى الأندلس. وأريد صاحب الترجمة على القضاء بسرقسطة فامتنع، وتوفي فيها، له " الدلائل على معاني الحديث بالشاهد والمثل. ينظر: الأعلام للزركلي (5 / 174).

⁵ الدلائل في غريب الحديث، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، أبو محمد (ت: 302هـ)، تحقيق: د. محمد بن عبد الله القنص، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، ط: الأولى: 1422 هـ - 2001 م. (3 / 1034).

⁶ جمهرة اللغة (1 / 436).

3. قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [الصفات: 125].

ورد عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ أَبْصَرَ رَجُلًا يَسُوقُ بَقْرَةً، فَقَالَ: "مَنْ بَعْل هَذِهِ؟ فَدَعَاهُ فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ. فَقَالَ: هِيَ لُغَةٌ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ أَي رِبًّا".⁽¹⁾
وممن قال أن البعل هو الرب بلغة اليمن، عِكْرِمَةَ حيث قال في قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ يقول: "أتدعون ربا، وهي لغة أهل اليمن، تقول: من بعل هذا الثور: أي من ربُّه؟".⁽²⁾
وقال قتادة: "هذه لغة باليمانية: أتدعون ربا دون الله".⁽³⁾

ونقل الماوردي(ت:450هـ): "فيه ثلاثة أوجه: أحدها: يعني رِبًّا، قاله عكرمة ومجاهد. قال مقاتل هي لغة أزد شنوءة، وسمع ابن عباس رجلاً من أهل اليمن يسوم ناقة بمنى فقال: من بعل هذه أي ربها. الثاني: أنه صنم يقال له بعل كانوا يعبدونه وبه سميت بعلك، قاله الضحاک وابن زيد وقال مقاتل: كسره إلياس وذهب؛ والثالث: أنه اسم امرأة كانوا يعبدونها، قاله ابن شجرة".⁽⁴⁾
وورد في كتاب اللغات لابن حسنون(ت: 386هـ): "﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ يعني رِبًّا بلغة حمير".⁽⁵⁾
حمير".⁽⁵⁾

أقوال أهل اللغة: لقد اتفق أهل اللغة في تفسير لفظ البعل في الآية الكريمة، مع أهل

التفسير، لكن لم أجد من أسند أنها، لغة لليمن أو لغيرهم، ولعلمهم أثبتوا ذلك في كتبهم الخاصة بلغات القرآن والعرب، والتي لم يصلنا منها شيء -والله أعلم-.

قال الخليل(ت: 170هـ): "والبعل: صنم كان لقوم إلياس. قال الله عز وجل: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾".⁽⁶⁾

قال الأزهرى(370هـ): " وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (124) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [الصفات: 124، 125] قيل: إن بعلًا كَانَ صَنَمًا مِنْ ذَهَبٍ يَعْبُدُونَهُ.

¹ تفسير ابن أبي حاتم - محققا (10/ 3225) برقم: 18249؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور (7/ 119).

² ينظر: تفسير الطبري ت شاكر (21/ 96).

³ نفس المرجع (21/ 96).

⁴ تفسير الماوردي النكت والعيون (5/ 64).

⁵ اللغات في القرآن (ص: 42).

⁶ ينظر: العين (2/ 150)؛ والمنجد في اللغة (ص: 142).

وقيل: أَدْعُونَ بَعْلًا أَي رَبًّا، يُقَالُ: أَنَا بَعْلُ هَذَا الشَّيْءِ أَي رَبُّهُ وَمَالِكُهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَدْعُونَ رَبًّا سِوَى اللَّهِ. وَذَكَرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ ضَالَّةً أُنْشِدَتْ، فَجَاءَ صَاحِبُهَا، فَقَالَ: أَنَا بَعْلُهَا يُرِيدُ أَنَا رَبُّهَا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أَي رَبًّا⁽¹⁾.

قال نَشْوَانُ الحِمَيْرِيُّ (ت: 573هـ): "والبعل: الربُّ، يقال: فلان بعل هذه الدار: أي ربُّها. والبعل: صنم كان لقوم إيلياس في قوله: ﴿أَدْعُونَ بَعْلًا﴾، وقيل: معناه: أَدْعُونَ رَبًّا مَعْبُودًا"⁽²⁾.

4. قوله تعالى: ﴿وَوَدَّعْتُمْ ظَنِّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: 12].

ورد في مسائل نافع بن الأزرق، قول ابن بن الأزرق لابن عباس: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾. قال: قال: هَلَكِيَ بِلُغَةِ عُمَانَ وَهُمْ مِنَ الْيَمَنِ قَالَ: وَهَلْ تَعْرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

فَلَا تَكْفُرُوا مَا قَدْ صَنَعْنَا إِلَيْكَ م **** وَكَافُوا بِهِ فَالْكُفْرُ بُورٌ لِصَانِعِهِ⁽³⁾.

وورد أيضاً عن فتادة البور بكلام عَمَانَ⁽⁴⁾.

وقال الطبري (310): وقيل: إن البور في لغة أذرعات⁽⁵⁾: الْفَاسِدُ؛ فَأَمَّا عِنْدَ الْعَرَبِ فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ وَمِنْهُ وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ: «فَأَصْبَحَ مَا جَمَعُوا بُورًا أَي ذَاهِبًا قَدْ صَارَ بَاطِلًا لَا شَيْءَ مِنْهُ»؛ وَمِنْهُ قَوْلُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ:

لَا يَنْفَعُ الطُّولُ مِنْ نُوكِ الثُّلُوبِ وَقَدْ يَهْدِي الْإِلَهِ سَبِيلَ الْمَعْشَرِ الْبُورِ⁽⁶⁾.

أما أهل اللغة: فلم أجد من نسبها إلى قبيلة ما؛ ولعلها في كتب اللغات التي افتقدتها.

¹ ينظر: تهذيب اللغة (2/ 250)؛ جمهرة اللغة (1/ 365).

² شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (1/ 568).

³ مسائل نافع بن الأزرق، (غريب القرآن في شعر العرب) (ص: 200)، وأورده السيوطي (911) في الدر المنثور في التفسير بالماثور (6/ 242)، وفي الإتيان في علوم القرآن (2/ 97).

⁴ ينظر: تفسير ابن أبي حاتم - محققا (8/ 2673).

⁵ تصحيف ولعلها لغة أزد عَمَانَ كما هو مثبت في معاني القرآن للفراء (3/ 66).

⁶ تفسير الطبري ت شاكر (22/ 213).

قال الفراء (207هـ): حَدَّثَنِي جَبَّانُ عَنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " الْبُورُ فِي لُغَةِ أَرْدِ عُمَانَ: الْفَاسِدُ، وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا، قَوْمًا فَاسِدِينَ، وَالْبُورُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: لَا شَيْءَ يُقَالُ: أَصْبَحْتَ أَعْمَاهُمْ بُورًا، وَمَسَاكِينُهُمْ قُبُورًا".⁽¹⁾

وورد في كتاب اللغات لابن حسنون (ت: 386هـ) ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾: " يعني هلكى بلغة عُمان".⁽²⁾

5. قوله تعالى: ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ [النجم: 61].

أسند الإمام عبد الرزاق الصنعاني (ت: 211هـ) بسنده إلى عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿ سَامِدُونَ ﴾ [النجم: 61] قَالَ: " هُوَ الْغِنَاءُ، كَانُوا إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ تَغَنَّوْا وَلَعِبُوا، وَهِيَ بِلُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ يَقُولُ الْيَمَانِيُّ إِذَا تَغَنَّى: أَسَمَدٌ".⁽³⁾

وفي رواية عند الطبري (310هـ) " قال: هي يمانية أسمد تغن لنا".⁽⁴⁾ وفي أخرى: " قال: السامدون: المعنون بالحميرية".⁽⁵⁾

وأورد السُّيُوطِيُّ (911هـ) الرواية وعزاها لمخرجها فقال: وأخرج عبد الرزاق والفريابي وأبو عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في ذم الملاحى والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبیهقي في سننه عن ابن عباس في قوله ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ قَالَ: " الغناء باليمانية كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا".⁽⁶⁾

ونقل الماوردى (ت: 450هـ): فيها تسعة تأويلات، منها: " شاحون، غافلون، معرضون، مستكبرون، لاهون لاعبون، حامدون...".⁽⁷⁾

¹ معاني القرآن للفراء (3/ 66).

² اللغات في القرآن (ص: 39).

³ تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: 211هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى: 1419هـ. (3/ 256)، برقم: 3051. وردها الطبري في تفسيره، ت شاکر (22/ 559).

⁴ تفسير الطبري ت شاکر (22/ 559).

⁵ نفس المصدر (22/ 560).

⁶ الدر المنثور في التفسير بالمأثور (7/ 667).

⁷ تفسير الماوردى (النكت والعيون) (5/ 407).

أما أقوال أهل اللغة:

- قال الخليل (ت: 170هـ): "والسُمود في الناس: الغفلة والسَهْوُ عن الشيء، وقوله - عز وجل -: ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ ، أي ساهون لاهون، ويقال: دَغَ عنك سُمُودَكَ".⁽¹⁾
- قال مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ⁽²⁾، قَالَ: "سَبَعْتُ الشَّافِعِيَّ (ت: 204هـ) يَقُولُ - فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم: 61]. - قَالَ: يُقَالُ: هُوَ: الْغِنَاءُ بِالْحَمِيرَةِ".⁽³⁾
- قَالَ أَبُو عبيد (ت: 224هـ): "والسُمود أيضا في غير هذا الموضع اللَّهُو والغناء يُقَالُ: السامدون اللاهون ومنه قول الله تَعَالَى ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَامِدُونَ﴾ قَالَ: الْغِنَاءُ فِي لُغَةِ حَمِيرِ أَسْمَدِي لَنَا أَيْ غَنَى لَنَا".⁽⁴⁾
- وقال ابن قتيبة (ت: 276هـ): "﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ لاهون؛ ببعض اللغات. يقال للجارية: اسْمُدِي لَنَا؛ أَيْ غَنَى لَنَا".⁽⁵⁾
- وقال الأزهري (370هـ): "وروي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: السُمود: الغناء في لغة حمير اسْمُدِي لَنَا، أَيْ: غَنَى لَنَا".⁽⁶⁾
- وَحَكَى الرَّخَّاشِيُّ (538): "أَنَّ الْغِنَاءَ فِي لُغَةِ حَمِيرٍ".⁽⁷⁾

ملاحح اللهجات القرآنية عند ابن عباس من الناحية الصوتية وأثرها في الدرس اللغوي:

الجدير بالذكر أن علم القراءات من العلوم المستقلة والمتشعبة الفروع، وحتى لا نطيل المقام في كثير من التفريعات؛ فإنه لم تجمع دراسة وافية - في حدود علمي - لقراءة ابن عباس على وجه

¹ العين (7/ 235).

² هو: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمِصْرِيُّ (ت: 268هـ)؛ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ خُرَيْمَةَ: مَا رَأَيْتُ فِي فُفْهَاءِ الْإِسْلَامِ أَعْرَفَ بِأَقَاوِيلِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ. ينظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (12/ 497) - بتصرف -.

³ أحكام القرآن للشافعي جمعها، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، قدم له: محمد زاهد الكوثري، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة -، ط: الثانية: 1414 هـ - 1994 م. (2/ 178).

⁴ غريب الحديث للقاسم بن سلام (3/ 481).

⁵ غريب القرآن لابن قتيبة ت أحمد صقر (ص: 430) برقم: 61.

⁶ تهذيب اللغة (12/ 262).

⁷ ذكره صاحب النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 398).

التحديد، إلا في بعض البحوث المحتشمة، كالتوجيهات الصرفية والنحوية لقراءة عبد الله بن عباس.⁽¹⁾ وقراءة ابن عباس توجيهها وأثرها في التفسير،⁽²⁾ وعبد الله بن عباس، قراءاته ومنهجه في تفسير غريب القرآن،⁽³⁾ وإن كانت معظم الدراسات المذكورة، تنقل نسبة القراءة من كتب التفسير غالباً. ومعلوم أن القراءات المشهورة وردت إلينا عن طريق الصحابة-رضي الله عنهم- ومنهم ابن عباس، إلا أن القراءات نسبت إلى القراء الذين جاءوا بعد الصحابة، نسبة شهرة لا نسبة تأليف، ومن ثم يتوجب لمعرفة قراءة ابن عباس، معرفة أسانيد القراءات المتواترة إلى الصحابة، ومن ثم ما اتصل منه بابن عباس خاصة، ومن خلاله نتعرف على قراءته، ثم مدى علاقتها باللهاجات العربية؛ فمن هم القراء اللذين اتصل سندهم بابن عباس؟ وما هي أهم المميزات الصوتية التي اقتصت بها قراءته؟ وما علاقتها باللهاجات العربية؟

وقبل الإجابة على هذه التساؤلات يجدر بنا أن نهد للموضوع ببعض التعريفات المختصرة، والمتعلقة بالبحث.

القراءات لغة واصطلاحاً:

القراءات لغة: جمع قراءة، وهي مصدر قرأ قراءة وقرأناً بمعنى: تلا تلاوة، قال ابن الأثير أبو السعادات (ت: 606هـ): "وَالْأَصْلُ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ الْجَمْعُ. وَكُلُّ شَيْءٍ جَمَعْتَهُ فَقَدْ قَرَأْتَهُ. وَسُمِّيَ الْقُرْآنُ قُرْآنًا لِأَنَّهُ جَمَعَ الْقِصَصَ، وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ، وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ، وَالْآيَاتِ وَالسُّورَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، وَهُوَ مَصْدَرٌ كَالْعُقْرَانِ وَالْكُفْرَانِ".⁽⁴⁾

واصطلاحاً: عرّفها القراء بتعريفات متعددة ومختلفة، ولعل تعريف الإمام ابن الجزري (ت: 833هـ) لها من أحسنها وأشملها، فقد عرفها بقوله: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقل".⁽⁵⁾

¹ عبارة عن رسالة ماجستير، لطالب: تيسير هارون علي التوافلة.

² عبارة عن رسالة ماجستير لطالبة وهيبة صوفي، تحت إشراف د. محمد حاج عيسى.

³ عبارة عن رسالة لنيل درجة الماجستير في اللغة، لطالب: عابدين عبد الرحمان آشي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى.

⁴ النهاية في غريب الحديث والأثر (4/ 30).

⁵ منجد المقرئين ومرشد الطالبين، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ)، الناشر: دار

الكتب العلمية، ط: الأولى: 1420هـ - 1999م. (ص: 9).

وعرفها عبد الفتاح القاضي(ت:1403هـ) بقوله: " علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله." ثم قال:"موضوعه: كلمات القرآن من حيث أحوال النطق بها، وكيفية دائها." (1)

تعريف القراءة الصحيحة: القراءة الصحيحة هي ما استوفت أركان القراءة الصحيحة وهي:

1 - كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه.

2 - ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.

3 - وصح سندها.

فهذه القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها، ولا يجلّ إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين. (2)

وأما **القراءة الشاذة اصطلاحاً:** فهي ما احتل فيها ركن من أركان القراءة الثلاثة المتقدمة: التواتر، وموافقة الرسم العثماني، وموافقة وجه من وجوه اللغة العربية. (3)

وعلى هذا الأساس اشتهر القراء، الذين استوفت قراءتهم، الأركان الصحيحة، واشتهر منهم في القديم سبعة، استناداً إلى تسبيح ابن مجاهد (ت: 324هـ) وألف في قراءاتهم كتابه "السبعة"؛ ثم جاء دور الإمام ابن الجزري الذي حقق القراءات ونقحها وأثبت تواتر قراءات القراء الثلاثة، فاشتهرت القراءات العشرة المتواترة. (4)

¹ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والذرة - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت: 1403هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان. (ص: 7).

² ينظر: الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، محمد محمد محمد سالم محيسن (ت: 1422هـ)، الناشر: دار الجليل - بيروت، ط: الأولى: 1417 هـ - 1997م. (1/ 19).

³ ينظر: مقدمات في علم القراءات ، محمد أحمد مفلح القضاة، وأحمد خالد شكرى، ومحمد خالد منصور، الناشر: دار عمار - عمان (الأردن)، ط: الأولى: 1422 هـ - 2001 م. (ص: 72).

⁴ ينظر: صفحات في علوم القراءات ، د، أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي ، الناشر: المكتبة الأمدادية ، ط: الأولى - 1415 هـ. (ص: 319).

والقراء العشرة هم⁽¹⁾:

- 1 - نافع المدني (ت: 169هـ).
- 2 - ابن كثير المكي (ت: 120هـ).
- 3 - أبو عمرو البصري (ت: 154هـ).
- 4 - ابن عامر الدمشقي (ت: 118هـ).
- 5 - عاصم الكوفي (ت: 127هـ).
- 6 - حمزة الزيات الكوفي (ت: 156هـ).
- 7 - علي الكسائي الكوفي (ت: 189هـ).
- 8 - أبو جعفر المدني (ت: 130هـ).
- 9 - يعقوب الحضرمي البصري (ت: 205هـ).
- 10 - خلف بن هشام البزار الكوفي (ت: 229هـ).

وما يهمننا من القراء في بحثنا، ما اتصل سندهم إلى ابن عباس، كون الدراسة منصبة حوله، ولأن الذين نسبت إليهم القراءة، من باب الشهرة، كما سلف؛ قال ابن الجزري (ت: 833هـ) في النشر: " ثُمَّ تَجَرَّدَ قَوْمٌ لِلْقِرَاءَةِ وَالْأَخْذِ، وَاعْتَنَوْا بِضَبْطِ الْقِرَاءَةِ أُمَّ عِنَايَةٍ، حَتَّى صَارُوا فِي ذَلِكَ أُمَّةً يُفْتَدَى بِهِمْ وَيُرْحَلُ إِلَيْهِمْ وَيُؤْخَذُ عَنْهُمْ، أَجْمَعٌ أَهْلُ بَلَدِهِمْ عَلَى تَلْقَى قِرَاءَتِهِمْ بِالْقَبُولِ، وَمَنْ يَخْتَلِفُ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَتْنَانِ، وَلِتَصَدِّقَهُمْ لِلْقِرَاءَةِ نُسِبَتْ إِلَيْهِمْ".⁽²⁾

أسانيد القراء المتصلة سناً بابن عباس:

- 1 - نافع المدني (ت: 169هـ): قال فيه أبو بكر بن مجاهد (ت: 324هـ): " فَكَانَ الْإِمَامَ الَّذِي قَامَ بِالْقِرَاءَةِ بِمَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ التَّابِعِينَ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ نَافِعِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نَعِيمٍ مَوْلَى جَعْفَرِ بْنِ شُعُوبِ اللَّيْثِيِّ حَلِيفِ حَمَزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَكَانَ عَالِمًا بِوُجُوهِ الْقِرَاءَاتِ

¹ ينظر كتاب إتحاف البررة بما سكت عنه نشر العشرة المسمى بـ «تحرير النشر»، مصطفى بن عبد الرحمن بن محمد الإزميري (ت: 1156هـ)، دراسة وتحقيق: خالد حسن أبو الجود، الناشر: دار أضواء السلف، ط: الأولى: 1428 هـ - 2007 م.

² النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (ت: 1380هـ)، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية. (8/1).

مُتَبَعًا لِآثَارِ الْأَئِمَّةِ الْمَاضِينَ بِبَلَدِهِ أَخَذَ الْقِرَاءَةَ عَنِ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ مِنْهُمْ؛ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمُزِ الْأَعْرَجِ وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَدْ قَرَأَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا⁽¹⁾.

2 - ابن كثير المكي (ت: 120هـ): قال فيه أبو عمرو الدَّانِي (ت: 444هـ): "وهو عبد الله بن كثير بن المطلب الداريّ المكيّ مولى عمرو بن علقمة الكناني ويكنى أبا معبد، كتّاه خليفة بن خياط ، وقال البخاري: هو من بني عبد الدار قرشي. وقال مسلم بن الحجاج: هو من الطبقة الثانية من التابعين"⁽²⁾.

قال ابن مجاهد (ت: 324هـ): "وَكَانَ مُقَدِّمًا فِي عَصْرِهِ قَرَأَ عَلَى مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرِ وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَلَمْ يُخَالَفْ ابْنُ كَثِيرٍ مُجَاهِدًا فِي شَيْءٍ مِنْ قِرَاءَتِهِ"⁽³⁾.

4 - أبو عمرو البصري (ت: 154هـ): قال فيه أبو بكر بن مجاهد (ت: 324هـ): "أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ: ابْنُ عِمَارِ بْنِ الْعُرَيَّانِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُصَيْنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَلْهَمَةَ بْنِ خَزَاعِي بْنِ مَازِنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ وَقِيلَ ابْنُ جَلْهَمَةَ بْنِ حَجْرِ بْنِ خَزَاعِي"⁽⁴⁾.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُجَاهِدٍ (ت: 324هـ): "وَكَانَ مُقَدِّمًا فِي عَصْرِهِ عَالِمًا بِالْقِرَاءَةِ وَوَجْهًا قَدْوَةً فِي الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ إِمَامًا فِي الْعَرَبِيَّةِ وَكَانَ مَعَ عِلْمِهِ بِاللُّغَةِ وَفَقْهِهِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَتَمَسِكًا بِالْآثَارِ لَا يَكَادُ يُخَالَفُ فِي اخْتِيَارِهِ مَا جَاءَ عَنِ الْأَئِمَّةِ قَبْلَهُ مَتَوَاضِعًا فِي عِلْمِهِ قَرَأَ عَلَى أَهْلِ الْحِجَازِ وَسَلَكَ فِي الْقِرَاءَةِ طَرِيقَهُمْ وَلَمْ تَزَلْ الْعُلَمَاءُ فِي زَمَانِهِ تَعْرِفُ لَهُ تَقْدِيمَهُ وَتَقْرَأُ لَهُ بِفَضْلِهِ وَتَأْتِمُ فِي الْقِرَاءَةِ بِمَذَاهِبِهِ قَرَأَ عَلَى مُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَيَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ وَابْنِ كَثِيرٍ وَحَمِيدِ بْنِ قَيْسٍ

¹ كتاب السبعة في القراءات ، أحمد بن موسى بن العباس التميمي ، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت : 324هـ) ، تحقق : شوقي ضيف ، الناشر : دار المعارف - مصر ، ط : الثانية : 1400هـ . (ص 53/54).

² جامع البيان في القراءات السبع ، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت : 444هـ) ، الناشر : جامعة الشارقة - الإمارات ، ط : الأولى ، 1428 هـ - 2007 م . (1 / 163) .

³ السبعة في القراءات (ص : 64) .

⁴ ينظر : السبعة في القراءات (ص : 79 / 83) ؛ وللمزيد ينظر : المبسوط في القراءات العشر ، أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري ، أبو بكر (ت : 381هـ) ، تحقيق : سبيع حمزة حاكمي ، الناشر : مجمع اللغة العربية - دمشق ، عام النشر : 1981 م . (ص 29) .

حدثني الحسن بن مخلد قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا ابن المبارك قال قرأت على أبي عمرو بن العلاء وقرأ أبو عمرو على مجاهد وقرأ مجاهد على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقرأ ابن عباس على أبي رضي الله تعالى عنه وقرأ أبي على النبي صلى الله عليه وسلم".⁽¹⁾

4 - حمزة الزيات الكوفي (ت: 156هـ): قال فيه أبو عمرو الداني (ت: 444هـ): "هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات الفرضي مولى بني تيم الله يكنى أبا عمارة، وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة".⁽²⁾

قال ابن مجاهد (ت: 324هـ): "وقرأ على ابن أبي ليلى وقرأ ابن أبي ليلى على المنهال بن عمرو وقرأ المنهال على سعيد بن جبير وقرأ سعيد على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه وقرأ أبي بن كعب على النبي صلى الله عليه وسلم".⁽³⁾ فهؤلاء القراء الأربعة فيما يبدو اتصلت أسانيدهم بابن عباس، وإن كانت بعض الأسانيد أكثر شهرة من بعض، مثل: قراءة نافع المدني (ت: 169هـ)، وابن كثير المكي (ت: 120هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت: 154هـ).

وحاولت دراسة الملامح الصوتية لبعض هؤلاء القراء، عسى أن يكون لها أصل عند ابن عباس، وخاصة كما علمنا أن لهم سند متصل بابن عباس.

ملامح اللهجات في قراءة ابن عباس من الناحية الصوتية:

قضية تخفيف الهمز:

صفة الهمزة ومخرجها:

¹ ينظر: السبعة في القراءات (ص: 83 / 79)؛ وللمزيد ينظر: المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر (ت: 381هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق، عام النشر: 1981 م. (ص 29).

² جامع البيان في القراءات السبع (1/ 206).

³ ينظر: السبعة في القراءات (ص: 72)؛ المبسوط في القراءات العشر (ص:)؛ جامع البيان في القراءات السبع (1/ 266)؛ الإقناع في القراءات السبع (ص: 43).

ذكر القدامى أنّ الهمزة صوت شديد مجهور يخرج من أقصى الحلق ، وصنّفوها ضمن حروف المد في حين أنّها صوت صامت. واختلفوا فيها من حيث حرفيتها وكتابتها. ووصفها المحدثون بأنها صوت انفجاريّ يحدث من انطباق الوترين الصوتيين واحتباس الهواء داخل الحنجرة ثم يخرج على صورة انفجار. واختلفوا في كونها مجهورة أو مهموسة أو بين بين، وقالوا بأنها صوت شديد لا مجهور ولا مهموس.

وكان لنطق الهمزة عند العرب صور احتفظت بها القراءات القرآنية. إذ من المعلوم أنّهم اختلفوا في تحقيقها وتسهيلها. فالقبائل التي اشتهرت بتحقيقها، هي القبائل التي سكنت وسط جزيرة العرب وشرقيها كتميم وما جاورها، أما التي سكنت شمال الجزيرة وغربها فلم تهمز في كلامها، وإنما مالت إلى حذفها وتخفيفها.⁽¹⁾

قَالَ أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ (215هـ): "أهل الحجاز وهذيل وأهل مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَا يَنْبَرُونَ".⁽²⁾
قال السُّيُوطِيُّ (911): "اعْلَمْ أَنَّ الْهَمْزَ لَمَّا كَانَ أَثْقَلَ الْحُرُوفِ نُطْقًا وَأَبْعَدَهَا مَخْرَجًا تَنَوَّعَ الْعَرَبُ فِي تَخْفِيفِهِ بِأَنْوَاعِ التَّخْفِيفِ وَكَانَتْ قُرَيْشٌ وَأَهْلُ الْحِجَازِ أَكْثَرَهُمْ لَهُ تَخْفِيفًا وَلِذَلِكَ أَكْثَرَ مَا يَرِدُ تَخْفِيفُهُ مِنْ طُرُقِهِمْ كَابْنِ كَثِيرٍ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ فُلَيْحٍ وَكَنَافِعٍ مِنْ رِوَايَةِ وَرْثِ وَكَأَبِي عَمْرٍو فَإِنَّ مَادَّةَ قِرَاءَتِهِ عَنِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ عَدِيٍّ مِنْ طَرِيقِ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ عَنِ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو قَالَ مَا هَمَزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ وَلَا الْخُلَفَاءُ وَإِنَّمَا الْهَمْزُ بِدَعْوَةِ ابْتِدَاعِهَا مِنْ بَعْدِهِمْ.

قَالَ أَبُو شَامَةَ (ت: 665هـ): هَذَا حَدِيثٌ لَا يُحْتَجُّ بِهِ وَمُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ الرَّبَذِيُّ ضَعِيفٌ عِنْدَ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ".⁽³⁾

¹ ينظر: مقدمة المحقق: الكنز في القراءات العشر، أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن علي ابن المبارك التاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (ت: 741هـ)، تحقيق ودراسة: د. خالد المشهداني ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط: الأولى: 1425 هـ - 2004 م. (1/ 55). وينظر أيضاً اللهجات العربية في القراءات القرآنية، الدكتور عبده الراجحي، (95)؛ و المقتبس من اللهجات العربية و القرآنية، محمد سالم محيسن (ت: 1422هـ)، (ص: 84).

² ينظر: لسان العرب (1/ 22)؛ ودراسات في فقه اللغة ، د، صبحي إبراهيم الصالح (ت: 1407هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، ط: الأولى: 1379 هـ - 1960 م. (ص: 77)؛ والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط: الثالثة: 1417 هـ - 1997 م. (ص: 57).

³ الإتيان في علوم القرآن (1/ 340).

أمثلة على تخفيف الهمز:

6. قوله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ [البقرة: 62].

قرأ نافع وحده ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ و﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ - بغير همز - في كل القرآن؛ وهمز الباقون ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾.⁽¹⁾

قال أبو منصور الأزهري (370هـ): "والهمز فيها هي اللغة الجيدة، ومن قولك: صبَّأ فلان يصبَّأ: إذا خرج من دين إلى دين.

وصبَّأ نأبؤه، أي: خرَّجَتْ، وصبَّأت النجوم: إذا طلعت؛ كل ذلك مهموز.

وَمَنْ قَرَأَ بِغَيْرِ الْهَمْزِ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أنه من صبا يصبو، إذا مال إلى هواه.

والقول الآخر: أنه على تخفيف الهمز على لغة من يخففها".⁽²⁾

7. قوله جلَّ وعزَّ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ [الأنعام: 40] وغيرها، وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿قُلْ

أَرَأَيْتُمْ﴾ [الأنعام: 46] وغيرها. وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ [الكهف: 63] وغيرها.

قال أبو منصور الأزهري (370هـ): "قرأ نافع كل هذا في القرآن بألف في تقدير الهمز، ولا يهمز، وقرأ الكسائي بغير ألف وبغير همز (أرأيتكم)، وقرأ الباقون بالهمز في هذا كله.

وَمَنْ قَرَأَ (أرأيتكم) و (أرأيتم) بالهمز فعلى أن أصل الحرف مهموز، وَمَنْ قَرَأَ (أرأيتم) فعلى

تخفيف الهمز، ومن قرأ (أرأيتكنم) و (أرأيتنم) فعلى حذف الهمز، وكلها لغات صحيحة".⁽³⁾

8. قوله جلَّ وعزَّ: ﴿هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ [آل عمران: 66]، وغيرها.

قَرَأَ نَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو (هانتم) غير مَهْمُوزٍ ممدودا استفهاما، وروى عليّ بن نصر عن أبي عمرو

استفهاما مخففا بِلَا هَمْزٍ.

¹ ينظر: السبعة في القراءات (ص: 158).

² ينظر: معاني القراءات للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ)، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود-المملكة العربية السعودية، ط: الأولى: 1412 هـ - 1991م. (1/ 155).

³ ينظر: معاني القراءات للأزهري (1/ 352).

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ وَرثٍ وَقَالُونَ عَنْ نَافِعٍ مَمْدُودًا غَيْرَ مَهْمُوزٍ.⁽¹⁾

قال أبو منصور الأزهري: "أما قراءة أبي عمرو ونافع (ها نُتْم) ممدودا غير مهموز فهو جيد، لا استفهام فيه".⁽²⁾

9. قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: 34].

قرأ نافع وحده: (ردا) [القصص / 34] غير مهموز منون، وهمزه كلهم غير نافع فإنه لم يهمزه، وفتح الدال وأسكنها الباقون.

قال أبو عبيدة (209): " (رِدْءًا) أي معينا ويقال: قد أردأت فلانا على عدوه وعلى ضيعته أي أكففته وأعنته أي صرت له كنفًا".⁽³⁾

قال أبو علي الفارسي (ت: 377هـ): "أما قول نافع: فإنه خَفَّفَ الهمزة، وكذلك حكم الهمزة إذا خَفَّفَتْ وكان قبلها ساكن أن تحذف، وتلقى حركتها على الساكن الذي قبلها، وهكذا قرأ أهل التخفيف: (الذي يخرج الخب في السموات والأرض) [النمل / 25]، فمن أثر منهم التخفيف قال كما قال نافع، وقد جاء في بعض القوافي في الردء: الرِّدء، ذلك على أنه خَفَّفَ الهمزة، وألقى حركتها على ساكن قبلها، ثم وقف بعد التخفيف على الحرف فثقل".⁽⁴⁾

10. قوله جلَّ وعزَّ: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَاتَهُ﴾ [سبأ: 14].

¹ ينظر: السبعة في القراءات (ص: 207).

² ينظر: معاني القراءات للأزهري (1/ 260).

³ مجاز القرآن (2/ 104).

⁴ الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (ت: 377هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجايي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ط: الثانية: 1413 هـ - 1993 م. (5/ 420).

فَقَرَأَ نَافِعَ وَأَبُو عَمْرٍو ﴿ مِّنْسَأْتُهُ ﴾ غَيْرَ مَهْمُوزٍ؛ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿ مِّنْسَأْتُهُ ﴾ مَهْمُوزَةً مَّفْتُوحَةً
الْهَمْزَةَ. (1)

قال شهاب الدين الدمياطي، الشهير بالبناء (ت: 1117هـ): "فنافع وأبو عمرو وأبو جعفر
بألف بعد السين من غير همزة، لغة الحجاز". (2)

قال سيويه (ت: 180هـ): "واعلم أن الهمزة التي يحقّق أمثالها أهل التحقيق من بني تميم وأهل
الحجاز، وتجعل في لغة أهل التخفيف بين بين، تبدل مكانها الألف إذا كان ما قبلها مفتوحاً، والياء
إذا كان ما قبلها مكسوراً، والواو إذا كان ما قبلها مضموماً. وليس ذا بقياس متلئّب، نحو ما ذكرنا.
وإنما يحفظ عن العرب ... فمن ذلك قولهم: منسأة، وإنما أصلها منسأة، وقد يجرز في ذاك كله البدل
حتى يكون قياساً متلئّباً، إذا اضطر الشاعر: قال الفرزدق (ت: 110هـ) (3):

(4) رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ الْبِغَالِ عَشِيَّةً
فَارَعَى فِزَارَةً لَا هَنَّاكَ الْمَرْعُ
فأبدل الألف مكانها. ولو جعلها بين بين لانكسر البيت.
وقال حسان:

سَأَلْتُ هُدَيْلُ رَسُولَ اللَّهِ فَاحْشَةَ
ضَلَّتْ هُدَيْلُ بِمَا جَاءَتْ وَلَمْ تَصْبِ
وقال القرشي، زيد بن عمرو بن نفيل (5):
سَأَلْنَا الطَّلَاقَ أَنْ رَأَتَانِي
قَلَّ مَالِي، قَدْ جِئْتُمَانِي بُنْكَرٍ.

¹ ينظر: السبعة في القراءات (ص: 527). والحجة للقراء السبعة (6/ 11).

² إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، شهاب الدين الشهير بالبناء
(ت: 1117هـ)، تحقيق: أنس مهرة الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان، ط: الثالثة: 1427هـ-2006م. (ص: 458).

³ الفرزدق هو: همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق: شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة،
عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. يشبه بزهير
بن أبي سلمى. وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الإسلاميين. وهو صاحب الأخبار مع جرير
والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. ينظر: الأعلام للزركلي (8/ 93).

⁴ البيت في ديوان الفرزدق، شرحه وقدم له الأستاذ على فاعور. (ص353). فزاره: إشارة إلى تعيين عمر بن هبيرة الفزاري مكانه.

⁵ زيد بن عمرو هو: زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي: نصير المرأة في الجاهلية، وأحد الحكماء. وهو ابن عم
عمر بن الخطاب. لم يدرك الإسلام، وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها. ورحل إلى الشام باحثاً عن عبادات
أهلها، فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم. ينظر: الأعلام للزركلي (3/ 60).

فهؤلاء ليس من لغتهم سلت ولا يسال؛ وبلغنا أن سلت تسال لغة⁽¹⁾.
 وقال أبو عبيدة (209): "وهى العصا وأصلها من نسأت بها الغنم وهى من الهمز الذي
 تركت العرب الهمزة من أسمائها. ينسأ بها الغنم أي يسوقها، قال طرفة بن العبد:
 وَعَنْسٍ، كَأَلْوَحِ الْإِرَانِ، نَسَأْتُهَا ***** على لاحبٍ كأنه ظَهْرُ بُرْجُدِ (2)
 نسأتها: نسقتها ويهمزون الفعل منها كما تركوا همزة النبي والبرية".⁽³⁾

11. قوله جلَّ وعزَّ: ﴿سَأَلِ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: 1].

قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ ﴿سَأَلَ﴾ غَيْرَ مَهْمُوزٍ؛ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿سَأَلَ﴾ مَهْمُوزًا، وَكُلُّهُمْ قَرَأَ ﴿سَائِلٌ﴾
 بِالْهَمْزِ بِأَلَا اخْتِلَافٍ.⁽⁴⁾
 قال أبو منصور الأزهري: "من قرأ (سأل) بغير همز فالمعنى: جرى وادٍ بعذاب من الله، من سأل
 يسئله، كأنه قال: سأل وادٍ بعذاب واقع.
 ومن قرأ (سأل سائل) فإن القراء قال: تأويله: دعا داعٍ بعذاب واقع.
 وقيل: الباء في قوله (بعذاب) بمعنى (عن)، أراد: سأل سائل عن عذاب واقع.
 وقيل: إن النضر بن الحارث بن كلدَةَ قال: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر عَيْنِي
 حجارةً من السماء أو اثنتا بعذاب أليم. فَأَسْرَ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَتْلَ صَبْرًا.
 وجائز أن يكون (سأل) غير مهموز ويكون بمعنى (سأل) فَخُفِّفَ هَمْزُهُ، وهو أحب إليّ من قول
 من ذهب به إلى سئل الوادي؛ لتفق القراءتان".⁽⁵⁾
 قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرَّدِ مَنْ لَمْ يَهْمَزْ فَعَلَى أَحَدٍ وَجْهَيْنِ: "إِمَّا أَنْ يَأْخُذَهَا مِنْ سَأَلَ يَسِيلُ مِنْ
 السَّيْلِ.

¹ الكتاب لسيبويه (3/ 555 / 556).

² البيت في ديوان طرفة بن العبد، ط: دار الكتب العلمية. الإران: التابوت الكبير. النصأة: الزجرة. اللاحب: الطريق السهل.

البرجد: الثوب المخطط. (ص: 20)

³ مجاز القرآن (2/ 145).

⁴ ينظر: السبعة في القراءات (ص: 650).

⁵ ينظر: معاني القراءات للأزهري (3/ 88).

وَالْوَجْهَ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَنْ سَلَّتْ أَسْأَلَ كَمَا تَقُولُ خَفْتُ أَخَافُ وَنَمْتُ أَنْأَمُ وَسَلْتُ أَسْأَلَ فِي مَعْنَى سَأَلْتُ أَسْأَلَ وَهِيَ لُغَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَالْعَرَبُ تَقُولُ سَأَلْتُ أَسْأَلَ وَيُقَوِّي الْوَجْهَ الْأَوَّلَ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ مَنْ قَرَأَهَا بِلَا هَمْزٍ فَإِنَّهُ وَادٌ فِي جَهَنَّمَ وَمَنْ قَرَأَهَا مَهْمُوزَةً يُرِيدُ النَّضْرَ فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ سَأَلْتُ وَادٌ فِي جَهَنَّمَ كَمَا قَالَ ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مریم: 59] والغني واد.
 وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿سَأَلْتُ﴾ بِالْهَمْزِ أَي دَعَا دَاعٌ وَهُوَ النَّضْرُ ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ وَأَجْمَعَ الْقُرَّاءُ عَلَى هَمْزٍ ﴿سَأَلْتُ﴾⁽¹⁾.

أمثلة متفرقة:

12. قوله جلَّ وعزَّ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6].

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي رِوَايَةِ الْقَوَاسِ السَّرَاطَ وَسَرَاطَ بِالسِّينِ وَحِجَّتُهُ هِيَ أَنَّ السِّينَ الْأَصْلَ وَلَا يَنْتَقِلُ عَنِ الْأَصْلِ إِلَى مَا لَيْسَ بِأَصْلٍ وَرُوِيَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَفْرُوهَا بِالسِّينِ.⁽²⁾
 قَالَ أَبُو مَنْصُورِ الْأَزْهَرِيِّ (370هـ): "وَقَرَأَ يَعْقُوبُ الْحَضْرَمِيُّ: (السَّرَاطَ) بِالسِّينِ، وَرَوَى السِّينَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ الزَّيْبِرِ.

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: فِيمَا أَخْبَرْنَا عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَثْمَانَ: قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِالصَّادِ، وَعَلَيْهَا الْمَصَاحِفُ."⁽³⁾

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: "مَنْ قَرَأَ بِالسِّينِ فَهُوَ الْأَصْلُ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: سَرَطْتُ اللَّقْمَةَ سَرَطًا، وَزَرَدْتُهَا - زَرَدًا، أَي: بَلَعْتُهَا بَلْعًا.

وَمَنْ قَرَأَ بِالصَّادِ فَلَأَنَّ مَخْرَجَ السِّينِ وَالصَّادِ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الثَّنَائِيَّاتِ، وَالسِّينِ وَالصَّادِ يَتَعَاقَبَانِ فِي كُلِّ حَرْفٍ فِيهِ غَيْنٌ، أَوْ قَافٌ، أَوْ طَاءٌ، أَوْ حَاءٌ. فَالطَّاءُ مِثْلُ: "بَسْطَةٌ" وَ"بَصْطَةٌ"، وَ"مُسَيْطَرٌ" وَ"مُصَيْطَرٌ"... رَوَى ذَلِكَ الثَّقَاتُ عَنِ الْعَرَبِ."⁽⁴⁾

¹ ينظر: حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت: حوالي 403هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة. (ص: 721).

² ينظر: حجة القراءات (ص: 80).

³ ينظر: معاني القراءات للأزهري (1/ 111).

⁴ نفس المرجع (1/ 111).

وَقَالَ فِي تَهْذِيبِ اللُّغَةِ: "السَّرَاطُ وَالصَّرَاطُ: وَهِيَ بِالصَّادِ لُغَةٌ قُرَيْشٍ الْأَوَّلِينَ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْكِتَابُ؛ قَالَ: وَعَامَّةُ الْعَرَبِ بَجَعَلُهَا سِينًا. وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّمَا قِيلَ لِلطَّرِيقِ الْوَاضِحِ: سِرَاطٌ لِأَنَّهُ كَانَ يَسْتَرِّطُ الْمَارَّةَ لِكَثْرَةِ سُلُوكِهِمْ".⁽¹⁾

13. قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَكَايِّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِئِيُونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: 146].

قال ابن جني (ت: 392هـ): "ومن ذلك قراءة علي وابن مسعود وابن عباس وعكرمة والحسن وأبي رجاء وعمرو بن عبيد وعطاء بن السائب: (رِيَّون) بضم الراء، وقرأ بفتحها ابن عباس فيما رواه قتاده عنه".⁽²⁾

قال أبو الفتح ابن جني: "الضم في 'رِيَّون' تميمية، والكسر أيضا لغة. قال يونس: الرُّيَّةُ: الجماعة. وكان الحسن يقول: الرِّيَّون: العلماء الصُّبُر. قال قطرب: والجماعة أيضًا مع يونس؛ أي: فرق وجماعات".⁽³⁾

14. قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: 95].

قال الفراء: "وروي عن ابن عباس أنه قرأ (وَحِرْمٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) وفسره: وجب عليها أن لا يرجع إلى دنياها".⁽⁴⁾

وفي رواية الطبري (310): "فَلَا يَرْجِعُ مِنْهُمْ رَاجِعٌ، وَلَا يَتُوبُ مِنْهُمْ تَائِبٌ".⁽⁵⁾

قال ابن جني (ت: 392هـ): "ومن ذلك قراءة ابن عباس وسعيد بن المسيب وعكرمة وقتادة: (وَحَرِمٌ عَلَى قَرْيَةٍ).

وقرأ: (وَحِرْمٌ) ابن عباس - بخلاف - وأبو العالية وعكرمة.

وقرأ: (وَحَرَمٌ عَلَى قَرْيَةٍ) قتادة ومطر الوراق.

¹ تهذيب اللغة (12/ 232).

² ينظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (1/ 173).

³ نفس المرجع (1/ 173).

⁴ ينظر: معاني القراءات للأزهري (2/ 171).

⁵ تفسير الطبري ت شاكر (18/ 525).

وقرأ: (وَحَرَمَ)، بفتح الحاء، وكسر الراء، والتنوين في الميم عكرمة، بخلاف.
 وقرأ: (وَحَرْمٌ)، بفتح الحاء، وسكون الراء والتنوين ابن عباس، بخلاف.
 قال أبو الفتح: أما (حَرِمَ) فالماضي من حَرَمَ، كَقَلِقَ من قَلِقَ، وبَطِرَ من بَطِرَ. قالوا: حرم زيد، وهو حرم وحارم: إذا قبر ماله، وأحرمته: قمرته.
 قال زهير⁽¹⁾:

وإن أتاه خليلٌ يومَ مسألةٍ **** يقول لا غائبٌ مالي ولا حَرِمٌ.
 وأما (حَرَمَ) فأمره في الاستعمال ظاهر.

ومن جهة أحمد بن يحيى: (وَحَرْمٌ عَلَى قَرِيَّةٍ)، أي: واجبٌ وحرامٌ، معناه: حُرِّمَ ذلك عليها، فلا تُبعث إلى يوم القيامة، وهذا على زيادة "لا"، وحَرَمَ الرجلُ: إذا لَجَّ في شيءٍ ومَحَكَ.
 وأما (حَرْمٌ) فمن حَرَمْتُهُ الشيءَ: إذا منَعْتُهُ إياه، فقد عاد إذاً إلى معنى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرِيَّةٍ﴾.
 وأما (حَرْمٌ)، بفتح الحاء، وتسكين الراء فمخفف من حَرِمٌ على لغة بني تميم، فهو كَبَطَرَ من بَطِرَ، وَفَخَذَ من فَخَذَ، وكَلِمَةٌ من كَلِمَةٍ. وقال أبو ويلة:

لا تَأْمَنَنَّ قوما ظَلَمْتَهُمْ **** وبدَأَتْهُمُ بالشرِّ والحَرَمِ⁽²⁾.

15. قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ

هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: 23].

قال أبو جعفر الرُّعَيْنِيُّ الأندلسي (ت: 779هـ): "قرئ بفتح التاء، وضمَّها، وكسرهما، مع فتح الهاء، وسكون الياء على لفظ "ليت" من أخوات "إنَّ":
 فأما قراءة الفتح: فقرأ بها أبو عمرو، والكوفيون، وابن مسعود. والحسن، ووجهها أنه مبنيٌّ على الفتح طلباً للخفة "أين".

¹ زهير بن أبي سلمى هو: زهير بن ربيعة بن قرط. والناس ينسبونه إلى مزينة، وإنما نسبه في غطفان، وليس لهم بيت شعر ينتمون فيه إلى مزينة إلا بيت كعب بن زهير، وهو قوله:

هم الأصل متى حيث كنت وإنني ... من المزنيين المصفيين بالكرم

ويقال إنَّه لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير. ينظر: الشعر والشعراء (1/ 137).

² المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (2/ 65 / 66).

وأما قراءة الضمّ: فقرأ بها ابن كثير وأهل مكة، ووجهها أنه مبنيّ على الضمّ تشبيهاً بـ "حيث".

وأما قراءة الكسر: فقرأ بها ابن عباس، وأبو الأسود، وابن أبي إسحق، وابن مُحَيِّصِن، وعيسى البصرة، ووجهها أنه مبنيّ على الكسر على أصل التقاء الساكنين.
و(هيت) في القراءات كلّها اسمُ فعل بمعنى: أسرع، و (لك) للتبيين. كنحو: سَقِيّاً لك، أمرته أن يسرع إليها.

وزعم الكسائي والفرّاء أنها لغة حُورانيّة وقعت لأهل الحجاز فتكلّموا بها، ومعناها: تعال.
وقال أبو زيد: هي عبرانيّة " هيت لح "، أي: تعاله، فعزّبه القرآن. وقال ابن عبّاس: بالسريانيّة.
وقال السّديّ: بالقبطيّة: هلّم لك.

ومنهم من جعل (هيت) يراد بها الخبر كهيهات، ومعناها: تهيّأتُ.
فمن جعله أمراً بناه لتضمّنه الحرف الذي هو لام الأمر، ومن جعله خبراً بناه للحمل على الأمر، ونظير ذلك " كم " الاستفهامية، بُنِيَتْ لتضمّنها حرف الاستفهام، و " كم " الخبرية بُنِيَتْ بالحمل عليها.

واعلم أن الضمير لا يبرز في (هيت) في حال تشبیه ولا جمع " لأنه اسم فعل، بل يستكنّ مطلقاً، وينوب عنه ما بعده، فتقول: هيت لك، هيت لك، هيت لكما، هيت لكم، هيت لكنّ...
وتنتهي القراءة في هذا الحرف إلى تسع قراءات: الثلاثة المتقدّمة.

والرابعة: قراءة نافع، وابن ذكوان، والأعرج، وشيبة، وأبي جعفر (هيت) بكسر الهاء وسكون الهاء وفتح التاء.

والخامسة: قراءة هشام رواية الخلوّاني بكسر الهاء وهمز ساكن وفتح التاء.

والسادسة: قراءة أبي وائل، وأبي رجاء، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وطلحة، وابن عبّاس، وابن عامر، وأبي عمرو في رواية عنهما، بكسر الهاء وسكون الهمزة وضم التاء.

والسابعة: قراءة زيد بن علي، وابن أبي إسحق بكسر الهاء وتسهيل الهمزة الساكنة وضم التاء.

والثامنة: ما ذكره النحاس من أنه قرئ بكسر الهاء وسكون الياء وكسر التاء.

والتاسعة: ما روي عن ابن عبّاس (هُيِّيت) على وزن حُيِّيت.

فهذه القراءات كلّها (هيت) فيها اسم فاعل لإلاّ قراءة ابن عبّاس الأخيرة، فإنّها فعل مبني للمفعول، مُسهّل الهمزة، من هيّأت الشيء.

وكذلك القراءة التي بكسر الهاء وضّم التاء مع الهمزة، وغيرها فإنّها تحتمل أن تكون فعلاً ماضياً والتاء فيه ضمير المتكلّم، بمعنى هيّأت، يقال: هيّأت وهيّأت بمعنى. فما كان منها فعل، فاللام في (لك) متعلّق به، وما كان منها اسم فعل فاللام من (لك) خرج مخرج البيان كما تقدّم⁽¹⁾.

وفيما استشكل من بعض قراءات ابن عبّاس؛ قال أبو الفتح مبيّناً ومدافعاً عنه: "ينبغي أن يحسن الظن بابن عبّاس، فيقال: إنه أعلم بلغة القوم من كثير من علمائهم"⁽²⁾.
نستخلص مما سلف من خلال الأمثلة ما يأتي:

- اهتمام ابن عبّاس، بلغات العرب (اللهجات)، بصفة عامة، وبما ورد منها في القرآن الكريم بصفة خاصة.

- تحديد ابن عبّاس دلالات بعض الألفاظ في القرآن الكريم، من خلال البحث عن مراد اللغة في بيئته ولهجتها.

- مراعاة ابن عبّاس، لألفاظ القرآن الواردة بغير لغة قريش.

- اهتمام ابن عبّاس بلغات القبائل، من خلال نسبة الألفاظ إليها.

- إدراك ابن عبّاس، لعلاقة اللهجات بالقراءات، وفهمه مقصود الشارع في التيسير.

- المعرفة الواسعة لابن عبّاس بأصول القراءة، وتوجيهها لغة.

- التماس الأثر الواضح لابن عبّاس على أهل اللغة، من خلال الاستشهاد بأقواله، أو من خلال تطابق الشواهد.

- عدم خروج أهل اللغة، عما سطره ابن عبّاس من شرح لغات العرب، ومعرفة الظواهر الصوتية للهجات العرب.

¹ تُحَفُّهُ الأَقْرَانُ فِي مَا قُرِئَ بِالتَّنْثِيثِ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ، أحمد بن يوسف بن مالك الرعيبي الغرناطي ثم البيري، أبو جعفر الأندلسي (ت: 779هـ)، الناشر: كنوز أشبيليا - المملكة العربية السعودية ، ط: الثانية: 1482 هـ - 2007م. (ص: 44/40). - بتصرف -

² المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (2/342).

✓ ملامح المعرّب في تفسير ابن عباس وأثره في الدراسة اللغوية.

إن ابن عباس كما سلف كان عالماً بلغات القرآن، وقد أخذنا نماذج من لغات العرب في القرآن الكريم، حيث عالج دلالاتها من خلال معرفة لغات قبائل العرب، لكن تمت ألفاظ لا يعود أصلها لهذه القبائل، مع أن القرآن نزل بلغة العرب، فما حقيقة هذه الألفاظ؟. صحيح، أن العرب تلفظت بها فهي معرّبة، وبالتالي وردت في القرآن الكريم، فما هو المعرّب؟ وهل وجوده في القرآن صحيح؟، هذا ما سنحاول الإجابة عنه - بحول الله عزّ وجلّ - ، وذلك بعد ذكر متطلبات المبحث.

المعرّب لغة واصطلاحاً:

المعرّب لغة: أصل المادة من العرب وهو خلاف العجم.

قال إسحاق الفارابي (350هـ): "والعربُ المِستَعْرِبَةُ: المِتَعْرِبَةُ".⁽¹⁾

وقال قال الجوهري (ت 393هـ): "العرب: جيل من الناس، والنسبة إليهم عَرَبِيٌّ بَيْنَ العَرَبِ، وهم أهل الأمصار. والأعراب منهم سُكَّانُ البادية خاصّة. والنسبة إلى الأعراب أعْرَابِيٌّ، لأنه لا واحد له. وليس الأعراب جمعاً لعرب، والعرب العاربة هم الخُلُصُّ منهم. وربما قالوا: العرب العَرَبَاءُ. وتعرّب، أي تشبّه بالعرب. وتعرّب بعد هجرته، أي صار أعرابياً. والعرب المستعربة هم الذين ليسوا بخُلُصِّ، وكذلك المتعربة. والعربية، هي هذه اللغة. ويعرب بن قحطان أول من تكلم بالعربية، وهو أبو اليمن كلهم. والعرب والعرب واحد، مثل العجم والعجم".⁽²⁾

وقال ابن سيده المرسي (458هـ): "العربُ والعربُ: خلاف العجم..وعربٌ عاربةٌ وعرباءٌ:

صرحاء. ومتعربةٌ ومستعربةٌ: دخلاء والعربيُّ منسوبٌ إلى العرب وإن لم يكن بدوياً".⁽³⁾

المعرّب اصطلاحاً:

عقد سيبويه (ت: 180هـ) في كتابه "الكتاب" باب "ما أعرب من الأجمية" فقال عن

المعرّب: "لما أرادوا أن يعربوه ألحقوه ببناء كلامهم كما يلحقون الحروف بالحروف العربية".⁽⁴⁾

¹ معجم ديوان الأدب (2/ 428).

² ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1/ 178 / 179) - بتصرف -.

³ المحكم والمحيط الأعظم (2/ 126).

⁴ الكتاب لسبويه (4/ 304).

وعرفه الجوهري(ت 393هـ) بقوله: " وتعريب الاسم الأعجمي: أن تتفوه به العرب على منهاجها، تقول: عربته العرب وأعربته أيضاً".⁽¹⁾

وأما الزمخشري (538) عرفه في كشافه بقوله: " معنى التعريب أن يجعل عربياً بالتصريف فيه، وتغيره عن منهاجه وإجرائه على وجه الإعراب".⁽²⁾

وقال الجواليقي (ت 540 هـ) في كتابه المعرب معرفة التعريب: " ما تكلمت العرب من الكلام الأعجمي ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول -صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين، وذكرته العرب في أشعارها؛ ليُعرف الدخيل من الصريح"⁽³⁾

وقال أبو العباس الفيومي (ت: نحو 770هـ): " وَالإِسْمُ الْمُعْرَبُ الَّذِي تَلَقَّتهُ الْعَرَبُ مِنَ الْعَجَمِ نَكْرَةً نَحْوُ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ مَا أَمْكَنَ حَمْلُهُ عَلَى نَظِيرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَةِ الْعَرَبِيَّةِ حَمْلُهُ عَلَيْهِ وَرُبَّمَا لَمْ يَحْمَلُوهُ عَلَى نَظِيرِهِ بَلْ تَكَلَّمُوا بِهِ كَمَا تَلَقَّوهُ وَرُبَّمَا تَلَعَّبُوا بِهِ فَاشْتَفُّوا مِنْهُ وَإِنْ تَلَقَّوهُ عِلْمًا فَلَيْسَ بِمُعْرَبٍ وَقِيلَ فِيهِ أَعْجَمِيٌّ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ".⁽⁴⁾

وقال طه حسين(ت: 1973م): "وأما التعريب فهو نقل كلمة أجنبية إلى اللغة العربية واصطلاحها حتى تصير على الأوزان المقتبسة المعروفة وهذا النوع كثير في كلام الجاهليين وفي القرآن الكريم وكثرته في عصر الأمويين والعباسيين مدهشة".⁽⁵⁾

ولعل أصح تعريف للمعرب قول الجواليقي (ت 540 هـ) فيما ذكرناه، وذلك بأن تتوفر فيه شروطاً من أبرزها: أن ينطق به القرآن المجيد؛ أو يرد في أخبار الرسول -صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين؛ أو تذكره العرب في أشعارها.

انقسم العلماء حول وجود المعرب في القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام وهي كالتالي:

¹ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1/ 179).

² تفسير الزمخشري (4/ 282).

³ المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، موهوب بن أحمد بن محمد بن الحضر بن الحسن، أبو منصور ابن

الجواليقي(ت 540 هـ)، تحقيق: د ف عبد الرحيم، ط: دار القلم-دمشق-ط الأولى: 1410هـ-1990م.(ص91).

⁴ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو 770هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت. (2/ 400).

⁵ مجلة المقتبس جلة المقتبس/العدد 25/73 مقالة لطف حسين تحت عنوان: "هل تسترد اللغة العربية أمجادها" بتاريخ :

1912/03/01م.

رأي المنكرين للمعرب وأدلتهم:

نقل جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) في إتقانه مذهب المنكرين فقال: "فَأَلَّا كَثُرُونَ وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ وَابْنُ حَرِيرٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ وَبَنُ فَارِسٍ عَلَى عَدَمِ وَقُوعِهِ فِيهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فُرَاتًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: 2] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ فُرَاتًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: 44]، وَقَدْ شَدَّدَ الشَّافِعِيُّ التَّكْيِيرَ عَلَى الْقَائِلِ بِذَلِكَ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِذَا أُنزِلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ فِيهِ غَيْرَ الْعَرَبِيَّةِ فَقَدْ أَعْظَمَ الْقَوْلَ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ كَذَابًا بِالنَّبَطِيَّةِ فَقَدْ أَكْبَرَ الْقَوْلَ.

وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ: لَوْ كَانَ فِيهِ مِنْ لُغَةِ غَيْرِ الْعَرَبِ شَيْءٌ لَتَوَهَّمُوا مُتَوَهَّمًا أَنَّ الْعَرَبَ إِنَّمَا عَجَزَتْ عَنِ الْإِثْبَانِ بِمِثْلِهِ لِأَنَّهُ أَتَى بِلُغَاتٍ لَا يَعْرِفُونَهَا.

وَقَالَ ابْنُ حَرِيرٍ: مَا وَرَدَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ مِنْ تَفْسِيرِ الْفَاطِ مِنْ الْقُرْآنِ أَنَّهَا بِالْفَارِسِيَّةِ أَوْ الْحَبَشِيَّةِ أَوْ النَّبَطِيَّةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ إِنَّمَا اتَّفَقَ فِيهَا تَوَارُذُ اللَّغَاتِ فَتَكَلَّمَتْ بِهَا الْعَرَبُ وَالْفُرسُ وَالْحَبَشَةُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ. (1)

رأي القائلين بالمعرب وأدلتهم:

نلاحظ أن هناك جمع من اللغويين ينجحون إلى القول بوجود المعرب في لغة العرب ولذلك

نجدهم في معاجهم يحكون بعض الألفاظ ويقولون أنها من المعرب.

قال الخليل (ت: 170هـ): "القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة، إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم. وغير هذه الكلمات المعربة، وهي الجوالقُ والقَبَجُ ليستا بعربية محضة ولا فارسية." (2)

أما ابن دُرَيْدٍ الأزدِي (ت: 321هـ) فقد أكثر من حكاية المعرب وخاصة منه الفارسي ولعل ذلك استفاده من رحلته إلى فارس فنجده يقول في جمهرته: "والقناقن : الَّذِي يَعْرِفُ مِقْدَارَ الْمَاءِ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ فِيحْفَرُ عَنْهُ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ فَارِسِيٌّ مُعْرَبٌ." (3)

وقال في موضع آخر: "والألوة: العود الَّذِي يَتَبَخَّرُ بِهِ فَارِسِيٌّ مُعْرَبٌ." (4)

¹ الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ (2/ 125).

² العين (6/ 5).

³ جمهرة اللغة (1/ 22).

⁴ نفس المرجع (1/ 247).

وقال في موضع آخر: "وَالْبَحْتُ: فَارِسِي مُعْرَبٌ وَقَدْ تَكَلَّمْتُ بِهِ الْعَرَبُ وَهُوَ الْجَدُّ".⁽¹⁾

وقال في موضع آخر: "والدبج: النقش أصله فارسي مُعْرَبٌ مَأْخُودٌ مِنَ الدِّيَاجِ".⁽²⁾

وحكى أبو بكر الأنباري (ت: 328هـ) عن ابن الأعرابي: "القفان عند العرب: الأمين، قال: وهو فارسي معرب".⁽³⁾

وقال الفارابي (350هـ): "هذا شرحُ هذا، أي: مثله. وهو الصَّنَجُ. وهو فارسيُّ معرَّبٌ".⁽⁴⁾

وحكى الأزهري (370هـ) عن أبي حاتم: "تقول العامة: الجَوْحَانُ. . وَهُوَ فَارِسِيٌّ مُعْرَبٌ؛ وَهُوَ بِالْعَرَبِيَّةِ: الْمِسْطَحُ وَالْجَرِيْنُ".⁽⁵⁾

وقد أكثر الجوهري (ت 393هـ) من حكايته المعرَّب في صحاحه وخاصة منه الفارسي وما قاله: "الجرْدَبَانُ بالذال غير معجمة ، فارسي معرب، أصله كرده بان، أي حافظ الرغيف، وهو الذي يضع شماله على شيء يكون على الخوان كي لا يتناوله غيره. وأنشد الفراء:

إِذَا مَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ شَهَاوَى **** فَلَا تَجْعَلْ شِمَالَكَ جَرْدُبَانًا⁽⁶⁾ .⁽⁷⁾

وعقد أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ) في كتابه فقه اللغة " فصل في سِيَاقَةِ أَسْمَاءِ تَفَرَّدَتْ بِهَا الْفَرَسُ دُونَ الْعَرَبِ فَاضْطَرَّتِ الْعَرَبُ إِلَى تَعْرِيْبِهَا أَوْ تَرْكِهَا كَمَا هِيَ. "فمنها من الأواني: الكوز؛ الإبريق؛ الطَّشْتُ؛ الخَوَانُ؛ الطَّبُّ؛ القَصْعَةُ".⁽⁸⁾

وقال الجويني (ت: 478هـ): " فِي الْقُرْآنِ أَلْفَاظٌ مَعْرَبَةٌ مِنْ لُغَةِ الْعَجَمِ مِنْهَا الْإِسْتَبْرَقُ. وَهُوَ مُعْرَبٌ اسْتَبْرَهَ بِلِسَانِ الْعَجَمِ... فَإِنْ قِيلَ: لَيْسَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ اسْمٌ عَلَى وَزْنِ اسْتَفْعَلَ. وَالْإِسْتَبْرَقُ لَا

¹ نفس المرجع (1/ 252).

² نفس المرجع (1/ 264).

³ الزاهر في معاني كلمات الناس (1/ 86).

⁴ معجم ديوان الأدب (1/ 99).

⁵ تهذيب اللغة (7/ 19).

⁶ والبيت لم أحده عند الفراء وأورده القاسم بن سلام (ت: 224هـ) في الغريب المصنف (2/ 468)، وابن السكيت (ت: 244هـ) في الكنز اللغوي في اللسان العربي (ص: 16)؛ وكذا هو في الجرائيم المنسوب لابن قتيبة (ت: 276هـ)، (1/ 330).

⁷ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1/ 99).

⁸ فقه اللغة وسر العربية. (ص: 208).

نَظِير لَهُ فِي وَضَعِهِ وَوِزْنِهِ؛ قِيلَ: وَكَمْ مِنْ اسْمٍ شَادَ فِي وَضَعِ اللَّغَةِ لَا نَظِيرَ لَهُ. وَانْتِفَاءً نَظِيرُهُ لَا يَنْفِيهِ عَنِ أَصْلِ اللَّغَةِ".⁽¹⁾

رَأْيُ يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَذْهَبَيْنِ:

أَرْجَحُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْخِلَافَ فِي الْمَسْأَلَةِ يَكَادُ يَكُونُ لَفْظِيًّا، لِأَنَّ الْقَائِلِينَ بِالْإِنْكَارِ أَهْمُ اسْتِدْلَالَاتِهِمْ أَنَّ الْقُرْآنَ عَرَبِيٌّ؛ أَمَا الْقَائِلُونَ بِالْمَعْرَبِ وَهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ اللَّغَةِ، فَلَمْ يَنْفُوا عَرَبِيَّةَ هَذِهِ الْأَلْفَافِ بَلْ حَكَمُوا فِي مَعَايِمِ الْعَرَبِيَّةِ، وَإِنَّمَا قَالُوا أَصْلَهَا غَيْرُ عَرَبِيٍّ ثُمَّ عَرَبَتْ وَأَخَذَتْ قِيَاسَ الْعَرَبِ فِي النُّطْقِ، وَبِذَلِكَ تَعَرَّبَتْ، أَمَا حِجَّةُ ابْنِ فَارَسٍ (395هـ) فِي قَوْلِهِ: "الْقُرْآنُ لَوْ كَانَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ لُغَةٍ الْعَرَبِ شَيْءٌ، لَتَوَهَّمَتْهُمْ أَنَّ الْعَرَبَ إِنَّمَا عَجَزَتْ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ لِأَنَّهُ أَتَى بِلُغَاتٍ لَا يَعْرِفُونَهَا، وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ".⁽²⁾ فِيهِ".⁽²⁾ فَهِيَ حِجَّةٌ قَوِيَّةٌ فِي حَالَةِ كَوْنِ الْعَرَبِ لَمْ تَفْهَمْ هَذِهِ الْأَلْفَافِ، لَكِنَّ الْعَرَبَ حِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ لَمْ تَنْكُرْ عَرَبِيَّتَهَا لِأَنَّهَا عَرَّبَتْ قَبْلَ نَزْوِلِهِ، وَأَصْبَحَ مِنْ تَرَاثِمِهَا.

وَبِذَلِكَ زَالَتِ الْعِلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا تَنْتَقِدُ عَرَبِيَّةَ الْقُرْآنِ، وَلَعَلَّ ابْنَ عَطِيَّةَ الْأَنْدَلِسِيِّ (ت: 542هـ) أَبَانَ هَذَا بِمَا لَا يَدْعُ شَكًّا فَقَالَ: "إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مَبِينٍ، فَلَيْسَ فِيهِ لَفْظَةٌ تَخْرُجُ عَنِ كَلَامِ الْعَرَبِ فَلَا تَفْهَمُهَا إِلَّا مِنْ لِسَانِ آخَرَ، فَأَمَّا هَذِهِ الْأَلْفَافُ وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ لِلْعَرَبِ الْعَارِبَةِ الَّتِي نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهَا بَعْضُ مَخَالَطَةِ لِسَانِ الْأَلْسِنَةِ بِتِجَارَاتٍ وَبِرَحَلَتِي قَرِيْشٍ، وَكَسْفَرِ مَسَافِرِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمِيَّةِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ إِلَى الشَّامِ، وَسَفَرِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ، وَكَسْفَرِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِي وَعِمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَكَسْفَرِ الْأَعْشَى إِلَى الْحَيْرَةِ وَصَحْبَتِهِ لِنَصَارَاهَا مَعَ كَوْنِهِ حِجَّةً فِي اللَّغَةِ، فَعَلَقَتْ الْعَرَبُ بِهَذَا كُلِّهِ أَلْفَافًا أَعْجَمِيَّةً غَيْرَتْ بَعْضَهَا بِالنَّقْصِ مِنْ حُرُوفِهَا، وَجَرَتْ إِلَى تَخْفِيفِ ثِقَلِ الْعِجْمَةِ، وَاسْتَعْمَلَتْهَا فِي أَشْعَارِهَا وَمَحَاوِرَاتِهَا حَتَّى جَرَتْ مَجْرَى الْعَرَبِيِّ الصَّرِيحِ، وَوَقَعَ بِهَا الْبَيَانُ، وَعَلَى هَذَا الْحَدِّ نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ، فَإِنَّ جَهْلَهَا عَرَبِيٍّ مَا فَكَّجَهُلَهُ الصَّرِيحُ بِمَا فِي لُغَةٍ غَيْرِهِ، كَمَا لَمْ يَعْرِفْ ابْنُ عَبَّاسٍ مَعْنَى فَاطِرٍ".⁽³⁾

¹ التلخيص في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت: 478هـ)، المحقق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت. (1/ 219 / 221).

² الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ص: 3).

³ تفسير ابن عطية (1/ 51).

وهذا الجمع بين القولين هو الأقرب وقد رجحه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت : 224هـ) في معرض حديثه عن اعتراض أبي عبيدة (ت: 210) على مذهب القائلين بالمعرب فقال: "فَهَؤُلَاءِ أَعْلَمُ بِالتَّأْوِيلِ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ وَلَكِنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَى مَذْهَبٍ وَذَهَبَ هَذَا إِلَى غَيْرِهِ وَكِلَاهُمَا مُصِيبٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَذَلِكَ أَنَّ أَصْلَ هَذِهِ الحُرُوفِ بَعِيرٌ لِسَانَ العَرَبِ فِي الأَصْلِ فَقَالَ أَوْلَيْكَ عَلَى الأَصْلِ ثُمَّ لَفِظَتْ بِهِ العَرَبُ بِألسنتها فَعَرَبْتَهُ فَصَارَ عَرَبِيًّا بِتَعْرِيبِهَا إِيَّاهُ فَهِيَ عَرَبِيَّةٌ فِي هَذِهِ الحَالِ عَجْمِيَّةُ الأَصْلِ فَهَذَا القَوْلُ يَصْدُقُ القَرِيبَيْنِ جَمِيعًا".⁽¹⁾

وقال شهاب الدين الخفاجي (ت: 1069هـ) في معرض حديثه عن بعض الكلمات حيث قال: "وقوله (لسوفي) أي المساوي بلا نقص فيه ؛ قوله: (وهو رومي) أي معرب من لغة الروم لفقد مادته في العربية وقيل: إنه عربيّ، وقيل إنه مأخوذ من القسط وفيه نظر، وقوله: ولا يقدر ذلك في عربية القرآن المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: 2] لأنه بعد التعريب والسماع في فصيح الكلام يصير عربيًا فلا حاجة".⁽²⁾

وقال في موضع آخر بصدد الكلام عن الإستبرق: "وبعد التعريب ألحق بكلام العرب فلا ينافي وقوعه في القرآن كونه عربيًا مبيّنًا".⁽³⁾

وبعد البحث اهتديت إلى حديث لعله نص في المسألة، ولم أجد من ذكره، وقد أورده البخاري في صحيحه بسنده قَالَ: جَلَسَ عَبْدُ اللَّهِ، وَأَبُو مُوسَى فَتَحَدَّثَا: فَقَالَ أَبُو مُوسَى: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا، يُرْفَعُ فِيهَا العِلْمُ، وَيَنْزَلُ فِيهَا الجُهْلُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الهَرْجُ» وَالهَرْجُ: القَتْلُ. ثم أعقب رواية بعدها فقال مثله، وَالهَرْجُ: بِلِسَانِ الحَبَشَةِ القَتْلُ.⁽⁴⁾ وهذه الزيادة غير واضحة هل هي مدرجة من كلام الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أم من كلام أبي موسى؛ لكن وجدت رواية في مسند الإمام أحمد يسندها إلى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفيها مثله وزيادة قَالُوا:

¹ غريب الحديث للقاسم بن سلام (4/ 242).

² حاشية الشَّهَابِ عَلَى تَفْسِيرِ البَيْضاوي، المُسَمَّاةُ: عِنَايَةُ القَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاظِرِيِّ عَلَى تَفْسِيرِ البَيْضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: 1069هـ)، دار النشر: دار صادر - بيروت. (6/ 29).

³ نفس المرجع (8/ 12).

⁴ صحيح البخاري (9/ 48) برقم: 7064؛ والثاني برقم: 7065.

يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْفِنْنَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا فَاهْرُجْ مَا هُوَ؟ قَالَ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: " الْقَتْلُ، وَيُلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التَّنَاكُرُ
فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدًا " (1).

وأورد هذه الرواية أبو يعلى في مسنده⁽²⁾ وسمي الرجل المبهم بين أبي موسى و إِيَادِ بْنِ لَقِيْطٍ وهو
قَرظَةَ بْنِ حَسَّانَ ، هكذا ورد، وقال فيه أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوبَعَا (ت: 879هـ):
يروى عن أبي موسى الأشعري. روى عنه إِيَادِ بْنِ لَقِيْطٍ ؛ قلت: أخشى أن يكون هذا ابن خيثمة⁽³⁾
وقع فيه التحريف، أو أن بعضهم يقوله كذلك " (4) .. لكن رغم هذا فرواية أبي يعلى فيها ضعف في
السند لوجود عَبْدِ الْغَفَّارِ بْنِ الْقَاسِمِ، وهو ضعيف عند أصحاب الحديث⁽⁵⁾.

الفرق بين المعرب والدخيل:

والمعرب قد يطلق على الدخيل، قال أبو البقاء الكفوي(ت:1094هـ): " الدخيل: كل كلمة
أدخلت في كَلَامِ الْعَرَبِ وَلَيْسَتْ مِنْهُ فَهُوَ الدخيل " (6).

أما بعض اللغويين يجنح بأن المعرب والدخيل شيء واحد، ويطلق على المعرب دخيلاً⁽⁷⁾.
وقيل بينهما عموم وخصوص، فكل معرب فهو دخيل في الأصل وليس كل دخيل معرب.
قال عبد الرحيم محقق كتاب المعرب من الكلام الأعجمي: " الدخيل أعم من المعرب فيطلق
على كل ما دخل في اللغة العربية من اللغات الأعجمية سواء كان ذلك في عصر الاستشهاد أم

¹ مسند أحمد ط الرسالة (38/ 335) برقم: 23306. قال المحقق: صحيح لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح لكن
إِيَادِ بْنِ لَقِيْطٍ لم يدرك حذيفة.

² مسند أبي يعلى الموصلي (13/ 198) برقم: 7228.

³ يقصد به قُرْظُ بْنُ خَيْثَمَةَ، من بني قيس بن ثعلبة.

⁴ الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة ، أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوبَعَا السُّؤْدُوْنِي الجمالي الحنفي (ات: 879هـ)، دراسة
وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة صنعاء،
اليمن، ط: الأولى: 1432 هـ - 2011 م. (8/ 35) برقم: 9026 .

⁵ قال شمس الدين الذهبي (ت: 748هـ) في ميزان الاعتدال (2/ 640): عبد الغفار بن القاسم، أبو مريم الأنصاري، رافضي ،
ليس بثقة. قال علي بن المديني: كان يضع الحديث، ويقال: كان من رءوس الشيعة. وروى عباس عن يحيى: ليس بشيء. وقال
البخاري: عبد الغفار بن القاسم بن قيس بن فهد ليس بالقوى عندهم اهـ

⁶ الكليات (ص: 439).

⁷ ينظر: المعرب والدخيل في اللغة العربية،(رسالة دكتوراه لطالب) كل محمد باسل، تحت إشراف أ د محمود عبد السلام أحمد شرف
الدين، الجامعة الإسلامية العالمية-إسلام آباد-باكستان، سنة المناقشة: 1423هـ-2002م.(ص19).

بعده، وسواء خضع عند التعريب للأصوات والأبنية العربية أم لم يخضع؛ وسواء كان نكرة أم علماً، ذلك أن من اللغويين من لا يسمى العلم من الدخيل معرباً".⁽¹⁾

وكعادته ابن عباس رائد هذا الفن حيث أورد المعرب فيما ينسب إليه من كتاب " لغات العرب"، قال التهامي الراحي قي تحقيقه لكتاب "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب": " وأول من اهتم من هؤلاء بهذا الفن هو ابن عباس، لقد وصلنا كتابه الذي يعزى عادة إليه، ولاحظنا أن ابن عباس لم يقتصر فيه، أو على أصح تعبير، لم تقتصر الروايات المعزوة إليه على لغات قبائل العرب، بل تعدتها إلى لغات الفرس والنبط والحبشية وغيرها".⁽²⁾

والكتاب لغات العرب، تكلمنا عن نسبه في المبحث الذي قبل هذا بما غنية عن إعادته هنا. وهذه بعض النماذج سقناها حسب المنهج الذي اتبعناه في المبحث السابق: ومما روي عن ابن عباس في المعرب في تفسير القرآن الكريم مع بيان أثر ذلك على أهل اللغة:

o ما عرّب من الحبشية إلى العربية:

1. في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114].

أسند الطبري(ت:310) بسنده عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: " الأوّاه: الموقن بلسان الحبشية". كذا ورد عن عطاء وعكرمة.⁽³⁾ وقيل: " هو المؤمن بالحبشية".⁽⁴⁾ ونقل أبو الحسن الماوردي(ت:450هـ): فيه عشرة تأويلات: " أحدها: أن الأوّاه: الدعاء ، أي الذي يكثر الدعاء ، قاله ابن مسعود. الثاني: أنه الرحيم ، قاله الحسن. الثالث: أنه الموقن ، قاله عكرمة وعطاء. الرابع: أنه المؤمن ، بلغة الحبشة ، قاله ابن عباس. الخامس: أنه المسبح ، قاله سعيد بن المسيب. السادس: أنه الذي يكثر تلاوة القرآن ، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً. السابع: أنه المتأوه ، قاله أبو زر. الثامن: أنه الفقيه ، قاله مجاهد. التاسع: أنه المتضرع الخاشع ، رواه عبد الله بن

¹ مقدمة المحقق لكتاب المعرب من الكلام الأعجمي.(ص17).

² مقدمة المحقق المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت: 911هـ)، تعق: التهامي الراحي الهاشمي.(ص3).

³ تفسير الطبري ت شاكر (14/ 527) برقم: 17391 وبرقم: 17392.

⁴ نفس المرجع (14/ 529) برقم: 17402.

شداد بن الهاد عن النبي صلى الله عليه وسلم. العاشر: أنه الذي إذا ذكر خطاياہ استغفر منها ، قاله أبو أيوب. وأصل الأواه من التأوه وهو التوجع ، ومنه قول المَثَقَّب العَبْدِي⁽¹⁾:

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ **** تَأَوُّهُ آهَةً الرَّجُلِ الْحَزِينِ (2). " (3)

لقد اختلف أهل التأويل في تفسير اللفظة على عدة أقوال، كما أن أهل اللغة أيضاً نقلوا هذا الخلاف ومن نقله أبو بكر الأنباري(ت: 328هـ) فقال: " وفي: الأواه، سبعة أقوال: قال عبد الله بن مسعود: الأواه: الرحيم. وقال مجاهد: الأواه: الفقيه. وقال: سعيد بن جبير: الأواه: المسبَّح. ويُروى عن ابن مسعود أنه قال: الأواه: الدعاء. وقال قوم: الأواه: المؤمن.

وقال آخرون: الأواه: الموقن. وقال أهل اللغة: الأواه: الذي يتأوه من الذنوب؛ واحتجوا بقول

الشاعر:

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ **** تَأَوُّهُ آهَةً الرَّجُلِ الْحَزِينِ " (4).

وهذا الاختلاف قد يرجع إلى اتساع لسان العرب، من الترادف والاشتراك، كما لا ينفي اشتراك بعض الألفاظ بين الأجناس.

ما يؤيد ما روي عن ابن عباس، من أهل اللغة:

قال الأزهري(370هـ) في تهذيبه: "وقيل : المؤمن، بلغة الحبشة".⁽⁵⁾ ؛ كذا أوردها نشوان

الحَمِيرِي (ت: 573هـ) في شمس العلوم⁽⁶⁾؛ وابن منظور الإفريقي(ت: 711هـ) في لسانه⁽⁷⁾.

¹ المَثَقَّب العَبْدِي هو: العائذ بن محصن بن ثعلبة، من بني عبد القيس، من ربيعة: شاعر جاهلي، من أهل البحرين؛ اتصل بالملك عمرو بن هند، وله فيه مدائح. ومدح النعمان بن المنذر. وشعره جيد فيه حكمة ورقة ينظر: الأعلام للزركلي (3/239).

² البيت في ديوان شعر المَثَقَّب العَبْدِي، تحقيق وشرح حسن كامل الصَّيْرِي، ط: جامعة الدول العربية-معهد المخطوطات العربية- ط: 1391هـ-1971م. (ص194).

³ ينظر: تفسير الماوردي النكت والعيون (2/410 /411).

⁴ ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (1/104).

⁵ تهذيب اللغة (6/254)

⁶ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت: 573هـ)، تعق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمد عبد الله الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)،: الأولى: 1420هـ- 1999 م. (1/355).

⁷ لسان العرب (13/473).

كما أثبت تعريب اللفظة جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) في المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب.⁽¹⁾

2. في قوله تعالى: ﴿ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ [الرعد: 29].

أسند الطبري (ت: 310) بسنده عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿ طُوبَى لَهُمْ ﴾ [الرعد: 29]. قَالَ: " اسْمُ الْجَنَّةِ بِالْحَبَشِيَّةِ".⁽²⁾

ونقل أبو الحسن الماوردي (ت: 450هـ) فيها ثلاثة أقاويل: " أحدها: أنها كلمة حبشية ، قاله ابن عباس. الثاني: كلمة هندية ، قاله عبد الله بن مسعود. الثالث: عربية ، قاله الجمهور".⁽³⁾ لقد اختلف أهل التأويل في تفسير اللفظة على عدة أقوال، كما أن أهل اللغة أيضاً نقلوا هذا الخلاف وممن نقله أبو بكر الأنباري (ت: 328هـ) فقال: "واختلف الناس في معنى طوبى ، فقال أهل اللغة: طوبى لهم، معناه: خير لهم. وهو قول إبراهيم النخعي ومجاهد. وروى عن إبراهيم أنه قال: طوبى: الخير والبركة التي أعطاهم الله؛ وقال ابن عباس: طوبى: اسم الجنة بالحبشية. وقال سعيد بن مسجوح: طوبى: اسم الجنة بالهندية. وقال عكرمة: طوبى لهم، معناه: النعمى لهم. ... عن قتادة أنه قال: طوبى لهم: كلمة عربية، تقول العرب: طوبى لك إن فعلت كذا وكذا...".⁽⁴⁾

مما يؤيد ما روي عن ابن عباس، من أهل اللغة:

لقد أسند أهل اللغة هذا الرأي إلى سعيد بن جُبَيْرٍ ، وحكوه عنه ومن هؤلاء أبو منصور الأزهري (370هـ) في تهذيبه⁽⁵⁾، وابن منظور الإفريقي (ت: 711هـ) في لسانه⁽⁶⁾ و المرتضى، الزبيدي

¹ المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب. (ص: 75).

² تفسير الطبري، ت: شاکر (16 / 436) برقم: 20374.

³ تفسير الماوردي (النكت والعيون). (3 / 111).

⁴ الزاهر في معاني كلمات الناس (1 / 449).

⁵ تهذيب اللغة (14 / 29).

⁶ لسان العرب (1 / 565).

الرَّيْدِي (ت: 1205هـ)، في تاجه⁽¹⁾ وقد حكاه ابن الجوزي (ت: 597هـ) في غريب الحديث⁽²⁾ ، أما أبو البقاء الكفوي (ت: 1094هـ) فنسبه إلى ابن عباس⁽³⁾.
كما أثبت تعريب اللفظة أبو منصور ابن الجواليقي (ت: 540هـ) في كتابه المعرب⁽⁴⁾ وجمال الدين السيوطي (ت: 911هـ) في المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب⁽⁵⁾.

3. في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيَلًا ﴾ [المزمل: 6].

أسند الطبري (ت: 310) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ [المزمل: 6]. قَالَ: " بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ إِذَا قَامَ الرَّجُلُ مِنَ اللَّيْلِ، قَالُوا: نَشَأٌ."⁽⁶⁾
وقال السُّيُوطِي (ت: 911هـ) في الدر المنثور: أخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن نصر وابن المنذر والبيهقي في سننه ابن عباس في قوله: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ قَالَ: " قيام الليل بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ إِذَا قَامَ الرَّجُلُ قَالُوا: نَشَأٌ."⁽⁷⁾

وروي هذا القول أيضاً عن ابن مسعود في قوله: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ قَالَ: " هِيَ بِالْحَبَشِيَّةِ قِيَامُ اللَّيْلِ."⁽⁸⁾ كذا ورد عن أبي مالك و عن أبي مسرة⁽⁹⁾.
ونقل أبو الحسن الماوردي (ت: 450هـ) فيها ستة تأويلات: " أحدها: أنه قيام الليل ، بالحبشية ، قاله ابن مسعود. الثاني: أنه ما بين المغرب والعشاء ، قاله أنس بن مالك. الثالث: ما بعد

¹ تاج العروس (3/ 283).

² غريب الحديث، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط: الأولى: 1405 - 1985 م. (2/ 43).

³ الكليات (ص: 588).

⁴ المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، (ص445) رقم: 439.

⁵ المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب (ص: 113).

⁶ تفسير الطبري، ت شاکر (23/ 682).

⁷ الدر المنثور في التفسير بالمأثور (8/ 316).

⁸ تفسير ابن أبي حاتم - محققا (10/ 3380) برقم: 19020. وقال السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (8/ 316) وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن مسعود في قوله: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ قَالَ: هِيَ بِالْحَبَشِيَّةِ قِيَامُ اللَّيْلِ.

⁹ الدر المنثور في التفسير بالمأثور (8/ 316).

العشاء الآخرة ، قاله الحسن ومجاهد. الرابع: أنها ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة ، قاله ابن قتيبة. الخامس: أنه بدء الليل ، قاله عطاء وعكرمة. السادس: أن الليل كل ناشئة ، قال ابن عباس: لأنه ينشأ بعد النهار".⁽¹⁾

أما أهل اللغة: فورد عنهم ما يأتي:

قال أبو عبيدة(ت:209هـ): ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾: " ساعات الليل وهى آناء الليل ناشئة بعد ناشئة".⁽²⁾

وقال ابن قتيبة الدينوري(ت:276هـ): "ساعاته الناشئة. من "نشأت": إذا ابتدأت".⁽³⁾
وأما أبو إسحاق الحربي (ت: 285هـ) حكى الخلاف في معنى هذه اللفظة فقال: " قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ [المزمل: 6]. فَكَانَ أَنَسُ ، وَالْحَسَنُ ، وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَالضَّحَّاكُ ، وَالْحَكَمُ ، وَمُجَاهِدٌ ، يَقُولُونَ: نَاشِئَةُ اللَّيْلِ: أَوَّلُهُ ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْكِسَائِيُّ فِيمَا أَخْبَرَنِي أَبُو عَمَرَ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَمُجَاهِدٌ: النَّاشِئَةُ: مَا كَانَ بَعْدَ نَوْمِهِ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ، وَابْنُ عُمَرَ ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ ، وَأَبُو مَالِكٍ ، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ ، وَعِكْرِمَةُ ، وَمُحَمَّدٌ ، وَأَبُو مِجَلَزٍ ، وَالسُّدِّيُّ ، وَمَطَرٌ: اللَّيْلُ كُلُّهُ نَاشِئَةٌ ، فَمَتَى قُتِمَتْ فَقَدْ نَشَأَتْ".⁽⁴⁾

أما أبو بكر الأنباري(ت:328هـ) جمع هذه الأقوال في قوله: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ معناه: " إن قيام الليل. قال المفسرون: كل ما أحياه المصلي من صلاة الليل فهو له ناشئة".⁽⁵⁾

ولم أجد من أهل اللغة من نسب هذه اللفظة إلى لسان الحبشة أو نسب القول بها إلى ابن عباس، ولعلها من الألفاظ المشتركة بين لغتين، وهذا ما أورده أبو البقاء الكفوي(ت:1094هـ) ونسبه لابن الأنباري حيث قال: قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: (هَيْتَ لَكَ) وَفَاقَ بَيْنَ لُغَةِ قُرَيْشٍ وَأَهْلِ حَوْرَانَ كَمَا اتَّفَقَتْ لُغَةُ الْعَرَبِ وَالرُّومِ فِي (الْقِسْطَاسِ) ، وَلُغَةُ الْعَرَبِ وَالْفَرَسِ فِي (سَجِيلِ) ، وَلُغَةُ الْعَرَبِ وَالْتَّرْكِ فِي (عَسَنَاقِ) وَلُغَةُ الْعَرَبِ وَالْحَبَشَةِ فِي ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾".⁽⁶⁾

¹ تفسير الماوردي ، النكت والعيون (6 / 127).

² مجاز القرآن (2 / 273).

³ غريب القرآن لابن قتيبة ت أحمد صقر (ص: 493).

⁴ غريب الحديث لإبراهيم الحربي (2 / 881).

⁵ الزاهر في معاني كلمات الناس (1 / 516).

⁶ الكليات (ص: 959).

وهذا ما يميل إليه الطبري(310) حيث هو ينكر وجود المعرب، لكن لا ينكر اشتراك لفظ ما، بين لغتين ولذلك عقد في مقدمته فصل " الْقَوْلُ فِي الْبَيَانِ عَنِ الْأَحْرَفِ الَّتِي اتَّفَقَتْ فِيهَا أَلْفَاظُ الْعَرَبِ وَأَلْفَاظُ غَيْرِهَا مِنْ بَعْضِ أَجْنَاسِ الْأُمَّمِ ".⁽¹⁾ وأسند الرواية عن ابن عباس في ذلك. كما أثبت تعريب اللفظة جلال الدين السيوطي(ت:911هـ) في المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب.⁽²⁾

○ ما عرب من الفارسية إلى العربية:

4. في قوله تعالى: ﴿حِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ [هود: 82].

أسند الطبري(ت:310هـ) عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: " سِجِّيلٌ بِالْفَارِسِيَّةِ: سَنَكٌ وَكَلٌّ، حَجَرٌ وَطِينٌ ".⁽³⁾ كذا أورده البخاري في صحيحه معلقاً.⁽⁴⁾ وقال به مجاهد.⁽⁵⁾

قول أهل اللغة في "سجّيل":

قال الخليل(ت:170هـ): " والسجّيل حجارة كالمدر، وهو حجر وطين، ويُفسّر أنه مُعَرَّبٌ دخيل".⁽⁶⁾

أما أبو عبيد القاسم بن سلام(ت:224هـ) في معرض رده على أبي عبيدة(209) قال: " وقد رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ وَغَيْرِهِمْ فِي أَحْرَفٍ كَثِيرَةٍ أَنَّهَا مِنْ غَيْرِ لِسَانِ الْعَرَبِ مِثْلَ: سِجِّيلٍ وَالْمَشْكَاةِ وَالْيَمِّ وَالطُّورِ وَأَبَارِيقٍ وَاسْتَبْرَقٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَهَؤُلَاءِ أَعْلَمُ بِالتَّأْوِيلِ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ".⁽⁷⁾ وقال أبو إسحاق الزجاج (ت:311هـ): " وقد قال الناس في سجّيل أقوالاً، ففي التفسير أنها مِنْ جِلٍّ وَحِجَارَةٍ. وقال أهل اللغة: هو فارسي مُعَرَّبٌ، والعرب لا تعرف هذا. والذي عندي أنه إذا

¹ تفسير الطبري ، ت شاکر (1/ 13).

² المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب (ص: 152).

³ تفسير الطبري ، ت شاکر (15/ 434) برقم: 18433.

⁴ صحيح البخاري (6/ 177).

⁵ قال السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (4/ 464): وَأَخْرَجَ الْفَرَّايِيَّ وَابْنَ جَرِيرٍ وَابْنَ الْمُنْذِرِ وَابْنَ أَبِي حَاتِمٍ وَأَبُو الشَّيْخِ

عَنْ مُجَاهِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ ﴿حِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ قَالَ: بِالْفَارِسِيَّةِ أَوْلَاهَا حِجَارَةٌ وَأَخْرَجَهَا طِينٌ

⁶ العين (6/ 54).

⁷ غريب الحديث للقاسم بن سلام (4/ 242).

كان هذا التفسير صحيحاً فهو فارسي أعرب لأن الله - جلَّ وَعَزَّ - قد ذكر هذه الحجاره في قصة قوم لوط، فقال: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ [الذاريات: 33]؛ فقد تبين للعرب ما عني به سجيل، ومن كلام الفرس ما لا يخصي مما قد أعربتُه العرب⁽¹⁾.

وحكى أبو جعفر النحاس (ت: 338هـ) قول من قال أصله فارسي وستحسنه ثم قال: " وإنما استحسناه لأنه قال في موضع آخر حجاره من طين ﴿حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾".⁽²⁾ ونقل أبو منصور الأزهرى (ت: 370هـ) كلام الزجاج بلفظه ولم يسنده إليه في تهذيبه.⁽³⁾ وحكى القول بفارسيته كل من ابن منظور الإفريقي (ت: 711هـ) في لسانه⁽⁴⁾ والمتمضى الزبيدي (ت: 1205هـ)، في تاجه⁽⁵⁾.

ثم وجدت علي بن الحسن الهنائي الأزدي (ت: بعد 309هـ) عقد فصلاً في كتابه المنتخب "بَابُ مَا دَخَلَ مِنْ لُغَاتِ الْعَجَمِ فِي لُغَاتِ الْعَرَبِ". فقال: " قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الفيل: 4]؛ أصله بالفارسية: سَنَكُ كِلَّ: أي حَجَرٌ طِينٍ".⁽⁶⁾ كما أثبت تعريب اللفظة أبو منصور ابن الجواليقي (ت: 540هـ) في كتابه المعرب⁽⁷⁾ وجلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) في المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب.⁽⁸⁾

○ ما عرب من النبطية إلى العربية:

5. في قوله تعالى: ﴿طه﴾ [طه: 1].

¹ معاني القرآن وإعراجه للزجاج (3/ 70).

² معاني القرآن للنحاس (3/ 370).

³ تهذيب اللغة (10/ 309).

⁴ لسان العرب (11/ 327).

⁵ تاج العروس (29/ 179).

⁶ المنتخب من غريب كلام العرب، علي بن الحسن الهنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ (كراع النمل) (ت: بعد 309هـ) تحقق: د محمد بن أحمد العمري، الناشر: جامعة أم القرى - معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي - ط: الأولى: 1409هـ - 1989م. (ص: 600).

⁷ المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، (ص: 365) رقم: 336.

⁸ المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب (ص: 97).

أسند الطبري(ت:310هـ) عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿ طه ﴾ [طه: 1]: "بِالنَّبَطِيَّةِ: يَا رَجُلٌ".⁽¹⁾ وأخرجها ابن أبي حاتم(ت:327هـ) في تفسيره.⁽²⁾ من طريق سعيد بن جبيرة. كما نسبها البخاري في صحيحه إلى عِكْرِمَةَ، وَالضَّحَّاكِ.⁽³⁾

ممن نقل هذا من أهل اللغة:

قال أبو منصور الأزهري (ت:370هـ): " وَقَالَ سعيد بن جبيرة وَعِكْرِمَةَ: هِيَ بِالنَّبَطِيَّةِ: يَا رَجُلٌ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: نزلت بلغة عك يا رجل. وَوَيْ دَلِكْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ".⁽⁴⁾
وقال ابن منظور الإفريقي(ت: 711هـ): " طه يا رجل يا إنسان... وَقَالَ سعيد بن جبيرة وَعِكْرِمَةَ: هِيَ بِالنَّبَطِيَّةِ يَا رَجُلٌ، وَوَيْ دَلِكْ عَنْ ابن عباس .⁽⁵⁾ كذا أوردها المرتضى الزبيدي(ت:1205هـ)، في تاجه".⁽⁶⁾

كما أثبت تعريب اللفظة جلال الدين السيوطي(ت:911هـ) في المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب.⁽⁷⁾

يستخلص من هذا المبحث ما يأتي:

- مذهب ابن عباس في المعرب، وبيان وجوده في كلام العرب وفي القرآن الكريم.
- المعرفة الواسعة لابن عباس، بأصول اللغات.
- القدرات الهائلة لابن عباس في معرفة دلالات الألفاظ الأجنبية، قبل تعريبها وبعد تعريبها.
- عدم خروج أهل اللغة عما سطره ابن عباس من المعرب.
- مدى استفادة أهل اللغة، من منهج ابن عباس في معرفة المعرب، من خلال عرضه على أوزان ومقاييس العرب في الكلام.

¹ تفسير الطبري، ت شاکر (18/ 266).

² تفسير ابن أبي حاتم (7/ 2415) برقم: 13373.

³ صحيح البخاري (6/ 95).

⁴ تهذيب اللغة (5/ 231).

⁵ لسان العرب (13/ 512).

⁶ تاج العروس (36/ 431).

⁷ المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب (ص: 111).

- بيان تداخل بعض الألفاظ بين الأجناس المختلفة، وخاصة المتجاورة جغرافياً.

✓ ملامح الوجوه والنظائر في تفسير ابن عباس وأثرها في الدراسة اللغوية:

إن الوجوه والنظائر، لم تكن معروفة كعلم مستقل في جيل الصحابة-رضي الله عنهم- لعدم الحاجة إليها، لكن أدرك ابن عباس أهمية جمع الألفاظ المتشابهة في القرآن الكريم وتفسيرها حسب سياقاتها، كما أدرك بعض الكليات اللغوية المنضبطة في القرآن الكريم، وسنحاول في هذا المبحث إبراز قدرات ابن عباس في هذا المجال، وقبل الشروع في المقصود يجدر بنا تعريف بعض المصطلحات المتعلقة بالمبحث.

تعريف الوجوه والنظائر:

تعريف الوجوه والنظائر لغة: سبق وأن عرفنا الوجوه ومفرده وجه؛ قال ابن الأثير (ت: 606هـ) في غريب الحديث والأثر: "«أَنَّه ذَكَرَ فِتْنًا كَوُجُوهُ الْبَقَرِ» أَي يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا، لِأَنَّ وَجُوهُ الْبَقَرِ تَتَشَابَهُ كَثِيرًا".⁽¹⁾

أما النظائر مفرد نظير وهو الشبيه والمثل؛ قال ابن دريد الأزدي (ت: 321هـ): "والمثل: النظير".⁽²⁾

وَقَالَ اللَّيْثُ: "فَلَانَ نَظِيرُكَ أَي مِثْلُكَ لِأَنَّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمَا النَّاطِرُ رَأَاهُمَا سَوَاءً".⁽³⁾

الوجوه والنظائر اصطلاحاً: لعل أول من عرّف الوجوه والنظائر أبو الفرج ابن الجوزي (597هـ). في كتابه: "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم" حيث قال: وأعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه.

فإذن النّظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني، فهذا الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر، والذي أراد العلماء بوضع كتب الوجوه والنظائر أن يعرفوا السامع لهذه النّظائر أن معانيها

¹ النهاية في غريب الحديث والأثر (5/ 158).

² جوهرة اللغة (1/ 432).

³ ينظر: تهذيب اللغة (14/ 266).

تختلف، وأنه ليس المراد بهذه اللفظة ما أُريد بالأخرى، وقد تجوز واضعوها فذكروا كلمة واحدة معناها في جميع المواضع واحد".⁽¹⁾

وعرفه الزركشي (ت: 794هـ) معقباً على تعريف ابن الجوزي: " فالوجوه اللفظ المشترك الذي يُستعمل في عدة معانٍ كلفظ الأمة والنظائر كالألفاظ المتواطئة ؛ وقيل النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني وضُعت لأنه لو أُريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة فيجعلون الوجوه نوعاً لإفسام والنظائر نوعاً آخر كالأمثال".⁽²⁾

الوجوه والنظائر من خلال الروايات التفسيرية عن ابن عباس:

لقد نسب أبو الفرج ابن الجوزي (597هـ) إلى ابن عباس كتاباً في الوجوه والنظائر حيث قال في كتابه: " قد نسب كتاب في الوجوه والنظائر إلى عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وكتاب آخر إلى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس".⁽³⁾

ومما ورد عن ابن عباس:

ما أسند الطبري عن عبید بن سليمان، قال: سمعتُ الصحاك، يقول في قوله: ﴿ فَأُورِدُهُمُ النَّارَ ﴾ [هود: 98] كان ابن عباس يقول: الورد في القرآن أربعة أوراد: في هود قوله: ﴿ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [هود: 98] وفي مريم: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: 71] وورد في الأنبياء: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [الأنبياء: 98] وورد في مريم أيضاً: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴾ [مريم: 86] كان ابن عباس يقول: كلُّ هذا الدُّخُول، والله ليردَّن جهنم كلُّ برٍّ وفاجرٍ. ﴿ ثُمَّ نُحِجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: 72] ".⁽⁴⁾

فلاحظ كيف تتبع ابن عباس لفظ الورد في القرآن الكريم وأحصاه وبين معناه ، وهذا فيه إشارة إلى هذا العلم الشريف، وليس معنى ذلك أن العلماء لا يحصون معاني هذه الكلمة في سياقاتها المختلفة، فهذا معلوم، لكن جمعها في صورة واحدة وهو الذي يعنى به هذا العلم.

¹ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: 83).

² البرهان في علوم القرآن (1/ 102).

³ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: 82).

⁴ تفسير الطبري ، ت شاكر (15/ 467) برقم: 18535.

وابن عباس يدرك اللفظة وتغيراتها في المعنى من خلال سياقاتها، فهذه لفظة اللباس وردت في عدة مواضع في القرآن الكريم، حيث فسرها حسب سياقاتها؛ فقال فيما رواه عنه الطبري: عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ هُنَّ﴾ [البقرة: 187] قَالَ: "هُنَّ سَكَنٌ لَكُمْ، وَأَنْتُمْ سَكَنٌ هُنَّ". (1)

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلِيَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 26] قَالَ: "لِيَاسُ التَّقْوَى: الْعَمَلُ الصَّالِحُ". (2)

في قَوْلِهِ: ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِيَاسَهُمَا﴾ [الأعراف: 27] قَالَ: كَانَ لِيَاسَهُمَا الظُّفْرُ، فَلَمَّا أَصَابَا الْحَطِيبَةَ نُزِعَ عَنْهُمَا، وَتُرِكَتِ الْأَظْفَارُ تَذَكْرَةً وَزِينَةً. (3)
وفي قَوْلِهِ: ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ هُنَّ﴾ [البقرة: 187] قَالَ: "هُنَّ سَكَنٌ لَكُمْ، وَأَنْتُمْ سَكَنٌ هُنَّ". (4)

قال مقاتل (ت: 150): «تفسيرُ اللبسِ على أربعة وجوه:

فوجهٌ منها: يلبسون؛ يعني: يخلطون، فذلك قوله في البقرة: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: 42]؛ يعني: لا تخلطوا. ونظيرها في آل عمران: ﴿لَمْ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [آل عمران: 71]؛ يعني: لم تخلطوا، كقوله في الأنعام: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82]؛ يعني: لم يخلطوا الإيمان بالشرك.

والوجه الثاني: اللباس؛ يعني: سَكَنٌ، فذلك قوله في البقرة: ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ﴾ [البقرة:

187]، يقول: نساؤكم سَكَنٌ لكم. ﴿وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ هُنَّ﴾؛ يعني: سَكَنٌ هُنَّ؛ كقوله في الفرقان:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِيَاسًا﴾ [الفرقان: 47]؛ يعني: سَكَنًا، نظيرها في عمّ يتساءلون:

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا﴾ [النبا: 10]؛ يعني: سَكَنًا.

والوجه الثالث: اللباس؛ يعني: الثياب التي تُلبس، فذلك قوله في الأعراف: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ

لِيَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيثًا﴾ [الأعراف: 26]؛ يعني: الثياب.

وقال في حم الدخان: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الدخان: 53]؛ يعني: الثياب.

¹ نفس المرجع (3/ 492) برقم: 2931.

² نفس المرجع (12/ 367) برقم: 14444.

³ نفس المرجع (12/ 374) برقم: 14453.

⁴ تفسير الطبري، ت شاكر (3/ 492) برقم: 2934.

والوجه الرابع: يعني العمل الصالح، كذلك، قوله في الأعراف: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ [الأعراف: 26]؛
يعني: العمل الصالح⁽¹⁾.

وهذه الدلالة للفظه اللباس تدلُّ على مُخَالَطَةٍ وَمُدَاخَلَةٍ قال ابن فارس (395هـ): "الَلَامُ وَالْبَاءُ
وَالسَّيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى مُخَالَطَةٍ وَمُدَاخَلَةٍ. مِنْ ذَلِكَ لَبَسْتُ الثَّوْبَ أَلْبَسُهُ، وَهُوَ الْأَصْلُ،
وَمِنْهُ تَتَفَرَّغُ الْفُرُوعُ. وَاللَّبْسُ: اخْتِلَاطُ الْأَمْرِ؛ يُقَالُ لَبَسْتُ عَلَيْهِ الْأَمْرَ أَلْبَسُهُ بِكَسْرِهَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: 9]. وَفِي الْأَمْرِ لَبَسَةٌ، أَي لَيْسَ بِوَاضِحٍ وَاللَّبْسُ: اخْتِلَاطُ
الظَّلَامِ وَيُقَالُ: لَا بَسْتُ الْأَمْرَ أَلْبَسُهُ. وَمَنْ الْبَابِ: اللَّبَاسُ، وَهِيَ امْرَأَةُ الرَّجُلِ؛ وَالزَّوْجُ لِبَاسُهَا. قَالَ
الجَعْدِيُّ:

إِذَا مَا الصَّحِيحُ ثَنَى جِيدَهَا **** تَدَاعَتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسًا

وَاللَّبُوسَ: كُلُّ مَا يُلْبَسُ مِنْ ثِيَابٍ وَدِرْعٍ. وَلَا بَسْتُ الرَّجُلَ حَتَّى عَرَفْتُ بَاطِنَهُ. وَيُسْتَعَارُ هَذَا
فَيُقَالُ: فِيهِ مَلْبَسٌ، أَي مُسْتَمْتَعٌ وَبَقِيَّةٌ. قَالَ:

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعُدْمِ لِلْمَرْءِ قِنْوَةً **** وَبَعْدَ الْمَشِيبِ طُولَ عُمُرٍ وَمَلْبَسًا

وَلَيْسَ الْهُودَجِ وَالْكَعْبَةِ: مَا عَلَيْهِمَا مِنْ لِبَاسٍ، بِكَسْرِ اللَّامِ⁽²⁾.

كليات القرآن:

كَلِمَاتُ الْقُرْآنِ تُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهَا: الْأَلْفَاظُ وَالْأَسَالِيبُ الْوَارِدَةُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى مَعْنَى مُطَرِّدٍ⁽³⁾.
قال مساعد بن سليمان الطيار: " وهذه الإطلاقات الكليّة تبين مصطلحات القرآن في الألفاظ
والأساليب، فيكون اللفظ الكلي مصطلحاً قرآنياً خاصاً ، ولا تكون هذه الإطلاقات إلا بعد استقراء
للقرآن، وهذه الأحكام بعد الاستقراء إما أن تكون كلية لا تنحرم، وعليه فهي قاعدة مرجحة عند

¹ الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، لمقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاته، نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الثانية: 1414هـ. (ص105).

² مقاييس اللغة (5/ 230).

³ فصول في أصول التفسير، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان، الناشر: دار ابن الجوزي، ط: الثانية: 1423هـ. (ص: 161).

الاختلاف؛ لأن الاستقراء التام حجة، أو تكون منخرمة بأمثلة فيبين المفسر هذه الأمثلة، وعلى هذا تكون الأحكام أغلبية، ويمكن الاستفادة منها في الترجيح".⁽¹⁾

ولقد ورد عن ابن عباس كليات في بعض الألفاظ، حيث أدرك أن هذه الألفاظ تدخل تحت كلية لغوية متى أطلقت أفادت معنً، كما أدرك في وقت مبكر دلالة بعض الحروف في سياقاته القرآنية؛ ومن نماذج هذه الكليات، ما يأتي:

فَعَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "كُلُّ شَيْءٍ نَسَبَهُ اللَّهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ اسْمٍ مِثْلُ خَاسِرٍ، فَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِ الْكُفْرَ، وَمَا نَسَبَهُ إِلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِ الذَّنْبَ".⁽²⁾
عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: "﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: 30] يُقُولُ: لَعَنَهُمُ اللَّهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ قَتَلَ. فَهُوَ لَعَنٌ".⁽³⁾

وَعَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: 5] قَالَ: "حَشَرُ الْبَهَائِمِ: مَوْتُهَا، وَحَشَرُ كُلِّ شَيْءٍ: الْمَوْتُ، غَيْرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَإِنَّهُمَا يُوقَفَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".⁽⁴⁾
وَعَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "كُلُّ رِيحَانٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ رِزْقٌ".⁽⁵⁾
وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "كُلُّ تَسْبِيحٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ صَلَاةٌ".⁽⁶⁾
وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "كُلُّ سُلْطَانٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ حُجَّةٌ".⁽⁷⁾ وفي رواية عن عِكْرِمَةَ يُقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: "كُلُّ سُلْطَانٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ حُجَّةٌ، كَانَ لِلْهُدُودِ سُلْطَانٌ".⁽⁸⁾

أما حكايته دلالة بعض الحروف وكلياتها في القرآن الكريم:

¹ نفس المرجع (ص: 161).

² تفسير الطبري ت شاكر (1/ 417) برقم: 575.

³ نفس المرجع (14/ 207) برقم: 16628.

⁴ نفس المرجع (24/ 241).

⁵ نفس المرجع (22/ 20).

⁶ نفس المرجع (19/ 191).

⁷ نفس المرجع (19/ 444).

⁸ نفس المرجع (19/ 444).

فعن مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ (أَوْ أَوْ) ، فَهُوَ مُخَيَّرٌ فِيهِ ، فَإِنْ كَانَ (فَمَنْ فَمَنْ) ، فَأَلَّوْلَ فَأَلَّوْلَ " .⁽¹⁾

و في رواية عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ (أَوْ أَوْ) فَصَاحِبُهُ مُخَيَّرٌ فِيهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ) فَأَلَّوْلُ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ " .⁽²⁾
ويستخلص مما سبق ما يأتي:

- معرفة ابن عباس للوجوه والنظائر، كونه أعلم الناس بالقرآن ومعانيه.

- إدراك ابن عباس أن تحديد المعاني يكون وفق سياقاتها.

- أسبقية ابن عباس في الكلام عن دلالات الحروف.

- إدراك ابن عباس كليات القرآن.

¹ نفس المرجع (75 /3) برقم: 3380.

² نفس المرجع (35 /10) برقم: 12617.

الخاتمة:

الحمدُ لله على فضله وإنعامه، وأشكُّره في ختام هذا البحث على إتمامه، وبعد:
تحتوي هذه الخاتمة، على أهم النتائج التي توصل إليها، الباحث مُرتبَةً على ما يأتي:

- ✓ إنَّ المنظومة التفسيرية تتوقف على كشف المعنى، ومن ثم لا بد على الباحث الاهتمام بدلالة الألفاظ.
- ✓ الصحابة يطلقون التأويل ويريدون به التفسير، وقد يريدون به حقيقة ما يؤول إليه الكلام.
- ✓ وقوف ابن عباس على أهم الأدوات التي تعين على فهم النص القرآني وما يدور حوله من ملابسات.
- ✓ يعتبر ابن عباس - من أوائل المفسرين، الذين رجعوا إلى لغة العرب؛ في بيان وتوضيح دلالات ألفاظ القرآن الكريم.
- ✓ اهتمام ابن عباس بأسباب النزول وملابساته، لكشف النص القرآني.
- ✓ اهتمام ابن عباس بالعادات القولية والفعلية التي وردت في القرآن، مع مراعاته خطاب الشارع الذي نزل وفق طرائق العرب في الكلام.
- ✓ تفتن ابن عباس لضرورة منهج أو اتجاه لغوي لمعالجة متغيرات الحال، من فساد اللسان العربي.
- ✓ إدراك ابن عباس أن السبيل في الرد على الطاعنين في القرآن الكريم، هو الرجوع بهم إلى كلام فصحاء العرب، الذين أقروا ببلاغته وعجيب نظمه، مع ما كانوا من التكذيب في أصل دعواه.
- ✓ اهتمام ابن عباس بغريب القرآن، والاستئناس بشعر العرب عليه.
- ✓ أهمية الشاهد الشعري عند ابن عباس، كمصدر من مصادر اللغة.
- ✓ أنَّ علماء اللغة الذين شاركوا في تفسير القرآن، سواء تفسيراً مباشراً أو غير مباشر، قد ساهموا في الحركة العلمية اللغوية، مع الحفاظ على القرآن ولغته.

- ✓ اتضح أن الحركة العلمية لعلماء اللغة في دراساتهم اللغوية، ما هي إلا امتداد للاتجاه اللغوي الذي انتهجه ابن عباس في تفسيره للقرآن الكريم.
- ✓ رأي ابن عباس في المعرب، وبيان وجوده في كلام العرب وفي القرآن الكريم.
- ✓ المعرفة الواسعة لابن عباس، بأصول اللغات.
- ✓ عدم خروج أهل اللغة عما سطره ابن عباس من دراسات لغوية.
- ✓ مدى استفادة أهل اللغة، من منهج ابن عباس في معرفة المسائل اللغوية؛ وخاصة ما تعلق منها بالقرآن الكريم.
- ✓ بيان تداخل بعض الألفاظ بين الأجناس المختلفة، وخاصة المتجاورة جغرافياً.
- ✓ معرفة ابن عباس للوجوه والنظائر، كونه أعلم الناس بالقرآن ومعانيه.
- ✓ إدراك ابن عباس أن تحديد المعاني يكون وفق سياقاتها.
- ✓ أسبقية ابن عباس في الكلام عن دلالات الحروف.
- ✓ إدراك ابن عباس كليات القرآن.

فهرس الآيات القرآنية

الفاتحة:

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7] / 27/

البقرة :

﴿الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: 1 - 4] / 74

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: 11] / 238/

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: 22] / 223/229

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

[البقرة: 23] / 154

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 25] / 87/

﴿وَهُمْ فِيهَا أَنْزَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: 25] / 62/

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30] / 29/

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ

الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 35] / 23

﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: 42] / 287/

﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَتَرِيبُ الْمُحْسِنِينَ (58) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ

الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: 58-59]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ [البقرة: 62] / 259/

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَدْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[البقرة: 67] / 24/

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون

﴾ [البقرة: 68] / 24/

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ..﴾ [البقرة: 69] / 24/

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 70] / 24/

﴿فَدَبَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: 71] / 24/

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 72] / 29/

﴿وَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: 87] / 39/

- ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [البقرة: 99/41/39]
- ﴿وَمَا أَنْزَلْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ هَاطُوتَ وَمَا رُوتَ﴾ [البقرة: 102/58]
- ﴿يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 105/164]
- ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوفُونَ﴾ [البقرة: 118/39]
- ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: 124/28]
- ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: 129/59]
- ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 158/141/140]
- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 168/39]
- ﴿هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٍ هُنَّ﴾ [البقرة: 187/287]
- ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: 187/169]
- ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: 187/61/40/29]
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّ﴾ [البقرة: 189/157]
- ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: 189/137]
- ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ..﴾ [البقرة: 198/141]
- ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: 199/142]
- ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة: 211/39]
- ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى ..﴾ [البقرة: 215/157]
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ فِيهِ كِبِيرٌ﴾ [البقرة: 217/157]
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ ...﴾ [البقرة: 219/157]
- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 220/157]
- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدَى فَأَعْتَزِلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222/157]
- ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 219/40]
- ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 221/40]
- ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: 223/144]
- ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّعْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: 225/175]
- ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233/28]
- ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 242/40]
- ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 266/40]
- ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...﴾ [البقرة: 269/103]

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [البقرة: 285/75]

آل عمران:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ

﴿...﴾ [آل عمران: 7/59/68/69/70/72/73/75/158/187]

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ ﴾ [آل عمران: 66/260]

﴿ لَمْ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ [آل عمران: 71/287]

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ [آل عمران: 96/168]

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: 103/40]

﴿ وَتَسْجُدُ وَجُوهٌ ﴾ [آل عمران: 106/238]

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران:

110/125]

﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: 118/39]

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: 138/57/35]

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ ﴾ [آل عمران: 146/264]

﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: 195/125]

النساء:

﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدْقَاتِهِنَّ ﴾ [النساء: 4/29]

﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: 15/62]

﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ﴾ [النساء: 19/39]

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: 19/63]

﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ [النساء: 29/63]

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: 35/104]

﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ لِلَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: 42/163/164]

﴿ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 56/164]

﴿ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: 58/164]

﴿ وَأُحْسِنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: 59/67/68]

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82/154]

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 83/158]

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 96/164]

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء: 127/157]

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: 176/157].

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: 176/57/40]

المائدة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1/22]

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3/57/53]

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: 4/157]

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 15/42]

﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: 75/39]

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 89/40]

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: 92/44].

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ [المائدة: 93/131]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾ [المائدة: 95/104/27]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 105/79]

الأنعام:

﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 23/162/163/164]

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ [الأنعام: 57/40]

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82/59/61/170].

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَبِيرُ﴾ [الأنعام: 73/160/162]

﴿وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: 125/55/177/244/248]

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: 157/40]

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 109/47]

﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: 125]/56/

الأنفال:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 1]/157/

﴿إِذْ يُعَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطَهَّرَكُم بِهِ وَيُدْهَبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ

عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُنَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 11]/133/132/

﴿وَإِذَا تَنَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: 31]/56/

﴿لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 42]/40/

التوبة:

﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: 3]/187/

﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: 30]/289/

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجْلُونَ عَامًا وَيُحْرِمُونَ عَامًا لِّيُؤَاطِفُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا

حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 37]/137/132/25/

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 94]/160/

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100]/130/124/

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114]/276/

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:

40]/115/

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ

مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 117]/130/

يونس:

﴿وَإِذَا تَنَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ

مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ [يونس: 15]/46/41/

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ كَذَلِكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾

[يونس: 39]/69/68/

يوسف:

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 1,

2]./42/48/54/138/171/174/

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رُبُّكَ وَبُعَلُّكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 6]./69

﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ [يوسف: 11]./238

﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 21]./69

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: 23]./266

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ

الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتَنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36]./69

﴿نَبْتَنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف: 36]./76

﴿قَالَ لَا يَا تُبَّيْكَمَا طَعَامُ تُرْزُقَانِهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف: 37]./69

﴿قَالُوا أَضْعَافُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ [يوسف: 44]./69

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: 45]./69

﴿وَهَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: 65]./138

﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَؤُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: 80 الآية]./154

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف:

100]./69

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 101]./76

الرعد:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 9]./160

إبراهيم:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[إبراهيم: 4].

﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [إبراهيم: 10].

﴿طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا بِهِ﴾ [الرعد: 29]./278

﴿أَفَلَمْ يَنبَأِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الرعد: 31]./248/247/246/245

الحجر:

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: 1]./42

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94]./155

النحل:

﴿فَأَلْفُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ [النحل: 28]./162

﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: 35]./44

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ
وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 43، 44]./60/53/52/51/48/47/45/35/
﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: 47]/178/113/
﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 64]./45/
﴿وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ [النحل: 87]/168/
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: 89]/39/33/
﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: 103]/156/

الإسراء:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]./43/
﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: 35]./70/
﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: 78]./56/
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: 85]./175/

الكهف:

﴿آتَيْنَا عَادًا نَارًا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: 62]./165/
﴿أَرَأَيْتَ﴾ [الكهف: 63]/260/
﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: 64]./165/
﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 78]./70/
﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 82]./70/
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 83]./157/
﴿آتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف: 96]/214/

مريم:

﴿وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 11]/209/
﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَرِكَاهَ وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 13]./213/212/
﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم: 23]/215/
﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59]/263/
﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: 71]/286/
﴿وَإِذَا تَنَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: 73]./218/217/
﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: 73]./218/217/

﴿فَأَنمَّا يَسِرَّنَا بِهِ لِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مریم: 97]./148 طه:

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: 15]./144
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: 105]./157
﴿أَوْ مَتَّئِجًا مَّيْمَنًا مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: 133]./40
الأنبياء:

﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: 30/الآية]./107
﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33]./24
﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: 95]./265
﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: 96]./58
الحج:

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ [الحج: 16]./41
﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: 27].
﴿وَإِذَا تَنَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتُلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [الحج: 72]./42
﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: 77]./87

المؤمنون:

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: 92]./160
﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101]./163

النور:

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: 1]./42
﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: 18]./40
﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ﴾ [النور: 34]./39/40/57
﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النور: 46]./32
﴿وَإِن تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: 54]./45
﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: 58]./40/209
﴿وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ [النور: 58]./209
﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: 59]./40
﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: 61]./40

الفرقان:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا﴾ [الفرقان:

147/. [10]

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33]. 17/.

﴿الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 34]. 87/.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِيَأْسًا﴾ [الفرقان: 47]. 287/.

الشعراء:

﴿طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الشعراء: 1، 2]. 42/32.

﴿يَلْسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: 195]. 57/.

النمل:

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: 1]. 173/42.

القصص:

﴿طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [القصص: 1، 2]. 42/.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56]. 47/.

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون﴾ [القصص:

261/. [34]

العنكبوت:

﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: 18]. 44/.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: 35]. 40/.

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48]. 46/.

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 49]. 41/.

﴿قَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [العنكبوت: 50]. 46/.

لقمان:

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]. 169/59.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ

بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 34]. 160/.

السجدة:

﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [السجدة: 6]. 160/.

الأحزاب:

﴿النَّبِيِّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 6]. 104/
﴿وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: 34]. 59/

سبأ:

﴿مَا دَعَاهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ [سبأ: 14]. 261/
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: 3]. 160/
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْفُكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [سبأ: 43]. 45/41/
﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: 46]. 45/

فاطر:

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر: 38]. 160/

يس:

﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [يس: 17]. 44/
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ [يس: 60]. 238/
﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: 69]. 62/

الصفات:

﴿وَأَقْبَلِ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصفات: 27]. 163/
﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصفات: 106]. 35/
﴿وَأْتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ [الصفات: 117]. 39/

ص:

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29]. 48/
﴿نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [ص: 70]. 35/
﴿فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [ص: 128]. 164/

الزمر:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا﴾ [الزمر: 23]. 162/
﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الزمر: 46]. 160/
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: 68]. 162/

غافر:

﴿قَالُوا أَوْمَ تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: 50].

﴿لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: 52]./45

﴿لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: 52]./162

فصلت:

﴿أَتَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: 9]./163/164

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْعَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: 26]./155

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: 44]./171

الشورى:

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52]./46

الزحرف:

﴿حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزحرف: 1 - 3]./31

﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزحرف: 18]./35

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَنِيَّ وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزحرف: 38]./147

﴿وَلَا يَكَاذُ يُبِينُ﴾ [الزحرف: 52]./35

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزحرف: 57]./166

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزحرف: 61]./166

﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الزحرف: 62]./34

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزحرف: 85].

160/

الدخان:

﴿حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الدخان: 1، 2]./42

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: 49]./88

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ (43) طَعَامُ الْأَثِيمِ (44) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (45) كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ (46) خُذُوهُ

فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (48) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (49)

إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان: 43 - 50]./89

﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الدخان: 53]./287

﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَنْدَكُرُونَ﴾ [الدخان: 58]./148

الجاثية:

﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجاثية: 45/41/.25]

الأحقاف:

﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: 7].45/138/

الفتح:

﴿وَوَلَّيْتُمْ ظَنُّ السَّوِّءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: 12].251/﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29].125/

النجم:

﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم: 61].253/252/﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ﴾ [النجم: 35].159/﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾

الرحمن:

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ﴾ [الرحمن: 35].221/209/

الحديد:

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الحديد: 9].41/﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: 17].39/

المجادلة:

﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة: 5].41/

الحشر:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 8، 9].125/

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: 22].160/

الجمعة:

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: 2].59/

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
[الجمعة: 8]. 160

التغابن:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: 2]. 162/
﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: 12]. 44/
﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [التغابن: 18]. 160/

الطلاق:

﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: 11]. 40/

التحريم:

﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: 4]. 168/

القلم:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: 42]. 121/

الجن:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 26]. 160/

المزمل:

﴿وَآخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: 20]. 141/
﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيَالًا﴾ [المزمل: 6]. 280/278/

المدثر:

﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ﴾ [المدثر: 3]. 24/

القيامة:

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ﴾ [القيامة: 15]. 162/
﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: 18، 19]. 61/34
﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 23]. 84/

النازعات:

﴿أُمُّ السَّمَاءِ بَنَاهَا﴾ [النازعات: 27]. 163/
﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: 30]. 164/163/
﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: 31].
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: 42]. 157/

الطارق:

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ [الطارق: 1، 2/161]

﴿النَّجْمِ الثَّاقِبِ﴾ [الطارق: 3/161]

البيّنة:

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البيّنة: 1/40/38]

النصر:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 1/99]

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 3/77]

فهرس الأحاديث

- إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم». 110/109.
- أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ». 239/
- اَكْتُبْ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا». 104/
- أَكْرَمُوا أَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكُذِبُ حَتَّى يَخْلِفَ الرَّجُلُ وَلَمْ يُسْتَحْلَفْ، وَيَشْهَدَ وَلَمْ يُسْتَشْهَدْ، فَمَنْ أَرَادَ مُجْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ...». 125/
- إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَفْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ...». 167/
- إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ أَيَّامًا، يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَنْزَلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيَكْتُرُ فِيهَا الْهَرَجُ». 275/
- أَنَا مِنْ قَرِيشٍ وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ فَأَتَى لِي اللَّحْنُ». 186/
- أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، كُتِبَتْ فِيهَا شَافٍ كَافٌ». 237/236/
- حَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ». 111/110/
- الْحَلَالُ بَيْنٌ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ». 158/
- خَيْرُ النَّاسِ قَرِينِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَةٌ». 126/
- رَحِمَ اللَّهُ إِمْرَأَ أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ». 186/
- سَأَلْتُ جِبْرَائِيلَ أَيَّ الْأَجْلِينَ قَضَى مُوسَى؟ قَالَ: أَمَّتَهُمَا وَأَكْمَلَهُمَا». 165/
- قَالَ لِي جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَخُذُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِرْعَوْنَ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ». 165/
- لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ». 126/
- اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ». 150/99/
- اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ». 150/99/
- اللَّهُمَّ فَتِّحْهُ فِي الدِّينِ». 150/99/77/
- لَبِئْسَ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ...». 150/
- هُمْ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ». 166/
- وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ». 159/
- يَأْتِي زَمَانَ يَغْزَوُ فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: فَيُكْرَمُ مَنْ صَحَبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُقَالُ: نَعَمْ فَيُفْتَحَ عَلَيْهِ ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ فَيُقَالُ...». 125/

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	صفحة	الشعري
أبا منذر! أفنيت فاستبق بعضنا	213/212	حنائيك! بعض الشر أهون من بعض.
أبلغ كليباً وأبلغ عنك شاعرها	89	أبي الأغر وأبي زهرة اليمين.
أبي الله إلا عدله ووفاءه	135	فلا النكر معروف ولا العرف ضائع.
أتاني عن أمي ثنا كلام	272	وما هو في المغيب بذي حفاظ
أتهجوه ولست له بنيد؟	229	فشركمما خيركمما الفداء
أحمد الله فلا ندد له	229	بيديه الخير ما شاء فعلم
أخذنا بأفاق السماء عليكم	147	لنا فمرأها والنجوم الطوالع
إذ شددنا شدة صادقة	214	فأجأناكم إلى سفح الجبل
إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة	114	فأذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
إذا غير النأي المحبين لم يكذ	146	رسيس الهوى من حُب مية يبرح
إذا قال لم يترك مقالا لقائل	101	مصيب ولم يثن اللسان على هجر
إذا قال لم يترك مقالا لقائل	102	بمنتظمات لا ترى بينها فصلا
إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه	101	رأيت له في كل أقواله فضلا
إذا ما فمت أرحلها بليل	277	تأوه آهة الرجل الحزين
إذا ما كنت في قوم شهاوي	272	فلا تجعل شمالك جردبانا
أقول لهم بالشعب إذ يأسروني	247	أم تياسوا أبي ابن فارس زهدم
ألا رب يوم قد هوث وليلة	134	بواضحة الحددين طيبة العرف
ألا من مبلغ حسان عني	222	معللة تدب إلى عكاظ
أم يكن في وسوم قد سمت بها	88	من كان موعظة يا زهرة اليمين
أم يئس الأقوم أبي أنا ابنه	248/246	وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا
أليس أبوك فينا كان فينا	222	لدى القينات، فسلا في الحفاظ؟
أما من مقام أشتكى غربة النوى	205	وخوف العدى فيه إليك سبيل.

وَنَارُ حَرْبٍ تُسْعِرُ الشُّوَاظَا	223	إِنَّ هُمْ مِنْ وَفَعْنَا أَقْيَاطَا
تُهْدِي لَهُ وَوَجَدْتُ الْعِيَّ كَالصَّمَمِ	101	إِنِّي وَجَدْتُ بَيَانَ الْمَرْءِ نَافِلَةً
بِذِي الْمَجَازِ تُرَاعِي مَنْزِلًا زَيْمًا	142	بَاتَتْ ثَلَاثَ لَيَالٍ ثُمَّ وَاحِدَةً
لَهُ حَاكِمٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرَ عَائِلٍ .	86	بِمِيزَانٍ قَسِطٍ لَا يَخْسُ شَعِيرَةً
عَلَيْكُمْ بَنِي النَّجَّارِ ضَرْبَةٌ لَا زِمَ .	228	بَنَى اللُّؤْمُ بَيْتًا فَاسْتَقَرَّتْ عِمَادُهُ
فِيهِ لَدَى جَنَاحَيْنِ رِيشَا	115	تَأْكُلُ الْعَتَّ وَالسَّمِينَ وَلَا تَتْرُكُ
فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا .	213	تَحْنُ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكُ
كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ .	178/113	تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا
يَنْحَرُونَ الْمُطَيَّ سَيْرًا قَمِيمِشًا .	115	تَمَلُّ الْأَرْضَ خَيْلُهُ وَرِجَالُ
وَأَوَّلُ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا .	155	الثَّانِي التَّالِي الْمَحْمُودُ مَشْهُدُهُ
يُذَكِّرُ لَوْ لَأَقَى صَدِيقًا مُوَاتِيَا	155	ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً
بَلِيحًا وَلَمْ تُخْلَقْ كَهَامًا وَلَا خَبَلًا	102	خُلِقتَ حَلِيفًا لِلْمُرُوءَةِ وَالنَّدَى
فَلِيحًا وَلَمْ تَخْلُقْ كَهَامًا وَلَا جَهَلًا .	102	خَلَقْتَ حَلِيفًا لِلْمُودَةِ وَالنَّدَى
بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا	115	خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَنْفَاهَا وَأَعْدَاهَا
فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصِرُ	218	رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ
فَارْعَى فزارُهُ لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعِ	262	رَاحَتْ بِمَسَلَمَةِ الْبِغَالِ عَشِيَّةً
ضَلَّتْ هَذِيلٌ بِمَا جَاءَتْ وَلَمْ تَصَبْ	262	سَأَلَتْ هُذَيْلٌ رَسُولَ اللَّهِ فَاحْشَةَ
قَلَّ مَالِي، قَدْ جِئْتُمَانِي بِنُكْرٍ .	262	سَأَلْنَا الطَّلَاقَ أَنْ رَأَانِي
وتنشد بالهجاز إلى عكاظ	222	ستأتيه قصائد محكمات
فَمَا إِنْ يَكَادُ قَرْنُهُ يَتَنَفَّسُ	146	سَرِيْعٌ إِلَى الْهَيْجَاءِ شَاكٍ سِلَاحُهُ
فَنَلَتْ ذُرَاهَا لَا دَبِيًّا وَلَا وَغَلًا	102	سَمَوَتْ إِلَى الْعَلْيَا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ
سا فللطير في ذراهه وكور	219	شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلَ .
تَأْوُلُ رُبْعِي السَّقَابِ فَأُصْحَبَا .	67/65	عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَأْوُلُ حُبَّهَا
لم نَبِكْ مِنْكَ عَلَيْهِ دُنْيَا وَلَا دِينَ	103	فَإِنْ تُصِبْكَ مِنَ الْأَيَّامِ قَارِعَةٌ

فَبَصَرَهُ الْأَزْدِ مِنَّا وَالْعِرَاقُ لَنَا	147	وَالْمَوْصِلَانِ وَمِنَّا مِصْرٌ وَالْحَرَمُ
فَلَا تَكْفُرُوا مَا قَدْ صَنَعْنَا إِلَيْكَ م	251	وَكَاؤُوا بِهِ فَالْكُفْرُ بُورٌ لِصَانِعِهِ .
فَلَا يَحْسِبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ	227	وَلَا يَحْسِبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةً لَأَزْب
فَلَمَّا أَنَا نَا وَأَطْمَأَنَّتْ بِهِ النَّوَى	117	وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَيِّبَةِ رَاضِيَا
قُلْتُ لَهَا وَهِيَ تَسْعَى تَحْتَ لَبَّتِهَا	142	لَا تَحْطَمَنَّكَ إِنَّ الْبَيْعَ قَدْ زَرِمَا .
كَادَتْ تُسَاقِطُنِي رَحْلِي وَمِثْرِي	141	بِذِي الْمَجَازِ وَلَمْ تُحْسِنْ بِهِ نَ عَمَا
كَادَتْ وَكَدَتْ وَتَلَكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ	145	لَوْ عَادَ مِنْ عَهْدِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى
كَأَنَّ الرَّيْشَ وَالْفُوقَيْنِ مِنْهُ	225	خِلَالَ النَّصْلِ سَيْطَ بِهِ مَشِيحُ
كَفَى وَشَفَى مَا فِي النَّفُوسِ فَلَمْ يَدْعُ	102	لِذِي أَرْبٍ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا
كُنَّا بَحْيِيءُ ابْنِ عَبَّاسٍ فَيَسْمَعُنَا	103	فَقَهًا وَيُكْسِبُنَا أَجْرًا وَيَهْدِينَا.
لَا تَأْمَنَنَّ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمْ	266	وَبَدَأْتَهُمْ بِالشَّرِّ وَالْحَرَمِ .
لَا دَرَ دَرَ اللَّيَالِي كَيْفَ تُضْحِكُنَا	103	مِنْهَا حُطُوبٌ أَعَاجِيبٌ وَتُبْكِينَا
لَا يَنْفَعُ الطُّولُ مِنْ نُوكِ الْقُلُوبِ وَقَدْ	251	يَهْدِي الْإِلَهَ سَبِيلَ الْمَعَشْرِ الْبُورِ .
لَقَدْ يَيْسُ الْأَقْوَامُ أَيُّ أَنَا ابْنُهُ	245	وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ الْعَشِيرَةِ نَائِبًا .
لَكِنَّهُ يَنْدُو كَمَا يَنْدُو النَّدِي	217	كَأَنَّهُ فِي الْعِزِّ قَيْسُ بْنُ عَدِي.
مِنْ صَوْتِ حَرَمِيَّةٍ قَالَتْ وَقَدْ ظَعَنُوا	141	هَلْ فِي مُحْفِيكُمْ مَنْ يَشْتَرِي أَدْمًا
نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنْ النَّاسِ كُلِّهِمْ	117	جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا.
هَكَذَا فِي الْبِلَادِ حَيُّ قُرَيْشٍ	115	يَأْكُلُونَ أَكْلًا حَشِيشًا
هَمَزَتِكَ فَاخْتَضَعْتَ بَدَلًا لَفْظِ	222	بِقَافِيَةٍ تَأْجِحُ كَالشُّوَاطِ
وَأَصْبَحَ مَا يَخْشَى ظَلَامَةً ظَالِمٍ	117	بَعِيدٍ وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ بَاعِيَا
وَأَلْمَحْنَ لَمَحًا مِنْ خُدُودِ أَسِيلَةٍ	12	رِوَاءٍ خِلَا مَا أَنْ تُشَفَّ الْمِعَاطِسُ.
وَالمرءُ يَفْنَى وَيَبْقَى سَائِرَ الْكَلِمِ	114/101	وَقَدْ يِلَامُ الْفَتَى يَوْمًا وَلَمْ يَلِمِ.
وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ	266	يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرَمٌ.
وَتَيْمَاءٌ لَمْ يَنْتُرِكْ بِهَا جِدْعٌ نَحْلَةٍ	219	وَلَا أَطْمَأَّ إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلٍ .

وَجَارٍ سَارٍ مُعْتَمِدًا إِلَيْكُمْ	214	أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ.
وَدُعِيَتْ فِي أُولَى النَّدِيِّ وَلَمْ	217	يُنْظَرُ إِلَيَّ بِأَعْيُنِ خُزْرِ .
وَعَنْسٍ، كَأَلْوَاكِ الْإِرَانِ، نَسَأْتُهَا	262	عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهَرُ بُرْجُدٍ
وَقَدْ نَظَرْتَكُمْ أَبْنَاءَ صَادِرَةٍ	84	لِلْوَرْدِ طَالَ بِهَا حَوَازِي وَتَنَسَّاسِي
وَقُرَيْشٍ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْرَ	115	بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا
وَقَوْمٌ لَهُمْ لَحْنٌ سِوَى لَحْنِ قَوْمِنَا	233	وَشَكْلٌ وَبَيْتُ اللَّهِ لَسْنَا نُشَاكِلُهُ.
وَهُمْ آخِرُ الزَّمَانِ نَبِيٌّ	115	يُكْتَبِرُ الْقَتْلَ فِيهِمْ وَالْحُمُوشَا
وَمَا قَامَ مَنَا قَائِمٌ فِي نَدِينَا	218	فَيَنْطِقُ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَعْرَفُ
وَمَثَلٌ مَا تَحْدُثُ الْأَيَّامُ مِنْ عِبْرٍ	103	فِي ابْنِ الزَّبِيرِ عَنِ الدُّنْيَا تُسَلِّينَا
وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ	115	فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرَ دَاعِيَا
وَيَمْنَعُهَا بَنُو شَمَجَى بْنِ جَرِّمٍ	213	مَعِيرُهُمْ، حَنَانُكَ، ذَا الْحَنَانِ.
يَصْرِفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى	102	وَيُنْظَرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ.
يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيطِ	224	لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسًا
يَمَانِيًّا يَظَلُّ يَشُدُّ كَبِيرًا	222	وَيَنْفُخُ دَائِبًا هَبَّ الشُّوَاطِ .
يَوْمَانِ يَوْمٍ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ	217/216	وَيَوْمٍ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيْبِ

فهرس الأعلام المسشهد بهم

فهرس الأعلام المسشهد بهم (ما عادا ابن عباس والطبري)
ابن أبي حاتم الرازي (327)./107/129.
ابن الأثير أبو السعادات (606هـ)./254.
ابن الجزري (833هـ)./254/255.
ابن الجوزي أبو الفرج (597هـ)./81/285/286.
ابن الدهان فخر الدين أبو شجاع (592هـ)/81.
ابن العلاء أبو عمرو (154هـ)./101/194.
ابن أمير حاج الحنفي (879هـ)./134.
ابن تيمية (728هـ)./49/55/84/89/123/129/138/150/151.
ابن جني أبو الفتح (392هـ)./11/146/175/248.
ابن حزم الأندلسي الظاهري (456هـ)./34/35/60/80/83/175.
ابن خلدون (808هـ)./175/190.
ابن دريد الأزدي (321)./127/205/217/219/237/244/250/272/285.
ابن دقيق العيد (702هـ)./129.
ابن رجب (795هـ)./77.
ابن عرفة المالكي (803)./19.
ابن فارس (395هـ)
/12/17/33/66/90/127/133/147/175/182/232/236/247/271/273/
288
ابن كثير (744)./72.
ابن مجاهد أبو بكر (324هـ)./255/257/258.
أبو الطيب اللعوي (351هـ)./186.
أبو شامة (665هـ)./259.
أبو كبير الهذلي.117/133.

أبي النَّحْم. /146
إجناس كولد صهر (1921م). /109
أحمد أمين (1954م). /190/110/109
أحمد بن حنبل (241). /208/126/48
أحمد محمد الخراط. /239/234
الأخفش الأوسط (215هـ). /229/189/196/84/74
الأزهري أبو منصور (370هـ). /260/259/250/237/221/148/134/91/90/84/66/65/32/17 283/282/279/278/272/264/262
إسحاق الفارابي أبو إبراهيم (350هـ). /233/232/65
الأصبهاني أبو نُعَيْم (430). /126
الأصفهاني الرَّاغِب (ت: 502هـ). /92/68/58/34/12
الأصمعي (231). /272/248/244/201/200
الأعشى. /119/67/65
الإفريقي ابن منظور (711هـ). /283/282/279/278/221
الأوسي شهاب الدين (1270هـ). /92
الأمدي أبو الحسن (631هـ). /82
الأنباري أبو بكر (328هـ). /281/278/208/204/197/148
الأندلسي ابن عطية (542هـ). /273/54
الأندلسي أبو حَيَّان (745هـ). /27/23/20/19/18
الأنصاري أبو زَيْد (210هـ). /259/244
أنيس فريجة (1993م). /176
الإيجي الشافعي (905هـ). /33
الباجي أبو الوليد (474هـ). /80
الباقلاني أبو بكر (403هـ). /237

بدر الدين الزَّكَشِي (794هـ)./18/19/2082/101/136/207
البغدادى أبو حسين (351هـ)./126
البغوي (510هـ)./126/92
بن أبي نصر الحميدي أبو عبد الله (ت: 488هـ)./77
البيهقي محمد بن أحمد أبو جعفر (544هـ)./244
ثَعْلَب أبو العَبَّاس (291هـ)./11/65/146/198/200/237.
الثعلبي أبو إسحاق (427هـ)./30/33/70/91/129.
الجاحظ أبو عثمان (255هـ)./33/193
الجُرْجَانِي (816هـ)./12/134/175.
الجُعْبَرِي أبو إسحاق (732هـ)./124
الجوالقي (540 هـ)./269/271
الجُوزَيْتِي ابن قَيْم (751هـ)./83/89/150/174
الجوهري (393هـ)./12/223.
الجُوَيْنِي أبو المعالي (478هـ)./81
الحري أبو إسحاق (285هـ)./280
حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ./115/214/221/222/223/229/251
حَسْنُون عبد الله أبو أحمد (386هـ)./241/243/250/252.
الْحَطِيبَةُ./84
الحميدي (219)./125
الْحَمِيرِي نَشْوَان (573هـ)./217/221/248/251/278
الخطابي أبو سُلَيْمَانَ (388هـ)./159/205
الْحَفَّاجِي ابن سِنَانَ (466هـ)./175/274
الدَّارِقُطْنِي (385)./126
الدَّانِي أَبُو عَمْرٍو (444هـ)./193/224/237/257/258/
الدمياطي، شهاب الدين الشهرير بالبَنَاء (1117هـ)./261

دي سوسير (1913م)./176
الدينوري ابن قُتَيْبَةَ (276هـ)./226/225/196/195/194/189/179/158/90
الذَّهَبِي شمس الدين (748هـ)./200/198/197/195/189/183
الذهبي محمد السيد حسين (1398هـ)./92/53/51/30
ذُو الرُّمَّةِ./146/11
الرَّازِي الفَخْر الرَّازِي أبو عبد الله (606هـ)./87/83/81/80
الرُّعَيْنِي أبو جَعْفَر الأندلسي (779هـ)./266
الرَّمَانِي (384)./54
الرَّيْدِي أَبُو بَكْرٍ (379هـ)./186
الرَّيْدِي المرتضى (1205هـ)./283/282/279
الرَّجَّاج أبو إسحاق (311هـ)./182/147//67/32/30
الرُّزْقَانِي محمد عبد العظيم (1367هـ)./182/147/67/32/30
الرَّحْمَشَرِي جار الله (538هـ)./269/253/188/87/42/20/19
زهير أبو وعله./266
زَيْدِ الحَيْلِ./145
زيد بن عمرو بن نفيل./262
سُحَيْمِ بْنِ وَثِيلِ الرَّيَّاحِيِّ (60هـ)./247/246
السَّرْفُوسْطِي أبو محمد (302هـ)./248
السَّمْعَانِي أبو المظفر (489هـ)./81
السَّمِينِ الحلي (756هـ)./88
سَيَّوْنِيَه (180هـ)./261/200/198/196/11
السُّيُوطِي جلال الدين (911)./279/278/271/259/252/240/211/208/207/127/108/91/70
282/281
الشاطبي (790هـ)./148/138/123/60

الشَّافِعِي (204هـ). 271/253/197/140/125/111/60/35/33/30
الشَّرِيفُ الْمَرْتَضَى (436هـ). 89/
الشَّنْقِيطِي مُحَمَّدُ الْأَمِين (1393هـ). 59/33/
الشُّوْكَانِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِي (1250هـ). 108/82/26/
صِرْمَةَ بْنِ قَيْسِ الْأَنْصَارِيِّ. 116/
طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ. 262/212/
الطِّيَالِسِي (204). 215/
عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ الْكِنَانِيِّ أَبُو الطُّفَيْلِ. 103/
عَبْدُ الرَّزَاقِ الصَّنْعَانِي (211هـ). 252/209/167/108/104/
عَبْدُ الْفَتْاحِ الْقَاضِي (1403هـ). 254/
العَبْدِيُّ ابْنُ مَنْدَةَ (395). 126/
العَسْقَلَانِيُّ ابْنُ حَجَرَ (852هـ). 212/208/124/112/
العَسْكَرِيُّ أَبُو هِلَالٍ (نحو 395هـ). 221/194/136/91/54/
العَزَالِيُّ أَبُو حَامِدٍ (505هـ). 85/81/
الْفَارِسِيُّ أَبُو عَلِي (377هـ). 261/
الْفَرَّاءُ أَبُو زَكْرِيَّا
(207هـ). 244/228/226/225/218/217/215/212/198/197/196/161/74/
272/267/265/262/251/247/246/245/
الْفَرَاهِيدِيُّ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ
(170هـ). 244/228/226/225/218/217/215/212/198/197/196/161/74/
272/267/267/262/251/247/246/245/
الْفَرَزْدَقُ (110هـ). 162/
فَهْدُ الرَّومِيِّ. 181/
الْقَيْوُمِيُّ أَبُو الْعَبَّاسِ (نحو 770هـ). 270/
الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ أَبُو عُبَيْدٍ (224هـ). 274/242/233/213/200/

القاسم بن محمد (107هـ)./101/74
القاسمي محمد جمال الدين (1332)./43
القراقي شهاب الدين أبو العباس (684هـ)/134.
القرطبي أبو عبد الله (671هـ)./147
القسيري (465هـ)/147/93.
القطان مناع بن خليل (1420هـ)./128
القنوجي محمد صديق خان أبو الطيب (1307هـ)/43/33
الكسائي علي الكوفي (189هـ)./280/267/259/256/248/201/196/43/33
الكفوي أبو البقاء (1094هـ)./215/147/135
الليث./285/220/17
الماتريدي (333هـ)./92/91
الماوردي أبو الحسن (450هـ)./279/278/276/251/250
المبرد أبو العباس (285هـ)./263/208/196/187/91
المثقب العبدي./276
محمد الطاهر بن عاشور (1393)./73/29/24/20
محمد بن أحمد بن رشد أبو الوليد (520هـ)./111
محمد بن صالح بن عثيمين (1421هـ)./20
محمد حسين آل ياسين حسين./144/143
محمد سالم محيسن (1422هـ)./240/234
المرسي ابن سيده (458هـ)./182/10
المشمرخ بن عمرو الحميري./115
المصري إسماعيل بن عمرو العواد (249هـ)./243
مصطفى صادق الرافعي (1356هـ)./207
معمر بن المثنى أبو عبيدة
(209هـ)/229/228/227/223/217/213/193/184/179/132/91/66/65

282/270/260
المقدسي ابن فدامة (620هـ)./81
المقرئ أبو طاهر (349هـ)./187
النابغة ./228/227/225/142/141/135
نجم الدين أبو القاسم (نحو 550هـ)./33
النحاس أبو جعفر (338هـ). / 281/268/208/91/68
النسفي نجم الدين (537هـ)./85
النووي (676هـ)./76
الهنائي علي بن الحسن الأزدي (بعد 309هـ)./281/225
الواحدي (468)./128/71/29

فهرسُ المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الإبهاج في شرح المنهاج ؛ تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب؛ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت عام النشر: 1416هـ - 1995م.
2. اتجاهات التجديد في تفسير القرآن ، د. محمد إبراهيم شريف ط: دار التراث، القاهرة، ط الأولى: 1420هـ.
3. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ د فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة: 1418هـ-1997م.
4. إتحاف البررة بما سكت عنه نشر العشرة المسمى بـ «تحرير النشر» ، مصطفى بن عبد الرحمن بن محمد الإزميري (ت: 1156هـ)، دراسة وتحقيق: خالد حسن أبو الجود ، الناشر: دار أضواء السلف، ط: الأولى: 1428 هـ - 2007 م.
5. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، شهاب الدين الشهرير بالبناء (ت: 1117هـ)، تحقيق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان، ط: الثالثة: 1427هـ-2006م.
6. الإتقان في علوم القرآن؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)؛ ت: محمد أبو الفضل إبراهيم؛ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ الطبعة: 1394هـ/ 1974م.
7. الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما؛ ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت: 643هـ)؛ دراسة وتحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش؛ الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان؛ ط: الثالثة: 1420 هـ - 2000 م.
8. الأحرف السبعة للقرآن ، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: 444هـ)، تحقيق: د. عبد المهيمن طحان، الناشر: مكتبة المنارة - مكة المكرمة-، ط: الأولى، 1408هـ.
9. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ؛ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (ت 354هـ)؛ ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي(ت: 739 هـ) ؛ حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ؛ الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت؛ ط: الأولى، 1408 هـ - 1988 م.

10. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ت 702هـ)، الناشر: مطبعة السنة المحمدية.
11. أحكام الجنائز؛ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: 1420هـ)؛ الناشر: المكتب الإسلامي؛ ط: الرابعة: 1406 هـ - 1986 م.
12. أحكام القرآن للشافعي جمعها، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، قدم له: محمد زاهد الكوثري، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، ط: الثانية: 1414 هـ - 1994 م.
13. الإحكام في أصول الأحكام؛ أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (ت: 631هـ)؛ ت: عبد الرزاق عفيفي؛ الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق.
14. الإحكام في أصول الأحكام؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: 456هـ)؛ المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر؛ قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس؛ الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.
15. إحياء علوم الدين؛ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)؛ الناشر: دار المعرفة - بيروت. كتاب ثمانية متون في العقيدة والتوحيد؛ السلسلة العربية - الكتاب 23؛ ط: مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي المملكة الأردنية الهاشمية؛ ط: 2013.
16. أخبار النحويين، أبو طاهر، عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم البزار (ت: 349هـ)، تحقق: مجدي فتحي السيد، الناشر: دار الصحابة للتراث - طنطا، ط: الأولى: 1410 هـ.
17. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرق (ت: 250هـ)؛ ت: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس للنشر - بيروت.
18. الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)؛ ت: عمر بن محمود أبو عمر؛ الناشر: دار الراية؛ ط الأولى: 1412 هـ - 1991 م.
19. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري؛ أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: 923هـ)؛ الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر؛ ط السابعة: 1323 هـ.

20. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول؛ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليميني (ت: 1250هـ)؛ المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية؛ الناشر: دار الكتاب العربي؛ ط الأولى: 1419هـ - 1999م.
21. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ؛ محمد ناصر الدين الألباني (ت : 1420هـ)، إشراف: زهير الشاويش؛ الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت؛ ط: الثانية 1405 هـ - 1985م.
22. أساس البلاغة؛ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)؛ تحقيق: محمد باسل عيون السود؛ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان؛ ط: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
23. أسباب النزول ؛ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)؛ المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان؛ الناشر: دار الإصلاح - الدمام؛ ط الثانية: 1412 هـ - 1992 م .
24. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ)؛ المحقق: علي محمد الجاوي؛ الناشر: دار الجليل، بيروت؛ ط الأولى: 1412 هـ - 1992م.
25. الإسرائيليات في التفسير والحديث "لمحمد حسين الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة، ط: 4، ط: 1990م.
26. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، محمد بن محمد أبو شهبه، الناشر: مكتبة السنة، ط: الرابعة: 1408هـ.
27. الأسماء والصفات للبيهقي ؛ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)؛ حققه: عبد الله بن محمد الحاشدي ؛ الناشر: مكتبة السوادى، جدة - المملكة العربية السعودية؛ ط الأولى: 1413 هـ - 1993 م.
28. الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت: 970هـ)، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى: 1419 هـ - 1999 م.
29. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، لمقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاته، نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الثانية: 1414هـ.

30. الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى: 1411هـ - 1990م.
31. الإصابة في تمييز الصحابة ؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)؛ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ؛ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط الأولى: 1415 هـ.
32. أصول في التفسير؛ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ)، ط: المكتبة الإسلامية، ط: الأولى: 1422 هـ - 2001 م.
33. أطواق الحمّامة في حَمَل الصَّحابةِ عَلَي السَّلامة، أبو إدريس يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الزيدي الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت: 745هـ)، حققها وعني بنشرها: مصطفى البغدادى.
34. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء ، دار النشر : دار المعارف-القاهرة - مصر، ط: 1391 هـ-1971م.
35. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: 1356هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ، ط الثامنة : 1425 هـ - 2005م.
36. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.
37. الأغاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (ت: 356هـ)، تحقيق : سمير جابر، الناشر : دار الفكر - بيروت، ط: الثانية.
38. الإقناع في القراءات السبع ، أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن الباذش (ت: 540هـ)، الناشر: دار الصحابة للتراث.
39. الإكمال في رفع الارياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (ت: 475هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان، ط: الأولى: 1411هـ-1990م.
40. الألفاظ المترادفة متقاربة المعنى، أبو الحسن علي بن عيسى الرمّاني(384)، علق عليه: د فتح الله صالح علي المصري، ط : دار الوفاء، ط : الأولى: 1407هـ-1987م.

41. الإمامة في القراءات واللهجات العربية ، د، عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، الناشر : دار ومكتبة الهلال - بيروت - ، دار الشروق - جدة - ، ط: الأولى: 1429 - 2008م.
42. أمالي المرتضى؛ للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي(ت: 436هـ)؛ ت: محمد أبو الفضل إبراهيم؛ ط: دار إحياء الكتب العربية(عيسى البابي الحلبي وشركاه)؛ ط الأولى: 1373-1954م.
43. إنباه الرواة على أنباه النحاة ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت : 646هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط: الأولى: 1406 هـ - 1982م.
44. الانتصار للقرآن ، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلائي المالكي (ت: 403هـ)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، الناشر: دار الفتح - عمّان، دار ابن حزم - بيروت، ط: الأولى 1422 هـ - 2001 م.
45. الأوائل، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ)، الناشر: دار البشير، طنطا، ط: الأولى، 1408 هـ.
46. إيجاز البيان عن معاني القرآن ؛ محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت: نحو 550هـ)؛ المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي ؛ الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت؛ ط: الأولى - 1415 هـ.
47. إيضاح الوقف و الابتداء، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت: 328هـ)؛ ط: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط : 1391هـ-1971م.
48. الإيضاح في علل النحو ، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: 337هـ)، تحقيق: مازن مبارك، - الناشر: دار النفائس -بيروت - ط: 1393هـ-1973م.
49. إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار ، صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله العمري المعروف بالقلاني المالكي (ت: 1218هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت.
50. البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، د أحمد مختار عمر (ت 1424هـ)، الناشر: عالم الكتب، ط السادسة: 1988م.
51. البحر المحيط في أصول الفقه؛ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)؛ الناشر: دار الكتي؛ ط: الأولى، 1414هـ - 1994م.

52. البحر المحيط في التفسير؛ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)؛ المحقق: صدقي محمد جميل؛ الناشر: دار الفكر - بيروت؛ ط: 1420 هـ-1999م.
53. البداية والنهاية؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، الناشر: دار الفكر؛ عام النشر: 1407 هـ - 1986 م.
54. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت: 1403هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
55. البرهان في أصول الفقه؛ عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت: 478هـ)؛ ت: صلاح بن محمد بن عويضة؛ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان؛ ط: الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997 م.
56. البرهان في علوم القرآن؛ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)؛ المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم؛ الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه؛ ط الأولى: 1376 هـ - 1957 م.
57. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ؛ أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصب المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: 282هـ)؛ المنتقى أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (ت: 807 هـ) ؛ المحقق: د. حسين أحمد صالح الباكري؛ الناشر: مركز خدمة السنة والسير النبوية - المدينة المنورة ؛ ط: الأولى: 1413 - 1992م.
58. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
59. البيان والتبيين؛ عمرو بن بحر بن محبوب الكناي بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: 255هـ)؛ الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت؛ عام النشر: 1423 هـ.
60. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (520هـ)، حققه: د محمد حجي وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان

61. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
62. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748هـ)؛ المحقق: الدكتور بشار عواد معروف؛ الناشر: دار الغرب الإسلامي؛ ط الأولى: 2003 م.
63. تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري؛ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)؛ الناشر: دار التراث - بيروت ط: الثانية : 1387 هـ.
64. التاريخ الكبير ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت : 256هـ)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، تحقيق: محمد عبد المعيد خان.
65. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت ، ط : الأولى: 1422 هـ - 2002 م.
66. تاريخ بيهق ، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، الشهير بابن فندمه (ت: 565هـ)، الناشر: دار اقرأ، -دمشق-، ط: الأولى: 1425 هـ.
67. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: 571هـ)؛ ت: عمرو بن غرامة العمروي؛ الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع؛ عام النشر: 1415 هـ - 1995 م.
68. تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت : 276هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
69. التبيان في أقسام القرآن ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (751هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
70. التبيان في تفسير غريب القرآن ، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (ت: 815هـ)، تحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد ، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: الأولى - 1423 هـ .
71. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»؛ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : 1393هـ)؛ الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس؛ سنة النشر: 1984 م.

72. تُحْفَةُ الْأَقْرَانِ فِي مَا قُرِئَ بِالتَّثْلِيثِ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ ، أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي ثم البيري، أبو جعفر الأندلسي (ت: 779هـ)، الناشر: كنوز أشبيليا - المملكة العربية السعودية، ط: الثانية: 1482 هـ - 2007 م.
73. تفسير ابن عباس ومروياته من كتب السنّة، د، عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية.
74. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
75. تفسير الإمام ابن عرفة؛ محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت: 803هـ)؛ المحقق: د. حسن المناعي؛ الناشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس؛ ط الأولى: 1986 م.
76. تفسير الراغب الأصفهاني ؛ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت: 502هـ) ؛ تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني ؛ الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا ؛ ط الأولى: 1420 هـ - 1999 م.
77. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم؛ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)؛ المحقق: أسعد محمد الطيب؛ الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية؛ ط الثالثة: 1419 هـ.
78. تفسير القرآن العظيم؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)؛ المحقق: سامي بن محمد سلامة؛ الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع؛ ط الثانية: 1420 هـ - 1999 م.
79. تفسير القرآن بالقرآن، د. محسن بن حامد المطيري، ط: دار التدمرية، ط1 : 1432هـ - 2011.
80. التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي
81. تفسير الماتريدي ؛ محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: 333هـ)؛ المحقق: د. مجدي باسلوم ؛ ط: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ط الأولى: 1426 هـ - 2005 م.

82. تفسير الماوردي (النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ال ت: 450هـ)، تحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
83. تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: 211هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى: 1419هـ.
84. تفسير غريب القرآن بالشعر العربي: نافع يسأل؟ وابن عباس يجب! ، منهج لغوي جديد في التفسير ، للباحث: شيخ حمدي فاروق، جامعة طنطا: 2006، وطبعته: دار اليقين: 2007م.
85. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم؛ محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت: 488هـ)؛ المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز؛ الناشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر؛ ط الأولى: 1415 - 1995م.
86. التفسير من سنن سعيد بن منصور ؛ المؤلف: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت: 227هـ)؛ دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد؛ الناشر: دار الصمعي للنشر والتوزيع؛ ط: الأولى، 1417 هـ - 1997 م.
87. تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: 200هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلي ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى: 1425 هـ - 2004 م.
88. التقرير والتحبير، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي (ت: 879هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الثانية: 1403 هـ - 1983م.
89. تقويم النظر في مسائل خلافة ذائعة، ونبذ مذهبية نافعة؛ محمد بن علي بن شعيب، أبو شجاع، فخر الدين، ابن الدّهان (ت: 592هـ)؛ ت: د. صالح بن ناصر بن صالح الخزيم؛ الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض؛ ط: الأولى، 1422 هـ - 2001م.
90. التلخيص في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت: 478هـ)، المحقق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت.

91. التَّلْخِيسُ فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الْأَشْيَاءِ ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ)، عني بتَحْقِيقِهِ: الدكتور عزة حسن ، الناشر: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط: الثانية: 1996 م.
92. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ، عام النشر: 1387 هـ.
93. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (ت: 68هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: 817هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان.
94. تهذيب اللغة؛ محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت 370هـ)؛ المحقق: محمد عوض مرعب؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت؛ ط: الأولى، 2001م.
95. التوجيهات المصرفية والنحوية لقراءة عبد الله بن عباس، رسالة ماجستير، لطالب: تيسير هارون علي النوافلة، قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة.
96. تيسير علم أصول الفقه ، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: الأولى: 1418 هـ - 1997 م.
97. الثقافات ممن لم يقع في الكتب الستة ، أبو الفداء زين الدين قاسم بن فُطْلُوبَعَا السُّوْدُوِي الجمالي الحنفي (ت: 879هـ)، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان ، الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة صنعاء، اليمن، ط: الأولى: 1432 هـ - 2011 م.
98. جامع البيان في القراءات السبع ، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: 444هـ) ، الناشر: جامعة الشارقة - الإمارات، ط: الأولى،: 1428 هـ - 2007 م.
99. جامع البيان في تأويل القرآن؛ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)؛ المحقق: أحمد محمد شاكر ، ومحمود شاكر؛ الناشر: مؤسسة الرسالة؛ ط: الأولى: 1420 هـ - 2000 م.

100. جامع بيان العلم وفضله ؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ)؛ تحقيق: أبي الأشبال الزهيري ؛ الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية؛ ط الأولى: 1414 هـ - 1994م.
101. الجامع لأحكام القرآن؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت: 671هـ)؛ ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش؛ الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة؛ ط الثانية: 1384 هـ - 1964م.
102. الجرائيم، ينسب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، حققه: محمد جاسم الحميدي، قدم له: الدكتور مسعود بوبو، الناشر: وزارة الثقافة، دمشق.
103. الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، 1271 هـ 1952 م.
104. الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الحريري النهرواني (ت: 390هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى 1426 هـ - 2005 م.
105. جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت: 170هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
106. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط: الأولى، 1987م.
107. حاشية الشَّهابِ عَلَي تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايَةُ الْقَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاضِي عَلَي تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: 1069هـ)، دار النشر: دار صادر - بيروت.
108. حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت: حوالي 403هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.
109. الحجة للقراء السبعة ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي(ت:377هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجايي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت ، ط: الثانية: 1413 هـ - 1993م.

110. الحدود في الأصول؛ أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التحيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت: 474 هـ)؛ ت: د. نزيه حماد؛ الناشر: مؤسسة محمد عفيف الزعبي؛ ط الأولى: 1392 هـ - 1973 م.
111. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: 430 هـ)، ط: دار الكتب العلمية - بيروت ط: 1409 هـ.
112. الخصائص؛ أبو الفتح عثمان بن جني الموصلبي (ت: 392 هـ)؛ المخصص الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ط: الرابعة.
113. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون؛ أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756 هـ)؛ ت: الدكتور أحمد محمد الخراط؛ الناشر: دار القلم، دمشق.
114. الدر المنثور في التفسير بالمأثور؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ)؛ الناشر: دار الفكر - بيروت.
115. الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، محمد حسين آل ياسين، منشورات: دار مكتبة الحياة، ط الأولى: 1400 هـ - 1980 م.
116. دراسات في فقه اللغة، د، صبحي إبراهيم الصالح (ت: 1407 هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، ط: الأولى: 1379 هـ - 1960 م.
117. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471 هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط: الثالثة: 1413 هـ - 1992 م.
118. دلائل النبوة؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: 430 هـ)؛ حققه: الدكتور محمد رواس قلعهجي، عبد البر عباس؛ الناشر: دار النفائس، بيروت؛ ط الثانية: 1406 هـ - 1986 م.
119. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة؛ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458 هـ)؛ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى - 1405 هـ.

120. الدلائل في غريب الحديث ، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، أبو محمد (ت : 302هـ)، تحقيق: د، محمد بن عبد الله القناص ، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض ، ط: الأولى: 1422 هـ - 2001 م.
121. دور اللهجة في توجيه القراءات القرآنية عند أبي حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط، إعداد: جزاء محمد حسن المصاورة، رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية، 1997م.
122. ديوان أبي النجم العجلي الفضل بن قدامة (130هـ)، جمعه وشرحه وحققه، د محمد أديب عبد الواحد صبران، ط: مطبوعات مجمع اللغة العربية-بدمشق - ط: 1427هـ-2006م.
123. ديوان أبي طالب، جمعه وشرحه، د محمد التّونجي، ط: دار الكتاب العربي، ط: الأولى: 1414هـ-1994م.
124. ديوان الأعشى، شرح د. يوسف شكري فرحات، ط: دار الجيل، ط: 1425هـ-2005م.
125. ديوان الحُطَيْيَّة، برواية وشرح ابن السَّكَيْت (246هـ)، دراسة: د، مفيد محمد قميحة، ط: دار الكتب العلمية، ط: الأولى: 1413هـ-1993م.
126. ديوان الفرزدق، شرحه وقدم له الأستاذ علي فاعور، ط: دار الكتب العلمية، ط: الأولى: 1407هـ-1987م.
127. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ)، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.
128. ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه: د، واضح الصّمد، ط: دار صادر، ط: الأولى: 1998م.
129. ديوان النَّابِغَةِ الدُّبْيَانِي، شرح وتقديم، عباس عبد السّاتر، ط: دار الكتب العلمية، ط: الثالثة: 1416هـ-1996م.
130. ديوان امرئ القيس ، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (ت: 545 م) ، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي ، الناشر: دار المعرفة - بيروت ، ط : الثانية : 1425 هـ - 2004 م.
131. ديوان أمية بن أبي الصَّلْت، جمعه وحققه وشرحه: د، سجع جميل الجبيلي، ط: دار صادر- بيروت - ط: الأولى: 1998م.
132. ديوان جرير، ط: دار بيروت للطباعة، ط: 1406هـ-1986م.

133. ديوان حاتم الطائي، حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي (46ق هـ)، الناشر: دار صادر، ط: 1401هـ - 1981م.
134. ديوان حسان بن ثابت، شرحه وقدم له، الأستاذ عبدأ مهنا، ط: دار الكتب العلمية، ط الثانية: 1414هـ - 1994م.
135. ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه أحمد حسن سبيح، ط: دار الكتب العلمية، ط الأولى: 1415هـ - 1995م.
136. ديوان زهير بن أبي سلمى، زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني (13ق هـ)، ط: دار صادر - بيروت.
137. ديوان سلامة بن جندل، سلامة بن جندل بن عبد عمرو، من بني كعب بن سعد التميمي (23ق هـ)، المحقق: فخر الدين قباوة، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: 1407هـ - 1987م.
138. ديوان شعر المثقب العبدى، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، ط: جامعة الدول العربية - معهد المخطوطات العربية - ط: 1391هـ - 1971م.
139. ديوان طرفة بن العبد، طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (ت: 60 ق هـ)، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الثالثة: 1423 هـ - 2002 م.
140. ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعيد، ط: وزارة الثقافة والإرشاد ن سلسلة كتب التراث (2)، ط: 1385هـ - 1965م.
141. الرد على شبهة الطعن في تفسير بن عباس، أ، د، حكمت بن بشير بن ياسين، مراجعة: د، محمد بن عبد الله الحلواني، الناشر: المملكة العربية السعودية - جامعة الملك عبد العزيز - معهد البحوث والاستشارات. سلسلة الرد على الشبهات (5).
142. الرسالة؛ الإمام الحجة محمد بن إدريس الشافعي (204هـ)؛ المحقق: أحمد محمد شاكر؛ الناشر: دار الكتب العلمية.
143. رسوم التحديث في علوم الحديث، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري (ت: 732هـ) المحقق: إبراهيم بن شريف المليبي، الناشر: دار ابن حزم - لبنان - بيروت، ط: الأولى، 1421هـ - 2000م.

144. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت: 1270هـ)؛ ت: علي عبد الباري عطية؛ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط الأولى: 1415 هـ.
145. الروض الداني (المعجم الصغير)؛ سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ)؛ المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمير؛ الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان؛ ط: الأولى، 1405 - 1985م.
146. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل؛ أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: 620هـ)؛ الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع؛ ط الثانية: 1423هـ-2002م.
147. الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت: 328هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الأولى: 1412 هـ - 1992م.
148. الزهد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى: 1420 هـ - 1999م.
149. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.
150. السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: 324هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف - مصر، ط: الثانية: 1400هـ.
151. سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت: 466هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى 1402هـ-1982م.
152. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها؛ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: 1420هـ)؛ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض؛ ط: الأولى، (مكتبة المعارف)؛ عام النشر: 1415 هـ - 1995 م إلى 1422 هـ - 2002 م.

153. سنن ابن ماجه ؛ ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت : 273هـ)؛ المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله ؛ الناشر: دار الرسالة العالمية؛ ط: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
154. سنن ابن ماجه ؛ ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت : 273هـ)؛ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ؛ الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
155. سنن أبي داود ؛ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت : 275هـ)؛ المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ؛ الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
156. سنن الدارمي؛ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بجرم بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت : 255هـ)؛ تحقيق: حسين سليم أسد الداراني؛ الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، -المملكة العربية السعودية- ط الأولى: 1412 هـ - 2000 م.
157. السنن الكبرى؛ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت : 303هـ)؛ حققه: حسن عبد المنعم شلبي ، وأشرف عليه: شعيب الأرنؤوط ؛ الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت؛ ط: الأولى: 1421 هـ - 2001 م.
158. السنن الكبرى؛ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوِجَردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)؛ المحقق: محمد عبد القادر عطا ؛ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان؛ ط الثالثة: 1424 هـ - 2003 م.
159. سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس" محمد بن عبد الرحيم و أحمد نصر الله وسموه:"غريب القرآن في شعر العرب"-ط:مؤسسة الكتب الثقافية-
160. سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس ، د، إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف - بغداد، ط: 1968م.
161. سير أعلام النبلاء؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي (ت: 748هـ)؛ المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ؛ الناشر : مؤسسة الرسالة؛ ط الثالثة: 1405 هـ - 1985م.
162. الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم-أهميته وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به- ، د، عبد الرحمان بن معاضة الشَّهري، طبعة: مكتبة دار المنهاج، ط:الأولى: 1431هـ.

163. شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار أحمد، تحقيق: د، عبد الكريم عثمان، الناشر: مكتبة وهبة-القاهرة-، ط: 1965م.
164. شرح التبصرة والتذكرة (ألفية العراقي)، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت: 806هـ)، المحقق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1423 هـ - 2002 م.
165. شرح التثريب في شرح التقريب؛ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت: 806هـ)؛ الناشر: الطبعة المصرية القديمة.
166. شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: 516هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط: الثانية، 1403 هـ - 1983 م.
167. شرح العقائد، مع جمع الفرائد بإنارة شرح العقائد، وفي آخره ميزان العقائد مع شرحه؛ ط: مكتبة المدينة-كراتشي باكستان؛ ط: الثانية: 1433هـ-2012م.
168. شرح تنقيح الفصول ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقراقي (ت: 684هـ)، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد ، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط: الأولى: 1393 هـ - 1973 م.
169. شرح ديوان رؤبة بن العجاج، لعلم لغوي قديم، تحقيق: د، ضاحي عبد الباقي محمد، ط: مجمع اللغة العربية-جمهورية مصر - ط: الأولى: 1432هـ-2011م.
170. شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مطبعة السعادة، ط: 1371 هـ - 1952 م.
171. شعب الإيمان ؛ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)؛ حقيقه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد ، ومختار أحمد الندوي؛ الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ؛ ط : الأولى، 1423 هـ - 2003 م.
172. شعر زيد الخيل الطائي، جمع ودراسة وتحقيق: الدكتور أحمد مختار البرزة، ط: دار المأمون للتراث، ط الأولى: 1408هـ-1988م.
173. الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: 1423 هـ.

174. شعر يزيد بن الطَّرِيفَة ، صنعه حاتم صالح الضامن، ساعدت وزارة الإعلام على نشره، ط: مطبعة أسعد-بغداد- .
175. الشفا بتعريف حقوق المصطفى؛ عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)؛ الناشر: دار الفيحاء - عمان؛ ط: الثانية - 1407 هـ.
176. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت : 751هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان ، ط: 1398هـ/1978م.
177. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام؛ محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسيني الفاسي (ت: 832هـ)؛ الناشر: دار الكتب العلمية؛ الطبعة: الأولى 1421هـ-2000م.
178. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت : 573هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان -، دار الفكر (دمشق - سورية) ، : الأولى : 1420 هـ - 1999 م.
179. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها؛ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)؛ الناشر: محمد علي بيضون؛ ط الأولى: 1418هـ-1997م.
180. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية؛ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)؛ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار؛ الناشر: دار العلم للملايين - بيروت؛ ط: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.
181. صفة الجنة؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: 430هـ)؛ المحقق: علي رضا عبد الله؛ الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / سوريا.
182. صفحات في علوم القراءات، د، أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، الناشر: المكتبة الأمدادية، ط: الأولى - 1415 هـ.
183. الصفدية؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت : 728هـ)؛ ت : محمد رشاد سالم؛ الناشر : مكتبة ابن تيمية، مصر؛ ط الثانية: 1406هـ.

184. الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة؛ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)؛ ت: علي بن محمد الدخيل الله؛ الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية؛ ط الأولى: 1408هـ.
185. ضحى الإسلام، الأستاذ أحمد أمين، تقديم: عبد المجيد البصير، ط: الأنيس، موفم للنشر: 1989م.
186. ط: الثانية، 1408 هـ - 1988م.
187. الطبقات الكبرى؛ أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: 230هـ) المحقق: إحسان عباس؛ الناشر: دار صادر - بيروت؛ ط الأولى: 1968م.
188. طبقات النحويين واللغويين ، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (ت: 379هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: الثانية، الناشر: دار المعارف.
189. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (ت: 232هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر، الناشر: دار المدني - جدة.
190. طريق المهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، ط: الثانية، 1394هـ.
191. عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، لدكتور: محمد أحمد أبو النصر ؛ ط : دار الجليل، بيروت لبنان، ط: الأولى: 1412 هـ-1992م.
192. عبد الله بن عباس، قراءاته ومنهجه في تفسير غريب القرآن، رسالة لنيل درجة الماجستير في اللغة، لطالب: عابدين عبد الرحمان آشي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى.
193. عبد الله بن عباس-رضي الله عنه- حياته و تفسيره، د : عادل حسن علي ؛ ط : مؤسسة المختار، ط الثانية : 1426 هـ - 2005م.
194. العجائب في بيان الأسباب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس، الناشر: دار ابن الجوزي.
195. العقد الفريد؛ أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت: 328هـ)؛ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط الأولى: ، 1404 هـ.

196. علم اللغة العام ؛ فردينان دي سوسير، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: د. مالك يوسف المطليبي، إصدارات: دار آفاق عربية، ط الثالثة: 1985.
197. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت 855هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
198. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار الجيل ، ط : الخامسة، 1401 هـ - 1981م.
199. عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، أ، د، أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
200. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، تاريخ النشر: 1418 هـ.
201. غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ)، عني بنشره ج. برجستراسر، الناشر: مكتبة ابن تيمية، ط: عام 1351هـ .
202. غريب الحديث ، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (ت: 285هـ)، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط: الأولى، 1405هـ.
203. غريب الحديث ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: 388هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغياوي، ط: جامعة أم القرى - معهد البحوث العلمية - مركز إحياء التراث الاسلامي - مكة المكرمة - ط الثانية : 1422هـ - 2001م. (ج1 ص 70/71).
204. غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، تحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني - بغداد، ط: الأولى، 1397هـ
205. غريب الحديث ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط: الأولى: 1405 - 1985م.

206. غريب الحديث؛ أبو عُبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: 224هـ)؛ المحقق: د. محمد عبد المعيد خان؛ الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن؛ ط الأولى: 1384 هـ - 1964 م.
207. غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، تحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: 1398 هـ - 1978 م.
208. الغريب المصنف، أبو عُبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: 224هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: 1415/1414 هـ.
209. الفاضل، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت: 285هـ)، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: الثالثة: 1421 هـ.
210. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه و صححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات: عبد العزيز بن عبد الله بن با ز، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379 هـ.
211. فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ)؛ تحقيق: مجموعة من العلماء؛ الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية؛ ط الأولى: 1417 هـ - 1996 م.
212. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت: 1307هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: 1412 هـ - 1992 م.
213. فتح القدير؛ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)؛ الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت؛ ط: الأولى: 1414 هـ - 1993 م.
214. فجر الإسلام، محمد أمين؛ ط: الأنيس، ط: 1989 م.
215. الفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله عز وجل وفي المشهور من الكلام، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: 444هـ)، المحقق: حاتم صالح الضامن، الناشر: دار البشائر - دمشق، ط: الأولى: 1428 هـ - 2007 م.

216. فصول في أصول التفسير ، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ، تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان، الناشر: دار ابن الجوزي، ط: الثانية: 1423هـ.
217. فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض صلوات الله عليهم، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت: 385هـ)، اعتنى به: محمد بن خليفة الرياح، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
218. فضائل الصحابة، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: 303هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، 1405.
219. فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الأولى، 1403 - 1983 م.
220. فقه اللغة وسر العربية؛ ت: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ)/المحقق: عبد الرزاق المهدي؛ الناشر: إحياء التراث العربي؛ ط: الأولى 1422 هـ - 2002 م.
221. فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية ، صلاح محمد الخيمي ، الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق، عام النشر: 1403 هـ - 1983 م.
222. فهرسة ابن خير الإشبيلي ، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي (ت: 575هـ)، المحقق: محمد فؤاد منصور، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، ط: الأولى: 1419هـ/1998م.
223. الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (ت: 438هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان ، ط: الثانية: 1417 هـ - 1997 م.
224. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: 1250هـ) ، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
225. القاموس الفقهي ، الدكتور سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر. دمشق - سورية ، ط: الثانية: 1408 هـ - 1988 م.

226. القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد محمد محمد سالم محيسن (ت: 1422هـ)، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ط: الأولى: 1404 هـ - 1984 م.
227. القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث، الأستاذ الدكتور: عبد الغفار حامد هلال، ط: دار الفكر العربي-مصر-، ط: الثالثة: 1426هـ-2005م.
228. القراءات واللهجات، عبد الوهاب حمودة، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، سنة النشر: 1948م.
229. قواطع الأدلة في الأصول؛ أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: 489هـ)؛ ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي؛ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان؛ ط: الأولى: 1418هـ-1999م.
230. القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1423هـ-2003م.
231. الكامل في اللغة والأدب؛ محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: 285هـ)؛ المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم؛ الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة؛ ط الثالثة: 1417 هـ - 1997 م.
232. الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت: 365هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية - بيروت-لبنان، ط: الأولى: 1418هـ-1997م.
233. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: الأولى 1403 هـ - 1983م.
234. كتاب العين؛ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)؛ ت: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي؛ الناشر: دار ومكتبة الهلال.
235. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار؛ أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسطي العبسي (ت: 235هـ)؛ المحقق: كمال يوسف الحوت؛ الناشر: مكتبة الرشد - الرياض؛ ط: الأولى، 1409هـ.
236. كتاب علم الدلالة للدكتور احمد مختار عمر؛ ط عالم الكتب؛ ط الخامسة: 1998م.

237. الكتاب؛ عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: 180هـ)؛ المحقق: عبد السلام محمد هارون؛ الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة؛ ط: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م.
238. كتب غريب القرآن الكريم، الدكتور حسين محمد نصار، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
239. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الثالثة - 1407 هـ.
240. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (ت: 730هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي - بدون سنة الطبع -.
241. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت: 1067هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي - لبنان بيروت.
242. الكشف والبيان عن تفسير القرآن؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: 427هـ)؛ تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور؛ مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان؛ ط: الأولى 1422، هـ - 2002 م.
243. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)؛ أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)؛ عدنان درويش - محمد المصري؛ الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
244. كنز الكتاب ومنتخب الآداب، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن الفهري المعروف بالبونسي (ت: 651هـ)، المحقق: حياة قارة، الناشر: المجمع الثقافي - أبو ظبي - عام النشر: 2004 م.
245. الكنز اللغوي في اللسن العربي، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت: 244هـ)، تحقق: أوغست هفتر، الناشر: مكتبة المتنبّي - القاهرة.
246. الكنز في القراءات العشر، أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن علي ابن المبارك التاجر الواسطي المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (ت: 741هـ)، تحقيق ودراسة: د. خالد المشهداني، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط: الأولى: 1425 هـ - 2004 م.

247. لحنُ العَوامِّ، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الاشبيلي، أبو بكر (ت: 379هـ)، تحقيق: د رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي-بالقاهرة-ط الثانية:1420هـ-2000م.
248. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور المصري الإفريقي (ت: 711هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، ط: الثالثة - 1414 هـ.
249. لطائف الإشارات (تفسير القشيري) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)؛ المحقق: إبراهيم البسيوني؛ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر؛ ط: الثالثة.
250. اللغات في القرآن، عبد الله بن الحسين بن حسنون، أبو أحمد السامري (ت: 386هـ) بإسناده: إلى ابن عباسن حقه ونشره: صلاح الدين المنجد، الناشر: مطبعة الرسالة، القاهرة، ط: الأولى، 1365 هـ - 1946 م.
251. لغة القرآن الكريم، لدكتور: عبد الجليل عبد الرحيم، ط: مكتبة الرسالة الحديثة، ط: الأولى: 1401هـ-1981م.
252. اللغة بين القومية والعالمية، د. إبراهيم أنيس، ط: دار المعارف ط الأولى: 1970 م.
253. اللهجات العربية في القراءات القرآنية، الدكتور عبده علي إبراهيم الراجحي (ت: 1431)، ط: دار المعرفة الجامعية، ط: 1996م.
254. اللهجات العربية والقراءات القرآنية، الأستاذ الدكتور محمد خان . ط: دار الفجر للنشر والتوزيع-القاهرة-مصر، ط: الأولى: 2002م.
255. اللهجات العربية، د إبراهيم أنيس، طبعة الرسالة، الناشر: دار الفكر العربي.
256. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان؛ محمد فؤاد بن عبد الباقي (ت: 1388هـ)؛ الناشر: دار إحياء الكتب العربية - محمد الحلبي (بدون طبعة وبدون تاريخ).
257. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (ت: 1420هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: الثالثة: 1421هـ-2000م.
258. المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر (ت: 381هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق، عام النشر: 1981 م.
259. مجاز القرآن؛ أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: 209هـ)؛ المحقق: محمد فواد سزكين؛ الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة؛ ط: 1381 هـ-1961م.

260. مجالس ثعلب ، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب (ت : 291هـ)، شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: دار المعارف-بمصر - ط: الثانية: 1956م.
261. المجالسة وجواهر العلم؛ أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت : 333هـ)؛ ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين) ؛ دار ابن حزم (بيروت - لبنان) تاريخ النشر : 1419هـ.
262. مجمل اللغة لابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت : 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان ، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط: الثانية : 1406 هـ - 1986م.
263. مجموع أشعار العرب، ويشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنى به: وليم بن الوردي البرونسي، ط: دار ابن قتيبة-الكويت-.
264. مجموع الفتاوى؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحارثي (المتوفى: 728هـ)؛ ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم؛ الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية؛ ط: 1416هـ/1995م.
265. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى - 1418 هـ.
266. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت: 502هـ)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت ، ط: الأولى، 1420 هـ.
267. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية -، ط : 1420هـ- 1999م.
268. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي الحارثي (ت: 542هـ)؛ المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد؛ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط: الأولى - 1422 هـ.

269. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزني ، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية ، ط : الأولى:1427 هـ - 2006 م.
270. المحصول؛ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت: 606هـ) ؛ دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني؛ الناشر: مؤسسة الرسالة؛ ط: الثالثة، 1418 هـ - 1997 م.
271. المحكم والمحيط الأعظم؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)؛ المحقق: عبد الحميد هندراوي؛ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
272. مختار الصحاح؛ زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ)؛ المحقق: يوسف الشيخ محمد؛ الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا ؛ ط: الخامسة، 1420 هـ / 1999 م.
273. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن جالويه، غني بنشره، ج. برجشتراسرن ط: مؤسسة الريان-بيروت- مطبوعات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ط: 1430 هـ-2009 م.
274. المختلف فيهم من الصحابة، المؤلف : علاء الدين بن قليط مغلطاي(ت:762هـ)، مكتبة الرشد، المحققون : السيد عزت المرسي ، إبراهيم إسماعيل القاضي ، مجدي عبد الخالق الشافعي إشراف: محمد عوض المنقوش.
275. المخصص؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)؛ المحقق: خليل إبراهيم جفال؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت؛ ط: الأولى، 1417 هـ - 1996 م.
276. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط: الثالثة: 1417 هـ - 1997 م.
277. مذاهب التفسير الإسلامي ، إجنسس جولد تسهر، ترجمة د.عبد الحلیم النجار، مطبعة السنة المحمدية: 1374 هـ-1955 م.
278. مراتب التَّحويين، عبد الواحد بن علي الحلبي، أبو الطيب اللغوي (ت:351هـ)، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: مكتبة نهضة مصر ومطبعتها-القاهرة-.
279. مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عباس ، تحقيق: د، محمد أحمد الدالي ، دار النشر: الجفان والجايي، ط: الأولى: 1413 هـ - 1993 م.

280. مسائل نافع بن الأزرق في ميزان النقد، عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، نشرته حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، العدد السادس عشر: 1419-1998م.
281. المستدرك على الصحيحين؛ أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت: 405هـ)؛ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا؛ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت؛ ط الأولى: 1411 - 1990م.
282. المستصفي؛ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)؛ ت: محمد عبد السلام عبد الشافي؛ الناشر: دار الكتب العلمية؛ ط: الأولى، 1413هـ - 1993م.
283. مسند أبي داود الطيالسي أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت: 204هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر، ط: الأولى، 1419 هـ - 1999 م.
284. مسند إسحاق بن راهويه؛ أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه (ت: 238هـ)؛ المحقق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي؛ الناشر: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة؛ ط: الأولى: 1412 - 1991م.
285. مسند الإمام أحمد بن حنبل؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)؛ المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون؛ إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي؛ الناشر: مؤسسة الرسالة؛ ط: الأولى: 1421 هـ - 2001 م.
286. مسند الإمام الشافعي (ترتيب سنجر)؛ المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: 204هـ)؛ رتبته: سنجر بن عبد الله الجاولي، أبو سعيد، علم الدين (ت: 745هـ)؛ حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: ماهر ياسين فحل؛ الناشر: شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت؛ ط: الأولى: 1425 هـ - 2004 م.
287. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار؛ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت: 292هـ)؛ المحقق بعض الأجزاء: محفوظ الرحمن زين الله، وصبري عبد الخالق الشافعي؛ الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة؛ ط: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).

288. مسند الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي
الحميدي المكي (ت: 219هـ)، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الداراني، الناشر:
دار السقا، دمشق - سوريا، ط: الأولى، 1996 م.
289. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛
مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)؛ المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي؛
الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
290. المسند، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد
المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: 204هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت
- لبنان، صححت هذه النسخة: على النسخة المطبوعة في مطبعة بولاق الأميرية والنسخة
المطبوعة في بلاد الهند، عام النشر: 1400 هـ.
291. مشكاة المصابيح؛ محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (ت:
741هـ) المحقق: محمد ناصر الدين الألباني؛ الناشر: المكتب الإسلامي بيروت ، ط الثالثة:
1985 م.
292. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو
العباس (ت: نحو 770هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
293. مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، اعداد: جمال
الدين محمد شرف، الناشر: دار الصحابة للتراث بطنطا، ط الأولى: 1425هـ-2004م.
294. المصنف؛ أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: 211هـ)؛
المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي؛ الناشر: المجلس العلمي - الهند؛ ط: الثانية: 1403هـ.
295. معالم التنزيل في تفسير القرآن ؛ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي
الشافعي (ت: 510هـ)؛ ت: عبد الرزاق المهدي؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت؛ ط
الأولى: 1420 هـ.
296. معالم السنن، (شرح سنن أبي داود)، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب
البيستي المعروف بالخطابي (ت: 388هـ)، الناشر: المطبعة العلمية، حلب، ط: الأولى 1351 هـ -
1932 م.

297. معاني القراءات للأزهري ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ)،
الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية ، ط :
الأولى: 1412 هـ - 1991 م.
298. معاني القرآن ؛ أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط
(ت: 215هـ)؛ ت: الدكتورة هدى محمود قراة؛ الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة؛ ط الأولى:
1411 هـ - 1990 م.
299. معاني القرآن وإعرابه؛ إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)؛
المحقق: عبد الجليل عبده شلبي؛ الناشر: عالم الكتب - بيروت؛ ط: الأولى 1408 هـ - 1988
م.
300. معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء
(ت: 207هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي ؛ ومحمد علي النجار ؛ وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي ،
الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط: الأولى.
301. معاني القرآن؛ أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: 338هـ)؛ المحقق: محمد علي الصابوني؛
الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة؛ ط: الأولى: 1409هـ-1988م.
302. معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، عبد الرحمن بن
أبي بكر، جلال الدين السيوطي ط: الأولى: 1408 هـ - 1988 م.
303. معجم ابن الأعرابي؛ أبو سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري
الصوفي (ت: 340هـ)؛ تحقيق وتخرّيج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني ؛ الناشر: دار ابن
الجوزي، المملكة العربية السعودية؛ ط: الأولى، 1418 هـ - 1997 م.
304. معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد
الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)، تحقق: إحسان عباس ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت،
ط: الأولى: 1414 هـ - 1993 م.
305. معجم الشعراء، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت : 384 هـ)، بتصحيح وتعليق
: الأستاذ: الدكتور ف . كرنكو، الناشر : مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
ط: الثانية، 1402 هـ - 1982 م.

306. معجم الصحابة، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء
البغدادى (ت: 351هـ)، المحقق: صلاح بن سالم المصراتي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة
المنورة؛ ط: الأولى، 1418.
307. معجم الصحابة، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المُرْزُبَان بن سابور بن
شاهنشاه البغوي (ت: 317هـ)، المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني، الناشر: مكتبة دار البيان
- الكويت، ط: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
308. معجم ألفاظ القرآن الكريم، ط: المجمع اللغة العربية، ط 2: 1409هـ-1988م.
309. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران
العسكري (ت: نحو 395هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر:
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط: الأولى: 1412هـ.
310. معجم الفصح من اللهجات العربية وما وافق منها القراءات القرآنية، د، محمد أديب عبد
الواحد جمران، ط: مكتبة العبيكان-الرياض-، ط: الأولى: 1421هـ-2000م.
311. معجم القراءات، د، عبد اللطيف الخطيب، ط: دار سعد الدين، ط الأولى: 1422هـ-
2002م.
312. المعجم الكبير؛ سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني
(ت: 360هـ)؛ المحقق: حمدي بن عبد الحميد السلفي؛ دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة؛ ط:
الثانية.
313. معجم اللغة العربية المعاصرة؛ د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت 1424هـ)؛ الناشر: عالم
الكتب؛ الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
314. معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إليان بن موسى سركيس (ت: 1351هـ)،
الناشر: مطبعة سركيس - بمصر-، ط: 1346 هـ - 1928 م.
315. معجم المفسرين، عادل نويهض، ط: مؤسسة نويهض الثقافية، ط: الأولى: 1404 هـ-
1984م.
316. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة المظفر الثقافية.
317. المعجم المفهرس لمعاني القرآن الكريم، إعداد: محمد بستام رشدي الزين، إشراف: محمد عدنان
سالم، ط: دار الفكر-دمشق سورية- ط 1416: 1هـ-1995م.

318. معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحاله، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الناشر مكتبة المثنى.
319. معجم ديوان الأدب؛ أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت: 350هـ)؛ ت: دكتور أحمد مختار عمر؛ مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس؛ ط: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة؛ عام النشر: 1424 هـ - 2003 م.
320. معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري، ويليهِ: مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس، محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي - ط: 1369 - 1950 م.
321. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت: 1408هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: السابعة: 1414 هـ - 1994 م.
322. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة؛ ت: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت: 1408هـ)؛ الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت؛ ط السابعة: 1414 هـ - 1994 م.
323. معجم مصنفات القرآن الكريم، الدكتور علي شواخ إسحاق، منشورات: دار الرفاعي - الرياض - ط الأولى: 1404هـ - 1984م.
324. معجم مقاييس اللغة؛ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)؛ المحقق: عبد السلام محمد هارون؛ الناشر: دار الفكر؛ عام النشر: 1399 هـ - 1979 م.
325. المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، موهوب بن أحمد بن محمد بن الحَضْر بن الحسن، أبو منصور ابن الجوّاليق ي(ت 540 هـ)، تحقيق: د ف عبد الرحيم، ط: دار القلم - دمشق - ط الأولى: 1410 هـ - 1990 م.
326. المعرّب والدّخيل في اللغة العربية، (رسالة دكتوراه لطالب) كَل محمد باسل، تحت إشراف أ د محمود عبد السلام أحمد شرف الدين، الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد - باكستان، سنة المناقشة: 1423 هـ - 2002 م.
327. معرفة الصحابة لابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي (ت: 395هـ)، حققه: د. عامر حسن صبري، الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.

328. معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: 430هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي؛ الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط: الأولى 1419 هـ - 1998 م.
329. معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي النيسابوري (ت: 405هـ)، المحقق: السيد معظم حسين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثانية: 1397 هـ - 1977 م.
330. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: 606هـ)؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثالثة - 1420 هـ.
331. المفردات في غريب القرآن؛ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)؛ المحقق: صفوان عدنان الداودي؛ الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت؛ ط: الأولى: 1412 هـ.
332. المقتبس من اللهجات العربية و القرآن، محمد محمد محمد سالم محيسن (ت: 1422هـ)، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، ط: 1986 م.
333. مقدمات في علم القراءات، محمد أحمد مفلح القضاة، وأحمد خالد شكرى، ومحمد خالد منصور، الناشر: دار عمار - عمان (الأردن)، ط: الأولى: 1422 هـ - 2001 م.
334. مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط: 1490 هـ - 1980 م.
335. مناهل العرفان في علوم القرآن؛ لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت: 1367هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة.
336. المنتخب من غريب كلام العرب، علي بن الحسن الهنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ (كراع النمل) (ت: بعد 309هـ) تحقيق: د محمد بن أحمد العمري، الناشر: جامعة أم القرى - معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي - ط: الأولى: 1409 هـ - 1989 م.
337. المنتخب من مسند عبد بن حميد؛ أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكشي (الكشي) (ت: 249هـ)؛ المحقق: صبحي البدرى السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي؛ الناشر: مكتبة السنة - القاهرة؛ ط: الأولى: 1408 - 1988 م.

338. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا؛ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت؛ ط الأولى: 1412 هـ - 1992 م.
339. المنشور في القواعد الفقهية ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية، ط: الثانية: 1405 هـ - 1985 م.
340. منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى: 1420 هـ - 1999 م.
341. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط: الأولى: 1406 هـ - 1986 م.
342. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج؛ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت؛ ط الثانية: 1392 هـ.
343. المَهْدَبُ فِي عِلْمِ أَصُولِ الْفِقْهِ الْمُقَارِنِ؛ عبد الكريم بن علي بن محمد النملة؛ دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض؛ ط الأولى: 1420 هـ - 1999 م .
344. المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت: 911هـ) ، تحقق: التهامي الراجي الهاشمي ، مطبعة فضالة - بإشراف صندوق إحياء التراث الإسلامي، المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.
345. الموافقات؛ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: 790هـ)؛ المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان؛ الناشر: دار ابن عفان؛ ط الأولى: 1417 هـ - 1997 م.
346. موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر 1417 هـ - 1996 / هـ - 1997 م؛ أحمد معمور العسيري ؛ (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض) ط: الأولى، 1417 هـ - 1996 م.
347. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ، أ، د، حكمت بن بشير بن ياسين ، الناشر : دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، ط : الأولى ، 1420 هـ - 1999 م.

348. الموسوعة الفقهية الكويتية ، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت ،
الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ).
349. موسوعة المستشرقين، تأليف د. عبد الرحمان البدوي، ط: دار الملايين، ط: الثالثة:
1993م.
350. الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، جمع وإعداد: وليد بن أحمد
بن حسين الزبيدي، و إياد بن عبد اللطيف القيسي، ومصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن
جواد القيسي، و عماد بن محمد البغدادي، ط : سلسلة إصدارات الحكمة، ط : 1424هـ -
2003م.
351. الموطأ؛ مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ا ت: 179هـ)؛ المحقق: محمد
مصطفى الأعظمي؛ الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو
ظبي - الإمارات؛ ط: الأولى: 1425 هـ - 2004 م.
352. ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن
قائم الأزدي (ت: 748هـ)، تحقيق: علي محمد الجاوي ، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر،
بيروت - لبنان، ط: الأولى: 1382 هـ - 1963 م.
353. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن
محمد الجوزي (ت: 597هـ)؛ ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي؛ الناشر: مؤسسة الرسالة -
لبنان - بيروت-؛ ط: الأولى، 1404هـ - 1984م.
354. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات،
كمال الدين الأنباري (ت: 577هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء -
الأردن، ط: الثالثة: 1405 هـ - 1985 م.
355. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد
بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، المحقق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الناشر:
مطبعة سفير بالرياض، ط: الأولى، 1422هـ.
356. النشر في القراءات العشر ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن
يوسف (ت: 833 هـ) ، تحقيق: علي محمد الضباع (ت: 1380هـ)، الناشر : المطبعة التجارية
الكبرى ، تصوير دار الكتاب العلمية.

357. نظريات في اللغة، أنيس فريجة (1993م)، ط: دار الكتاب اللبناني، -بيروت - ط الثانية: 1981م.
358. نكت الهميان في نكت العميان، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: 764هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1428 هـ - 2007 م.
359. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: 733هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423 هـ.
360. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: 733هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط: الأولى: 1423 هـ.
361. نهاية السؤل شرح منهاج الوصول؛ عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (ت: 772هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان؛ ط: الأولى 1420هـ - 1999م.
362. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت: ط: 1399هـ - 1979م.
363. الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محمد محمد محمد سالم محيسن (ت: 1422هـ)، الناشر: دار الجليل - بيروت، ط: الأولى: 1417 هـ - 1997م.
364. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت: 1399هـ)، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية استانبول 1951؛ أعادت طبعه: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
365. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: 764هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، ط: 1420هـ - 2000م.

366. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، ط: الأولى: 1994م.

367. ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن ، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز الباوردي، المعروف بـ غلام ثعلب (ت: 345هـ)، حققه وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية - المدينة المنورة ، ط: الأولى: 1423هـ - 2002م.

المجلات والدوريات

368. مجلة الأستاذ، مقالة بعنوان: " لهجة قبيلة كنانة-دراسة لغوية-" د، ميساء صائب رافع عبود، العدد (203) لسنة: 1433هـ-2012م.

369. مجلة البحوث والدراسات القرآنية-وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية- العدد السادس-السنة الثالثة رجب 1429هـ/يوليو 2008م؛ مقالة بعنوان: " عادات العرب القويّة في ضوء القرآن الكريم " إعداد: أ.د. عبد الفتاح بن محمد أحمد خضر.

370. مجلة الحضارة الإسلامية ، العدد 28 جانفي 2016؛ مقالة بعنوان "إشكالية السند في رواية تفسير معنى اللفظ في القرآن الكريم بين السلف وأهل اللغة".أ.بودريالة فريد.

371. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - الكويت - المجلد 18 - العدد 52 سنة: 2003م؛ مقالة بعنوان: " منهج ابن عباس وأثره في الاتجاهات اللغوية والبلاغية في التفسير "أ.د. للباحث: عمر يوسف حمزة.

372. مجلة المقتبس جلة المقتبس/العدد 25/73 مقالة: لطف حسين تحت عنوان: "هل تسترد اللغة العربية أمجادها" بتاريخ: 1912/03/01م.

373. مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م 5 العدد(1412هـ-1992م)؛ - مقال بعنوان: " في علاقة عبد الله بن عباس بالشعر " لفهد العرابي الحارثي.

374. مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، العدد 323 جمادى 2 1417هـ - نوفمبر 1996م؛ مقالة بعنوان: " الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم "- عبد الرزاق إسماعيل هرماس.

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير

اقتباس

المقدمة: أ-ذ

10..... التمهيد: مفهوم الملامح الدلالية.

11..... المبحث الأول: مفهوم الملامح الدلالية..

11..... ملامح لغة.

12..... الدلالة لغة.

12..... الدلالة اصطلاحا.

13..... أقسام الدلالة.

14..... أقسام الدلالة الوضعية اللفظية.

15..... الفصل الأول: مفهوم التفسير، والبيان، والتأويل.

17..... المبحث الأول: مفهوم التفسير.

17..... التفسير في اللغة.

18..... التفسير في الاصطلاح.

22..... ضوابط التفسير.

24..... أ-معلومات ليس لها أثر في صلب التفسير.

25..... ب-معلومات لها أثر في صلب التفسير.

26..... آراء لبعض علماء التفسير تفيد تقييحي البيان.

26..... 4 - آراء الطبري في تفسيره.

28..... 5 - آراء أبو حيان الأندلسي في تفسيره.

29..... 6 - آراء الطاهر بن عاشور في تفسيره.

32..... المبحث الثاني: مفهوم ي.

32..... تعريف البيان لغة.

33..... البيان في الاصطلاح.

37.....	ضوابط حد البيان وطبيعته في القرآن الكريم
38.....	البيان في القرآن الكريم
42.....	القرآن والكتاب المبين
44.....	الرسول المبلغ المبين
47.....	هل تناول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- القرآن كله بالبيان؟
48.....	أدلة مَنْ قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَنْ كل معاني القرآن
49.....	أدلة مَنْ قال بأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يبيِّن لأصحابه إلا القليل من معاني القرآن
51.....	اختيار حسين الذهبي في المسألة
57.....	بيان القرآن والسُّنَّة وطُرُقَه
57.....	أولاً: أوجه بيان القرآن للقرآن وطرقه
59.....	ثانياً: أوجه بيان السُّنَّة للكتاب
65.....	المبحث الثالث: مفهوم التَّأويل
65.....	تعريف التَّأويل لغة
67.....	التَّأويل في الاصطلاح
68.....	التَّأويل في القرآن الكريم
77.....	التَّأويل في السُّنَّة النَّبَوِيَّة
80.....	معنى التَّأويل في اصطلاح المتأخرين
83.....	قانون التَّأويل
90.....	الفرق بين التفسير والتَّأويل
94.....	الفصلُ الثَّانِي: تفسير ابن عباس
96.....	المبحث الأوَّل: ترجمة ابن عَبَّاس
96.....	ابن عَبَّاس نسبه ومولده وفاته
97.....	قطوف من حياته
99.....	مكانته العلمية وثناء العلماء عليه
103.....	مراظرته العلميَّة

105 بعض صفاته وشيء من عبادته.
107 المبحث الثاني: ابن عباس و التفسير.
108 ابن عباس والرأي.
109 ابن عباس وأهل الكتاب.
112 ابن عباس وعلاقته بالشعر واللغة.
121 الاستشهاد بالشعر في تفسير القرآن.
122 المبحث الثالث: خصائص ومميزات تفسير ابن عباس.
127 مشاهدة التنزيل ومعرفة أحواله.
133 معرفة أحوال من نزل فيهم القرآن.
134 تعريف العادة والعرف لغة.
135 تعريف العادة والعرف اصطلاحاً.
139 الفرق بين العادة والعرف.
136 أهمية معرفة أحوال من نزل فيهم القرآن من عادات وأعراف.
138 علاقة العرف والعادة بتفسير كتاب الله.
139 أَقْسَامُ الْعُرْفِ (العادة).
140 العادات الفعلية في ضوء القرآن الكريم.
145 العادات القولية في ضوء القرآن الكريم.
148 معرفة اللسان الذي نزل به القرآن.
149 حسن فهمه وسلامة مقصده.
153 المبحث الرابع: مصادر ابن عباس في التفسير.
161 تفسير القرآن بالقرآن.
161 تعريف تفسير القرآن بالقرآن.
162 أمثلة تفسير القرآن بالقرآن عند ابن عباس.
165 تفسير القرآن بالسُّنَّة.
167 تفسير القرآن بالأثر عن الصحابة رضي الله عنهم.

169.....	تفسير القرآن بالرجوع إلى لغة العرب.....
172.....	الفصلُ الثالثُ: ملامح التفسير اللغوي عند ابن عباس
174.....	المبحثُ الأولُ: تعريف التفسير اللغوي
175.....	تعريف اللّغة لغة.....
175.....	اللّغة اصطلاحاً.....
175.....	تعريفات القدامى.....
176.....	تعريفات المحدثين.....
177.....	تعريف التفسير اللغوي.....
177.....	أهمية التفسير اللغوي وأسباب ظهوره.....
178.....	ظهور التفسير اللغوي و أسبابه.....
181.....	المبحثُ الثاني: الاتجاه اللغوي عند ابن عباس وأسبابه
182.....	مفهوم الاتجاه اللغوي.....
184.....	أسباب ظهور الاتجاه اللغوي في تفسير ابن عباس.....
190.....	تعريف الدّراسات اللّغويّة.....
192.....	أهم الدّراسات اللّغوية عند علماء اللّغة.....
192.....	أولاً: الدّراسات اللّغوية المباشرة في تفسير القرآن.....
200.....	ثانياً: الدّراسات اللّغوية غير مباشرة في تفسير القرآن.....
204.....	المبحثُ الثالثُ: ملامح الاتجاه اللغوي في تفسير ابن عباس وإثره في الدراسات اللغوية
205.....	ملامح الغريب في تفسير ابن عباس وإثره في الدراسة اللغوية.....
205.....	تعريف الغريب لغة واصطلاحاً.....
207.....	غريب القرآن عند ابن عباس.....
212.....	مسائل نافع بن الأزرق من كتاب غريب القرآن في شعر العرب.....
231.....	ملامح اللّغات (اللّهجات) في تفسير ابن عباس وأثرها في الدراسة اللغوية.....
231.....	تعريف اللهجة.....

- 232..... اللهجة في الاصطلاح الحديث.
- 233..... الفرق بين اللهجة واللغة.
- 234..... لغة قريش بين لغات العرب.
- 236..... لغة قريش ولغة القرآن.
- 241..... لهجات العرب وأهمية معرفتها.
- 244..... - ملامح اللهجات القرآنية عند ابن عباس من الناحية الدلالية وأثرها في الدرس اللغوي.
- 253..... - ملامح اللهجات القرآنية عند ابن عباس من الناحية الصوتية وأثرها في الدرس اللغوي.
- 254..... القراءات لغة واصطلاحاً.
- 256..... أسانيد القراء المتصلة سنداً بابن عباس.
- 258..... قضية تخفيف الهمز.
- 260..... نماذج على تخفيف الهمز.
- 264..... نماذج متفرقة.
- 269..... ملامح المعرب في تفسير ابن عباس وأثره في الدراسة اللغوية.
- 269..... المعرب لغة واصطلاحاً.
- 271..... رأي المنكرين للمعرب وأدلتهم.
- 271..... رأي القائلين بالمعرب وأدلتهم.
- 273..... رأي الجمع بين المذهبين.
- 275..... الفرق بين المعرب والدخيل.
- 276..... ما عرب من الحبشية إلى العربية.
- 281..... ما عرب من الفارسية إلى العربية.
- 283..... ما عرب من النبطية إلى العربية.
- 258..... ملامح الوجوه والنظائر في تفسير ابن عباس وأثرها في الدراسة اللغوية.
- 285..... تعريف الوجوه والنظائر لغة واصطلاحاً.
- 286..... الوجوه والنظائر من خلال الروايات التفسيرية عن ابن عباس.
- 288..... كليات القرآن.
- 289..... حكاية دلالة بعض الحروف وكلياتها في القرآن الكريم.

291.....	الخاتمة:
293.....	فهرسُ الآيات.
307.....	فهرسُ الأحاديث.
308.....	فهرسُ الأبيات الشعرية.
312.....	فهرسُ الأعلام المستشهد بهم.
319.....	فهرسُ المصادر والمراجع.
357.....	فهرسُ المحتويات.

﴿ دَعْوَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ [يونس: 10]